الصّداقة والصّديق

رسالة

لأبي حيّان التّوحيدي

[٣١٠ - ٤١٤ هـ]

عني بتحقيقها والتعليق عليها

الدكتور ابراهيم الكيلاني

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

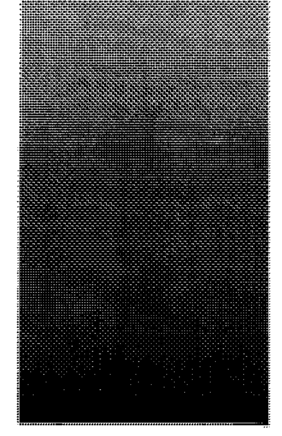
1998
الحوار
حضارة و إبداع

دار الفكر
للطباعة والتوزيع والنشر
سورية

الرقم الاصطلاحي: ٠١١٢،٠١١
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-263-5
الرقم الموضوعي: ٨٠١
الموضوع: أدب
العنوان: الصداقة والصديق
التأليف: أبو حيان التوحيدي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٤١٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
1419هـ = 1998م
ط1: 1964م



بسم الله الرحمن الرحيم

الصّداقة والصّديق

« فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً
وفطنةً وفصاحةً ومكنة »

ياقوت : معجم الأدباء ٦/١٥

« ربما كان التوحيدي أعظم كتاب
النثر العربي على الإطلاق »

آ . متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٩٤/١

الصداقة والصديق / أبو حيان التوحيدي ؛ عني بتحقيقها والتعليق عليها
إبراهيم الكيلاني . ـ ط ٢ . ـ دمشق : دار الفكر، ١٩٩٦ . ـ ٤١٦ ص ؛ ٢٥ سم .
ردمك : 5 - 263 - 57547 - 1

١ ـــ ٨١٩,٥ ح ي ا ص ٢ ـــ العنوان
٣ ـــ أبو حيان التوحيدي ٤ ـــ الكيلاني

مكتبة الأسد

ع ـــ ٦٨٣ / ٦ / ١٩٩٦

أبو حيّان التّوحيدي

٣١٠ـ٤١٤ هـ

١ ـ عصر التّوحيدي :

لم يعرف في تاريخ الأمم الإسلامية الطويل عصر تدنّت فيه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانتشرت الفوضى ، وعمّ التغلب والتقلب وسط مجتمعات ضعيفة البنيان ، مرجرجة الكيان ، كمجتمعات العصر العباسي الثالث ، وإذا ما تأمل المؤرخ أوضاع ذلك العصر هاله أمران : اشتداد النزعة الاستقلالية عند العناصر المكوّنة للدولة الإسلامية آنذاك ، وكثرة الدويلات التي ظهرت للوجود ، فبعد أن كان الخليفة في بغداد هو المسيطر الوحيد على هذه الدولة الموحدة ، أخذ نفوذه يضؤل شيئاً فشيئاً حتى لم يبق له من مظاهر الجاه والسلطان إلاّ الاسم يدعمه اعتراف ظاهري أو فعلي حسبما تمليه الأهواء والتقلبات والأمزجة الفردية والجماعية .

وإذا نظرنا إلى الخريطة السياسية في ذلك الزمن وجدنا أن ابن رائق يحكم البصرة وواسط ، والبريدي خوزستان ، وأن بني بويه ، وهم جماعة من الديلم يحكمون العراقين والأهواز وفارس ، وأن السامانيين ، وهم جماعة من العجم مستقلّون بخراسان وما وراء النهر ، وأن بني حَمدان ، وهم بطن من تغلب بن وائل ، يبسطون سلطانهم على الموصل والجزيرة والشام ، وأن الفاطميين أو العبيديين ، وهم فريق من الشيعة قيل إنهم من نسل فاطمة الزهراء ، متغلبون على إفريقية والمغرب ، وأن القرامطة الباطنيين ، أتباع

حمدان قُرْمط ، يعيشون في البحرين واليمامة وهَجَر فساداً وهدماً ، وأن الأندلس يعلو هامتها تاج الملك الناصر عبد الرحمن الأموي .

تلك هي الأوضاع حوالي سنة ٣٢٤ هـ ، وقد أعقب هذا الانقسام في الكيان السياسي ما يعقب كل كيان آل إلى الضعف والتفكك بعد الوحدة ، وإلى التوزّع بعد التلاحم والتماسك ، من مظاهر الفوضى والتسلّط والاستهتار بالحقوق والواجبات . فمن قتلٍ وخلعٍ وغدرٍ ومصادرة أموال وأشخاص ، وفساد علاقات بين الحاكم والمحكوم وقيامها على البطش والثورة حيناً ، والملاينة والانتفاضة حيناً آخر حتى عدَّ هذا العصر من أكثر العصور اضطراباً ، وأغناها بالفرق والمذاهب والحركات السريَّة والعلنية ، وتيارات التصوف والزندقة . يسود هذا كله غموض وظلمة حتى ليصعب على الباحث المؤرخ الاهتداء إلى الطريق في متاهات هذا العصر العجيب المتناقض .

ومن الظواهر التي يجدر بمؤرخ الأدب الوقوف عندها حالة الحياة العقلية والفكرية وسط مظاهر الانحطاط السياسي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي ، وتأثير ذلك على النتاج الفكري ، وكان من البديهي أن يتبع الأدبُ والفكرُ السياسة في تردّيها لأنها صورة للمجتمعات يرتفعان بارتفاعها ويهبطان بهبوطها إلاَّ أن هذا القانون لم يصدق على العصر العباسي الثالث ، بل لم يصدق على كثير من العصور عند بقية الأمم في الشرق والغرب ، فقد ظلت الحياة العقلية في سيرها المطَّرد الصاعد على هامش الحياة السياسية ونمت وتوسَّعت فعرف العصر نتاجاً فكرياً قلَّ أن عرفته الأمم الإسلامية في أزهى عصورها ، ذلك أن ثمَّة أسباباً أوجدت هذا التناقض يمكن حصرها فيما يلي :

أ ـ يحجم المفكرون والعلماء والعقلاء في عصور الفوضى والخوف والاستبداد عن المشاركة في الحياة العامة ومعاشرة السلطان وخدمته لما

يحمل ذلك في ثناياه من أسباب العطب وإذلال الكرامة فيلجأ أصحاب العقول الكبيرة الممتازة إلى العزلة واجدين فيها أمناً وهدوءاً وسلامة وسلوى تساعدهم على العمل والتفكير والتأمل والإنتاج .

ب ـ إن العرب عرفوا في بدء العصر العباسي الأول تراثاً ضخماً نقلوه عن الأمم القديمة إلى العربية فأمعنوا فيه درساً وشرحاً وتفهماً مدفوعين بقوة الاستمرار والتسلسل فكان ذلك زاداً تناوبته العصور القادمة وخميرة أفادت منها عبر التاريخ .

جـ ـ كانت بغداد ، قبل انهيارها ، مركزاً للإشعاع العلمي والسلطان السياسي في مملكة مترامية الأطراف ، وقبلة أنظار روّاد المثالة والشهرة والغنى والتفوق والمغامرة من الشعراء والأدباء ، فلما دبَّ الانقسام واستقلَّت الأقطار ، تعدَّدت المراكز العقلية وأصبح كل قطر عاصمة صغيرة يحاول أولو الأمر فيها تقليد خليفة بغداد وبلاط بغداد في تقريب أهل الفكر ، وإحاطة أنفسهم بكل مظاهر الملك وأبهة السلطان ، بل لقد دبَّ الحسد فيما بين هؤلاء الأُمراء فصاروا يتنافسون ويتفاخرون بمن عندهم من أرباب العلم والأدب كما كان أدباء وعلماء كل قطر يساجلون زملاءهم ويفخر بعضهم على بعض . حتى الأعاجم من الأمراء أحاطوا أنفسهم ، بدافع التقليد ، وعلى جهلهم العربية ، بالعلماء والأدباء ، ولا أدلّ على ذلك من المثال الذي رواه الصولي في كتاب الأوراق ، أخبار الراضي والمتقي ص ١٩٤ـ١٩٥ عن بجكم التركي فقد كان هذا بواسط ، وكان الصولي من المقرَّبين إليه ، وكان بجكم أعجمياً « يعرف العربية ولا يجسر على التكلم بها » ، وكان يقول عن نفسه : « أخاف أن أتكلم بالعربية فأخطئ في لفظي ، والخطأ من الرئيس قبيح » ، وقد استدعى الصولي إليه يوماً وقال له معاتباً : إنَّ أصحاب الأخبار رفعوا إليَّ لما طلبتك من المسجد (وكان الصولي في المسجد) أنهم

قالوا : أعْجَلَهُ الأمير ! أفتراه يقرأ عليه شعراً أو نحواً أو يسمع من الحديث ! (يقولون ذلك تهكماً ببجكم الأعجمي) فقال بجكم : لقد ذَهبَ عليهم أمري ، أنـا إنسـان وإن كنت لا أحسن العلومَ والأدب أحبُّ أن لا يكونَ في الأرض أديب ، ولا عـــالم ، ولا رأس في صنـــاعـــة إلاّ كان في جَنْبَتي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لا يُفارقني ! » إن بجكم التركي هذا لسان حـال أمراء الأقطار في ذلـك الزمـان ، وهكـذا أصبحت لكل إقليم شخصيتـه المميّزة من غيره في العلم والأدب بعد أن كانت بغداد العاصمـة المركز الإشعـاعي الوحيـد تستأثر بكل شيء وتستقطب فعاليات الناس كافة .

كانت الحياة الاجتماعية متأثرة إلى حدٍّ بعيد بالأوضاع السياسية ، وكان فقـدان الأمن والاستقرار وغلبـة التسلُّط والعسْفَ سبيلاً إلى إيجاد الفـوارق الطبقيـة بين النـاس ، وإلى فشـو الترف والبـذخ في الطبقـات المـوسرة على حسـاب الطبقـات الفقيرة حتى صـدق في ذلـك قـول علي بن أبي طـالـب : « ما رأيتُ إسرافاً قـطّ إلاّ وإلى جـانبـه حقٌّ مضيَّع » ، لقـد ضـاعت حقوق الشعب من جراء الإسراف وإمعان الخلفاء والأمراء ومن يحيط بهم في التـأنق في المـأكل والمشرب والملبس وبقيـة اللـذائـذ حتى بلغت الحـال بـالـوزير ابن الفُرات إلى أن « يأكل بملاعق البلُّور ، وما كان يأكل بـالملعقـة إلاّ لقمـة واحدة ، فكان يوضع له على المائدة أكثرُ من ثلاثين ملعقـة » ، وكان الوزير المهلَّبي كثير الولع بالورد روى شاهدٌ فقال : « شاهـدتُ أبـا محمـد المهلبي قـد ابتيعَ له في ثلاثة أيام ورد بألف دينـار فرش بـه مجـالسـه وطرحـه في بركـة عظيمة ، كانت في داره ولها فوارات عجيبـة يُطرح الورد في مـائهـا فتنفضـه على المجلس فيقع على رؤوس الجالسين ، وبعـد شربـه عليـه وبلوغـه مـا أراد أنْهَبَه ! » وكان الوزير للهلبي هذا « غايةً في الأدب والمحبة لأهلـه » معروفـاً بعطفـــه على « أهـل الأدب والعلـوم ، فـأحيـا مـا كان درس ومـات من

ذكرهم » ، ولما مات « مات بموته عن الكتّاب الكرمُ والفضلُ » . وصفه أحد الأدباء فقال : « كان أبو محمد المهلّبي يناصف العشرة أوقات خلوته ، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية فإذا جلس للعمل كان امرءاً وقوراً ، ومهيباً محذوراً » .

ولا ريب في أن طبيعة الحياة في ذلك الزمان كانت تدفع فئة من الأدباء وأهل الفكر إلى التماس العيش في ظلال الحكام والوقوف على أبوابهم راصدين الفرص للتسلل إلى الداخل حيث العيش الهنيء والحياة الرغيدة فيبقون ببقاء ذلك وينصرفون بعد زواله ، وليس من صورة أمتع من التي رسمها الثعالبي في (يتيمة الدهر ٣٠٩/٢) عن نوع الحياة الاجتماعية واستمتاع أهل الأدب من قريب أو بعيد بعشرة الحكام وإسرافهم ومشاركتهم لهم في تبذلهم وسفههم ومجونهم قال » « .. كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلّبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطّراح الحشمة والتبسُّط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم ، وما منهم إلاّ أبيض اللحية ، طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلّبي ، فإذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذَّ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه وَهَبوا ثوبَ الوقار للعُقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفّة والطّيش ، ووُضع في يد كل منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءاً شراباً قُطربلياً أو عُكبرياً ، فيغمس لحيته فيها بل ينقعُها حتى تتشرَّبَ أكثره ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخانقُ البَرَمِ والمنثور ... فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمُّت والتوقُّر والتحفُّظ بأُبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء » .

تلك أمثلة عما وصل إليه الترف في قصور الحكام ، أما الشعب ومنهم الأدباء ممن لم تُتَح له فرص الفوز برضى عظيم أو عطف وزير خطير ،

وكذلك العلماء وأصحاب الضياع والرَّعاع فهم فقراء بائسون محرومون ، همهم اصطياد الرغيف والفوز بالكفاف . وقد صور لنا التوحيدي في كتبه أحوال هؤلاء المفكرين والأدباء ومقدار الهوة التي انحدروا إليها ، وقد بدأ بنفسه فقال يشكو مرارة العَوز : « غدا شبابي هرماً من الفقر ، والقبر عندي خير من الفقر » ، وقال مخاطباً أبا الوفاء المهندس مستجيراً : « خلِّصني أيها الرجل من التكفُّف ، أنقذْني من لبس الفقر ، أطلقْني من قيد الضُّرّ ، اشترني بالإحسان ، اعتبدْني بالشكر ، استعمل لساني بفنون المدح ، اكفني مؤونة الغداء والعشاء ، إلى متى الكُسَيْرة اليابسة ، والبُقَيْلة الذاوية ، والقميص المرقَّع ... إلى متى التأدُّم بالخبز والزيتون .. قد أذلني السفر من بلد إلى بلد ، وخذلني الوقوف على بابٍ باب » .

وإذا ما رحنا نستقصي أحوال طبقة الأدباء والمفكرين وجدنا أنها لا تخرج عما وصف به أبو حيّان حاله ، فهذا أبو سليمان السجستاني زعيم المناطقة في عصره كان « بحاجة ماسَّة إلى رغيف ، وحوْله وقوّته قد عجزا عن أُجرة مسكنه ووجبة غدائه وعشائه » ، وهذا أبو سعيد السيرافي ، أستاذ التوحيدي يعمل في الوراقة فينسخ في اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش » ، وهذا أبو بكر القومسي الفيلسوف بلغت به الفاقة وتعثَّر جَدُّه حدّاً جعلاه يقول : « ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسانٍ ما بلغ مني ، إن قصدتُ دِجلة لأغتسلَ منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيم بالصعيد عاد صلداً أملس ! » .

وكان من انعكاس الحياة العامة على الأدب أن غلب عليه التكلف والمبالغة وتلوّن بلون الشحذ والضراعة كما قويت في هذا العصر نزعتا التصوف والزندقة والتوكُّل مما نجد أثره في أدب التوحيدي خاصة ونتاج العصر عامة .

٢ ـ لمحة عن حياة أبي حيّان التّوحيدي :

من المتعذر على المؤرّخ إيجاد سيرة متسلسلة الحلقات للتوحيدي ، فإنَّ أخباره المبعثرة هنا وهناك لم تفدنا شيئاً عن أصله ونشأته ومكان ولادته ، وهذا ما جعل الأخبار عنه قليلة ومتضاربة ، وما عرف منها لم يسلم من التحريف والوضع وذلك أن أبا حيّان التّوحيدي لم يكن على وفاق مع أهل عصره مما جعله يقضي شطراً كبيراً من حياته مستتراً ، خشية الأذى وبطش السلطان ، على أنَّ ما تجمع لدينا من معلومات يجعلنا نعتقد أنه ولد سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين ، وأنه قضى قسماً كبيراً من حياته في بغداد حيث أتيح له أن يتلقى العلم على أعاظم علماء عصره ، فكان لهم أثر في توجيهه وتكوينه أدبياً وعقلياً وروحياً ، وكان أبرز هؤلاء الأساتيذ : أبو سعيد السيرافي (٢٤٨ـ٣٦٧ هـ) وهو عالم فذّ شارك في علوم عصره وأنواع المعرفة الشائعة فيه مشاركة واسعة ، فدرس عليه تلميذه التوحيدي علوم القرآن والفقه والفرائض والحساب والكلام والبلاغة والشعر والعروض والقوافي ، كما اطلع تلميذه في سن مبكرة على أسرار التصوف ، حتى صار التوحيدي فيما بعد شيخاً في الصوفية ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لأستاذه ، شديد الإعجاب به ، والخضوع لإرشاده ، فهو في نظره « عالم العالم ، وشيخ الدنيا ، ومُقنع أهل الأرض » ، ودرس التوحيدي علم الكلام والمنطق والعربية على عليّ بن عيسى الرُّمَّاني (٢٩٦ـ٣٨٤ هـ) وهو أحد أئمة اللغة والأدب « لم يرَ قط مثله عالماً بالنحو ، وغزارةً في الكلام ، وبصراً بالمقالات ، وإيضاحاً للمشكل مع تألُّهٍ وتنزُّهٍ ودينٍ وفصاحةٍ وفقاهةٍ وعفافةٍ ونظافة » ، وكان الرُّمَّاني ميّالاً إلى النحو والمنطق ، وحاول أن يتفرَّد في هذين العلمين بمذهب خاص به فوقع في الغموض والتعمية ، ودرس التوحيدي الفقه الشافعي على أساتيذ ثلاثة هم : القاضي أبو حامد

المروّروذي (المتوفى سنة ٣٦٢ هـ) وكان من أئمة الفقه « لا يشقّ غباره فيه » ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لأستاذه ، واللهج بذكره والتتبع لأقواله وأفعاله وقال معلّلاً ذلك : « وإنما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل لأنه أنبل من شاهدته في عمري ، وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ، واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل ، وصبراً على الخصام » .

ودرس التوحيدي الفقه الشافعي أيضاً على أبي بكر محمد بن علي القفّال الشاشي المتوفّى سنة ٣٦٥ هـ ، وكان « فقيهاً محدّثاً أُصولياً لغوياً شاعراً » ، ودرسه أيضاً على القاضي أبي الفرج المُعَافى بن زكريا النهرواني (٣٠٥ـ٣٩٠ هـ) ، وكان أعلم الناس بفقه الطبري ، وكان أهل زمانه يقولون : « إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلُّها » .

أما الفلسفة فدرسها على أبي زكريا يحي بن عديّ النصراني الذي انتهت إليه « رياسة أهل المنطق في زمانه » كما درس الحكمة والمنطق على أبي سليمان السجستاني ، وكان منزل أبي سليمان مَقيلاً لأهل العلم يجتمعون عنده للدرس والمناقشة ، وكان التوحيدي شديد الحرص على تدوين أقوال أستاذه ومحاضراته ومذاكراته نجد آثارها في كتبه عامة وكتاب المقابسات خاصة .

وثمة أساتيذ آخرون كان أثرهم في التوحيدي أقل من سابقهم .

تلك لمحة عجلى عن حياة التوحيدي ، وهناك حياة أخرى لا تقلّ أهمية وتأثيراً في أدبه وهي الحياة العملية ، ولم يكن التوحيدي من الأدباء الذين ضربوا بينه وبين الناس أسواراً من الكتب اختبأوا وراءها فراراً من المجتمع بل طوّف في أطراف الأرض في الحجاز وفارس والعراقين والجبل ، وخاض غمار الحياة واطّلع على أسرارها ، وساقته ظروف حياته الصعبة إلى معاشرة

الطبقات الدنيا يتنقل معهم من بلد إلى بلد ، مستجدياً ، واقفاً على الأبواب يلبس لبوسهم ، فهو تارة « صوفي السمت والهيئة » وتارة « غِرّ لا هيئة لـه في لقـاء الكبراء » ، يختلـط بـالمكـدين من طـائفـة السـاسـانيين المتسـولين ، أو « الصوفية الغرباء والمجتدين الأدنياء الأردياء » ، وهـذه كلهـا ظروف إذا توفرت لأديب موهوب أصيل أكسبتـه تجـارب قيمـة ، واطِّلاعـاً على النفس البشرية نرى ظلالها منعكسـة في آثـاره ، فهي صـدىً أمين لأحـداث عصره وتياراته الفكرية والأدبية والاجتماعية .

توفي التوحيدي سنة ٤١٤ هـ في مدينة شيراز ودفن فيها .

٣ ـ الصَّداقة والصَّديق :

موضوع الصَّداقة قديم قدم الإنسـانيـة ، فيـه تتجـاوب عواطف النفس البشريـة ، وعلى صفحـاتـه تنعكس نفسيتهـا وروحهـا ، أولـع بـه الأدبـاء والشعراء والفلاسفـة والعلمـاء ، فـأمعنوا في استكنـاه حقيقـة هـذه الرَّابطـة العجيبة وتعريفها وتحديدهـا وتحليل روابطهـا ودوافعهـا ونشوئهـا ودوامهـا وفسادها ، وإن التوحيدي الذي آلمته الحياة ، وخدشته بأظفارها ، وجرعته كأس المرارة والحرمان واليأس فعاش على خلاف مع أهل زمـانـه يلقى عنتـاً وأذى حتى أُجبر على العزلـة والاختفـاء سنين طويلـة أقول : إن التوحيـدي الإنسـان كان مـدفوعـاً بمـزاجـه ونفسيتـه وظروف حيـاتـه إلى التفتيش عن الصَّداقة وإحلالها مكاناً أولياً في علاقاته مع النـاس ، وإلى العنـايـة بموضوع الصَّداقة والصَّديق ، بل كان من العجيب ألا يعنى بهذا الموضوع الوجـداني ، وألاّ يفرد له من وقته ، وأدبه ، وجهده ، واجداً في ذلك تنفيسـاً عن الضيق والكرب عنـه ، لأن حـديث الصـديـق على حـد تعبيره « حلـو ، ووصف الصـاحب المسـاعـد مطرب » ، زد على ذلـك أن أبـا حيّـان رجل عـاطفي

ذو حساسية تكاد تكون مَرَضية ، طُلعة ، همه الاتصال بالنـاس ومشـاركتهم عاطفياً وفكرياً ، واجداً في عشرتهم سلوى وتعويضاً عما لحقـه من إخفـاق في حياته العملية ، ووسيلة إلى تفريغ هذا المخزون العاطفي الـذي لازمـه ، وأُنساً عن غربة ووحشة شعر بها منذ مطلع حياته حتى نهايتها ، ألم يقل إن في حـديث الصـداقـة « شفـاءً للصـدر ، وتخفيفاً من البرحـاء ، وانجيـابـاً للحرقة ، واطِّراداً للغيظ ، وبرداً للغليل ، وتعليلاً للنفس » .

ثم إن هناك عاملاً آخر دفعه إلى التعلق بروابط الصداقـة والحرص على الصديق هو التصوف ، ومن المعلوم أن التوحيدي اعتنق التصوف في مستهل شبـابـه ، ومهما قيل في التصوف فـإنـه لا يعـدو كونـه نزعـة وجـدانيـة تبني العلاقات على الروحانيات لا المـاديـات ، وتقوي الصفـاء النفسي ، والتجرد المادي والخلقي ، في إطار من المثالية والنزعة الإخوانية اللطيفة .

٤ ـ كتاب الصَّداقة والصَّديق :

كان التوحيدي كثير اللهج في أحاديثـه بموضوع الصَّداقـة والصَّـديق ، كثير التحـدُّث عنـه والإكثـار من ذكره لعلـوقـه بنفسـه وارتبـاطـه بحيـاتـه الوجـدانيـة ، فقـد كان مسوقـاً بحكم الواقـع والـذوق الأدبي والضرورة إلى أن يفرد لهذا الموضوع الذي يشغل باله كتاباً خاصاً ، وظلت الأُمنية تراوده إلى أن كانت سنـة ٤٠٠ هـ ، فـأتم العمل بنـاء على رغبـة صـديقـه ووليِّ نعمتـه الوزير ابن سعدان بعد أن كان قد سُمع منه بمدينة السلام كلام في الصَّـداقـة والعِشْرة والمؤاخاة والأُلفة ... وسئل إثباته ففعل ووصل ذلك بجملة ما قالـه أهلُ الفضل والحكمة ، وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة على أن يستفاد منهـا وينتفع بهـا في المعـاش والمعـاد » ، ويظهر أن ظروف الحياة ، واضطراب الأحوال حملت التوحيـدي على إهمـال مشروعـه أكثر من

مرة ، إذ كان قد بدأه سنة ٣٧١ هـ ولم يتمّه إلا سنة ٤٠٠ هـ ، أي في العقد الأخير من حياته بعد أن « بلغت شمسه رأس الحائط » على حدّ تعبيره .

ما هي قيمة هذه الرسالة ؟ وما هو مكانها بين آثار أبي حيّان التّوحيدي ؟ وما هي نظرة التّوحيدي إلى الصَّداقة والصَّديق ؟

تلك أسئلة تدور في خلد الباحث بعد قراءته هذه الرسالة الفريدة في نوعها في الأدب العربي .

إن للتوحيدي شخصيتين : ذاتية وموضوعية ، عبَّر في الأُولى عن نوازعه الوجدانية والعاطفية ، وعبَّر في الثانية عما رأى وسمع وشارك به من أحداث عصره ومشاكله ، وكان أُسلوبه في كلا الحالتين أُسلوباً فنياً منمقاً راقياً .

واعتقد أن رسالة الصداقة والصديق تعكس هاتين الشخصيتين شأن بقية آثار التوحيدي ، وإن كان يخيَّل للباحث لأول وهلة أن التوحيدي أبعد من أن يعبِّر عن نفسه وعن عصره في كتاب جمع فيه ما قيل في الصَّداقة والصَّديق منذ عصور الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري .

وقد امتد تأليف الرسالة فترة طويلة من حياة التوحيدي بدأها في سن الشباب وانتهى من تأليفها في أواخر حياته ، وإذا علمنا أن التوحيدي رافق القرن الرابع الهجري من مطلعه حتى منتهاه ، وأنه كان على صلة مع مشاكل عصره كان لا بدّ أن تنعكس في الرسالة من خلال مزاج التوحيدي الأديب ومنظاره ، أحوال هذا العصر العجيب وصور تلك المجتمعات المضطربة ، قد توصل الباحث إلى استنتاجات مفيدة وممتعة .

ولعل من أطرف ما جاء في الرسالة ذلك التصنيف الهرمي لطبقات المجتمع ، التي عرفها التوحيدي بالعشرة والاختبار والملامسة ، وهم الملوك

والأُمراء وأتباعهم والمزارعون والتجار ورجال الدين وأهل العلم والأدب ، ثم ينحدر إلى طبقة الرَّعاع والسُّوقة قال : « وأما الملوك فقد جلّوا عن الصَّداقة ، ولذلك لا تصحّ لهم أحكامها ، ولا توفي بعهودها ، وإنما أمورهم جارية على القدرة ، والقهر ، والهوى ، والشائق ، والاستحلاء ، والاستخفاف ، وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم ، ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم ، وانتسابهم إليهم ، وولوع طورهم بما يصدر عنهم ويرد عليهم » .

وأمّا التُّنَّاء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير .

وأمّا التُّجّار فكسب الدوانيق سدٌّ بينهم وبين كل مروءة ، وحاجزٌ لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة .

وأمّا أصحاب الدِّين والورع ، فعلى قلَّتهم ربما خلصت لهم الصَّداقة لبنائهم إياها على التقوى ، وتأسيسها على أحكام الحرج ، وطلب سلامة العقبى .

وأمّا الكتَّاب وأهل العلم ، فإنهم إذا خلوا من التنافس والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحَّت لهم الصَّداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل ، وهذا القليل من الأصل القليل .

وأمّا أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس ، لا محاسن لهم فتذكر ولا مَخازي فتنتشر .

تلك هي طبقات مجتمعه من زاوية الصَّداقة والتَّجربة الشخصية ، ولا ريب في أن هذا تصنيف أديب وجداني ، حسَّاس ، ينظر إلى العلاقات الاجتماعية نظرة مثالية إلا أن في هذا التصنيف نصيباً كبيراً من الحقيقة والواقعية .

أمّا الأوساط الأدبية والعقلية التي شارك فيها والمجالس التي كان يحضرها ويدوّن محاضرها فمن الطبيعي أن يعنى بذكرها ، وأن يرسم للمشاركين فيها صوراً أدبية طريفة : ففي مجلس الصَّاحب « أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون ، وهو فيما بينهم يصيح ويقول : قال شيخانا أبو علي وأبو هاشم ! » ، وفي مجلس الوزير البويهي ابن سعدان أدباء وندماء كثيرون مختلفو المذاهب والمشارب والطبائع أمثال : ابن زرعة الذي ليس منه « إلاّ النَّفْج والتعظيم والتهويل بأرسطو طاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط » ، وابن عبيد الذي « طرحه كلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة في عمق لجّ لا مطمع في انتقاده منه » ، وابن الحجّاج « الذي جمع بين القاضي أبي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة » ، وأبو الوفاء المهندس « ذو اللفظ الخراساني والإشارة الناقصة » ، ومسكويه الذي أفسده قال المهلبي « وسمعت المهلبي والذي لم يصلحه قال ابن العميد وفعل ابن العميد » .. إلخ .

وتبدو في رسالة الصَّداقة والصَّديق بعض القضايا الفلسفية والأخلاقية التي كانت تشغل المفكرين والعلماء في ذلك العصر كإيمان الناس بالطَّوالع والنُّجوم ، وربط أعمال الإنسان وتصرفاته الدنيوية بحركات الأفلاك ، كما تبدو تلك النزعة الأخلاقية المثالية المرتكزة على الفضائل النفسية والسلوكية المعاكسة لتيارات الفساد والانحلال والتي تبنَّاها المعتزلة والصُّوفية ، وحدَّدها الفيلسوف الفارابي في « المدينة الفاضلة » « والسياسة المدنية » من أن السعادة المثلى لا تتم إلاّ في مدينة متديِّنة ، ومجتمع فاضل يعيش فيه أهله متآخين متجاوبين في عواطفهم وفضائلهم على أن يقابل ذلك المدينة الجاهلة وهي التي انحدر أهلها في المعاصي والشرور ومتع الحياة الحسية المادية ، وكان الفارابي ، الذي جعل الأخلاق أساساً للسلوك ونادى

بنقاء النفس متأثراً بالتُّصوُّف والزُّهد من جهة ، وبفلسفة الحكيمَيْن أفلاطون وأرسطو[١] من جهة أُخرى ، وقد حدَّد في رسالة السياسة المدنية العلاقات والمعاملات بين الرئيس والمرؤوس ، والرفقاء والأصدقاء ، والأعداء والعلماء وكل ذلك على أساس مكارم الأخلاق ، والتعقل ، والرَّوية ، والتَّلطف ، والإحسان ، والحِلْم . وبما أن فلسفة الفارابي قد آلت في نهاية الأمر إلى تلاميذه وفي طليعتهم أبو زكريا يحي بن عدي ، وأبو سليمان السجستاني ، وهما أُستاذا التوحيدي ، أمكننا تصور مقدار تأثر التوحيدي بالفلسفة الفارابية ، ومدى تأثير هذه الفلسفة في نظرته للصداقة والصديق ، ولا أدلَّ على ذلك من مخاطبته القارئ في مستهل الرسالة بلهجة المتدينين المرشدين وعبارات الصوفيين الأتقياء قال : « اللهم ! خذ بأيدينا فقد عثرنا ، واستر علينا فقد أعورنا ، وارزقنا الأُلفة التي بها تصلح القلوب ، وتنقى الجيوب ، حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على الخير ، مؤثرين للتقوى ، عاملين شرائط الدِّين ، آخذين بأطراف المروءة ، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين ، متزوِّدين للعاقبة التي لا بدَّ من الشخوص إليها ، ولا محيد عن الاطِّلاع عليها » .

ولا ريب في أن النزعة الفضائلية المشوبة بالصُّوفيَّة هي ردَّة فعل للانحطاط الخلقي والفساد الاجتماعي في ذلك الزمن .

---

(١) للفيلسوف أرسطو آراء في الصداقة نرى انعكاسها فيما ألفه العرب عن الصداقة وبخاصة التوحيدي ، ويقسِّم أرسطو الصداقة إلى ثلاثة أنواع : صداقة مبنية على المنافع ، وصداقة مبنية على اللذة ، وصداقة مبنية على الفضيلة . وعلى هذه المحاور الثلاثة تدور صداقات البشر .

ويقول أرسطو معرفاً الصداقة : « أنها توافق تام في الأُمور الإلهية والأمور الإنسانية ، مدعوماً بالرأفة والود المتبادل ، ولا أدري فيما إذا كانت الآلهة ، إذا استثنينا الحكمة ، قد قدمت للبشر منحة أفضل من الصداقة » ، وفي الرسالة أقوال لفلاسفة اليونان تطابق نظرة التوحيدي إلى الصداقة والصديق .

وهكذا فإن رسالة الصداقة والصديق تعكس بعضاً من التيارات الفكرية في عصر التوحيدي مما يكسبها بالإضافة إلى المتعة الأدبية قيمة وثائقية يجد فيها الباحثون معلومات تلقي الضوء على هذا العصر المغبَّش بالظلام .

أمّا تعبير الرسالة عن حياة صاحبها ونفسيته فقد عودنا التوحيدي في كل ما كتب أن يبرز الجانب الوجداني والعاطفي حتى في الموضوعات العلمية التي تلزم صاحبها التجرّد من عواطفه وميوله وتفرض عليه الموضوعية ، ومن البديهي أن يكون للتوحيدي في الصداقة والصديق وهو موضوع أملته عليه دوافع وجدانية وعاطفية ، مجال للتعبير عن نفسيته وظروف حياته وصلاته مع أهل زمانه ، والتنفيس عن ضيقه وكربه في ساعات الضِّيق والحرج . وخاصة أن الرسالة لم تؤلف دفعة واحدة وفي فترة معينة بل امتدَّ تأليفها ـ كما قلنا آنفاً ـ طوال حياة مؤلفها ، ونحن واجدون فيها طائفة من الاعترافات والمعلومات والصور والعبارات والاستشهادات التي ترشدنا بمجموعها إلى استكشاف جوانب هذه الشخصية الغريبة .

هذه عبارة تدلُّ على الحالة التي ألَّف بها التوحيدي رسالته : « ومن العجب والبديع أنَّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق ، والأسف ، والحسرة ، والغيظ ، والكمد ، والومد » ، « فقد أمسيتُ غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب النِّحلة ، غريب الخلق ، مستأنساً بالوحشة ، قانعاً بالوحدة ، معتاداً للصمت ، مجتنفاً على الحيرة ، محتملاً الأذى ، يائساً من جميع مَنْ ترى » .

وهذه عبارة أخرى يعبر فيها التوحيدي عن « مركَّب النقص » الذي كان يخفي تحته عجزه وإخفاقه في الحصول على « طِمْرين للستر لا للتَّجمُّل » ، معبراً بذلك عن تبرُّمه بالناس واحتقاره لهم : « والله لربما

صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي ، فإن اتفق فبقَّال أو عصَّار أو ندَّاف أو قصَّاب ، ومن إذا وقف بجانبي أسدرني بصُنانه ، وأسكرني بنتنه ! » .

وهذه مقاطع تشير إلى نظرة التَّوحيدي المتشائم ، اليائس من النَّاس ، للصَّداقة في إطارها المثالي ، واجداً بينه وبين جميل بن مرَّة شبهاً في السُّلوك والمصير قال : « وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ، ولا من يتشبَّه بالصَّديق ، ولذلك قال جميل بن مرَّة في الزَّمان الأوَّل حين كان الدِّين يُعانق بالإخلاص ، والمروءة تُتهادى بين الناس ، وقد لزم قعر البيت ، ورفض المجالس ، واعتزل الخاصة والعامة ، وعوتب في ذلك فقال : لقد صحبتُ الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنباً ، ولا ستروا لي عيباً ، ولا حفظوا لي غيباً ، ولا أقالوا لي عثرة ، ولا رحموا لي عَبرة ، ولا قبلوا مني عذرة ، ولا فكّوني من أسرة ، ولا جبروا مني كِسرة ، ولا بذلوا لي نصرة ، ورأيت الشغل بهم تضييعاً للحياة ، وتباعداً من الله تعالى ، وتجرُّعاً للغيظ مع الساعات ، وتسليطاً للهوى في الهنات بعد الهنات ، ولذلك قال الثَّوري لرجل قال له : أوصني ، قال : أنكرْ مَنْ تعرفه » .

إلى غير ذلك من الشواهد التي تعمَّد التوحيدي إيرادها فهي تعبير عما يصطرع في نفسه من آمال مكبوتة ، وما يجيش به من مرارة ويأس من الحاضر وتبرم بأهله .

بقيت لنا كلمة إجمالية عن رأي التَّوحيدي في الصَّداقة والصَّديق ، فهو وإن لم يُبدِ رأيه بصراحة إلاَّ أننا نستطيع ، من خلال أقواله واستشهاداته وإشاراته وتلميحاته وإيراده الحكم والنوادر ، أن نكوِّن فكرة عن تصوره وفهمه لهذه الرابطة الإنسانية المثلى .

يعتقد التَّوحيدي أنَّ الصَّداقة عاطفة اصطفائية ، وفضيلة إنسانية يصعب تحقيقها على الغالب ، وهي ككل عاطفة أساسية مرتبطة بصميم الحياة الشعورية تتفرع عنها جملة من الفضائل الخلقية والسلوكية تضمن لها البقاء والنماء « كالعشرة والمؤاخاة والألفة وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والتكرم » .

إن وجود هذه الفضائل يساعد على تكوين الصَّداقة وتوسُّعها وحمايتها من صدمات الحياة وتشابك مصالحها وتداخل منافعها . تلك هي الناحية الإيجابية في الصَّداقة ، وثمة عناصرُ سلبية مصدرها النفس الإنسانية ذاتها ، تفسد الصَّداقة وتحمل إليها بذور الانحلال كالخلاف والهجر والْعَتْب والْمَذْق والرِّياء والْنِّفاق والحيلة والخداع والالتواء والاحتجاج » ، إلى غير ذلك من الآفات النفسية التي تحول دون تحقق الصَّداقة وارتفاع الصديقين إلى مستوى العلاقة السامية البعيدة عن الشوائب وعوامل الفساد .

على أن التوحيدي لم يقف عند حد ذكر الأُمور النظرية بل عمد إلى إيراد ظاهرة واقعية شاهدها بنفسه ، وهي تمثل بنظره أسمى ما وصلت إليه الصَّداقة العملية بين إنسانَيْن ممتازَيْن بفضائلهما وعلمهما وصفائهما الْخُلُقي والنفسي ، محاولاً استخلاص عناصر الصَّداقة المثالية على ما بين هذين الصديقين من فوارق المشاغل العقلية والمهنية والاختصاص والمنشأ وتدخل الطوالع والفلك في الربط بينهما . قال : « قلت لأبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني : إني أرى بينك وبين ابن سيّار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خُلُقية فمن أين هذا ؟ وكيف هو ؟ » .

ويجيب أبو سليمان قائلاً : « يا بنيَّ ! لقد اختلطت ثقتي بثقته بي فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثَّان على الدَّهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ومواقع الكواكب مشاكلة عجيبة ، ومظاهر غريبة ،

حتى إنَّا نلتقي كثيراً في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل فأجدها شبيهة بأُمور حدثت لي في ذلك الأوان حتى كأنها قسائمُ بيني وبينه ، أو كأني هو فيها أو هو أنا ، وربما حدَّثته برؤيا فيحدثني بأُختها فنراها في ذلك الوقت أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل » .

وقلت لأبي سليمان كيف يصحّ هذا وأنت مطالبُك في الفلسفة وصُورك مأخوذة من الحكمة ، وجَعْبتك مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجلٌ في عداد القضاة ، وجِلَّة الحكام ، وأصحاب القلانس ، ومخاضه الظاهر الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السَّواد الأعظم ؟

قلت : هذا والله طريف ، ومما يزيد في طرافته أنك من سجستان وهو من الصَّيْمَرَة ، فقال : « الأمكنة في الفلك أشدُّ تضاماً من الخاتم في إصبعك ، وليس هناك هذا البعد الذي نجده بالمسافة من بلدٍ إلى بلد بفراسخ تقطع ، وجبالٍ تُعلى ، وبحارٍ تُخرق » .

فقلت : هل تَجِدُ عليه في شيء أو يَجِدُ عليك في شيء ؟ فقال : وجدي به في الأول قد حَجَبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على أنه يكتفي مني فيما خلف هوايَ باللمحة الضئيلة ، وأكتفي أنا منه في مثل ذلك بالإشارة القليلة ، وربما تعاتبنا في حالٍ تعرض على طريق الكتابة عن غيرنا كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذلك مَقْنَع ، وإليه مَفْزَع ، وقلَّ ما نجتمع إلاَّ ويحدثني عني بأسرار ما سافرتْ عن ضميري إلى شفتي ، ولا ندَّت عن صدري إلى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع إليه ، والأصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حُمر النعم

ولا أجد بها بحياتي ، ما أجد بحياتي لي ، وإذا كنت أعشق الحياة لأني بها أحيا ، كذلك أعشق كلَّ ما وصل الحياة بالحياة ، وَجَنَى لي ثمرتها ، وجلب إليَّ روحها ، وخلط بي طيبها وحلاوتها » .

إن هذه المحادثة اللطيفة التي أوردها التَّوحيدي في مطلع رسالته تحدد الشروط التي تقوم عليها الصَّداقة المثالية ويمكننا إجمال هذه الشروط بما يلي :

أ ـ إن صداقة اثنين تتطلب ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خلقية ، حتى إذا ما اتحدت هذه العناصر الأربعة أجدت الثقة المتبادلة التي تخلق بدورها طمأنينة وسكوناً ثابتين لا يضعفان ولا يحولان مدى الدهر .

ب ـ إن الصَّداقة الحقيقية تقتضي المماثلة في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات ، وهذه المماثلة ثمرة ارتباط روحي ، خفي ، غير محدَّد ، بزمان أو مكان ، وهذا ما يشبه اتحاد الذاتين عند الصُّوفيِّين ، وقد أشار التَّوحيدي في كتاب المقابسات إلى ذلك عند تعريف أرسطو للصديق بقوله : « الصَّديق هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك » ، وقد فسَّر أبو سليمان السجستاني أُستاذ التَّوحيدي هذه العبارة فعدَّها آخر درجات الموافقة الَّتي يتصادق المتصادقان بها ، ثم قال : « ألا ترى أن لهذه الموافقة أولاً منه يبتدئانها ، وكذلك لها آخر ينتهيان إليه ، وأول هذه الموافقة توحُّدٌ وآخرها وحدة ، وكما أنَّ الإنسان واحد بما هو به إنسان ، كذلك يصير بصديقه واحداً بما هو صديق ، لأن العادتين تصيران عادة واحدة ، والإرادتين تحولان إرادة واحدة ولا عجب من هذا فقد أشار إلى هذه الغريبة الشاعر :

روحه روحي ، وروحي روحه إنْ يشأ شئتُ ، وإن شئتُ يشا

جـ ـ إن اختلاف المشاغل الذهنية والعقليه والدنيوية والمهنيـة لا تحول دون نشوء الصـداقـة . وهـذا الاختـلاف شيء سطحي لا عـلاقـة لـه بجـوهر الصـدأقـة فهو « خلاف الشكل للشكل لا خلاف الضـد للضـد ، فقـد جمعت الصديقين المشاكلة على العلم وفرقهما الاختلاف بالفن » .

د ـ إن الصَّداقـة إذا توفرت لهـا بيئـة خصبـة وتُربـة ملائمـة سمت فوق المادة واكتسبت مع الزمن صفاءً روحانياً وانسجامـاً صميميّـاً همـا مصـدر فرح وبهجة وغبطة في حياة الصَّديقين .

تلك هي خلاصة أفكار التَّوحيدي في موضوع الصَّداقـة ولعل عبـارة : « كأني هو فيها أو هو أنا » ، وعبارة : « الصَّديق هو أنت إلاَّ أنَّـه بـالشَّخص غيرك » ، تحدِّدان النظرة المثالية للصـداقـة عنـد التَّوحيـدي ، وأمثـالـه من مفكري ، وعلماء القرن الرابع الهجري .

٥ ـ تحقيق الرِّسالة :

طبعت رسالة الصَّداقة والصَّـديق أول مرة في القسطنطينـة في مطبعـة الجـوائب سنـة ١٣٠١ هـ ، والمعتقـد أن أحمـد فـارس الشِّـديـاق أشرف على تحقيقها معتمداً على مخطوطة غير التي قمنا بتحقيقها نظراً لوجود فوارق كثيرة بين المخطوطتَيْن وخطأ كثير في المطبوعة نبعـد أمثـال الشِّـديـاق عن الوقوع فيها ، وقد رمزنا إليها بحرف ج .

وطبعت الرسالة مرة ثانيـة في القـاهرة سنـة ١٣٢٣ هـ بعنوان (الأدب والإنشا في الصَّداقة والصَّديق) ، وهي منقولة حرفيـاً عن طبعـة الجوائب . إن هاتين الطبعتَيْن محشوتان بالأغلاط والتحريفات ممـا يجعل الإفـادة منهما ضئيلة جداً إن لم تكن معدومة . وقد رمزنا إليها بحرف ق .

أما المخطوطة التي اعتمدنا عليها في تحقيق الرسالة فهي محفوظة ضمن مجموع في مكتبة أسعد أفندي في إستانبول بعنوان : الرسالة في الصَّداقة والصَّديق . أبو حيّان التّوحيدي رقم ١/٣٥٤٢ ، ويتراوح عدد سطور الصفحات بين ٢٤ سطراً و ٢٨ سطراً والخط نسخي عادي مقروء إلا في بعض المواضع .

هذا وقد بذلتُ جهداً في التحقيق بغية إظهار هذه الرسالة النفيسة بحلَّة جديدة خلوّاً من التحريف والتصحيف لتتم الفائدة المرجوة منها .

سدَّد الله خطانا ووفقنا إلى ما فيه خدمة تراثنا العربي الخالد .

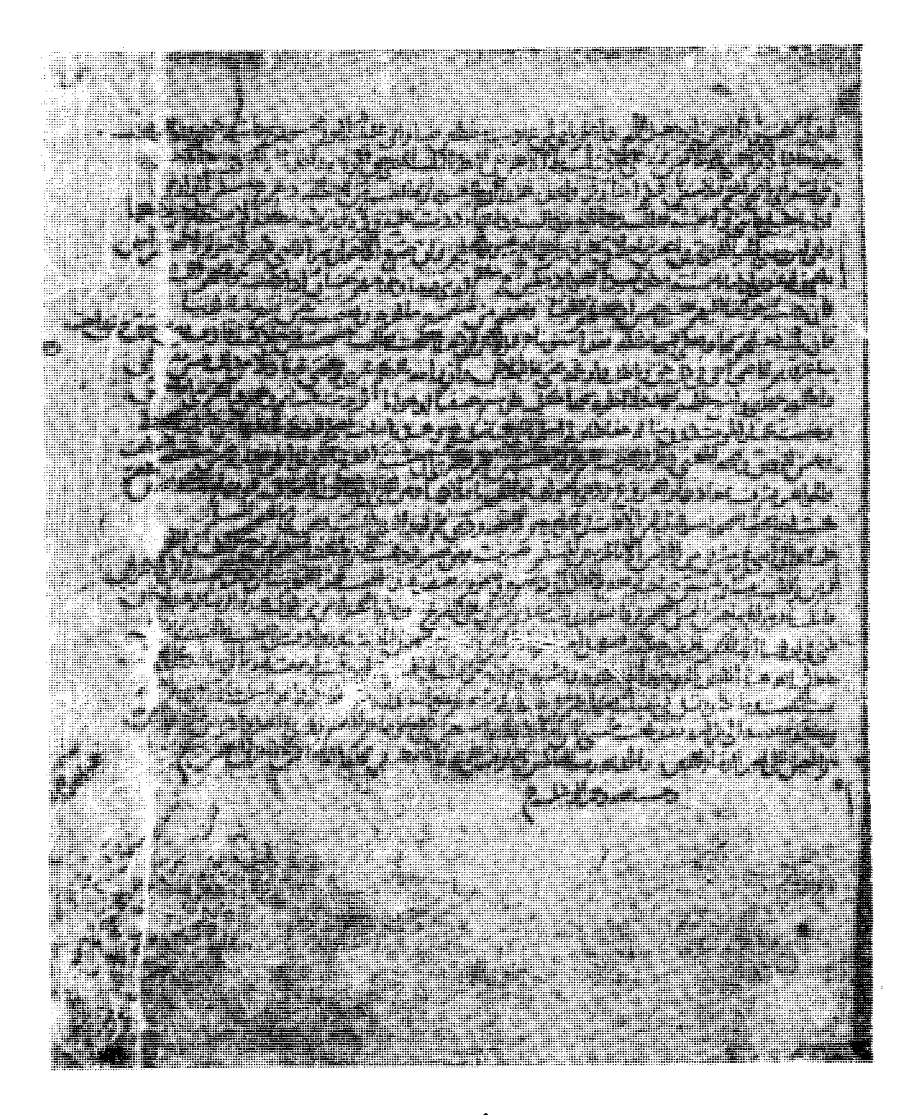
دمشق في ١٩٩٥/١٢/٣١

الدكتور إبراهيم الكيلاني



الصفحة الأولى من المخطوط

صفحة من المخطوط



الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدمة

اللَّهم ! خُذ بأيدينا فقد عثرنا ، واستر علينا فقد أعورنا ، وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب ، وتنقى الجيوب ، حتى نتعايش[1] في هذه الدار مصطلحين على الخير ، مؤثرين للتقوى ، عاملين شرائط الدين ، آخذين بأطراف المروءة ، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين ، متزودين للعاقبة التي لا بدَّ من الشخوص إليها ، ولا محيد عن الاطِّلاع عليها ، إنك تؤتي من تشاء ما تشاء .

تأليف الرسالة

سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلامٌ في الصَّداقة ، والعشرة ، والمؤاخاة ، والألفة ، وما يلحق بها من الرعاية ، والحفاظ ، والوفاء ، والمساعدة ، والنصيحة ، والبذل ، والمؤاساة ، والجود ، والتكرُّم ، ممَّا قد ارتفع رسمُه بين الناس ، وعَفا أثرُه عند العام والخاص ، وسُئلتُ[2] إثباته ففعلت ، ووصلت ذلك بجملةٍ مما قال أهلُ الفضل والحكمة ، وأصحابُ الديانة والمروءة ، ليكونَ ذلك كلُّه رسالةً تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد .

دعاء الخوارزمي

وسمعتُ الخوارزمي أبا بكر محمد بن العبّاس[3] الشاعر البليغ يقول :

---

(١) ج - نتعيش .

(٢) م - سألت .

(٣) هو أبو بكر محمد بن العبّاس الخوارزمي إمام الكتّاب وأحد الشعراء العلماء ، ولد في خوارزم سنة ٣٢٣ هـ ، وهو صاحب الرسائل المشهورة المعروفة باسمه ، وله ديوان شعر . ويعدُّ الخوارزمي أحد الثقات في اللغة ومعرفة الأنساب . جرت له مع البديع الهمذاني محاورات مات على أثرها غمّاً سنة ٣٨٣ هـ .

« اللَّهمَّ نفِّقْ سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلحْ قلوب النـاس فقـد فسـدت ، ولا تُمِتْني حتى يبورَ الجهلُ كما بار العقلُ ، ويموتَ النقص كما ماتَ العلمُ » .

دعاء التوحيدي

وأقول : اللَّهمَّ اسمع واستجب ، فقد برح الخفاءُ ، وغلب الجفاءُ ، وطال الانتظـارُ ، ووقـع اليـأسُ[1] ، ومرض الأمـلُ ، وأشفى الرجـاءُ ، والفرج معـدوم ، وأظنُّ أن الـداء في هـذا البـاب قـديم ، والبلـوى فيـه مشهـورة ، والعجيج منه معتاد .

صداقة عجيبة

فأول ذلك أني قلتُ لأبي سليمان محمد بن طـاهر السجستـاني : إني أرى بينك وبين ابن سيَّار القاضي ممازجة نفسية ، وصـداقـة عقليـة ، ومسـاعـدة طبيعية ، ومواتاة خلقيـة . فمن أين هـذا ؟ وكيف هو ؟ فقـال : يـا بنيَّ ! اختلطت ثقتي بـه بثقتـه بي ، فـاستفـدنـا طمأنينـةً وسكـونـاً لا يرثَّـان على الدهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننـا بـالطـالع ، ومواقع الكواكب مشاكلـة عجيبـة ، ومظـاهرة غريبـة ، حتى أنَّـا نلتقي كثيراً في الإرادات ، والاختيارات ، والشهوات ، والطلبـات ، وربما تزاورنـا فيحـدثني بـأشيـاء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهـةً بـأمور حـدثت لي في ذلـك الأوان حتى كأنها قسـائم بيني وبينـه ، أو كأني هو فيهـا ، أو هو أنـا ، وربما حـدثتُـه برؤيـا فيحـدثني بـأختهـا فنراهـا في ذلـك الوقت أو قبلـه بقليل ، أو بعده بقليل .

قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بمـا نتقـاسمـه من قوى الفلك ، وأن سهامنا واحدة ، وأنصباءَنا منها متساوية ، أو قريبـة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصَّداقة ، وتوكيد العلاقة .

---

(١) ج ، ق ـ البأس .

فقلت لأبي سليمان : كيف يصحُّ هذا ، وأنت مطالبُك في الفلسفة ، وصورُك مأخوذة من الحكمة ، وجعبتُك[1] مجموعة من الحقائق ، وخوضُك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجلٌ في عداد القضاة ، وجلَّة الحكام ، وأصحاب القلانس ، ومخاضةُ الظاهرُ الذي عليه الجمهور ، ومأخذهُ مما عليه السواد الأعظم .

فقال : هذا هو الذي انفردنا[2] عنه بعد أن ازدوجنا عليه والأصل [١ ب] أبداً / مخالف للفرع ، لا خلاف الضدِّ للضدِّ ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكانت مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زُحل ، فظهرتُ بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرَّقنا الاختلاف بالفن .

قلتُ : هذا والله طريف ، ومما يزيد في طرافته أنَّك من سجستان وهو من الصَّيْمرة[3] . فقال : الأمكنةُ في الفلك أشدُّ تضاماً من الخاتم في أُصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الأرضية من بلدٍ إلى بلدٍ بفراسخ تُقطع ، وجبالٍ تُعلى ، وبحارٍ تُخرق .

فقلتُ : هل تجد عليه في شيء أو يجدُ عليك في شيء ؟ فقال : وجدي به في الأول قد حَجَبَني عن موجدتي عليه في الثاني ، على أنه يكتفي مني فيما خالف هوايَ باللَّمحة الضئيلة ، وأكتفي أنا أيضاً منه في مثل ذلك بالإشارة القليلة ، وربما تعاتبنا على حالٍ تعرض على طريق الكناية عن غيرنا كأنَّنا نتحدَّثُ عن قومٍ آخرين ، ويكونُ لنا في ذلك مقنع ، وإليه

---

(١) ج ق م : قتيبتك والصحيح ما أثبتناه والجعبة : كنانة النُّشَّاب .

(٢) م ـ انقسمنا .

(٣) الصَّيْمرة : اسم لموضعَيْن أحدهما بالبصرة على فم نهر معقل وفيها عدَّة قرى تسمى بهذا الاسم ، والثاني بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . راجع : معجم البلدان ٤٠٦/٥ـ٧ .

مفزع ، وقلَّ ما نجتمع إلا ويحدثني عني بأسرارٍ ما سافرت عن ضميري إلى شفتي ، ولا ندَّت عن صدري إلى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع إليه ، والأصل الذي رسوخُنا فيه ، والفرع الذي تشبُّثنا به ، والله ما يسرّني بصداقته حمر النعم ، ولا أجدُ بها بحياتي ، ما أجد بحياتي لي ، وإذا كنتُ أعشقُ الحياة لأني بها أحيا ، كذلك أعشق كلَّ ما وصل الحياة بالحياة ، وجنى لي ثمرتها ، وجلب إليَّ روحها ، وخلط بي طيبها وحلاوتها .

ابن سيَّار القاضي

وكان أبو سليمان يحدثني عن ابن سيَّار بعجائب ، وأمَّا أنا فما عرفتُه إلا قاضياً جليلاً ، صاحب جدٍّ وتفخيمٍ وتوقيرٍ وتعظيمٍ ، وكان مع ذلك بسيطَ اللسان ، شريفَ اللفظ ، واسع التصرُّف ، لطيف المعاني ، بعيد المرامي ، يذهب مذهب أبي حنيفة .

الصداقة في نظر أبي سليمان

ثم قال أبو سليمان : الصَّداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة ، وصاحبها من صاحبه في غرور ، والزَّلَّةُ فيها غير مأمونة ، وكسرُها غير مجبور .

صداقة الملوك

قال : فأمَّا الملوك فقد جلُّوا عن الصداقة ، ولذلك لا تصح لهم أحكامها ، ولا توفي بعهودها ، وإنما أُمورُهم جارية على القدرة ، والقهر ، والهوى ، والشائق ، والاستحلاء ، والاستخفاف ، وأمَّا خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشَّبه بهم ، ونهاية المشاكلة لهم ، لانتشابهم بهم ، وانتسابهم إليهم ، وولوع طورهم بما يصدر عنهم ، ويَرِدُ عليهم .

صداقة التنَّاء

وأمَّا التُّنَّاء[1] وأصحاب الضياع ، فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير .

(١) ج ، ق ـ الفنا ـ التُّنَّاء : من تنأ تنوءاً بالمكان أقام به فهو تانئ .

صداقة التجّار

وأمّا التجار فكسب الدوانيق سدٌّ بينهم وبين كل مروءة ، وحاجزٌ لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة .

صداقة أهل الدّين

وأمّا أصحاب الدين والورع فعلى قلَّتهم فربما خلصت لهم الصَّداقة لبنائهم إياها على التقوى ، وتأسيسها على أحكام الحرج ، وطلب سلامة العقبى .

صداقة الكتّاب

وأمّا الكتّاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس ، والتحاسد ، والتماري ، والتماحك فربما صحّت لهم الصداقة ، وظهر منهم الوفاء ، وذلك قليل ، وهذا القليل من الأصل القليل .

صداقة أهل للذاب

وأمّا أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس ، لا محاسن لهم فتذكر ، ولا مخازي[1] فتنشر ، ولذلك قيل لهم همج ، ورعاع ، وأوباش ، وأوناش ، ولفيف ، وزعانف ، وداصة ، وسقاط ، وأنذال ، وغوغاء ، لأنهم من دقّة الهمم ، وخساسة النفوس ، ولؤم الطبائع على حال لا يجوز معها أن / يكونوا في حومة المذكورين ، وعصابة المشهورين ، فلهذه الأمور الحائلة عن مقارّها ، الزائغة إلى غير جهاتها علل وأسباب لونفس الزمان قليلاً لكنّا ننشط لشرحها ، وذكر ما قد أتى النسيان عليه ، وعفّى أثره الإهمال ، وشغل عنه طلب القوت ، ومن أين يُظفر بالغداء ، وإن كان عاجزاً عن الحاجة ، وبالعشاء وإن كان قاصراً عن الكفاية ، وكيف يُحتالُ في حصول طمرين للستر لا للتّجمُّل ، وكيف يُهرب من الشّر المقبل ، وكيف يُهرول وراء الخير المُدبر ، وكيف يُستعان بمن لا يُعين ، ويُشتكى إلى غير رحيم ، ولكن حال الجريض دون القريض ، ومن العجب والبديع أنّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق ، والأسف ،

[٢ ب]

اعتذار التوحيدي وشكواه

(١) ج ق ـ مساعي .

والحسرة.، والغيظ ، والكمد ، والومد ، وكأني بغيرك إذا قرأها تقبَّضت نفسه عنه ، وأمرس[1] نقده عليها ، وأنكر عليَّ التطويل والتهويل بها . وإنما أشرتُ بهذا إلى غيرك لأنك تبسط من العذر ما لا يجود به سواك ، وذاك لعلمك بحالي ، واطِّلاعك على دخلتي ، واستمراري على هذا الأنفاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ، ونكثا مرتي ، وأفسدا حياتي ، وقرناني بالأسى ، وحجباني عن الأسى ، لأني فقدتُ كلَّ مؤنسٍ ، وصاحبٍ ، ومرفقٍ ، ومشفقٍ ، والله ! لربما صليتُ في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلّي معي ، فإن اتفق فبقّال ، أو عصّار ، أو ندّاف ، أو قصّاب ، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدرني بصُنانه ، وأسكرني بنتنه ، فقد أمسيتُ غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب النحلة ، غريب الخلق ، مستأنساً بالوحشة ، قانعاً بالوحدة ، معتاداً للصمت ، مُجتنفاً[2] على الحيرة ، محتملاً الأذى ، يائساً من جميع من ترى ، متوقعاً لما لا بدَّ من حلوله ، فشمس العمر على شفا ، وماء الحياة إلى نضوب ، ونجم العيش إلى أُفول ، وظلّ التلبث إلى قلوص .

تمجيد الصمت

وفي تمجيد الصمت مرَّ بي كلام لبعض الحكماء القدماء أنا أرويه لك ههنا لا لأجدّد به عليك ما ليس عندك[3] ، ولكن لأذكرك ، فإن الإذكار بالخبر بعثٌ على الاهتمام به ، والبعث عليه سلوك لطريقه .

قال هذا الحكيم : لو لم يكن للصامت في صمته إلاَّ الكفاية لأن يتكلم ، فَحُكِيَ عنه محرَّفاً ، فيضطر إلى أن يقول : ليس هكذا قلت ، وإنما قلت كذا وكذا ، فيكون إنكارُه إقراراً ، ويكون اعترافُه بأصل ما حُكي عنه شاهداً

(١) ج ق - أمرّ ، أمرس : حبل الكرة أعاده إلى مجراه .
(٢) ج ق - ملازماً . مجتنفاً : مائلاً ، والأجنف : المتزاور والمائل في أحد شقيّه .
(٣) ج ق - عليك بما ليس .

لمن وشى به ، وادّعاؤه التحريفَ غير مقبول منه بلا بيِّنةٍ يأتي بها ، لَكانَ ذلك من أكبر فضائل الصمت ، وأدَعُ هذا وأقول :

إنشاء رسالة الصداقة والصديق

كان سبب إنشاء هذه الرسالة في الصَّداقة والصَّديق أني ذكرتُ شيئاً منها لزيد بن رِفاعَةَ أبي الخير[(١)] ، فنماه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبد الله[(٢)] سنة إحدى وسبعين [وثلاثمائة] قبل تحمله أعباء الدولة ، وتدبيره أمره الوزارة ، حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على إذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قال لي زيدٌ عنك كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، قال : فدوِّن هذا الكلام ، وصِلْهُ بصلاته مما يصحّ عندك لمن تقدم ، فإنَّ حديثَ الصديق حلو ، ووصفَ الصاحب المساعد مطرب ، فجمعتُ ما في هذه الرسالة ، وشُغل عن ردِّ القول فيها ، وأبطأتُ أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان .

[فلَمّا كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربع مائة][(٣)] عثرتُ على المسوَّدة وبيَّضتها على نحيلها ، فإن راقتك فذاك الذي عزمتُ بنيَّتي ، وحولي ، واستخارتي ، وإن تزحلقتُ عن ذلك فللعذر الذي سحبتُ ذيله ، وأرسلتُ سَيْله .

---

(١) زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة أبو الخير الهاشمي . كان معاصراً للتّوحيدي ذكره في الإمتاع والمؤانسة فقال : « ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ويقظة حاضرة ، وسوانح متناصرة ، ومتّسع في فنون النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع للمقالات ، وتبصّر في الآراء والديانات ، وتصرف في كل فن ... » وكان زيد بن رفاعة من جماعة إخوان الصفاء . توفي بعد ٤٠٠ هـ (الإمتاع ٣/٢ ، ٤) .

(٢) وزير صمصام الدولة البويهي استوزره سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ هـ .
وقد اتصل التّوحيدي بابن سعدان وسامره زمناً فتألف من مجموع مسامراته له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

(٣) في ج ق : فلما مرَّ ذلك بعض .

جميل بن مرّة

وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ، ولا من يتشبّه بالصّديق ، ولذلك قال جميل بن مرة في الزمان الأول حين كان الدين يعانق بالإخلاص[1] ، والمروءة تتهادى بين الناس ، وقد لزم قعر البيت ، ورفض المجالس ، واعتزل الخاصة والعامة ، وعوتب في ذلك فقال : لقد صحبتُ الناسَ أربعين سنة فما رأيتُهم غفروا لي ذنباً ، ولا ستروا لي عيباً ، ولا حفظوا لي غيباً ، ولا أقالوا لي عثرة[2] ، ولا رحموا لي عَبرة ، ولا قبلوا مني عذرة[3] ، ولا فكّوني من أسرة ، ولا جبروا مني كسرة ، ولا بذلوا لي نصرة ، ورأيتُ الشغل بهم تضييعاً للحياة ، وتباعداً من الله تعالى ، وتجرُّعاً للغيظ مع الساعات ، وتسليطاً للهوى في الهنات بعد الهنات ، ولذلك قال الثوري لرجلٍ قال له أوصني قال : أنكرْ مَنْ تعرفه ، قال : زدني ، قال : لا مزيد .

ابن كعب

وكان ابن كعب يقول : لا خير في مخالطة الناس ، ولا فائدة في القرب منهم ، والثقة بهم والاعتماد عليهم ، ولذلك قال الأول :

إخاءُ الناسِ ممتزج	وأكبر فعلهم سَمِجُ
فإنْ بَدَهتك مقطعةٌ	فما لذنبهم فرجُ[4]
فقوّمهم بهجرهمِ	فإن لم يُهجروا اعتوجوا
صروفُ الدهر دانيةٌ	تَقَطَّعُ بينَها المُهَجُ

الصّابي وإخوان الزمان

وأنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابي[5] في إخوان الزمان لنفسه :

---

(١) ج م - كان الذين عرفوا .

(٢) ج م - أقالوا بي .

(٣) ج م - معذرة .

(٤) ج م - لدنيئهم .

(٥) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ، أحد نوابغ الأدب والترسُّل في القرن الرابع =

أيا ربَّ كلَّ النـاس أبنـاءُ عِلّـةٍ أمَـا تعثُر الـدُّنيـا لنـا بِصـديقِ
وُجُوهٌ بها من مُضْمرِ الغُلِّ شاهدٌ ذواتُ أديمٍ في النِّفـاق صَفِيقِ[1]
إذا اعترضـوا دون اللقـاء فـإنهم قـذىً لعيـونٍ أو شَجىً لحلـوقِ
وإن أظهروا بَرْدَ الـوداد وظلّـه أَسَرُّوا من الشَّحناء حَرَّ حريقِ[2]
ألا ليتني حيث انتوت أفرخُ القَطَا بأقصى محلٍّ في الفلاة سَحيقِ[3]
أخـو وحـدةٍ قـد آنستني كأنَّني بهـا نـازلٌ في مَعْشري وفريقي[4]
فـذلـك خيرٌ للفتى من ثَـوائِـه بِمَسْبَعَةٍ من صـاحبٍ ورفيقِ[5]

العسجدي والصداقة

وكان العسجدي يقول كثيراً : الصداقةُ مرفوضـة ، والحفـاظُ معـدوم ، والوفاءُ اسم لا حقيقة له ، والرعايةُ موقوفة على البذل ، والكرم فقد مـات ، والله يحيي الموتى !

حديث الصداقة

استرسال الكلام في هذا النمط شفاءٌ للصدر ، وتخفيفٌ من البُرَحـاء[6] ، وانجيـابٌ للحرقـة ، واطرادٌ للغيـظ ، وبردٌ للغليـل ، وتعليـلٌ للنفس ،

= للهجرة ، ولد سنة ٣١١ هـ ، تقلد ديوان الرسائل زمن الخليفة العباسي المطيع لله ، ثم قلده معز الدولة الديلمي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، ثم قلده عز الدولة بختيار ديوان الرسائل فكان يكتب إلى عضد الدولة مكاتبات مؤلمة فحقد عليه ، ولما استولى على بغداد قبض على الصابي سنة ٣٦٧ هـ وسجنه بعد أن صادر أمواله ، ثم أطلقه صمصام الدولة سنة ٣٧١ هـ . وكان الصابي من المقدمين عند الصاحب بن عبّاد . وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .

(١) الغلّ : الحقد والضغينة . الأديم : الجلد المدبوغ ، والأديم : وجه السماء والأرض ، الصفيق : الوقح ، يقال وجه صفيق أي وقح لا حياء له .
(٢) رواية إرشاد الأريب : برد الودود .
(٣) انتوى : قصد ، وانتوى القوم بموضع كذا : أقاموا .
(٤) رواية الإرشاد : معشر .
(٥) أرض مسبعة : تكثر فيها السباع . راجع إرشاد الأريب ٥٨/٢ .
(٦) البرحاء : الشدة والأذى والشر .

ولا بأس بإمرار[1] كل ما لاءمه ، ودخل في حوزته ، وإن كان آخرُه لا يدرك ، وغايتُه لا تُملك .

صالح بن عبد القدوس

قال صالح بن عبد القدّوس[2] :

بُنيَّ عليك بتقوى الإلَه فإنَّ العواقب للمتَّقي
وإنَّك ما تأتِ من وجهه تجد بابه غير مُستغلقِ[3]
عدوّك ذو العقل أبقى عليك من الصاحب الجاهل الأخرقِ
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويعمدُ للأرشد الأوفقِ[4]

فأمَّا الذي قال في أصدقائه وجلسائه الخير ، وأثنى عليهم الجميل ، ووصف جدَّه بهم ، ودلَّ على محبَّته لهم ، فغريبٌ !

قال بعضهم :

شكوى وحنين

أنتم سروري وأنتم مُشتكى حَزَني وأنتم في سَواد الليل سُمَّاري
أنتم وإن بَعُدت عنَّا منازلكُم نوازلٌ بين أسراري وتذكاري
فإن تكلَّمتُ لم ألفظ بغيركُمُ وإن سكتُّ فأنتم عَقْدُ إضماري
الله جارُكُم مما أحاذرُه فيكم وحبي لكم من هجركم جاري

وقال آخر :

---

(١) ج ق - بإيراد .
(٢) صالح بن عبد الله بن عبد القدوس ، حكيم ، أديب ، شاعر ، متكلم ، اتُّهم بالزندقة فقتله المهدي بيده سنة ١٦٠ هـ .
(٣) ج ق - وجهها ، بابها .
(٤) ج ق - وذي خلة الأرشد .

الصبر على الصديق

أخٌ لمتُــه أو لامني ثم نَرْعـوي ... إلى ثائبٍ من حلمنا غيرِ مُخْدَجِ[(١)]

أهـونُ إذا عـزَّ الجليـل وربمـا ... أزَمْتُ برأسِ الحيَّـة المتمعِّـجِ[(٢)]

موت الصديق

أخبرنا أبو سعيد السِّيرافي ، قال : أخبرنا ابن دُريد قال : قال أبو حـاتم السِّجستاني : « إذا مات لي صديق سقط مني عضواً » .

بين الرجاء واليأس

كتب علي بن عبيدة الريحـاني البصري إلى صـديق لـه : كان خوفي من أن لا ألقاك متمكناً ، ورجائي خـاطراً ، فـإذا تمكن الخوف طفيت[(٣)] ، وإذا خطر الرجاء حييت .

[٣آ]

صحبة عشرين يوماً

وقال جعفر / بن محمد رضي الله عنهما[(٤)] : صحبة عشرين يوماً قرابة .

صداقة مدخولة

وقـال رجـل لضيغم العـابـد : أشتهي أن أشتري داراً في جـوارك حتى ألقاك كل وقت ، قال ضيغم : المودة التي يفسدها تراخي اللقاء مدخولة .

ذنب وعفو

وكتب آخر إلى صديقٍ له : مثلي هَفَا ، ومثلُكَ عَفَا ، فأجابه : مثلـك اعتذر ، ومثلي اغتفر .

الغريب

وقال أعرابي : الغريب ، من لم يكن له حبيب .

أكرم الناس عشرة

وقيـل لأعرابي : من أكرمُ النـاس عِشرةً ؟ قـالَ : مَنْ إنَ قَرُبَ مَنَـح ، وإن بَعُدَ مَدَح ، وإن ظُلِم صفح ، وإن ضُويقَ فَسَح[(٥)] ، فمن ظفر بـه فقـد أفلح ونجح .

---

(١) ج ق ـ تائب ، مخدج : ناقص من خدجت النـاقـة : ألقت ولـدهـا نـاقص الخلق أو قبل تمام الأيام ، وأخدج الشيء : نقص .

(٢) أزمت : أمسكت وحافظت عليه . تمعَّج السيلُ أو الحيةُ : تلوَّيا وتثنَّيا في مرورها .

(٣) ج ق ـ طنيت .

(٤) ج ق ـ رضي الله عنهم .

(٥) ج ق ـ سمح .

الصبر على الصديق

وقـــال الفضـل بن يحيى : الصبرُ على أخٍ تعتب عليــــه خيرٌ من آخرَ تستأنف مودَّته .

دلالة

وقال عبد الله بن مسعود : ما الدُّخـان على النـار بـأدلَّ من الصـاحب على الصاحب .

كتب رجل إلى صديقٍ له : أمـا بعـد : فـإن كان إخوان الثقـة كثيراً ، فأنت أوَّلُهم ، وإن كانوا قليلاً فأنت أوثقُهم ، وإن كانوا واحداً فأنت هو !

وقال آخر[1] :

تضحية

تركتُ لك القصوى لتدرك فضلها	وقلت ترى بيني وبين أخي فرق
ولم يَـكُ بي عنهـا نكـولٌ وإنَّما	تـوانيتُ عن حقي فتمَّ لـك الحـقُّ
ولا بـدَّ لي من أن أكـونَ مُصَلِّيـاً	إذا كنت أهوى أن يكون لك السَّبْقُ[2]

وصف جليس

قـال العبَّـاس بن الحسن العلـوي يصف جليسـاً لـه : لَطيبُ عشرتـه أطربُ من الإبل على الحداء ، والثَّمل على الغناء !

وقال آخر :

أخلاق الناس

ذهبَ التـواصـلُ والتعـارف	فـالنـاسُ كلهمُ معـارفْ
لم يبـقَ منهم بينهم	إلاَّ التملُّـقُ والتَّـواصفْ
وعنـاقُ بعضهم لبعض	في التسـايرِ والتـواقفْ

(١) في هامش المخطوطة بخط مختلف « سيف الدولة بن حمدان » . وقد وردت الأبيات في يتيمة الدهر للثعالبي منسوبة إلى سيف الدولة ٢٦/١ :

رضيتُ لك العليا وقد كنتَ أهلها	وقلتُ لهم بيني وبين أخي فرقَ
ولم يـكُ بي عنهـا نكـولٌ وإنَّما	تجافيتُ عن حقّي فتمَّ لـك الحقُّ
ولا بدَّ لي من أن أكون مصلّياً	إذا كنت أرضى أن يكون لك السبقَ

(٢) المصلّي : الفرس الذي يتلو السابق في الحلبة .

صـــــارِفْهم عن المـــود   دة إنهم قـــومٌ صيـــارفْ
إني انتقـــدتُ خيـــارهم   فـــالقـوم ستّـوق وزائفْ[١]

وقال آخر :

فتىً ليس لابن العمّ كالـذئب إن رأى   بصـاحبـه يـومـاً دَمـاً فهْـو آكلُـه

الإخاء رقّ

وكتب يحيي بن زيـاد الحـارثي إلى عبـد الله بن المقفّـع يلتمس معـاقـدة الإخـاء ، والاجتماع على المخـالصـة والصفـاء ، فلَمّـا لم يُجِبْـهُ كتب إليـه يعتب[٢] ، فكتب له عبد الله : إن الإخـاءَ رِقٌ ، وكرهتُ أن أملّكـك رِقّي قبل أن أعرف حسن مُلكتك[٣] .

شاعر :

صداقة وأنفة

وأُعرِضُ عن ذي المال حتى يقالَ لي   قـدَ احـدَثَ هـذا جفوةً وتعظُّما
وَمَا بي جَفَـاءٌ عن صـديقٍ ولا أخٍ   ولكنّـه فِعْلي إذا كنتُ مُعْـدِمـا

خلق كريم

وروي أن النبي صلى الله عليـه وآلـه كان يـأكل تمراً ومعـه جليس لـه ، فكان النبي صلى الله عليـه وآلـه إذا رأى حشفـة[٤] عزلهـا ، فقـال جليسُـه : يا رسول الله أعطني الْحَشَفة حتى آكلها ، قال : لا أرضى لجليسي إلا ما أرضاه لنفسي .

اللين والصفاء

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما[٥] : لِنْ لِمَنْ يجفو فقلَّ من يصفو .

---

(١) السُّتوق (بفتح السين وضمها) : درهم زيف بهرج ملبّس بـالفضـة وقيـل هـو أردأ من البهرج .
(٢) ج ق ـ يعاتبه .
(٣) الملكة (بضم الميم وفتحها) : الْمَلك .
(٤) الْحَشَف : أردأ التمر .
(٥) م ـ عليهما السلام .

حق الصديق

وقال عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[1] : قليلٌ للصديق الوقوفُ على قبره .

أبو زُبَيْد الطَّائي[2] :

أبو زبيد الطائي

إذا نلت الإمارة فاسْمُ فيها ... إلى العلياء بالحسب الوثيقِ
فكل إمارةٍ إلاَّ قليلاً ... مغيِّرةُ الصديق على الصديقِ
ولا تكُ عندها حلواً فتُحْسَى ... ولا مرّاً فتنشَب في الحلوقِ
وأُغمضُ للصديق عن المساوي ... مخافة أن أعيش[3] بلا صديقِ[4]

خير الإخوان

وقال موسى بن جعفر رضي الله عنهما ؛ خير إخوانك المعينُ لك على دهرك ، وشرُّهم من لك بسوق يومه[5] .

حكمة

كان أبو داود السجستاني أيام شبابه وطلبه للرواية قاعداً في مجلس ، والمستملي في حدَّثه ، فجلس إليه فتى وأراد أن يكتب فقال له : أيها الرجل استمدّ من محبرتك ، قال : لا ، فانكسر الرجل ، فأقبل عليه أبو داود ، وقد أحسَّ بخجله : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان ، فقد

(١) م ـ عليه السلام .

(٢) في ج ق ـ أبو رشيد ـ هو حرملة بن المنذر الطائي الشاعر أبو زبيد الطائي ، عمَّر فعاش خمسين ومائة سنة ، كان نصرانياً أدرك الإسلام ولم يسلم ، وكان عثمان بن عفَّان يقربه ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم ، واشتهر أبو زبيد بوصفه الأسد وإجادته ذلك ، وقد نعته نعتاً طويلاً في مجلس عثمان فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، أرعبت قلوب المسلمين ! وزبيد بهيئة التصغير ، قال ابن دريد في الاشتقاق ٢٣١ : « ومنهم أبو زبيد الشاعر وهو حرملة بن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » . راجع : الأغاني ١٢/١٢٧ ـ ١٤٤ .

(٣) ج ق ـ تعيش .

(٤) نسب هذا البيت إلى ابن الأعرابي . راجع عيون الأخبار ٣/١٦ .

(٥) ج ق من هو لك لسوق يوم .

استوجب بالحشمة الحرمان ، فكتب الرجل من محبرته ، وسُمي أبو داود حكيماً .

وقال شاعر :

مولاك مولى عدوّ لا صديقَ له   كأنه نفر أو عضّه صَفَرُ[1]   مولى عدو

وقال ابن الحشرج :   [٣ب]

فلا وأبيك لا أعطي صديقي   مكاشرتي وأمنعُه تلادي[2]   عطاء ومنع

وقال العُجيْر :

بعيد من الشيء القليل احتفاظه   عليك ومنزور الرضا حين يغضبُ   شذوذ

وقال آخر :

أخوك أخوك من تدنو وترجو   مودته وإن دُعيَ استجابا   أخوك

وقال ميمون بن مهران :

صديق لا تنفعك حياتُه ، لا يضرُّك موتُه .   نفع وضرر

أنشدنا علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : أنشدنا ابن دريد عن الأشناندانى لأعرابي :

---

(١) يقال : عضّ على شرسُوفه الصَّفَرَ : إذا جاع . والصفر : الجوع والشُّرسوف : عضروف معلّق بكل ضلع مثل غضروف الكتف .

(٢) المكاشرة : المضاحكة ، وكاشره : ضاحكه وتبسّم له وحرّك عليه أسنانه قال المتلمّس :

إنّ شرّ الناس من يكشرُ لي   حين ألقاه وإن غبتُ شَتَمْ

وقال آخر :

وإنّ من الاخوان إخوانَ كَشْرةٍ   وإخوانَ حيّاكَ الإلهُ ومرحبا

شدة ولين

إن كنتَ تجعلُ من حبَاك بودِّه ... ظهر البعير فثقْ بـأنـك عـاقرَهْ
من ذا حملت عليـه كلَّـك كلَّـهُ ... إلاَّ اشمأزَّ فظنَّ أنـك حـاقرَهْ
كلِّف جوادك ما يطيق فبالحري ... أن يستقل بمـا تطيـق حـوافرَهْ

كمال الرجل

أخبرنـا أبو الحسن علي بن عيسى ، أخبرنـا ابن دريـد عن عبـد الرحمن عن عمـه الأصمعي ، قـال عبـد الله بن جعفر : كمال الرجـل بخـلالٍ ثـلاث : معاشرةُ أهل الرأي والفضيلة ، ومداراةُ الناس بالمخالقة الجميلة ، واقتصـاد من غير بخـلٍ في القبيلـة ؛ فـذو الثـلاثـة سـابـق ، وذو الاثنين زاهـق[1] ، وذو الواحدة لاحق ، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق ، ولم يتحنَّن عليه شفيق ، ولم يتمتَّع به رفيق .

صديق العدو

قال ابن أبي دؤاد : صديقُ عدوِّك حربُك .

الصداقة والكلفة

قال محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنهم لأصحـابـه : أيُـدْخِلُ أحدكم يده في كمِّ صاحبه فيأخذ حاجته من الدراهم والدنـانير ؟ قـالوا : لا ، قال : فلستم إذاً بإخوان .

شاعر :

مزية سُوَيْقَة

ومن يَرْعَ بقلاً من سُوَيْقَةَ يغتبقْ ... قَراحاً ، ويسمع قولَ كلِّ صديقِ[2]

صفات الصديق

قـال العتَّـابي لصـاحبٍ لـه : مـا أحوجَـك إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروءة ، إذا غبت خلفك ، وإذا حضرت كنَفَـك ، وإذا نكرت[3] عرفـك ،

(١) زهق الفرسُ الخيل : تقـدمهـا فهو زاهـق . ويقـال : جـاء فرسُـك زاهقـاً ، وفرس ذات أزاهيق : ذات أعاجيب في الجرْي والسبق .

(٢) سويقـة : اسم لمواضع كثيرة في بـلاد العرب ، راجـع معجم البلـدان ١٨٠/٥ . واغتبَـق : شرب الغبوق ، وهي ما يشرب بالعشيِّ وهي خلاف الصّبوح .

(٣) ج ق ـ بكرت .

وإذا جفوتَ لاطفك ، وإذا بررت[1] كافأك ، وإذا لقي صديقك استزاده لك ، وإن لقي عدوك كفَّ عنك غرب[2] العادية ، وإذا رأيتَهُ ابتهجتَ ، وإذا باثَثْتَهُ استرحتَ .

نقص الصديق

وقال الخليل بن أحمد : الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال .

استفساد أم استصلاح

وقيل للخليل : استفساد الصديق أهونُ من استصلاح العدو ؟ قال : نعم ، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه .

الصديق أم القريب

وقيل لابن المقفَّع : الصديق أحبُّ إليك أم القريب ؟ قال : القريب أيضاً يجب[3] أن يكون صديقاً .

استحياء الإخوان

مرض قيس بن سعد بن عبادة[4] فأبطأ إخوانه عنه ، فسأل عنهم ، فقيل : إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدَّيْن ، فقال : أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة ، ثم أمر منادياً فنادى : ألاَ مَنْ كان لقيس عليه حق ، فهو منه في حلٍّ وسعة ، فكُسرت درجته بالعشي لكثرة من عَادَهُ .

محادثة الإخوان

قال عبد الملك بن مروان[5] : من كلِّ شيءٍ قد قضيتُ وطراً ، إلاَّ من

---

(١) ج ق - برزت .

(٢) كففت من غربه أي من حدّته . العادية : مؤنث العادي وهو العدو والجمع عُداة .

(٣) ج ق - يحب .

(٤) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني ، صحابي من دهاة العرب وذوي المكيدة والرأي في الحرب ، كان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ ويلي أموره ، وصحب علياً في خلافته فولاّه مصر سنة ٣٦-٣٧ هـ ، اشترك بمعركة صفين ، ثم لزم جانب الحسن بن علي حتى صالح معاوية فرجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٦٠ هـ .

(٥) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، من أعاظم خلفاء بني أمية ودهاتهم ، تولى =

محادثة الإخوان في الليالي الزُّهْر ، على التلال العُفْر[1] .

شاعر :

صداقة ونفع

وقلَّ الـذي يرعـاكَ إلاَّ لنفسـه　　　وللنَّفع يعتـدُّ الصـديق معـدَّه

عمل ظالم

قال أبو عثمان الجاحظ : كان ابن أبي دُوَاد[2] إذا رأى صديقه مع عدوه قتل صديقه . قال أبو حامد المرورّوذي : هذا هو الإسراف والتجاوز والعداء الذي يُخالف الدين والعقل ، لعلَّ صديقك إذا رأيته مع عدوك يَثنيه إليك ، ويعطفه عليك ، ويبعثه على تدارك فائتةٍ منك ، ولو لم يكن هذا كلّه لكان التأنّي مقدَّماً على العجل ، وحسنُ الظن أولى به من سوء الظن . ثم قال : ذهب الإنصافُ في العداوة والصداقة ، وأصبح الناس أبناءَ واحدٍ في الرغبة ، والرهبة ، والجهل ، والجبرية ، والعمل على سابق الهوى ، وداعية النفس ، وهذا لأن الدّين مَرْخيٌّ الرَّسن ، مخدوشُ الوجه ، مفقوءُ العين ، مزعزعُ الركن ، والمروءة ممَزَّقةُ الجلباب ، مهجورة الباب ، ليس إليها داع ، ولا لها محبِّب ، والله المستعان .

أسبابه ودواعيه

قرض البخيل

قال الأصمعي : كان يقال : البخيل من أقرض إلى مَيَسْرة .

دفائن النفوس

قال عُمر بن شبَّة : التقى أَخَوان في الله ، فقال أحدهما لصاحبه : والله يا أخي إني لأحبُّك في الله ، فقال له الآخر : لو علمت مني ما أعلمُه من نفسي

= الخلافة سنة ٦٥ هـ ، فضبط الأمور وقام بإصلاحات كثيرة ، وكان يقال : معاوية للحلم ، وعبد الملك للحزم . توفي سنة ٨٦ هـ .

(١) العفر : من العفرة ؛ وهي لون التراب . وقيل : العَفَر هو التراب ومنها عفره في التراب أي دلكه ودسَّه فيه .

(٢) أحمد بن أبي دُوَاد بن جرير بن مالك الإيادي ، أبو عبد الله ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن ، ولد في قنّسرين وقيل بالبصرة سنة ١٦٠ هـ . قال أبو العيناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من أبي دواد ، كان شديد الدهاء ، اتصل بالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، توفي في بغداد سنة ٢٣٣ هـ .

لأبغضتَني في الله . فقال : والله ياأخي لوعلمتَ منك ماتعلمه من نفسك لمنعني من بغضك ماأعلمه من نفسي . / [٤ آ]

عشر الصداقة — وقال المدائني : إذا ولي صديق لك ولاية ، فأصبته على العُشْر من صداقته فليس بأخ سوء .

جزاء المكر — قال فيلسوف : من عاشَرَ الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر .

قول الحق — وقال إبراهيم بن أدهم : أنا منذُ عشرين سنة في طلب أخٍ إذا غضب لم يقل إلاَّ الحق فما أجده .

وقال عُبيد الله بن قيس الرُّقيَّات[1] :

أسود وثعالب — يَسْتأسدُون على الصَّديق وللعدوِّ ثَعَالبُ[2] .

جسم واحد — اعتلَّ بعض إخوان الحسن بن سهل ، فكتب إليه الحسن : أجِدُني وإيَّاك كالجسم الواحد ، إذا خَصَّ عضواً منه ألم عمَّ سائره ، فعافاني الله بعافيتك ، وأدام ليَ الإمتاع بكِ .

---

(١) اختلف المترجمون في اسمه فقد ذكره الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن سلام باسم عبد الله ، وذكره المرزباني في معجم الشعراء باسم عبيد الله ، وكذلك أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٤/١٥٤-١٦٦ ، ويظهر أنه كان لقيس أبيه ولدان عبد الله وعبيد الله واختلف الناس في الشاعر منهما .

وعبيد الله هذا كان شاعر قريش في العصر الأموي ، وكان مقيماً في المدينة ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير عبد الله ومصعب ، فأقام فيها ثم لجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه فأقام حتى توفي سنة ٨٥ هـ . وله شعر في الغزل والنسيب والمدح والفخر . ولقب بابن قيس الرُّقيَّات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقيّة . راجع أخباره في الأغاني ٤/١٥٤-١٦٦ .

(٢) الديوان ٤٩ .

عداوة ابن برمك

قال ثعلب : كان يُقال : لَعَداوةُ يحيى بن برمك أنفعُ لعدوه من صداقة غيره لصديقه .

خطبة المودة

أخبرنا القدسي ، قال : أخبرنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى ، قال ابن الأعرابي عن المفضل : جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال : قد جئتُك خاطباً ، قال : لمن ؟ قال : لمودتك ، قال : قد أنكحتُكَها وجعلت الصَّداق أن لا تقبل[1] فيَّ مقالة قائل .

المعاتبة خير من الفقد

قال أبو الدرداء : معاتبة الأخ خير من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، أطِعْ أخاك ، ولِنْ له ، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح ، غداً يأتيك أجله فيكفيك[2] فقدَهْ ، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصلَه ؟

الصديق الحميم

قال بعض السلف : عليك بالإخوان ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شافِعِينَ ولا صَديقٍ حَميم ﴾[3] .

وأنشدنا الأندلسي :

عوز من سداد

لي صديق هو عندي عوزٌ ... من سَدادٍ لا سِداد من عَوز

شاعر :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس فيصلح

الصديق ولو في الحريق

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : حافِظْ على الصديق ولو في الحريق .

وقال شاعر :

(١) ج ق - يقبل .

(٢) ج ق - فيكفك .

(٣) القرآن الكريم : سورة الشُّعراء : ١٠٠/٢٦ .

لستَ ذا ذلّةٍ إذا عضّني الـدهرُ ولا شـامخـاً إذا واتـاني[1]

أنـا نـارٌ في مرتقى نفس الحـاسـد مـاءٌ جـارٍ مـع الإخـوان   نار وماء

[كان على خاتم أبي نواس الحسن بن هانئ][2]

إخوان ذا الزمان دود وود وزوان .

أخبرنـا الطبراني ، قـال : سمعتُ عبـد الله بن المعتز يقول : قـال بعض المِلاح : إن الناس قد مُسخوا خنازير ، فإذا وجدت كلباً فتمسك به .   الناس خنازير

قال أبو العيناء في رجلين[3] أفسد ما بينهما : تنـازعـا ثوب الُعقوق حتى صدعاه صَدْعَ الزجاجة ما لها من جابر .   تنازع

قـال شُرَيْح القـاضي : الخليـط أحق من الشفيـع ، والشفيـع أحـق من الجار ، والجار أحق ممن سواه .   الخليط والشفيع والجار

قال رجل لأبي مجنب : إني لا أودُّك ، فقال : إني لأجد رائد ذاك .   دلائل

كاتب : قد أهديتُ لك مودَّتي رغبةً ، ورضيتُ منك بقبولهـا مثوبـةً ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالكٌ لرِق ، والسلام .   مودة ومثوبة

سُئل صعصعة عن طلحة فقال : كان حلوَ الصداقة ، مرَّ العداوة .

قـال عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه : الإخوان بمنزلـة النـار ، قليلُهـا متاع وكثيرها بوار .   الإخوان كالنار

قـال الأحنف : كانت المودة قبل اليـوم مَحْضـاً ، فليتهـا تكـون اليـوم مَذْقاً[4]   محض ومذق

---

(١) ج ق - آتاني .

(٢) سقطت من ج ق .

(٣) ج ق - رجل .

(٤) المحض : الخالص الذي لم يخالطهُ غيره من اللبن وغيره . المذق : اللبن الممزوج بالماء .

بديهة وكرم

قال أحمد بن أبي فنن : حدثنا عمرو بن سعيد بن سلام قال : كنت في حرس المأمون ليلةً من الليالي نائباً . فبرز المأمون في بعض الليل متفقداً من حضر ، فعرفته ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : عمرو ـ عمرك الله ـ بن سعيد ـ أسعدك الله ـ بن سلام ـ سلمك الله ـ فقال : أنت تكلأنا مذ الليلة . قلت يكلأك الله .

فقال المأمون[1] :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك	ومن يضرّ نفسه لينفعكْ
ومَنْ إذا صرفُ زمان صدعك	بدَّد شمل نفسه ليجمعكْ[2]

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار ، فوددتُ أن الأبيات طالت .

[٤ ب]
طريف وتالد

قيل للعتَّابي : إنَّا نراك زاهداً في استطراف / الإخوان ؟ قال : إني لم أحمد تالدهم .

تمثَّل عبد الملك [بقول الشاعر] :

استبقاء الودّ

فاستبق ودّك للصديق ولا تَكُنْ	قَتَباً يعضُّ بغاربٍ ملحاحا[3]
واهجرهُم هجر الصديق صديقه	حتى تلاقيهم عليك شِحاحا

---

(١) وردت هذه الأبيات في عيون الأخبار : ٣/٤

إنَّ أخاك الصِّدْقَ مَنْ لن يَخْدَعَكْ	ومن يضرُّ نفسه لينفعَكْ
ومَنْ إذا ريبُ الزمان صَدَعَكْ	شتَّتَ شملَ نفسه ليجمعكْ

وإن رآكَ ظالماً سَعَى مَعَكْ

(٢) البيتان للنابغة الذبياني راجع الديوان .

(٣) القَتَبَ : واحد الأقتاب وهي الأكف جمع أكاف وهي البرذعة ، التي توضع على تقَّالة الأحمال . ومن المجاز : هو قتب يعضُّ بالغارب أي الكاهل ، وقتب ملحاح ، وألحتُ كأنما وضعت عليه قتباً .

أخبرنا أبو سعيد السيرافي [قال] أخبرنا ابن دريد ، حدَّثنا عبد الرحمن ، قال : عرّض عمي الأصمعي برجلٍ كان حاضراً فأنشد : — بين الصديق والعدو

صديقك لا يُثني عليك بطائلٍ فماذا ترى فيك العدو يقولُ

فقال الرجل :

وحسبك من لؤمٍ وخبثٍ سجيَّةً بأنَّك عن عيب الصديق سؤولُ

شاعر :

يصافيني الكريم إذا التقينا ويبغضني اللئيم إذا رآني — بين الكريم واللئيم

قال ابن عائشة : جزعُك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك ، وصبرُك في مصيبتك أحسن من جزعك . — جزع وصبر

قال أبو جعفر المنصور : مَنْ أعطى إخوانه النَّصَفة ، وعاشرهم بجميل العِشْرة قويَ بهم عضُده ، وزاد بهم جلدُه ، وبذلوا دونه الْمُهج ، وخاضُوا في رضاه اللُّجج . — مكافأة الجميل

شاعر :

بيني وبين لئام الناس معتبةٌ ما تنقضي وكرامُ الناس إخواني
إذا لقيتُ لئيم القوم عنَّفني وإن لقيتُ كريمَ القوم حيَّاني — لئيم وكريم

شاعر :

وكنت إذا الصديقُ أراد غيظي وأشرقني على حَنَقٍ بريقي
عفوتُ ذنوبَه وصفحتُ عنه مخافةَ أن أعيش بلا صديقِ — الحرص على الصديق

قال بعضُ السلف :

رصد الغِرَّة

استطرد لعدوك ، وأبقِهِ بإظهار الرضا عنه ، والمداراة له حتى تصيبَ الفرصة فتأخذه على غِرَّة .

فائدة التقيّة

قال طلحة بن عبد الله : أعظم لخطرك أن لا تُري عدوّك[1] أنه لك عدو .

صداقة وعلاقة

قال الحسن بن وهب : طرف الصداقة أمْلَحُ من طرف العلاقة ، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق .

شاعر :

كشف الدغل

ولقد طويتُكُم على علاَّتكم ... وعرفت ما فيكم من الأدغالِ[2]

معنى الصديق

قيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال : لفظ بلا معنى .

وأنشد هلال بن العلاء الرقيّ :

مداراة وحذر

لَمَّا عفوتُ ولم أحقد على أحدِ ... أرحت نفسي من غمِّ العداواتِ
إني أُحيي عدوّي عند رؤيته ... لأدفعَ الشرَّ عنّي بالتحيَّاتِ
وأُظهر البِشْر للإنسان أبغضُه ... كأنَّه قد ملا قلبي محبَّاتِ
والناسُ داءٌ ، وداءُ الناس قربُهُم ... وفي الجفاء لهم قطع الأُخُوَّاتِ
فلستُ أسلمُ ممن لستُ أعرفُه ... فكيف أسلم من أهل المودَّاتِ
ألقى العدوَّ بوجهٍ لا قُطوبَ به ... يكاد يقطر من ماء البشاشاتِ
وأحزمُ الناس من يلقى أعادِيَهُ ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ

---

(١) ج ق - لعدوك .

(٢) الأدغال : مفردها دَغَل وهو الشجر الكثير الملتف والموضع يخاف فيه الاغتيال ، ويتوارى فيه للمختل والغيلة . قال الكميت :

إنا إذا ما أعْيَتِ القومَ الحِيَلْ ... ننسلُ في ظلمةِ ليلٍ ودَغَل

ومن المجاز : دَغِلَ فلانٌ ، وفيه دَغَلٌ أي فساد وريبة . وهو دَغِلٌ نَغِلٌ .

قال الشعبي : تعايش الناسُ بالدين زماناً حتى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً .

تعايش متنوع

لسَعْيَةَ بن عُرَيْض اليهودي[١] :

صداقات زائفة

وإذا تصاحبهم تصاحبْ خانةً[٢]	ومتى تفارقهم تفارقْ عن قِلى
إخوان صدقٍ ما رأوك بغبطةٍ	فإذا افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى
إنَّ الكريم إذا أردتُ وصاله	لم يلفِ حبلي واهناً رثَّ القوى
أرعى أمانته وأحفظ عهده	جهدي فيأتي بعد ذلك ما أتى
يَجزيك أو يُثني عليك وإن من	أثنى عليك بما فعلت كمن جَزَى

قرع رجل باب بعض السلف في ليلٍ فقال لجاريته : أبصري من القارع ؟ فأتت الباب فقالت : من ذا ؟ قال : أنا صديق مولاكِ ، فقال الرجل : قولي له : والله إنك / لصديق ، فقالت له [ذلك] فقال : والله إني لصديق ، فنهض الرجل وبيده سيف ، وكيس ، يسوق جاريةً ، وفتح الباب وقال : ما شأنَك ؟ قال : راعني أمر ، قال : لا بك ، ما ساءَك ، فإني قد قسمتُ أمرك بين نائبةٍ[٣] فهذا المال ، وبين عدوٍّ فهذا السيف ، أو أيْمَةٍ[٤] فهذه الجارية ! فقال الرجل : للهِ بلادُك ما رأيتُ مثلَك .

صديق

[٥آ]

---

(١) سعية بن العريض بن عادياء اليهودي أخو السموأل المشهور بالوفاء ، مات في خلافة معاوية .

(٢) تجمع خائن على خانة وخونة وخوَّان .

(٣) النائبة : المصيبة .

(٤) ج ق ـ مشوق . آمت المرأة من زوجها أيْمَةً وأيماً وأيوماً : فقدته ، وكذا الرجل من امرأته . وتأيّم الرجل وتأيّمت المرأة : إذا مكثا زماناً لا يتزوّجان .

ظلم ثلاثي

قال الأحنف : من حق الصديق أن يحتمل [لـه] ظلمَ الغضب ، وظلمَ الدَّالَّة ، وظلم الهفوة .

قرناء السوء

قال بزرجمهر : إيّاكِ وقرناء السوء ، فإنَّك إن عملت قالوا : رائيتَ ، وإن قصَّرت قالوا : أثمت ، وإن بكيت قالوا : شهرت ، وإن ضحكت قالوا : جَهِلْتَ ، وإن نَطَقْتَ قالوا : تكلفتَ ، وإن سكتَّ قالوا : عييتَ ، وإن تواضعت قالوا : افتقرتَ ، وإن أنفقتَ قالوا : أسرفتَ ، وإن اقتصدتَ قالوا : بخلتَ .

فوائد المقاربة

وقال أبو بكر : قارب إخوانك في خلائقهم تسلم من بوائقهم[1] ، وترتع في حدائقهم .

ترك القطيعة

قال أعرابي : دَعْ مصارمة[2] أخيك وإن حثَا الترابَ في فيك .

ظلم فاحش

قال عمرو بن العاص : مِنْ أفحشِ الظلم أن تلزم حقك في مال أخيك ، فيبذله لك ، ويلزمك حقه في تعظيمك إياه فتمنعه ، فإذا أنت جشمته إفضال المنعمين ، وابتذلته ابتذال الأكفاء .

بعض وكل
الأخيار والأشرار

وقال أعرابي لصديق له : كن ببعضك لي حتى أكونَ بكلِّي لك .

بين الصالحين والأشرار

وفي كليلة ودمنة : صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرَّت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً .

وقال أيضاً : المودَّة بين الصالحين بطيءٌ انقطاعها ، سريع اتصالها ،

---

(١) بوائقهم جمع بائقة وهي الداهية . وفي الحديث : « لا يدخل الجنّة من لا يأمن جارُه بوائقه » ، قال قتادة : أي ظلمه وغشمه . ويقال : فلان كثير البوائق أي الشرور .

(٢) صرمت أخي وصارمته وتصارمنا ، وبيننا صُرْمٌ وصريمة : قطيعة .

كآنية الذهب ، بطيئة الانكسار ، هينة الإعادة ، والمودةُ بين الأشرار سريع انقطاعها ، بعيد اتصالها ، كآنية الفخّار التي يكسرها أدنى شيء ، ولا وصل[1] له .

ملك الرفيق

قال عثمان بن عفّان : ماملك رفيقاً من لم يتجرَّع بغيظٍ ريقاً .

أوهام الصداقة

قال أبو عثمان النَّيْسابوري ، وكان من الزُّهّاد العُبّاد : أنكر عليَّ أبو حفص ، أيام ملازمتي وخدمتي له شيئاً ، فضقت ذرعاً ، وهممتُ[2] [لوأني] بطيِّ الأرض حتى لا يراني ، فخيّل إليه ذاك مني ، فلما رآني قال لي : ياأبا عثمان ! لا تثِقْ بمودة من لا يحبك إلاَّ معصوماً ، قال : فسكنتُ وعدتُ إلى العادة .

أعجز الناس

قال الأصمعي فيما روى لنا المرزباني عن ابن دريد ، عن عبد الرحمن ، عن الأصمعي قال أعرابي : أعجزُ الناس من قصَّر في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه من ضيَّع من ظفر به منهم .

قيل لمسوّر بن مخرمة الزهري : أيُّ الندماء أحبُّ إليك ؟ قال : لم أجد نديماً كالحائط ، إن بصقتُ في وجهه لم يغضب عليَّ ، وإن أسررتُ إليه شيئاً لم يَفشه عني .

مواساة بالحفاء

قال ابن منـاذر[3] : كنتُ أمشي مع الخليل فانقطع شِسْعُ[4] نعلي فخلع نعله فقلت له : ماتصنع ؟ قال : أُواسيك بالحفاء !

---

(١) ج ق ـ جبر .

(٢) ج ق ـ وودت .

(٣) ج ق ـ مبادر .

(٤) ج ق ـ قيع . الشِّسْع : قبال النعل وهو زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

كره الإخوان

وقال بعض السلف : إياك وكره الإخوان ، فإنه لا يؤذيك إلاَّ من تعرف وأنشد :

جزى اللهُ عنَّا الخيرَ من ليس بيننا ... ولا بينه ودٌّ ولا نَتَعارفُ[1]

فما سَامنا ضيماً ولا شفَّنا أذىً ... من الناس إلاَّ مَنْ نودُّ ونألفُ

مكاسب الصداقة

قال شبيب بن شَيْبَة : إخوان الصديق خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعُدَّة في البلاء .

في منزلتين

قال أعرابي لصاحبٍ له : أنزلني من نفسك منزلةَ عبدٍ ، أُنزِلْكَ من نفسي منزلةَ مولى ، فإنك إذا فعلتَ ذلك تطاوعنا بلا أمر ، وتناهينا بلا زجْر ، وإذا كان رقيبُنا العقلَ ، الهادي / إلى الرضا ، الذائد عن الأذى ، فلا عتب يَسْودُّ به وجهٌ ، ولا عُذر يغضُّ[2] منه طَرْف ، والسلام .

[٥ب]

مفاجأة وخيبة

كاتب . أما بعد ، فقد استجبتُ لإخائك ، ثقةً مني بوفائك ، فلما أن طعمتُ[3] فضلك ، وسرتُ مسيرك ، واستفرغتني مودتك ، واستغرقتني مِقَتُك ، فاجأتني بتغيُّر لونك ، وانزواء ركنك ، وفاحش لفظك ، وشانيء لحظك .

شاعر :

ندم وعجز

ستنكتُ ، نادماً ، في الأرض مني ... وتعلمُ أنَّ رأيك كان عجزا

وقال الراجز :

معاملة الصديق

إنَّ الرفيقَ لاصقٌ بقلبي ... إذا أضافَ جَنْبَهُ بجنبي

(١) ج ق ـ خزى ، به نتعرَّف .

(٢) ج ق ـ يطرف .

(٣) ج ق ـ آنست .

أبـــذلُ نُصحي ، وأكفُّ لعبي ليس كمَن يُفحشُ او يَحْظَنْبي[1]

تضحية وأخلاق

قال بعض السلف : ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رِفدك ومحضرك ، ولعدوك عدلك وإنصافك .

شاعر :

ترك التَّعهد

ترك التعهد للصديق يكونُ داعيةَ القطيعة

نظرة الحاسد

قال أبو بكر في دعائه : اللهم ! إني أعوذُ بك من نظرة غيظٍ نفذت من عين حاسد ، غائبُها حَرْب ، وشاهدُها سَلْم .

شاعر :

غفران الذنب

فلا تقطع أخاك من أجل ذنبٍ[2] فإنَّ الذنبَ يغفره الكريمُ

وأنشد :

فرصة التحيُّل

إذا أنكرت أحوال الصديق فلستَ من التحيُّل في مضيقِ
طريقٌ كنت تسلكه زماناً فأسبعَ فاجتنبْهُ إلى طريقِ[3]

كاتب :

عرض وإعراض

عرضتُ عليك مودتي فأعرضتَ عني ، وأعرضَ عنك غيري فتعرضتَ له ، فالله المستعان على فوت ما أمَّلته لديك ، وبه التعزي عما أُصبتُ به منك .

(١) ج ق ـ يعلبني ـ الإحظنباء : الغضب والْمُحْظَنْبَ والْمُحْظَنْبي : السريع الغضب . والحنظاب : القصير الشكس الأخلاق .

(٢) ج ق ـ أخا .

(٣) ج ق ـ فأوعر . أسبع الراعي : وقع السبع في مواشيه ، وأسبعت الطريق : كثرت فيها السباع .

بين الفضل والثقة

مرَّ بخالد بن صفوان صديقان ، فعرَّج عليه أحدهما وطواه الآخر ، فقيل له في ذلك ، فقال : عرَّج علينا هذا لفضله ، وطوانا ذاك لثقته . (ويروي في مثله : عرَّج علينا هذا بالمقة وانصرف ذاك عنَّا بالثقة)[1] .

شاعر :

عتاب

أُعاتبُ ليلى إنما الهجرُ أنْ ترى ... صديقك يأتي ما أتى لا تعاتبُهْ

غسل الدرن

قال أعرابي لصاحبٍ له : قد دَرِنَ[2] ذات بيننا ، فهلمَّ إلى العتاب لنغسل به هذا الدَّرن ، فقال له صاحبه : إن كان كما تصف فذاك لبادرة ساءتك مني ، إمَّا لك وإمَّا لي ، فهلاَّ أخذت بقول القائل :

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةٌ ... فكُنْ أنت محتالاً لزلَّتهِ عُذْرا

والله لا صفت مودتنا ، ولا عَذُبَ شربُها لنا إلاَّ بعد أن يغفر كلٌّ واحدٍ منا لصاحبه ما يغفره لنفسه من غير منٍّ ولا أذى .

شاعر :

الإنصاف أو الهجران

إذا أنت لم تنصف أخاكَ وجدته ... على طَرَف الهجران إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن جانب السيف مزحلُ

فوق الإنصاف والهجران

قال العوامي : الصديق يرتفع عن الإنصاف ، ويجلُّ أيضاً عن الهجران ، لأن الإنصاف ينبغي أن يكون عامَّاً مع النَّاس كلِّهم ، وأما الهجران[3] ، فالعاقل لا يسرع إليه لعدم الإنصاف بل يستأني ، ويقف ، ويكظم ، ويتوقع ، ويرى أن العارض في الأمر لا يزال به الأمر الثابت ، والعرق النابت .

(١) وردت العبارة على هامش المخطوط بخط مغاير للأصل .
(٢) درن وأدرن الثوب : وسخ ، وقيل : تلطّخ به .
(٣) م ـ الهجر .

شاعر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخي ثقـةٍ ضاقت عليَّ برحب الأرض أوطـاني
فـإن صـددتُ بـوجهي كي أكافئـه فـالعينُ غضبى وقلبي غيرُ غضبـانِ

ازورار الصديق

وقال العتبي :

وصـاحبٍ لي أبنيـه ويهـدمني لا يستوي هـادمٌ يـومـاً وبنـآءُ
إذا رآني فعبـدٌ خـاف معتبـةً وإن نأيت فثمَّ الغِمْرُ والـداءُ[1]

بين الهدم والبناء

بلغ الإسكندر الملك موت صديق لـه فقـال : مـا يحزنني موتـه أني لم أبلغ من برّه ما كان أهله مني .

فوات البر

قـال ابن أبي ليلى : لا أمـاري صـديقي ، فـإمّـا أن أكـذبـه ، وإمّـا أن أغضبه .

بين الكذب والغضب

وكان بين القاضي أبي حـامـد المروّروذّي وبين ابن نصرويـه[2] العـداوة الفاشية ، والشّحناء الظاهرة ، فكان إذا جرى ذكر ابن نصرويه أنشد :

عداوة

وأبى ظـاهرُ العـداوة إلاَّ[3] طغيـانـاً ، وقـول مـا لا يقـال

وكان يقول : والله إني ببـاطنـه في عـداوتـه أوثقُ مني بظـاهر صـداقـة غيره ، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مسـاءتي ، إلا فيما يـدخل في باب المنافسة ، ولهذا استمر أمرُنا أربعين سنة ، من غير فحاشة ولا شنـاعـة ، ولقـد دعيتُ إلى الصلح فـأبيتُ فقلت : لا نحرّك السـاكن منـا ، فلقـديم العداوة بالعقل ، والحفاظ من الذمام والحرمة مـا ليس لحـديث / الصـداقـة [٦ آ]

---

(١) الغمر : الحقد والغلّ .
(٢) ج ق - حروية .
(٣) ج ق - الغشاءة ، وفي الهامش الشناءة .

بـالتكلف والملـق[1] ، ولقـد وقفني مرة على ضربـةٍ تـأتّت لـه عليَّ كان فيهـا البوار ، كفَّ[2] عنهـا ، وأخـذ بـالحسنى ، فـأريتُـه أُختهـا ، وكانت خـافيـةً عنده ، فقال : لولا علمي بـأنـك تسبق إلى مثل هـذه مـا قـابلتـك بتلـك ، فقلت : هـو والله ذاك ، ووالله لقـد ضرَّني نـاس كانـوا ينتحلـون مـودَّتي ، ويتبارون في صـداقتي ، لضعف نحـائزهم[3] ، ولؤم غرائزهم ، ولقـد ثبت لي هو في عـداوتـه على عقل وتـذمم أفضيـا بها إلى سـلامـة الـدين ، والنفس ، والحـال . وورد[4] معـز الـدولـة هـذا المِصْر ، فسـألـه عني سرّاً ، فـأثنى خيراً وقال : ماقطَنَ مِصْرنا غريبٌ أعظم بركةً منه ، وإنه لجمالنا عند المبـاهـاة ، ومَفْزَعنا عند الخلاف . [ولقد] سألني معز الدولة عنـه سرّاً ، فـأثنيت خيراً وقلت : أيها الأمير ! والله مـا نشـأت فتنـةٌ في هـذا المصر إلاَّ وهو كان سبب زوالها ، وإطفاء ثائرتهـا ، وإعـادة الحـال إلى غضـارتهـا ونضـارتهـا . فقـال معزّ الدولة لأبي مخلد سرّاً ، كيف الحال بينهما ، يعنينـا ، فقـال : بينهما نبوّ لا يُنادى وليدُه ، وتعادٍ لا يلين أبداً شديدُه . فقال : لئن كان كما تقول فـإنهما رُكْنَا[5] هذا البلد ، وعدَّتا هذا السَّواد ، اجعلهما عينيَّ أبصر بهما أحوال الناس في هـذا المكان ، وأُعَوِّلْ عليهما في مـا يريـان ويشيران ، فخـلا بي أبـو مخلـد وبصاحبي ، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرةً وتألفاً إلى هذه الغـايـة ، ثم قال أبو حامد : والله إنَّ عداوة العاقل لألذُّ وأحلى من صـداقـة الجـاهل ، لأن الصديق الجـاهل يتحـامـاك[6] بعـداوتـه ، ويُهـدي إليـك فضل عقلـه

(١) في م - المذاق وهو تحريف .
(٢) ج ق - فكفَّ .
(٣) ج ق - تحايزهم . نحائز : مفردها نحيزة وهي الطبيعة .
(٤) ج ق - ولقد ورد .
(٥) ج ق - كننا .
(٦) ج ق - يتحامل ج ق - وأربه .

ورأيه[1] ، ومن فضل عداوة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياءً منه ، وإيثاراً للإرعاء[2] عليه ، ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبته بكل ما يكون منه إليك ، ثم قال : وما أظن أنه كان فيا مضى إلى وقتنا هذا متصادقان على العقل والدين مثل أبي بكر وعمر ، ومن يتحرَّى أخبارهما ، ويقفو آثارهما وقف على غورٍ بعيدٍ ، هذا مع العُنجهيَّة المصحوبة أيام الجاهلية ، والعَجْرفية المعتادة أوان الكفر ، فلما أنار الله قلوبهما بالإيمان رجعا إلى عقلٍ نصيحٍ ، ودينٍ صحيحٍ ، وعرفان بالعرف والنكر ، ونهوضٍ بكل ثِقْل وخِف[3] ، وإني لأرحم الطاعن فيهما ، والنائل منهما ، لضعف عقله ودينه ، وذهابه عمًّا خُصًّا به ، وعَمًّا فيه ، وميّزا[4] عنه ، ورقيا إليه ، واندفع في هذا وشبهه ، وكان والله بليل الريق ، يستحضر كيف شاء بالطويل والعريض ، والجليل والدقيق .

أبو بكر وعمر

أطلنا هذا الفصل على ما اعتَنَّ[5] ، والمعذرة فيه مقدمةٌ إليك ، وأنت أولى من يقبلها ، وزادني تفضلاً من عنده عليها ، جامعاً لما شَتَّ[6] من الكرم ، حافظاً لما قد ضاع من الذِّمم .

قال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[7] : شرُّ الإخوان من تُكلِّف له ، وخيرُهم مَنْ أحدثتْ لك رؤيتُه ثقةً به ، وأهدت إليك غيبتُه طمأنينةً إليه .

شر الإخوان وخيرهم

---

(١) ج ق - وأربه .

(٢) ج ق - الرعاية . الإرعاء : الإبقاء وأرعى عليه : أبقى عليه وترحّم .

(٣) الخِف : الخفيف . الثّقل : الحمل الثقيل .

(٤) ج ق - وبريئاً .

(٥) اعتنّ له الشيء : ظهر .

(٦) ج ق - شثت .

(٧) م - صلى الله عليه .

شاعر :

أمان الإخوان

لـو قيـلَ لي خُـذْ أمـانـاً | من أعظم الحـدثـان
لـمـا أخـذتُ أمـانـاً | إلاَّ من الإخـوانِ

العرق نزّاع

أنشد عمر بن عبد العزيز :

إني لأمنـحُ من يـواصلني | مني صفـاءً ليس بـالْمَـذْقِ
وإذا أخٌ لي حالَ عن خُلُق | داويتُ منـه ذاك بـالرِّفْقِ
والمرءُ يصنـع نفسـه ومتى | مـا تَبْلُـهُ ينزع إلى العِرْقِ

وأنشد آخر :

رتبة الودّ

يا أكرمَ الناس في ضيقٍ وفي سعـةٍ | وأنطقَ النـاس في نظمٍ وفي خُطَب
إنَّا وإن لم يكن ما بيننـا نسبٌ | فرتبـةُ الودِّ تعلـو رتبـة النَّسَبِ
كم من صديقٍ يراك الشَّهْدَ عن بعُدٍ | ومن عدوٍّ يراك السُّمَّ عن قُرُبِ

وأنشد آخر :

[٦ ب]

شرط الصديق

فما منك الصـديقُ ولستَ منـه | إذا لم يَغْنِـه شيءٌ عَنَـاكا /

المراء مفسدة

قال أعرابي : المراء يُفسد الصداقة القديمة ، ويحلُّ العقدة الوثيقة .

المعاشرة بالمعروف

قال محمد بن الحنفية : ليس بحكيمٍ من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بُدّاً من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً .

حق الجليس

قـال أبـو بكر : حـقُّ الجليس إذا دنـا أن يرحَّب بـه ، وإذا جلس أن يوسَّع له ، وإذا حدَّث أن يُقبل عليه ، وإذا عثر أن يُقـال ، وإذا أُنقص أن ينال ، وإذا جهل أن يُعلَّم .

دعاء

كان بعض السلف يقـول في دعـائـه : اللهم احفظني من أصدقـائي ،

فسئل عن ذلك فقال : إني أحفظ نفسي من أعدائي . قال أبو سليمان : إن كانوا عندك أصدقاء فما أقرَّ عينك بهم لأنك محفوظ فيهم ، وإن كانوا غير أصدقاء فما وجه فكرك فيهم .

وقال الشاعر :

شروط الإخاء

تودُّ عدوي ثم تزعم أنني ... صديقُك، ليس النَّوكُ عنك بعازب[1]
وليس أخي مَنْ ودَّني رَأْيَ عينه ... ولكنْ اخي من ودَّني في المغائبِ[2]
ومَنْ مالُه مالي إذا كنتُ معدِماً ... ومالي له إن عضَّ دهرٌ بغاربِ
فما أنت إلاَّ كيفَ انت ومرحباً ... وبالبيض روَّاغ كروغ الثعالبِ

سهولة المعاداة

قيل لبزرجمهر : ما بالُ معاداة الصديق أقربُ مأخذاً من مصادقة العدو ؟ قال : لأن إنفاق المال أهونُ من كسبه ، وهدمَ البناء أسهلُ من رفعه ، وكسرَ الإناء أيسرُ من إصلاحه .

رأي السجستاني

قال أبو سليمان : لم يعمل شيئاً في الجواب لأنه ماثل مسألة السائل بمسألة مثلها ، فلو سأله السائل عن هذه كلِّها ما كان جوابه ، ثم أجاب هو بكلام لا يدخل في هذه الرسالة لأنه من الفلسفة التي هي موقوفة على أصحابها لا نزاحمهم عليها[3] ، ولا نماريهم فيها .

وقال الشاعر :

شكوى ولوم

إذا المرء لم يطلبْ مَعَاشاً لنفسه ... شَكا الفقرَ أو لاَمَ الصديق فأكثرا

---

(١) في عيون الأخبار ٦/٣ وحماسة البحتري ص ١٧٦ : « إن الرأيَ عنك لعازبُ » .

(٢) ج ق - وهو غائبي . وفي عيون الأخبار :« من صنّته للغايبُ » ، وفي حماسة البحتري :

وليس أخي من ودَّني وهو حاضر ... ولكن أخي من ودَّني وهو غائب

(٣) م - فيها .

المودة ميراث

قال معاوية : المودة بين السلف ميراث بين الخلف .

واجب الصديق

قال أبو العتاهية : قلت لعلي بن الهيثم : ما يجب للصديق ؟ قال : ثلاث خلال : كتمان حديث الخلوة ، والمواساة عبد الشدة ، وإقالة العثرة .

مشاهدة الإخوان

قال عبد الملك بن صالح : مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان ، وألذّ من نيل الأمان ، [وأحلى من رضا السلطان][1] .

الإخوان سلاح

وقال بزرجمهر : الإخوان كالسلاح ، فمنهم من يجب أن يكون كالرمح يطعن به من بعيد ، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك ، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك .

شاعر :

شكوى

وأبثثتُ عمراً بعض ما في جوانحي	وجرَّعتُه من مُرِّ ما أتجرَّعُ
ولا بدَّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ	إذا جعلت أسرارُ نفسٍ تطّلعُ

إذا عزّ أخوك

وسمعت أبا عثمان أحد الخالديَّيْن يحكي أن عياراً سمع رجلاً يقول : إذا عزَّ أخوك فَهُنْ ، فقال للقائل : أخطأت ، إذا عزَّ أخوك فأهن شأنه وأنا أقول : لو كان هذا الحكم من رجلٍ نبيهٍ له في الحكمة قَدَمٌ ، وفي الفضل قِدَمٌ ، لتأوله متأول على وجهٍ بعيد أو قريب ، ولكنه روى عن عيّار ، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أُسوة ، ولا هُم لأحدٍ قدوة ، لغلبة الباطل عليهم ، وبُعد الحق عنهم ، ولأنَّ الدين لا يَلتاط بهم ، والفتوّة التي يدّعونها بالاسم لا يُحلّون بها في الحقيقة ، وكيف تصحُّ الفتوة إذا خالفها الدين ، وكيف يستقرُّ الدين إذا فارقته الفتوة ، الدينُ تكاليف[2] من الله تعالى ، والفتوة

العيّارون

الفتوة

الدين

---

(١) سقطت من ج ق .

(٢) ج ق ـ تكليف .

أخلاق بين الناس ، ولا خُلُق إلاَّ ما هذَّبه الدين ، ولا دين إلاَّ ما هذَّبه الْخُلُق ، على أن ابن المعتز أبا العباس قال : لستُ لمن خاشنني ألين ، ولا إذا عزَّ أخي أهون ، ولعلَّ هذا مسلَّم لأبي العباس لسموق رتبته[1] ، وشرف نسبه ، ومستفيض أدبه وكرمه ، وبعدُ فالصراخُ ممن يُظن به أنه صديق ثم يخرج في مُسْك[2] عدوٌّ قديم ، والتشكي منه مردَّد ، وليس إلاَّ الصبر والإغضاء ، ودفع الوقت ، وطرح الأذى عن الفكر ، وأنا أقول هذا لأني نظرت في حال الإنسان ، وصوَّبْتُ طَرْفي فيه وصعَّدتُ ، وحسبتُ ماله وما عليه وحصلت ، وأجملت / ما به وفيه وفصلت ، فلم أجد له شيئاً خيراً من الصبر ، فيه يُقاوم المكروه ، وتُستدفع البليَّة ، وبه يُؤدى شكر النعمة ، وما أحلى ما أشار إليه الشاعر حين قال :

قول لابن المعتز

[٧آ]

فضيلة الصبر

إنَّ الزمان على اختلاف مروره ... ما زال يخلطُ حزنه بسرورهِ
لم يُصْفِ عيشاً منذ كان لمعشرٍ ... إلاَّ وعاد يجدُّ في تكديرهِ
فالعاقلُ النِّحريرُ يُلزم نفسه ... صبراً عليه في جميع أُمورهِ
وأحقُّ ما صبر امرؤ من أجله ... ما لا سبيل له إلى تغييرهِ

أحوال الزمان

وحكى العلماء أن رجلاً كتب على باب داره : جزى الله من لم نعرفْه ولم يعرفْنا خيراً . فإنَّنا ما أُتينا في نكبتنا هذه إلاَّ من المعارف ، وقد قال الآخر :

ضرر المعارف

كفاني الله شرَّك يا ابن عمي ... فأما الخيرُ منك فقد كفاني
نظرتُ فلم أجد أشفى لغيظي ... من أني لا أراك ولا تراني

ولقد قلت لابن أبي كانون : لِمَ لا تخالط أصحاب ابن الرازي فأنشد :

ابتغاء السلامة

---

(١) ج ق ـ ديانته . السموق : العلو .

(٢) المسك : الجلد .

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تمرّ بـواديهـا على حـالِ

نبذ الصداقة وغيرها

وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة ، والألفة ، والأخوة ، والمودة ، والرعاية ، والمحافظة قد نُبذت نبْذاً ، ورفضت رفْضاً ، ووطئت بالأقدام ، ولُويت دونها الشفاه ، وصرفت عنها الرغبات .

ولَمَّا غنَّى عَلَويّه المأمون قول الشاعر :

وإني لمشتاق إلى ظلّ صاحبٍ يرقُّ ويصفو إن كدرت عليهِ
عذيري من الإنسان لا إن جفوتُه صَفَا لي ولا إن صرتُ طوعَ يديه

رأي المأمون في الناس

استعاده المأمون مرات ثم قال : هات يا عَلَويه هذا الصاحب ، وخذ الخلافة ، قد صرنا ، ولله الحمد نرضى اليوم من الصاحب ، والجار ، والْمُعامل ، والتابع ، والمتبوع أن يكون فضلُهم غامراً لنقصهم ، وخيرُهم زائداً على شرِّهم ، وعدلُهم أرجحَ من ظلمهم ، وأنهم إن لم يبذلوا الخير كلَّه لم يستقصوا الشرَّ كله ، بل قد رضينا بدون هذا ، وهو أن نَهَبَ خيرهم لشرهم ، وإحسانهم لإساءَتهم ، وعدلهم لجوْرهم ، فلا نفرح بهذا ، ولا نحزن لذاك ، ونخرج بعد اللتيا والتي بالكَفاف والعَفَاف !.

صديق سوء

أخبرنا ابن مقسم النحوي ، أخبرنا ثعلب عن أبي زيد عمر بن شيبة قال : قال مطيع بن إياس في صديقٍ كان له يصفه بالنية :

إنَّ مما يزيدني فيك زهداً أنَّني لا أراك تصدقُ حرفا
لا ولا تكتم الحديث ولا تنـ ـطقُ جِداً ولا تمازح ظَرْفا
وإذا منصفٌ أرادك للنّصـ ـفِ أبيت الوفاء وازددت خُلفا
وإذا قال عارفاً قلت سوءاً وإذا قال مُنكراً قلت عُرْفا

وأنشد ابن الأعرابي فيما روى ابن مقسم عن ثعلب :

تجنٍ وزهد

وصلتُكُم جهدي وزدت على جهدي | فلم أرَ فيكم من يـدومُ على العهـدِ
تأنيتكُمُ جهد الصديق لتقصدوا[1] | وتـأبـون إلاَّ أن تحيـدوا عن القَصْـدِ
فـإن أُمسِ فيكم زاهـداً بعـد رغبـةٍ | فبعد اختبار كان في وصلكم زهـدي
إذا خنتمُ بـالغيب عهـدي فـمـالكم | تـدلّـون إدلالَ المقيم على العهـدِ[2]
صِلُوا وافعلوا فعـلَ المدلِّ بـوصلـه | وإلاَّ فصدّوا وافعلوا فعل ذي الضدِّ[3]
فكم من نـــذيرٍ كان لي قبـلُ فيكم | وهـا أنـا ذا فيكم نـذيراً لمن بعـدي
تعـزّوا بيـأسٍ عن هـوايَ فـإنَّني | إذا انصرفت نفسي فهيهـاتَ من ردِّ
أرى الغـدر ضـدّاً للـوفـاء وإنَّني | لأعلمُ أنَّ الضـدَّ ينبـو عن الضـدِّ

صاحبا الصلاح والسوء

قال لقمان : من يصحب صاحب الصلاح يسلم ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم .

مجالسة العلماء

وقال أيضاً : جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء .

تغير الأحوال

قال الفضيل بن عياض : قال لي ابن المبارك : ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال : فقلت له : لا يهيدنّك[4] هذا فقد خبُثت السرائر ، وتنكَّرت الظواهر ، وفنِيَ ميراث النبوَّة ، وفُقد ما كان عليه أهلُ الفتوَّة .

واجب الصحبة

قال بكر بن عبد الله المزني : إذا انقطع شِسْعُ نعل صاحبك فلم تقف

---

(١) م ـ بفنا الصديق . تأنّى واستأنى : في الأمر وبه : تنظّر وترفّق . القصد : العدل .
(٢) ج ق ـ على الود .
(٣) ج ق ـ فعله الضدّ .
(٤) ج ق ـ لا يهمك . لا يهيدنّك هنا الأمر : لا يزيلنّك من هاده يهيده إذا حركه . يقال : « هِدْهُ يا رجل » أي أزله عن موضعه .

[٧ ب] عليه فلست له بصاحب ، وإذا / جلس يبول فلم تلبث له فلست له برفيق .

توسم الرفاق

كان عامر بن قيس إذا توجَّه للغزو توسَّم[1] الرفاق ، فإذا رأى قوماً لهم هدى قال : ياقوم إني أريد أن أصحبكم على ثلاث خلالٍ فيقال [له] : ما هنَّ ؟ قال : أكون خادماً لكم ، ومؤذّناً بينكم ، وأنفق عليكم . فإذا قالوا : نعم صحبهم وإلاَّ تركهم .

طول السفر

قيل لفيلسوف : من أطول الناس سفراً ؟ قال : من سافر في طلب صديق .

السكون إلى الصديق

سمع ابن عطاء رجلاً يقول : أنا في طلب صديقٍ منذ ثلاثين سنة فلا أجده ، فقال له : لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئاً ، ولو طلبت صديقاً تعطيه شيئاً لوجدت ! قال أبو سليمان : هذا كلام ظالم ، الصديقُ لا يُراد ليُؤخذ منه شيء ، أو ليُعطى شيئاً ، ولكن ليُسْكنَ إليه ، ويُعتمَدَ عليه ، ويُستأنسَ به ، ويُستفادَ منه ، ويُستشارَ في المُلم ، وينهضَ في المهم ، ويُتزينَ به إذا حضر ، ويتشوقَ إليه إذا سَفَر[2] ، والأخذ والإعطاء في عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم ، بلا حسد ، ولا نكد ، ولا صدد ، ولا حدد[3] ، ولا تلوّم ، ولا تلاوم ، ولا كُلوح[4] ، ولا فتوح ، ولا تعريض بنكير ، ولا نكاية بتغيير .

---

(١) توسم الشيء : تخيَّله وتفرّسه وتعرَّفه ، يقال : « توسَّمت فيه الخير » أي تبينت فيه أثره .

(٢) م ـ سافر . سفر : خرج إلى السفر .

(٣) الحدد : الكذب والباطل .

(٤) كلح وجهه كُلوحاً وكُلاحاً : تكشر في عبوس .

تعريف الصديق

قيل لأرسطاطاليس الحكيم معلم الإسكندر [الملك] مَنِ الصديق ؟ قال : إنسان هو أنت ، إلاَّ أنه بالشخص غيرُك !

تفسير السجستاني لعبارة أرسطو

سئل أبو سليمان[1] عن هذه الكلمة وقيل له : فسِّرْها لنا فإنها وإن كانت رشيقةً فلسنا نظفر منها بحقيقة . فقال : هذا رجل دقيقُ الكلام ، بعيدُ المرام ، صحيحُ المعاني ، قد طاعت له الأمورُ بأعيانها ، وحضرتْه بغيبها وشهادتها ، وكان ملهماً مؤيَّداً ، وإنما أشار بكلمته هذه إلى آخر درجات الموافقة التي يتصادق المتصادقان بها ، ألا ترى أن لهذه الموافقة أولاً ، منه يبتدئانها ، كذلك لها آخرُ ينتهيان إليه ، وأول هذه الموافقة توحُّدٌ ، وآخرُها وَحْدةٌ ، وكما أن الإنسان واحدٌ بما هو به إنسان ، كذلك يصير بصديقه واحداً بما هو صديق ، لأن العادتين تصيران عادة واحدة ، والإرادتين تحولان[2] إرادةً واحدة ، ولا عجب من هذا ، فقد أشار إلى هذه الغريبة الشاعر بقوله :

روحُه روحي ، وروحي روحُه   إنْ يشأ شئتُ ، وإن شئتُ يَشَا

وليس يبعد هذا عليكم إلاَّ لأنكم لم ترو صديقاً لصديق ، ولا كنتم أصدقاء على التحقيق ، بل أنتم معارف يجمعكم الجنسُ المقتبَس ، وينظمكم النوعُ المقتبس من الإنسان ، ويؤلفكم بعد ذلك البلد أو الجوار أو الصناعة أو النسب ، ثم أنتم في كل ذلك الذي اجتمعتم عليه ، وانتظمتم به ، وتألفتم له على غاية الافتراق ، للحسد الذي يدبُّ بينكم ، والتنافس الذي يقطع علائقكم ، والتدابر الذي يثير البَيْنونة منكم ، ولو استصحبتم ما شملتكم به الطبيعةُ الكبرى في الأول ، لم تميلوا إلى ما حابتكم فيه الطبيعة الصغرى في

---

(١) راجع المقابسات طبعة السندوبي ص ٣٥٩ .

(٢) ج ق - تتحولان .

الثـاني ، أعني أنكم معمـومـون بصـورة الإنسـان من نـاحيـة النـوع ، كما أنكم معمـومـون بصـورة الحيـوان من نـاحيـة الجنس ، ومعرَّضـون لنيـل صـورة الملائكة بالاختيار الجيد ، كما أنكم معرّضون لنيل صورة الشياطين بالاختيـار الرديء ، فلـو ثبتم على الصراط المستقيم ، وعلِقْتُم حبـل العقـل المتين المستبين ، واعتصمتم بالعُروة الوثقى من الهدى والدين ، كنتم كنفس واحـدة في كل حـــال ، ذلَّت[1] أو صعبت ، تجمَّعت أو تشعَّبت ، تعرَّفت أو تنكَّرت ، وكانت هذه الشريفة أعني الموافقة والوحـدة تسري في الصـديق والصـديـق ، ثم في الثـاني والثـالث ، ثم في الصغير والكبير ، وفي المطيـع والمُطـاع ، والسـائس والمسـوس ، وفي الجـار والجـار ، وفي المحلَّة والمحلَّـة ، والبلد والبلد ، حتى تبلغ الأغوار والنُّجود ، وتشتمل على الأداني والأقـاصي ، فحينئذٍ ترى كلمة الله العليا ، وطاعته العالية ، إلاَّ أن هذا لَمَّا كان متعـذراً [جداً] لأن المـادة الأولى لا تنقـاد لهذه الصورة ، والصورة الأولى لا تلابس هـذه المـادة ، طُلب هـذا المتعـذر في الواحـد مع الواحـد ، في الـزمـان بعـد الـزمـان ، على السنن بعـد السنن ، على المكان بعـد المكان ، بـالـدعـوة بعـد الدعوة ، والهيئة بعد الهيئة ، بالتعاون بعـد التعـاون ، وإذا / بَعُـدَ المطلوبُ [٨آ] من جهة عامة لعلةٍ مـانعـةٍ فليس ينبغي أن يقنـط من الظفر بـه من جهـة خاصة لعلة معطيَّة ، ومن المحال أن يكون المطلوب يـدل على صحتـه العقل ثم لا يوجد في أحد المعدنَيْن اللذين له ، ولو استحال الوصول إليه ، والتمكن منـه ، لكان العقـل لا يـدل على صحتـه ، والرأي لا يشتـاق إلى تحصيلـه ، والطبيعة لا تنحو نحو مظنَّته ، والاختيار لا يحول في طلبه ، قـال فعلى هـذا يُحمل رمز الحكيم في قولـه : الصـديق إنسـان هـو أنت ، إلاَّ أنـه بـالشخص غيرُك .

(١) ج ق ـ ذللت .

الصديق لفظ بلا معنى

وكان كلامُـه أتمّ من هـذا وأنفس ، ولكني ظفرت بهـذا القـدر فرويتـه على ذلـك ، وقول هـذا الحكيم شبيـه بقـول روْح بن زنْبـاع وقـد سئـل عن الصـديق فقـال : لفـظ بلا معنى ، أي هو شيء عزيـز ، ولعـزتـه كأنـه ليس [بموجود] ، ولو جهل معنى الصـديـق لجهـل معنى الصـاحب ، لجهـل معنى الخليل ، وعلى هذا ، الحبيب ، والرفيق ، والأليف ، والوديـد ، والمؤاخي ، والمسـاعـد ، وهـذه كلهـا على رَزْدَقٍ[1] واحـد ، وإنمـا تختلف بـالمرتبـة في الأخص ، والأعم ، والألطف ، والأكثف ، والأقرب ، والأبعـد ، والأخلص ، والأريَب .

الصديق عند الضيق

قـال الإسكنـدر لـديـوجـانس : بِمَ يعرفُ الرجـلُ أصـدقـاءه ، قـال : بالشدائد ، لأن كلَّ أحد في الرخاء صديق .

بين الحسد وللكر

قيل لديوجانس : ما الذي ينبغي للرجل أن يتحفظ منه ؟ قال : من حسد أصدقائه ، ومكر أعدائه .

قضاء الحاجة

قيل لثيفانوس الفيلسوف : من صديقك ؟ قال : الذي إذا صرت إليـه في حاجةٍ وجدته أشدَّ مسارعةً إلى قضائها مني إلى طلبها منه .

الحسرة على الصديق

قـال فيلسوف : ليس يَحْسَرُ[2] العـاقـل على الصـديـق ، لأنـه إن كان فاضلاً تزيَّن به ، وإن كان سفيهاً راضَ حلمه به .

قـال انكسـاغـورس : كيف تريـد من صـديقـك خلقـاً واحـداً وهـو ذو طبائع أربع[3] وفي مثله قال الشاعر :

وأنّى لـــه خُلُـق واحـــدٌ   وفيــه طبــائعُــه الأربعُ

(١) ج ق - باج . الرزدق : الصف من الناس ، والسطر من النخل .

(٢) حسر : تلهّف .

(٣) هي الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .

تحليل العبارة

قال أبو سليمان : يعني ألبسته[1] على هذه الحال التي هو عليها من ناحية الطبيعة ، فإنك في مُسْكه ، وَخَاطِ على مسلكه ، فاجتهد بالاختيار الرشيد ، والرأي السديد أن تجعل طبائعك الأربع طباقاً لطبائعه الأربع ، أو طبائعه الأربع ، طباقاً لطبائعك الأربع ، فإنك إذا قدرت على ذلك ، قدرت بعده على أن تتعرف روائد هذه الأربع ، ذاهباً بها نحو الاعتدال الذي هو صورة من صور الوحدة ، فإذا أنت صديقُك ، وصديقُك أنت ، على ما صرّح به كانياً ، أو على ما كنّى عنه مصرِّحاً ، فقد بان هذا الحديث من ناحية اللفظ ، والنطق ، والعبارة ، والإشارة ، وإن كان قد بقي علينا أن نجد هذا المطلوب من ناحية العيان والمشاهدة فإنّا إن وجدنا ذلك غنينا عن الخبر والاستخبار ، لأن الأثر لا يطلب بعد العين ، والْحُلم لا يُتمنى بعد اليقظة ، والسُّكْر لا يُحمد بعد الصحو .

فاجر وعابد

سمعتُ برهان الصوفي الدّينوري يقول : سمعتُ الْجُنَيْد يقول : لو صحبني فاجر حسنُ الْخُلُق كان أحبَّ إليَّ من أن يصحبني عابدٌ سيءُ الْخُلُق . قال [برهان] : لأن الفاجر الحسن الْخُلُق يُصلحني بحسن خُلقه ، ولا يضرّني فجورُه ، والعابدُ السيئُ الْخُلُق يُفسدني بسوء خُلُقه ، ولا ينفعني بعبادته ، لأن عبادة العابد لهُ ، وسوء خُلُقه عليَّ ، وفجور الفاجر عليه ، وحسن خُلُقه لي .

الكلام عن الأخلاق

وفي الأخلاق كلام واسع نفيس على غير ما وجدت كثيراً من الحكماء يُطيلون الخوض فيه ، ويعوّصون المرام منه ، بتأليفٍ محرَّفٍ عن المنهج المألوف ، ولو ساعد نشاط ، والتأم عَتَاد[2] ، وقُيِّض معين ، وزال الهم بتعذر القوت لعلنا كنا نحرر في الأخلاق رسالةً واسطةً بين الطويلة

(١) ج ق ـ السه .

(٢) العتاد : العدّة لأمرٍ ما تهيئه له .

والقصيرة نفيد فيها[1] ما وضح لنا بالمشاهدة والعيان ، وبالنظر والاستنباط ، ولكن دون ذلك أَوْقَ[2] ثقيل ، وعَوْقٌ طويل ، والله المستعان .

شاعر :

كبد حرّى

إذا أنت صاحبت الرجال فكن فتىً ... كأنك مملوكٌ لكلِّ رفيقِ /

[٨ ب]

وكن مثلَ طعم الماء عذباً وبارداً ... على كبدٍ حرّىَ لكلِّ صديقِ

صديق الرخاء

أخبرنا علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح ، حدثنا ابن دريد قال : أنشدنا عبد الأول لرجل من بني تميم[3] :

كم من أخٍ لستَ تُنْكِرهُ ... مادمتَ من دنياك في يُسْرِ

مُتَصنِّع لك في مَودته ... يَلْقاكَ بالترحيب والبِشْرِ

يُطري الوَفَاءَ وذا الوفاء ويلْـ ... ـحَى الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْرِ[4]

فإذا عدا ، والدهر ذو غِيَرٍ ، ... دهرٌ عليك عَدَا مع الدهرِ

فارفضْ بإجمالٍ مودَّةَ مَنْ[5] ... يَقْلِي الْمُقلّ ويَعْشق الْمُثْري

وعليك مَنْ حَالاَهُ واحدةٌ ... في العُسْر إمَّا كنت واليُسْرِ

لا تخلطنَّهُمْ بغيرِهم ... من يَخْلِطُ العِقْيانَ بالصُّفْرِ[6] ؟

رأيت الزهيري أبا بكر يعاتب العوامي على هجر جماعةٍ كان يألفهم

---

(١) ج ق - يستفاد منها .

(٢) الأوق : الثقل والشؤم ، يقال : ألقى عليَّ أوْقه أي ثقله ، وبه أوق أي شؤم .

(٣) نسبت الأبيات في عيون الأخبار ٣/٨٠ إلى حمَّاد عجرد .

(٤) لحى ، يلحي ، لحياً فلاناً : لامه وسبَّه وعابه .

(٥) رواية عيون الأخبار : أخوة .

(٦) العقيان : الذهب الخالص . الصُّفر : النحاس الأصفر .

ويـألفونـه ، ويعيـد القولَ في ذاك ويُبـدي ، والعوامي لا يَنْبِسُ[1] بحرف ، فقـال لـه الـزهيري : إنْ كنتَ تسكت استهـانـةً بخطـابي عـذلتُـك ؟ فقـال العوامي : لا ولكني كما قال إسماعيل بن يسار [النِّسَائي][2] :

نفس أبية

إني لصعبٌ على الأقـوام لـوجعلـوا — رضوى لأنفي خِشَاشاً لم يقودوني[3]

نفسي هي النفسُ آبى أن أُواتيَهـــا — على الهَــوان وتــــأبى أن تــوآتيني

وقال : والله ما يفي أُنسي بهم بالغداة باستيحاشي منهم بالعشي .

مداراة الناس

قال الزهيري : اعلم أن المداراة مطيّة وطيئة ، وروضة موبقة ، ما لبس أحـد ثـوبهـا إلاّ وجـده فضفـاضـاً ، وقـد قـال صـاحب الشريعـة صلى الله عليه وآله وسلم : « مُداراةُ الناسِ صَدَقة » ، وقالت العرب : من لم يـدارِ عيشـه ضلّ ، قـال العوامي : لو كانت المـداراة تثنيهم لي ، أو تعطفهم عليَّ كانت مبـذولـة ، ولكنهـا مضرّة لهم على مـا أنكر منهم ، ومضرَّة لي فيما أعرف ، ولا خير في بثّ خير لا يُورث خيراً .

ورأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد أنكر شيئاً في بعض الندماء :

في ثياب صديق

عـدوّ راح في ثـوب الصـديـق — شريك في الصَّبوح وفي الغبوقِ

لـه وجهـانِ : ظـاهِرُهُ ابنُ عمٍّ — وبـاطنُـه ابنُ زانيـةٍ عتيـقِ

يسرك ظـــاهراً ويسـوءُ سرّاً — كـذاك تكـونُ أبنـاءُ الطريـقِ

---

(١) نبس : تكلم .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي شاعر عرف بشعوبيته ، وفد مع عروة بن الزبير على الخليفة عبد الملك بن مروان ومدحه ، عمِّر طويلاً ومات سنة ١٣٠ هـ . ويقول صاحب الأغاني ٤٠٨/٤ : « وكان طيباً ، مليحاً ، مندّراً ، بطّالاً ، مليح الشعر ، وإنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه » .

(٣) الخشاش : مفردها خَشاشة وهي العود يجعل في عظم أنف البعير ، وخشّ البعير : جعل في أنفه الخشاش . رضوى : جبل بالمدينة .

وأنا أسمي لك ، وأروي كلاماً لـه وصفهم بـه منهم : أبو علي عيسى بن زرعـة النصراني المتفلسف ، وابن عبيـد الكاتب ، وابن الحجّـاج الشـاعر ، وأبو الوفـاء المهنـدس ، وأبو بكر ، ومسكـويـه ، وأبـو القـاسم الأهـوازي ، وأبو سعد بهرام بن أردشير .

وكان أوزنهم عنـده وألصقهم بقلبـه هـو ابن شـاهَـوَيْـه . هـؤلاء أهـل المجلس ، سوى الطارئين من أهل الدولة ، لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفـاعـة ، وكان قريبـاً لـه من جهـة الخوف لـه : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح أن يكتب على الأحـداق ، ويعرض على أهل الآفـاق ، ليستفيده الصغير والكبير .

قـال : أصحـابي طرائـقُ قِـدَدٌ ، كما قـال عبـد الحميـد الكاتب : النـاسُ أخيافٌ[1] مختلفون ، وأصنافٌ متباينون ، فمنهم عِلْقُ مَضَنَّةٍ لا يُبـاع ، ومنهم غُلٌّ مَظَنَّةٍ لا ينباع ، وكما قال الآخر :

الناس أخياف

النَّـاسُ أخيـافٌ وشَتى في الشِّيَمْ وكُلُّهم يَجْمَعُهُم بَيْتُ الأَدَمْ

ابن زُرعة

وأما ابن زُرْعـة[2] فكِبرُه بـالحكمـة ، وخُيلاؤه بـالثروة ، قـد قـدحـا في

---

(١) في رواية : أسواءٌ . الأخياف : الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٢) هو أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة النصراني المنطقي ، أحـد المتقـدمين في علم المنطق والفلسفة وأحد النَّقَلة المجوّدين ، توفي سنة ٣٩٨ هـ (تـاريخ الحكمـاء للقفطي ص ٢٤٥) قال عنه التوحيدي في الإمتـاع والمؤانسـة ٣٣/١ : « وأمـا ابن زرعـة فهو حسن الترجمـة ، صحيحُ النقل ، كثير الرجوع إلى الكتب ، محمود النقـل إلى العربيـة ، جيـد الـوفـاء بكل ما جلَّ من الفلسفة ، ليس له في دقيقها منفذ ، ولا لـه من لغزهـا مـأخـذ ، ولولا توزّع فكره في التجـارة ، ومحبتـه في الربح ، وحرصـه على الجمع ، وشـدتـه على المنـع ، لكانت قريحته تستجيب له ، وغـائمتُـه تـدرُّ عليـه ، ولكنـه مبـدَّد منـدَّد ، وحب الـدنيـا يعمي ويصم » .

حَافَةَ[1] عقله ، وهو لا يحسُّ بذلك القدح ، فليس لنا منه إذا جالسنا إلاَّ النَّفْجُ ، والتعظيم ، والتهويل بأرسطاطاليس ، وأفلاطون ، وسقراط ، وبقراط ، وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تتجافى عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلُّون عن مجالس الشراب ، يا نائم ، يا غافل ، يا ساهي ، وأين أنت من هؤلاء الحكماء القدماء ، أسيرتُك سيرتُهم ، أحالُك حالُهم ؟ إنما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحلُ أسماءهم باللفظ ، فإذا جاءت الحقيقة كنت على الشطِّ تلعب بالرمل ، ولولا أنه يكدِّر هزلُ جَدنا بجدّ هزلِهِ ، لكان محمولاً مقبولاً ، ولكنه يأبى إلا ما ألفه ، وأفاد المران عليه ، [وما أخوفنا أن يَملَّ الجماعة ، وإن لم تملَّهُ الجماعة] .

ابن عُبَيْد

وأمَّا ابن عُبَيْد[2] فكَلَفُهُ بالخطابة ، والبلاغة ، والرسائل ، والفصاحة ، قد طرحه في عمق لُجٍّ لا مطمع في انتقاذه منه ، ولا طريق إلى صَرْفه عنه ، هذا مع حركات غير متناسبة ، وشمائل غير دمثة ، ومناظرة مخلوطة بذلَّة أهل الذِّمَّة ، ودالَّة أصحاب الحجَّة .

[٩ آ]
ابن الحجَّاج

وأما ابن الحجَّاج[3] فقد / جمع بين جد القاضي أبي عمر في جلسته ،

---

(١) الحافة : الجانب والطرف .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٤٨/١ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٩/٢ ، ١٤٦ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٧٤/٣ .

(٣) هو أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي شاعر مشهور وكاتب مجيد عرف بالمجون والهزل ، اتصل بوزراء بني بويه أمثال المهلبي وسابور بن أردشير والصاحب بن عبَّاد وابن العميد ، قال عنه صاحب اليتيمة ٣١/٣ : « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسَجْف ، ولا يَبْنِ جلّ قوله إلا على سُخف ، فإنه من سَحَرة الشعر ، وعجائب العصر » . ووصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ١٣٧/١ فقال : « وأما ابن حجاج فليس من هذه الزمرة بشيء ، لأنه سخيف الطريقة ، بعيد من الجدّ ، قريع في الهزل ، ليس للعقل من شعره منال ، ولا له في قرضه مثال ، على أنه قويم اللفظ ، سهل الكلام ، وشمائله نائية بالوقار عن عادته الجارية في الخسار ، وهو شريك ابن سُكَّرة في =

وحديثه ، وقيامه ، وتخطئته مع حياءٍ كأنه مستعار من الغـانيـة الشريفـة ، وبين سخف شعره الذي لا يجوز أن يكون لراويه مروءة به فكيف لقائلـه ، فنحن إذا نظرنا إليـه تخيَّلنـا صورة سخف شوهـاء في صورة عقل حسنـاء ، ولا تخلص هذه من هذه ، ولا جرمٍ استمتـاعُنـا بـه قـاصرٌ عن مرادنـا منـه ، ودنوهُ منا ناب عن مراده له .

أبو الوفاء

وأما أبو الوفاء[1] فهو والله ما يقعدُ به عن المؤآنسة الطيبة ، والمسـاعـدة المطربة ، والمفاكهة اللذيـذة ، والمواتـاة الشهيَّـة ، إلاَّ أن لفظـه خراسـاني ، وإشارتَه ناقصة ، هذا مع ما استفاده بِمُقـامـه الطويل ببغـداد ، والبغـدادي إذا تخرسن كان أحلى وأظرف من الخراســاني إذا تبغــدد ، وإن شئت فضـع الاعتبـار على من أردت ، فـإنـك تجـد هـذا القـول حقّـاً ، وهـذه الـدعـوى مسموعة .

مسكويه

وأما مِسْكَوَيْه[2] فـإنـه يستردُّ بـدمـامـة خَلْقـه مـا يتكلّفُـه من تهـذيب

= هــذه الغرامــة ، وإذا جــدّ أقعى ، وإذا هــزل حكى الأفعى » . تــوفي ابن الحجــاج سنة ٣٩١ هـ بالنيل وهي قرية على الفرات بين بغداد والكوفة .

(١) هو أبو الوفاء المهندس البوزجاني (٣٣٦ هـ ـ ٣٧٦ هـ) من كبار علماء زمـانـه ، بلغ المحل الأعلى في الرياضيات ، وكان أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة ، ولـه فيـه استخراجـات غريبة لم يسبق إليها ، ويعد أبو الوفـاء من كبـار مترجمي وشرّاح إقليـدس وديوفـانتوس وبطليموس ، وله عدة كتب في العدديات والحسابيـات ، والفلـك . وكان التوحيـدي قـد لقي أبا الوفـاء في أرّجـان بفـارس فـأسـدى أبو الوفـاء لصديقـه جميلاً فوصلـه بـالوزير ابن العارض الملقب بابن سعدان فلقي عنده رعاية وكرماً . وقد أهدى التوحيدي كتاب الإمتاع والمؤانسة إلى أبي الوفاء اعترافاً بفضله وجميل صنيعه .

(٢) هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مؤرخ وفيلسوف اشتغل بالفلسفـة والكيميـاء والمنطق والتـاريـخ والأدب والإنشـاء ، صحب عضـد الـدولـة وأشرف على خـزانـة كتبـه . وكان التوحيـدي معـاصراً لمسكويـه وألفـا كتـاب (الهـوامـل والشـوامـل) ، تـوفي مسكـويـه سنة ٤٢١ هـ .

خُلُقه ، وأكره لـه المشـاغبـة في كل مـا يجري ، لا يجـد في نفسـه من المكانـة والقرار مـا يعلم معـه أن مضـاءه في فنٍّ آخر هـو فيــه قصيرُ البــاع ، بليــدُ الطبـاع ، وصـاحب هـذا المـذهب ممكورٌ بـه ، مصـاب بجيِّـد رأيـه ، وقـد أفسده ، قال المهلبي ، [وسمعتُ المهلبي ، كما لم يصلحه] ، قال ابن العميـد ، وفعل ابن العميد ، وما ذكرُهُ لهذين إلاَّ استطالةً على الحـاضرين ، والتشيُّعُ بذكر الرجال واضعٌ من قدر الرجال .

أبو بكر

وأمـا أبو بكر[1] فهو تميـة المجلس ، ولا بـدّ للـدار وإن كانت قوراء من مخرج ، وهو بجهله مع خفـة روحـه ، وقبح وجهـه أدخلُ في العين ، وألصقُ بالقلب من غيره مع علمه ، وثقل روحه ، وحسن ظاهره .

الأهوازي

وأما الأهوازي[2] أبو القاسم فلا حلاوة ، ولا مرارة ، ولا حُموضـة[3] ، ولا مُلوحة ، وإنما هو كالبصل في القِـدْر ، وكالإصبع الزائـدة في اليـد ، على أنا نرعى فيه حقاً قديماً ، ونرحمه الآن رحمة حديثة .

أبو سعيد السيرافي

وأمـا سيـدي أبو سعيـد[4] فوالله إني لأجِدُ بـه وَجْداً أتَّهِم فيـه نفسي ،

(١) هو أبو بكر القومسي الفيلسوف ، وصفه التوحيدي في معجم الأدباء ١٠/١٥ فقال : « كان بحراً عجّاجاً ، وسراجاً وهّاجاً ، وكان من الضرّ والفاقة ، ومقاساة الشدة والإضاقـة بمنزلـة عظيمـة ، عظيم القـدر عنـد ذوي الأخطـار ، منحوس الحظ منهم ، متَّهماً في دينـه عنـد العـوام ، مقصـوداً من جهتهم » . ووصفـه في الإمتـاع والمـوآنسـة ٣٤/١ فقـال : « وأمـا القومسي أبو بكر فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكناية ، كثير الفِقَر العجيبة ، جمّـاعـة للكتب الغريبـة ، محمود العنـايـة في التصحيـح والإصـلاح والقراءة ، كثير التردد في الدراسة ، إلا أنـه غير نصيح في الحكمـة ، لأن قريحتـه ترابيـة ، وفكرتـه سحـابيـة ، فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ، مع حبٍّ للدنيـا شـديـد ، وحسـد لأهل الفضل عتيد » .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والموآنسة ٤٨/١ .

(٣) في ج ق - بزيادة ولا ملوضة .

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أستـاذ التوحيـدي ، ويعـد السيرافي

وما وجدت ألم سهرٍ معه قط ، وإني أرى حديثه آنق من الْمُنى إذا أُدركت ، ومن الدنيا إذا مُلكت ، وإنّ تمازجنا بالعقل ، والروح ، والرأي ، والتدبير ، والنظر ، والإرادة ، والاختيار ، والعادة ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحمٍ ، وتراضعا من ثَـدْيٍ ، ونوغيا في مهدٍ ، وما أخوفني أن يؤتى من جهتي ، أو أُوتى من جهته ، وإن عاقبته موصولةٌ بعاقبتي ، لأني مأمنَه وهو مأمني ، وما أكثر ما يُؤتى الإنسانُ من مأمنه ، والله المستعان .

ابن شاهويه

وأما ابن شَاهَوَيْه[١] فشيخ ليس لنا فيه فائدة إلاَّ ما يُلقي إلينا من تجاربه ومشاهداته ، ولولا زيادتُه التي يَضَعُ بها من نفسه ، وبعضٌ من تجاربه[٢] لكان هَـدَّك من رجلٍ[٣] ، ولكن مَنْ لك بالمهذَّب ، ألم يقل الأول :

= من أكبر علماء عصره شارك بأنواع المعرفة مشاركة واسعة ، وكان يدرس القرآن والقراءات والنحو والفقه والفرائض والحساب والكلام والبلاغة والشعر والعروض والقوافي ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وهو الذي شرح كتاب سيبويه وبسط علم النحو للناس حتى قال ابنه يوسف : « وضع أبي النحو في المزابل في الإقناع » ، وكان السيرافي على مذهب المعتزلة ، وعلى جانب عظيم من التدين والورع والصلاح وعلو النفس ، والتعفف عن الدنايا ، وكان التوحيدي شديد الإعجاب بأستاذه حتى قال عنه إنه « عالِم العالَم ، وشيخ الدنيا ، ومقنع أهل الأرض » . توفي السيرافي سنة ٣٦٧ هـ .

(١) هو ابن شاهويه كان في خدمة صمصام الدولة البويهي ، وصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤآنسة ٤٣/١ فقال : « أما ابن شاهويه فشيخ إزراء ، وصاحب مخرقة ، وكذب ظاهر ، كثير الإيهام ، شديد التمويه ، لا يرجع إلى وُدٍّ صادق ، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ ... وليس هناك كفاية ولا صيانةٌ ولا ديانةٌ ولا مروءة ، وبعد فهو شؤوم نكد ، ثقيل الروح ، شديد البهت ، قوله الإفساد وعادته تهجين المهنأ ، والشماتة بالعاثر ، والتَّشفي من المنكوب » .

(٢) ج ق ـ خطراته .

(٣) يقال : « هذا رجلٌ هدّك من رجلٍ » إذا وُصف بالجلد والشدة أي غلبك وكسرك . ويقال أيضاً : إنه لهدُّ الرجلُ أي لنعم الرجل وذلك إذا أثني عليه بجلدٍ وشدّة . ويستعمل لمطلق معنى التعجب .

أيُّ الرجالِ الْمُهَذَّبُ[1] ؟

قال زيد بن رِفاعة[2] : قلت أيها الوزير إن طلوعك على ثنايا ضمائرهم ، وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالإفراج عنهم ، وقلة الاكتراث بهم قال : لا نفعل ، والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، وإنهم لأعيانُ أهل الفضل ، وسادة ذوي العقل ، وإذا خلا العراقُ منهم ، فرقّن على الحكمة المرويّة ، والأدب الْمُتهادى ، أتظنُّ أن جميع ندماء المهلّبي[3] يفون بواحد من هؤلاء ، أو تقدّر أن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقلَّ مَنْ فيهم ؟ قال : قلتُ : هذا ابن عبَّاد بالريّ وهو من يعرف ويسمع قال : ويحك ! وهل عند ابن عبَّاد إلاَّ أصحابُ الْجَدل الذين يشغَبون ، ويحمَقُون ، ويتصايحون [إلى أن تَبحَّ حُلوقُهم] ، وهو فيما بينهم يصيح ويقول : قال شيخانا أبو علي[4] وأبو هاشم[5] ، دعنا من حديثه ، وغَثاثته ،

أصحاب الصاحب

(١) البيت للنابغة وتمامه :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه   على شعثٍ : أيُّ الرجالِ المهذبُ ؟

(٢) هو زيد بن رفاعة أبو الخير من إخوان الصفاء ، وصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ٤/٣ فقال : « هناك ذكاء غالب ، وذهن وقّاد ، ويقظة حاضرة ، وسوانح متناصرة ، ومتّسع في فنون النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع المقالات ، وتبصّر في الآراء والديانات ، وتصرّف في كل فن ... وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ... فصحبهم وخدمهم .. » .

(٣) هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ هـ - ٣٥٢ هـ) تولى الوزارة لمعز الدولة البويهي سنة ٣٣٩ هـ . كان فصيحاً ، مهيباً ، شجاعاً جامعاً لأدوات الرئاسة ، وقد اشتهر بعطفه على الأدباء حتى قيل إنه « مات بموته عن الكتّاب الكرمُ والفضلُ » .

(٤) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره . وهو صاحب فرقة الجبّائية في البصرة .

(٥) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبّائي المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه ، أسس فرقة اسمها البهشمية وهي شبيهة بفرقة الجبائية لأن الابن كان يوافق أباه في مسائل كثيرة .

وسَعْبَذَته ، فما أُحبُّ أن أزيد في وصفه على ما أشرتُ إليه ، والله لو تصدَّى إنسانٌ متوسطٌ في العلم ، والأدب ، والْحُنْكة ، والإنصاف ، لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كلَّ غريبةٍ ، وأتى بكلِّ أُعجوبة ، الرجلُ مجدودٌ ، وفي زمرة أهل الفضل معدود .

رويتُ هذا الخبر على ما اتفق ، وكنتُ أطلبُ له مكاناً مُذْ زمانٍ فلم أجد إلاَّ هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق .

قال الشاعر :

الخدن والمشير

إذا لم تَدْرِ ما الإنسانُ فانظر ... مَنِ الخِدْنُ المفاوضُ والمشيرُ

وقال الآخر :

الاستدلال بالصاحب

لا تسألنَّ عن امرئٍ واسألْ به ... إن كنتَ تجهلُ أمرَهُ ما الصاحبُ

وقال عديّ بن زيد[1] الشاعر :

الاقتداء بالمقارن

عن المرء لا تسأل وأبْصِرْ قرينَه ... فإن القرينَ بالْمُقارن مُقتدِي

الصاحب كالرقعة

وقال بعضُ السَّلف : الصاحبُ كالرُّقعة في الثوب ، فإن كان مُشاكِلاً لم يَنْبُ عنه الطَّرْفُ ، وإن كان غيرَ مشاكل كان الفَضوح .

أبو السائب [٩ ب]

وَذُكِر عند النبي صلى الله عليه وآله رجلٌ كان يألفه قبل أن بعثه الله نبياً يقال له أبو السائب فقال : نِعْمَ الصاحبُ كان أبو السائب / [كان] لا يُماري ، ولا يُشاري .

سمعتُ أبا سعيد السيرافي يقول في تفسير هذين الحرفين : أي كان

---

(١) هو عدي بن زيد الجاهلي . عاش في الحيرة .

لا يَشغَبُ ، ولا يلجُّ ، وقال : قيل في نبزهم[١] الشراة[٢] أنهم إنَّما نُبزوا بهذا للجاجهم في دينهم ، كما قيل أيضاً : إنما نُبزوا بهذا الاسم لأنهم باعُوا أنفسَهم لما سمعوا الله تعالى يقول : ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[٣] .

كتاب الزَّينبي

كتب أبو تمَّام الزينبي إلى ابن معروف :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ . فإن الحال التي نزدوجُ[٤] عليها ، ونستبصرُ فيها ، ونتقاسمُ حقيقتَها وخالصتَها ، ونتذاوقُ[٥] حلاوتَها ومرارتَها ، ونتهادى خَلَقها وجديدَها تُحدثني بأن العتْب على تقصير يكون من أحدنا قَدْحٌ في عينها[٦] ، ونَحْتٌ لجانبها[٧] ، وخَدْشٌ لوجهها ، فإن كان هذا صحيحاً فالعتبُ محظورٌ ، وصاحبُ التقصير معذورٌ ، وإن كان فيه لو ، أو لا ، أو لعلّ ، أو نعم فأحدُنا عليه مستزاد ومَلومٌ ، وأنا أعوذُ بالله من أن يَردَ على أحدنا من صاحبه ما لا يطيق ، أو يعدل بصاحبه من السَّعة إلى الضيق ، وقد نُمي إليَّ نبيذٌ[٨] مما دار بينك - أطال الله بقاءك - وبين مولانا المطيع - أدام الله أيامَه - في حديث كنت مخصوصاً به من أمر

(١) نبزه بكذا : لقَّبه به ، وهو شائع في الألقاب القبيحة . وتنابزوا بالألقاب : تعايروا ولقَّب بعضهم بعضاً .

(٢) فرقة من الخوارج .

(٣) سورة التَّوبة : ١١٢/٩ .

(٤) ج ق - يزدوج .

(٥) ج ق - نذوق .

(٦) ج ق - عتبها .

(٧) ج ق - لناحتها .

(٨) ج ق - نبذ - النبيذ والنَّبْذة والنُّبْذة : القطعة من الشيء على حدة كالنبذة من الكتاب .

البصرة ، وما أفضى إليه إصْعادي عنها على الوجه المشهور عند الصديق الجافي على العدو ، فَسَبَح ظني في وادٍ من الظِّنَّة[1] إن كان الله قد برأك منها فقد ابتلاني بها ، وإن كنتَ غنياً عنها فأنا فقيرٌ إليها ، وقد جَدَّ بي الفكر في تعرف ذلك منك ، فلسانُك أنطقُ بالصدق من لسان العابد الزاهد ، وعقلُك أعلى وأشرفُ من أن تتخذني غيرَ شاكرٍ ولا حامد ، وبالله الذي لا إله إلا هو ، ما يقوم لي شَعْثٌ[2] ما بيني وبينك في المنام بحيازتي جميع الأماني في اليَقْظة ، فإن رأيتَ أن تجعل لي إلى لقائك طريقاً ، إمَّا بالزيارة المشرّفة ، وإمَّا بالاستزارة الْمُسْتشرفة فعلت إن شاء الله .

فأجابه أبو محمد : جواب ابن معروف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ : فإنَ الحالَ التي أشرتَ إليها ببيانك الناصع ، من أدبك البارع ، فهي والله مَحُوطةٌ بالنفس والروح ، مَذْبوبٌ عنها بالخاطر ، عند اللمحَة[3] والسُّنُوح ، وتاللهِ أعودُ كما عدتَ من رِيَبٍ تتوجه نحوها ، أو شَوْبٍ[4] يدبُّ إليها ، وكيف ذاك والشفقة عليها مُرفرفة ، والرأفةُ بها مُوكَلَة ، ويدُ الثقة بعينها وشهادتها حاضِنة ، والنفسُ إلى كل ما يردُ منها أو يصدرُ إليها ساكنة ، فهذا باب يَنْبو / عن الكلام فيه لمغالطةٍ مَخُوفةٍ [١٠ آ] تجري عليه ، فأمَّا الحديثُ الذي نمى إليك نبيذٌ[5] منه مما دار بيني وبين

---

(١) الظنَّة : التهمة .

(٢) الشعث : انتشار الأمر وخلله .

(٣) ج ق ـ اللمة . اللمحة : النظرة بالعجلة . السنوح : مصدر سنح الأمر أو الرأي : عرض .

(٤) الشوب : ما خلطته بغيره .

(٥) ج ق ـ نبذ .

مولانا ـ حرس الله مكانه ـ ونصر سلطانه ، فليس فيه إلا ما يجذبُ بصنعك إلى العَليـاء ، ويقرُّ عينـك بين الأوليـاء ، ويُطيـلُ بـاعـك على الأعــداء ، ويجعلـك واحـدَ الـدنيـا بين الأرض والسماء ، فثِـقْ بمـا قلت ، واسكنْ إلى مـا كتبت ، فـإن الخير مُتيقَّنٌ ، والسعـادة مُظِلَّـة ، والوليُّ مرفوعٌ ، والعـدوُّ مـوضـوعٌ ، واللهُ على جميـع ذلـك مشكـورٌ محـودٌ ، ولـولا أن القلم لا يطيـق صريح مـا همَّـك ، لحملتُـه كيف مـا كان إليـك ، واللقـاءُ صبحـةَ يوم الاثنين عندك على الروشن الميمون ؛ فإن رأيتَ أن تصرف عن بالك ، كلَّ شاغلٍ عن ذلك ، وتملأه بكلِّ سار [بذلك] فعلتَ ، مُهْدِياً بـه إليَّ روحـاً أتعجلُـه[1] ، وسروراً أنتظره ، إن شاء الله .

كتـاب ابن عُبيـد إلى ابن الجمل الكاتب

وكتب ابن عُبيــد الكاتب إلى ابن الجمــل الكاتب كاتب نصر الــدولــة شاشنيكير :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصداقةُ ـ أطال الله مدتك ـ التي قد وكَّدها الله بيننا بالـدين أولاً ، ثم بالجوار ثانياً ، ثم بالصناعة ثالثاً ، ثم بالْمُمَالحة[2] رابعاً ، ثم بالمنشأ خامسـاً ، ثم بالْمُعَاقرة[3] سادسـاً ، ثم بالتجربة سابعاً ، ثم بالإلْف[4] ثامنـاً ، ثم بـالميلاد تاسعاً ، ثم بانتظام هذه كلِّها عاشراً تتقاضاني لك حقوقـاً ، أنت عن التقصير فيها أغنى ، وأنا بالإعفاء عنها أملى ، وإذا كنـا على هـذا السِّيـاج دارجين ، وفي هذه الْحَوْمـة داخلين ، وعنهـا خـارجين ، فليس لحـاسـدٍ إلينـا سبيلٌ ، ولا لمتكلِّف علينا دليل ، والله إنك لتُذْكَرُ ، وأجد لذكرك عَبَقاً يزيـد على

---

(١) ج ق ـ أعجله .

(٢) المهالحة : تبادل الطرف والملاحة .

(٣) للعاقرة : عاقر الشيء لازمه وأدمن عليه .

(٤) الإلف : الألفة وهي الصداقة والمؤانسة .

عَبَق العنبر[1] ، وتُوصَفُ[2] فأرى لوصفك ما لا يراه أحدٌ من البشر لأحد من البشر ، وربما حلمتُ بك في الرؤيا ، فيكون في ذلك قُوتي طولَ يومي ، ومن كان هذا نعتُهُ من أجلك ، فكيف يُنَمِّقُ بالقلم شوقَه إليك ، وكيف يذكرُ ما يختصه لك ، وكيف يجهزُ ما يشتمل عليه مَنْ خَالِصَتُهُ[3] ومحبتُه إليك قد يقصرُ اللفظ للطف المعنى ، كما يطولُ المعنى لقصر اللفظ ، والإخاءُ إذا قدم استحصدت مرائره[4] ، واستوسقت[5] سرائره ، وعند ذلك يكون الوصف باللسان تكلُّفاً ، والتكلُّف للوصف تأفُّفاً ، وقد حَضَرَ لعبدك ولدي ختَانٌ أنت أولى الناس فيه بالقيام والقعود ، بين الناي[6] والعود ، فإن رأيت أن تبدر إلى ذلك غداة غدٍ ، مكافحاً للشمس عند الطلوع ، غير عائجٍ إلى غيره فعلتَ إن شاء الله .

جواب ابن الجمل

فأجابه ابن الجمل :

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أُوتيتَ - مدَّ الله في عمرك - لساناً ، وبياناً ، وقلماً ، وخطّاً ، فمن رامَ شأوك انْقَعَصَ[7] ، ومن توهَّم اللحاقَ بك نَكَص[8] ، فللهِ درُّك من

---

(1) ج ق - واحدا كذكرك عنقاً يزيد على عنق العنبر . العبق : انتشار رائحة الطيب .

(2) ج ق - ويوصف .

(3) الخالصة : العشرة والمودة الصافيتان .

(4) استحصد الحبل : فتل فتلاً محكماً ، والمرائر مفردها مرير وهي العزيمة وما طال ولطف واشتد فتله من الحبال ، واستمر مريره : قوي بعد ضعف ، واستمرت مريرته على كذا : إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه .

(5) استوسق : اجتمع ، واستوسق لك الأمر : أمكنك والسرائر : مفردها سريرة وهي السر .

(6) ج ق - النأي .

(7) ج ق - تقاعس . انقعص : مات مكانه . وانقعص الشيء : انثنى .

(8) نكص : تراجع وأحجم .

ساحرٍ بلفظه ، وخالبٍ بقلمه ، ومؤيدٍ بعقله ، ومسعودٍ بفضله ، ومقدَّمٍ بفرعه وأصله ، ومشهورٍ بإنصافه وعدله ، ذكرتَ الصداقة التي وكَّدها الله بيننا بالأسباب التي أحصيتَها ، والوجوهِ التي سردتها ، ولو لم يكن الحال على ما وصفت لكان الذي أُوجِبُه لك على نفسي من الطاعة إذا دعوتَني ، والائتمار إذا أمرتني ، والتشرُّف إذا ناجيتني ، والانتساب إليك إذا قَبِلْتني ، والاعتماد عليك إذا أذنتَ لي فوق مودَّاتِ أهل الزمان ، بدرجاتٍ عالياتٍ ، وقاماتٍ مديداتٍ ، وباقياتٍ صالحاتٍ ، فكيف ونحن نجتمع في نِصاب[1] ، ونجتلي في نِقاب ، ليس لنا في إخلاص المودَّة شريكٌ ، ولا يتقدمنا فيها ضريبٌ ، وما أسألُ الله بعد هذا كلِّه إلا دوامَها ، وصرفَ العيون عنها ، ومدَّ الإمتاع بها ، وسكونَ النفس والروح إليها . فأمَّا ماأومأتَ إليه من البِدار إلى خدمة ولدك سيدي ـ نماه الله ـ فإني غيرُ ملتفت إلى فرض ونَفْلٍ[2] دونه والسلام .

ثراء الصداقة

وقال جعفر بن يحي لبعض ندمائه : كم لك من صديقٍ ؟ قال : صديقان / [١٠ ب] قال : إنكَ لَمُثْرٍ من الأصدقاء .

حساب واحتساب

وقال سهلُ بن هارون : الصديقُ لا يُحَاسَب ، والعدو لا يُحتسب له[3] .

بين الولاء والمراء

قيل لأبي العَيْناء : هل ظفرتَ بصديقٍ مُوَالٍ ؟ قال : ولا بعدوٍّ مُرائي .

---

(١) النصاب : الأصل والمرجع .

(٢) النفل : ماتفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله ، ماطلب من الإنسان زيادة على الواجبات والفرائض .

(٣) احتسب عليه الأمر : أنكره عليه .

الصديق والحقنة

ولما احتاج زياد إلى الْحُقْنَة وُصفت له فتفحّشها[1] فقيل له : إنما يتولاها الطبيبُ ، قال : إن كان لا بدَّ منها فالصديق .

شواهد قلبية

قيل لِلْجُنَيْد[2] : ابنُ عطاء يدّعي صداقتك فهل هو كما يقول ؟ قال : هو فوقَ ما يقول ، وأجدُ ذلك له من قلبي بشواهد لاَتكْذِبُني عنه ، ولا تَكْذِبُهُ عني .

اتخاذ الأصدقاء

قيل لأبي علي النصير : لم لا تتخذ الأصدقاء ؟ قال : حتى أفرغَ من الأعداء ، فوالله لقد شغلوني بأنفسهم عن كلِّ صديق يُعينني عليهم ، وإحَالةُ العدو عن العداوة أوْلى من استدعاء الصداقة من الصديق .

اليأس من وجدان الصديق

قيل لرُوَيْم[3] : ما الذي أقعدك عن طلب الصديق ؟ قال : يأسي من وِجْدانه .

نصف صديق

قيل لأعرابي : أَلَكَ صديقٌ ؟ قال : أمَّا صديقٌ فَلاَ ، ولكنْ نصفُ صديق ، قيل : فكيف انتفاعُك به ؟ قال : انتفاع العُرْيان بالثوب البالي .

بين التعريض والتصريح

قيل لصُوفي : صِفْ لنا الصديق ؟ قال : هو الذي إذا عرَّضَ لك

---

(١) ج ق - فأنكرها .

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز من علماء الدين والتصوف ولد في بغداد ، قال عنه أحد معاصريه : « ما رأت عيناي مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، وللتكلمون لمعانيه ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد » . وقال ابن الأثير في وصفه : « إمام الدنيا في زمانه » . وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنّة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذمية ، محميّ الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع ، وتوفي الجنيد سنة ٢٩٧ هـ .

(٣) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٩٧/٣ .

بالمكروه ، صرَّحتَ أنت له بـالمحبوب ، وإذا صرَّح لـك بـالمحبوب سـاعـدتـه عليه .

لفظ الصديق

قلت للأندلسيّ[1] : مِمَّ أُخذ لفظ الصديق ؟ قـال أخـذ [بنظرٍ] من الصِّدْق ، وهو خلافُ الكذب . ومرةً قال من الصَّدْق ، لأنـه يقـال : رُمْحٌ صَدْقٌ أي صُلْبٌ ، وعلى الوجهين ، الصديق يصدُق إذا قال ، ويكون صَدْقـاً إذا عمل ، قال : وصُدْقةُ المرأة وصَـدَاقهـا وصُـدقتهـا كلـه منتزع من الصِّـدق والصَّدق ، وكذلك الصادق ، والصِّدِّيق ، والصدوق والصَّـدَقـة ، والمتصـدق والمصدق ، كل هذا متواخٍ[2] .

سمعتُ القـاضي أبـا حـامـد[3] يقول : قلتُ للمنصوري[4] : مـا أشغَفَـك بابن عبدك[5] مع تشـاكسِ مـا بينكمـا في البلـد والمـذهب فقـال : ذاك لأني وجدته كما قال الشاعر :

---

(١) هو أبو محمد عبـد الله بن حمود الزبيـدي الأنـدلسي من علمـاء النحو واللغـة والمبرزين في الشعر ، وهو صـاحب القول المـأثور عن الجـاحـظ : « رضيت في الجنـة بكتب الجـاحـظ عوضاً عن نعيمها » . وورد ذكره في المقابسات ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) ج ق ـ متناسب .

(٣) هو القاضي أبو حامد المرورّذي أستاذ التوحيدي ويعده ابن خلكان من أئمة الفقه الـذي لا يشق غباره فيه ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لمجالس أبي حامد والنقل عنه والروايـة لأخباره ، وقد علل التوحيدي تعلقه بأستاذه بقوله : « وإنمـا أولع بـذكر مـا يقولـه هـذا الرجل لأنـه أنبـلُ من شـاهـدتـه في عمري ، وكان بحراً يتـدفق حفظـاً للسير ، وقيـامـاً بالأخبار ، واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل ، وصبراً على الخصام » ، توفي أبو حامد سنة ٣٦٢ هـ .

(٤) هو أبو العبـاس أحمـد بن محمـد بن صـالـح قـال صـاحب الفهرست ص ٣٠٦ : « كان على مذهب داود من أفاضل الداوديين ، أي الظاهريين والآخذين بـالكتـاب والسُّنـة ، ولـه كتب جليلة حسنة كبـار منهـا : « كتـاب المصبـاح » و « كتـاب الهـادي » و « كتـاب النّير » ، وذكر له صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٧٤ كتاباً في الطب .

(٥) ج ق ـ ابن عنـدك ، م ـ بـابن عيـدك . ولعلـه ابن عبـدان الطبيب معـاصر التوحيـدي والذي ورد ذكره في المقابسات ص ٣٥١ .

صفات محبوبة

مـوفَّـقٌ لسبيـل الرشــد متَّبـعٌ	يَـزينُـه كلُّ مـا يـأتي ويَجْتَنِبُ
تسمـو العيـونُ إليـه كلَّما انفرجتْ	للنـاس عن وجهه الأبوابُ والْحُجُبُ
لـه خـلائـقُ بيضٌ لا يغيِّرهـا	صرفُ الزمـان كما لا يصدأُ الـذَّهبُ

كتـاب لأبي الفضـل ابن العميد

وحدثنا حمد بن محمد كاتب ركن الدولة قال : دبَّ بيني وبين أبي الفضل يعني ابن العميد[1] بعضُ المفسدين فكتب إليَّ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تَسْفيق[2] الكلام بيني وبينك موضوعٌ ، لأنك عن ذلك مرفوعٌ ، وقد رضيت أن تستأني فيما تسمع ، فإذا صحَّ به ذنب عاقبت بقدره ، أبادَ أم أبقى ، توسَّط أم تطرَّف ، ولا أقول إلاَّ ما قال الأول :

خديعة ووشاية

أطعتُ الوشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ[3]	مقالـةَ واشٍ يقرعُ السِّنَّ من نَـدَمْ
أتـاني عـدوٌّ كنتُ أحسِبُ أنَّـهُ	علينـا شفيـقٌ نـاصحٌ كالـذي زَعَمْ
فلَمَّـا تبـاثَثْنَـا الحـديثَ وصرَّحتْ	سرائرُه عن بعضِ مـا كان قـد كَتَمْ
تبيَّن لي أنَّ المحرِّشَ[4] كاذبٌ	فعندي لـك العُتْبَى على رغم مَنْ زَعَمْ[5]

---

(١) هو محمد بن العميد عبد الله الحسين بن محمد أبو الفضل الوزير البويهي المشهور وأحد أئمة الكتابة في الأدب العربي ، وهو الذي لقب بالجاحظ الثاني ، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ . راجع أخباره في اليتيمة ٣/١٥٨ ـ ١٩٢ ، ووفيات الأعيان ٢/٥٧ .

(٢) سفق : لطم . والسفقة : اللطمة . وسفق الباب : ردَّه ومثله انسفق .

(٣) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، وقيل الذي يطوي كشحه على العداوة ، أو الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه ، والكشح من الجسم ما بين السرة ووسط الظهر .

(٤) ج ق ـ المحدث . المحرِّش ، من حرَّش بين القوم : أغرى بعضهم ببعض ، وكذلك بين الكلاب وما شاكلها .

(٥) يقال : أعطاني فلان العُتبى : إذا أعتبك أي أزال عتبك وترك ما كان تغضب عليه لأجله وأرضاك .

تعريف الصديق

قيل لصُوفي : مَنِ الصديقُ ؟ قـال : من لم يُجـدْك سواه ، ولم يُفقـدْك من هواه .

الرفيق

الشفيق

الواقي

الصاحب

النديم

وقيل للشِّبْلي[1] : مَنِ الرفيق ؟ قال : من أنت غـايـة شغلـه ، وأوكـدُ فَرْضهِ ونَفْلهِ . قيل لـه : فمن الشَّفيق ؟ قـال : مَنْ إن دهمتـك محنـةٌ قَـذِيَتْ عينُه لك ، وإن شملتك مُنحةٌ قرَّت عينُه بك . قيل له : من الوافي ؟ قال : من يحكي بلفظه كمالك ، ويرعى بلحظه جمالك . قيل له : فمن الصـاحب ؟ قـال : مَنْ إنْ غـاب تشـوَّفت إليـه الأحبـابُ ، وإن حَضَر تلقَّحت بـه الألبابُ . قيل : فمن النديم ؟ قال : مَنْ إن نـأى ذُكر[2] عنـد الكاس ، وإن دنا مُلك بالاستئناس[3] .

كتاب ابن الزيات إلى الصولي

كتب محمد بن عبـد الملـك بن محمـد الزَّيَّـات[4] إلى إبراهيم بن العبّـاس الصُّولي[5] أيام مُقامه بالأهواز كتاباً يقول فيه : قلّةُ نظرك لنفسك حرمتك سنا المنزلة ، وإغفالُـك حظَّـك حَطَّـك عن أعلى الـدرجـة ، وجهلُـك بقـدر النِّعْمـة أحلَّ بـك اليـأس والنِّقْمـة حتى صرت من قوة الأمل معتـاضـاً شـدة

(١) هـو أبـو بكر دلف بن جحـدر الشبلي من المتصـوِّفـة النُّسَّـاك ، وُلـد سنـة ٢٤٧ هـ بسُرَّ مَن رأى ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

(٢) ج ق - ذكرك .

(٣) ج ق - الاستئناس .

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن أبـان بن حمزة أبو جعفر المعروف بـابن الزيَّـات أحـد بلغـاء الكتَّـاب والشعراء ، كان وزيراً للمعتصم والـواثـق العبـاسيِّين ، ولمـا مرض الـواثـق عمل ابن الزيَّات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فنكبه هـذا وعـذَّبه في تنور إلى أن مـات سنة ٢٣٣ هـ .

(٥) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول أبو إسحاق أحد أئمة الكتابة في العراق ، ولـه في خراسـان سنـة ١٧٦ هـ ، ونشأ في بغداد وتقرَّب إلى الخلفـاء المعتصم والواثق والمتـوكل ، وتقلَّد ديوان الضياع والنفقات بسامراء ، وتوفي سنة ٢٤٣ هـ . راجع أخبـاره في الأغـاني ٢٠/٩ ، ومعجم الأدباء ٢٦١/١ ، ووفيات الأعيان ٩/١ .

الوَجَل ، ومن رجاء الغد متعوِّضاً يأس الأبد ، وركبتَ مطيّة المخافة بعد مجلس الأمن والكرامة ، وصرت / معرَّضاً للرحمة بعد ما تكنَّفتك الغِبْطة ، [١١ آ]
وقد قال الشاعر :

إذا ما بدأتَ امرءاً جاهِلاً ... ببرٍّ فقصَّرَ عن حَمْلِه
ولم تَرَهُ قابلاً للجميـ ... ـل ولاَ عرفَ الفضل من أهْلِه
فَسُمْهُ الهوانَ فإن الهَوا ... نَ دواءٌ لذي الجهل من جَهْلِه

قد فهمتُ كتابَك ، وإغراقَك وإطنابَك ، وإضافة ما أضفت بتزويق الكتب بالأقلام ، وفي كفاية الله غنىً عنك يا إبراهيم ، وعِوَضٌ منك ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل .

جواب الصولي

فكتب إليه إبراهيم يستعطفه :

أخٌ كنتُ آوي منه عند إدِّكارِه[1] ... إلى ظلِّ أفنانٍ من العزِّ باذخِ
سَعَتْ نُوَبُ الأيام بيني وبينه ... فأقلعْنَ منّا عن ظَلومٍ وصارخِ
وإني وإعدادي لدهري محمَّداً ... كملتمسٍ إطفاءَ نارٍ بنافخِ

إصرار الصولي

فما نَجَعَ[2] فكتب :

وكنتَ أخي بإخاء الزمان[3] ... فلما نَبا صرتَ حَرْباً عوانا
وكنتُ أذمُّ إليك الزمان ... فأصبحتُ منك أذمُّ الزمانا[4]
وكنتُ أعدُّك للنائبا ... تِ فها أنا أطلبُ منك الأمانا

فلم يَثْنِ ذلك محمداً فكتب إليه كتاباً غليظاً وكتب في آخره :

---

(١) م ، ج ق - ادخاره . وردت الأبيات في الطرائف الأدبية ص ١٥٧ .
(٢) نَجَع فيه الدواء والعلف والوعظ والخطاب : دخل فأثر فيه أو ظهر أثره .
(٣) ج ق - في رخاء الزمان .
(٤) رواية الطرائف الأدبية : « فقد صرت فيك أذم الزمانا » .

جواب ابن الزيّات

أبا جعفرٍ خَفْ نَبْوَةً بعد دولةٍ[١] وعرِّجْ قليلاً عن مدى غُلْوَائِكا[٢]
فإن يكُ هذا اليومُ يوماً حويتَه فإنَّ رجائي في غدٍ كرجائِكا

فما مرَّت الأيام حتى كان من أمر محمد ما كان ، وولي إبراهيم ديوان الرسائل فأمر أن يُنْشَأ فيه رسالة بقلَّة طاعته ففعل .

فوارق الصداقة

كان بين أبي الخطَّاب الصَّابي وبين أبي كعب الداهية[٣] التي لا تُرام بعد صداقةٍ كانت زائدةً على شُبْكَةِ[٤] الرحم ، ولَحْمَةِ[٥] النسَب ، فقيل له ـ أعني أبا الخطاب ـ كيف أنت مع ابن كعب فأنشد :

خليلانِ مختلفٌ شأنُنَا أُريدُ العلاءَ ويَبْغي السِّمَن

طلب الخِلَّة

وكان ابن الجلاء الزاهد بمكَّة يقول لأصحابه : اطلبوا خِلَّةَ[٦] الناس في هذه الدنيا بالتقوى تنفعْكم في الدار الأخرى ، ألم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ الأخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٧] .

تصنيف الناس

وقال الحرّاني[٨] في تصنيف الناس : منهم مَنْ هو كالغذاء الذي يُمسك رمقَك ولا بدَّ لك منه على كل حال ، لأنه قِوامُ حياتك ، وزينةُ دهرك ،

---

(١) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : بعد صولةٍ .
(٢) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : وقصّر قليلاً . الغلواء : الغلو .
(٣) الداهية : الأمر العظيم والأمر المنكر .
(٤) الشُّبْكة : (بضم الشين) القرابة يقال : « بينهما شبهة سبب لا شبكة نسب » .
(٥) اللحمة : القرابة والجمع لُحَم .
(٦) الخِلَّة : المصادقة والإخاء . يقال : فلان كريم الخِلّ والخِلَّة .
(٧) سورة الزُّخرف : ٦٧/٤٣ .
(٨) هو أبو الطيب عبد الرحيم بن أحمد الحرّاني ، وكان شاعراً مترسلاً بليغاً وله كتاب رسائل وكتاب في البلاغة . ويظهر أن التوحيدي اجتمع به في مكة ، وقد ورد ذكر الحرّاني في الإمتاع والمؤانسة ٣٨/١ ، وفي المقابسات ص ١٣٢ ، راجع : الفهرست ص ١٧٨ .

ومنهم من هو كالدواء يُحتاج إليه في الحين بعد الحين على مقدار محدود ، ومنهم من هو كالسُّم الذي لا ينبغي أن تقربه فإنه سبب هَلَكتِك[1] .

الأنس بالصديق

قيل لأعرابي : كيف أُنسُك بالصديق ؟ قال : وأين الصديقُ ، بل أين الشبيهُ به ، بل أين الشبيه بالشبيه [به] ؟ والله ما يُوقد نار الضغائن والذُّحُول[2] في الحيّ إلاّ الذين يدّعون الصداقة ، وينتحلون النصيحة ، وهم أعداءٌ في مُسُوك[3] الأصدقاء وما أحسنَ ماقال [حضريُّكم] :

حال الدنيا

إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تكشفتْ ... له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ[4]

وقال آخر :

درس وعبرة

إذا نوبةٌ نابَتْ صديقك فاغتنمْ ... مَرمَّتَها[5] فالدَّهْرُ بالناس قُلَّبُ

وبادر بمعروفٍ إذا كنت قادراً ... وحاذِرْ زوالاً من غنىً عنك يُعقبُ[6]

فأحسنْ ثوبيك الذي هو لابس ... وأفْرَهُ مُهْرَيْك الذي هو يُركبُ[7]

---

(1) نسب هذا القول إلى المأمون في عيون الأخبار ٣/٣ كما يلي : « الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغداء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه إلا أحياناً ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً » . ونسب إلى ابن المقفع في الأدب الصغير ص ٤٨ .

(2) ج ق ـ الدخول . الذُّحول : مفردها ذَحْل : الثأر ، وقيل العداوة والحقد ، وقيل طلب المكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أوتيت إليك .

(3) مسوك : مفردها مَسْك : الجلد وخص بعضهم به جلد السخلة قال ثم كثر حتى سمي كل جلدٍ مسكاً سمي به لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم .

(4) البيت لأبي نواس من قطعة مطلعها :

أيا ربَّ وجهٍ في التراب عتيقِ ... ويا ربَّ حسنٍ في التراب رقيقِ

الديوان ص ٦٢١ .

(5) المرمَّات : الدواهي .

(6) م ـ حذار زوال أو غنى عنك يعقب . يعقب : يخلف .

(7) الفراهة : الحذق والنشاط والخفة .

أيضاً :

نصيحة ثمينة

اجعلْ صديقَكَ مَنْ إذا أحببتَهُ حفظَ الإخاءَ وكان دونك يُضربُ
واطلبهُمُ طلبَ المريض شفاءَه ودعِ اللئيمَ فليس ممن يُصْحَبُ
يُعطيك ما فوق الْمُنَى بلسانه ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ
واحذرْ ذوي الْمَلَقِ اللئام فإنهم في النائبات عليك ممن يخطُبُ
فلقد نصحتُك إن قبلتَ نصيحتي والنُّصحُ أفضلُ ما يُباحُ ويُوهبُ

آخر :

خير الإخوان

خير إخوانك المشاركُ في الضُّـ ـرِ وأين الشريكُ في الضُّرِ أيْنَا ؟
لا يَنِي جاهداً يحوطُك في الحضْـ ـرِ فإن غبتَ كان أُذْناً وعَيْنا
أنت في معشرٍ إذا غِبْتَ عنهم بدّلوا كلَّ ما يزينُك شَيْنَا[1]
وإذا ما رأوكَ قالوا جميعاً : أنتَ من أكرم البرايا عَلَيْنا

التداوي بالرياء

وقلت لأبي المتيّم الصُّوفي الرَّقيّ : كيف حالُك مع فلان ؟ قال : نتداوى بالرِّياءَ إلى أن يَفْرِجَ الله ، قلت : هلا تخالصتما عن الرياء والنِّفاق ؟ فقال : والله إنَّ خوفي من أن يصير الرياءُ والنفاقُ مكاشفةً ، والمكاشفةُ مفارقةً ، أشدُّ من خوفي من / الرِّياء . والعجبُ أنَّ المؤونة علينا [١١ ب] في الصبر على هذه الحال أغلظ من المؤونة لو تصافينا ، إلاَّ أن التصافي لا يكونُ مني وحدي ، ولا منه وحدَهُ ، ولعله يتمنى ذلك مني ، كما أتمنى ذلك منه ، ولكن لا يطابقُ ذلك مطابقةً لحيلولة[2] الزمان ، والفساد العام ، وغلبة ما لا سبيل إلى تغييره ، طلعت الأرض بأهلها ، والحاجة ماسة إلى كلمةٍ طريَّة ، ودعوةٍ فاشيةٍ ، وأمرٍ جامعٍ ، حتى تأتلفَ القلوبُ ، وتنتفيَ

---

(١) شانه يشينه شيناً : ضد زانه . والمشاين : المعايب .

(٢) ج ق ـ لحؤول .

العيوبَ ، وهذا إلى اللهِ الـذي خلقَ الْخَلْق ، ودبَّر الشـأن ، وتفرَّد بـالغيب ، وتعزَّز بالقُدرة ، وكما أن في السَّنة الواحـدة للزمـان أحوالاً في الحر الْمُفْرط ، والحر المتوسـط ، والبرد المتوسـط ، كـذلـك للـدهر المـديـد أحـوالٌ في الخير العام ، والشرّ العام ، والخير الخـاص ، والشر الخـاص ، والعـاقل مَنْ لا يتمنى مالا يوجـد ، ولكن يَصْبِرُ على مـا يجـد إنْ حُلواً فحلواً ، وإن مرّاً فمرّاً ، إلى أن يأذَنَ اللهُ بالفرَج من حيث لا يحتسب .

لذّات الدنيا

قال معمر صاحب عبد الرزاق : مابقيَ من لذّات الـدنيـا إلاّ محـادثـةَ الإخوان ، وأكلُ القديد[1] ، وحكُّ الجرب ، والوقيعةُ في الثقلاء .

قال الشاعر :

ومـــا بقيتْ من اللـــذات إلاّ ... محـادثـةُ الرجـال ذوي العقـول

وقـد كانـوا إذا عُـدُّوا قليـلاً ... فقـد صـاروا أقـلَّ من القليـل

وفاء ومخبر وورع

قـال الأحنَف : لا خيرَ في صـديـقٍ لا وفـاءَ لـه ، ولا خيرَ في منظرٍ لا مَخْبَرَ[2] له ، ولا خير في فِقْهٍ لا وَرَعَ معه .

استخارة واستشارة واجتهاد

قال العُتبي : قال أعرابي : إذا استخار العبدُ ربَّه ، واستشار صـديقَـه ، واجتهد رأيَه فقد قضى ما عليه لنفسه ، ويقضي الله في أمره ما أحبَّ .

الوثوق بالمودة

توفي ابنٌ ليونُس بن عُبيد فقيل له : إنَّ ابن عون لم يأتك . فقال : إنَّـا إذا وَثِقْنا بمودَّة أخٍ لا يضرّنا أن لا يأتينا .

المودة أصل

وحدثني العَروضي[3] قال : لما دعا السلطـان علي بن عيسى[4] من مكـة

(١) القديد : اللحم المقدَّد .

(٢) المخبر : العلم بالشيء أو إدراكه بالخبر أو الاختبار لا بالنظر . والمخبر خلاف المنظر .

(٣) هـو أبـو محمد المقـدسي العروضي من معـاصري أبي حيّـان التـوحيـدي ، ورد ذكره في المقابسات : ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) هو علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير المقتدر ، توفي سنـة ٣٣٤ هـ ، ولـه مصنفـات =

تلقاه قوم من بغداد إلى زُبَالَة[1] وإلى ما فوقها ودونها ، فلما قرَّت به الدار بمدينة السلام أتاه قوم لم يُجشّموا لِقيَّهُ[2] ، فقال : كم من إنسانٍ قعد لَم يرِمْ مجلسه حتى وافيناه فكان ألوط[3] بقلوبنا ، وأسكنَ في أسرارنا من قومٍ جُشِّمُوا المسير إلى زُبالة ، إلاَّ أن المودَّةَ هي الأصل ، والصداقةَ هي الرُّكن ، والثقةَ هي الأساس ، وما عدا ذلك فمحمول عليه ، ومردودٌ إليه .

قصة للمأمون

قال يحي بن أكثم : كنت أرى شيخاً يدخل على المأمون في السنة مرة ، وكان يخلو به خلوةً طويلةً ثم ينصرف فلا نسمع له خبراً ، ولا نرى[4] له أثراً ، لا نُقْدِمُ على المسألة عنه [فلما كان بعد[5]] قال لنا المأمون : واأسفاً على فَقْدِ صديقٍ مسكونٍ إليه ، موثوقٍ به ، يُلقى إليه العُجَر والبُجَرَ[6] ، ويُقتبسُ منه الفوائدُ والغُرر ، قلنا وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما كنت ترى شيخاً يأتينا في الفَرْط[7] ، ونخلُو به من دون الناس ؟ قلت : بَلى ، قال : [فإنه] قد تأخر عن إبَّانه ، وأظن أنه قد قضى ، قلت : الله يمدّ في عمر أمير المؤمنين ، وما في ذاك ؟ قال : كان صديقي بخراسان ، وكنت

= ذكرها ابن النديم في الفهرست ص ١٨٦ . وقد ورد ذكر علي بن عيسى في المقابسات ص ١٤٧ ، وفي الإمتاع ٣٢/١ ، ٦٨ .

(١) ج ق م - زيالة . زُبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . (معجم البلدان ٣٧٣/٣) .

(٢) ج ق - لقاءه . لقيَه لِقِياً : استقبله ، وقيل : صادفه ورآه .

(٣) ألوط : أعلق .

(٤) ج ق - نرعى .

(٥) ج ق - فلما توفي .

(٦) العُجر : مفردها عُجرة وهي العقدة في الخيط والعصا وعروق البدن ونحوها يقال : « ذكر عجره وبجره ، أي عيوبه أو أحزانه . والبُجر : مفردها بجرة وهي السرّة » ، والوجه ، والعيب .

(٧) الفرط : الحين ، تقول : آتيك بعد فَرْطٍ أي بعد حين ، ولقيته في الفرط بعد الفرط أي في الحين بعد الحين .

أستريحُ إليه استراحةَ المكروب ، وأجِدُ به ما يُوجَدُ بالولد السارِّ المحبوب ، ولقد كنت أستمدُّ منه رأياً أقوِّمُ به أوَدَ المملكة ، وأصِلُ به إلى رضاء الله في سياسة الرعية ، وآخر ما قال لي عند وداعه أن قال : يا أمير المؤمنين إذا استقشَّ[1] ما بينك وبين الله تعالى فابلُلْهُ ، قلت : بماذا يا صاحب الخير ؟ قال : بالاقتداء به في الإحسان إلى عباده ، فإنه يُحبُّ الإحسان إلى عباده ، كما تُحبُّ الإحسان إلى ولدك من حاشيتك ، والله ما أعطاك [اللهُ] القدرة عليهم إلاَّ لتصرَّ على إحسانك إليهم بالشكر على حسناتهم ، والتغمد[2] لسيئاتهم ، وأيّ شيء أوجه لك عند ربك من أن تكون أيامُك أيامَ عدلٍ[3] وإنصافٍ ، وإحسانٍ ، وإسعافٍ ، ورأفةٍ ، ورحمةٍ ، مَنْ لي يا يحي بمثل هذا القائل ، وأنّى لي بمن يذكِّرني بما أنا إليه صائر .

كلام لعُرْوَةَ بن الزُّبير

لَمَّا وقع الاختلاف بالمدينة خرج عُرْوَةُ بن الزُّبير[4] إلى العَقيق ، واعتزل الناس ، فعاتبه إخوانُه فقال : رأيتُ ألسنتهم لاغية ، وأسماعهم صاغِية ، وقلوبهم لاهِية ، فخفتُ أن تلحقني منهم الداهيةُ ، وكان لي فيما هنالك عنهم عافيةٌ .

وجها الصديق

قال سُوَيْد الصَّامت[5] :

الا رُبَّ مَنْ تدعُو صديقاً ولوْ تَرى ... مقالتَهُ بالغيب ساءَكَ ما يَفْري[6]

(١) ج ق ـ استشن . قشَّ النبات : يبس .

(٢) غمَّده وتغمَّده : ستر ما كان ، تغمده الله برحمته : غمره بها تغمَّد الإناء : ملأه .

(٣) ج ق ـ أن يكون إمامك إمام عدل .

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً توفي سنة ٩٣ هـ .

(٥) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الأنصاري ، شاعر من أهل المدينة ، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام ، قتل قبل الهجرة .

(٦) الفري : الكذب والاختلاق والمبالغة في النكاية .

مقالته كالشَّهْدِ ما كان شاهداً وبالغيب صابٌ مستفيضٌ من الثَّغْرِ[1] /

[١٢ آ]

يَسُرُّكَ باديهِ وتحتَ أديمِهِ نَميّةُ غِشٍّ تلوها دبر الظَّهْرِ[2]

تحدِّثني العينان ما القلبُ كاتمٌ ولا جُنّ بالبغضاء والنظرِ الشَّزْرِ[3]

فرِشْني بخيرٍ طالما قد أردتهُ فَخَيْرُ الموالي مَنْ يَريشُ ولا يَبْري[4]

بئس الصديق

قال يحيى بن مُعاذ[5] : بِئْسَ الصديقُ صديقٌ تحتاج معه إلى المداراة ، وبِئْسَ الصديقُ صديقٌ تحتاج أن تقول له : اذكرني في دعائك ، وبئسَ الصديقُ صديقٌ يُلْجِئك إلى الاعتذار .

تغير الأصدقاء

قال الأعمش[6] : أدركتُ أقواماً كان الرجلُ منهم لا يلقى أخاه شهراً وشهرين فإذا لقيه لم يَزِدْهُ على كيف أنت ، وكيف الحال ، ولو سأله شَطْرَ ماله لأعطاه ، ثم أدركت أقواماً لو كان أحدُهم لا يلقى أخاه يوماً سأله عن الدَّجَاجة في البيت ، ولو سأله حَبَّةً من ماله لمنعه .

---

(١) في رواية :

مقالته كالشحم ما دام شاهداً وبالغيب مأثورٌ على ثغرة النَّحْرِ

الأبيات في اللسان لعمير بن حباب .

(٢) في رواية : تبتري عصَبَ الظهر .

(٣) في رواية :

تبين لك العينان ما هو كاتمٌ من الشرِّ والبغضاء بالنظر الشَّزْرِ

(٤) في رواية : فرشني بخيرٍ طالما قد بريتني . وراش السهم : جعل له ريشاً . راجع (البيان والتبيين ٦٦/٤ ، عيون الأخبار ٨١/٣) .

(٥) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي أبو زكريا أحد الوعّاظ الزاهدين ، مات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ . وله كلمات سائرة في الزهد .

(٦) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين يوم عاشوراء سنة ٦١ ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ .

كأنَّ معـــــالمَ الخيرات سُـــــدّت دونهـــــا الطُرقُ
وخـــان النـــاسُ كُلُّهُم فمـــا أدري بمَنْ أثِـــقُ
فـــلا عقـــلٌ ولا حَسَبٌ ولا دينٌ ولا خُلُـــقُ

برهان المحبة

لقي رجل صاحباً له فقال له : إني أُحبك ، فقال : كَذَبْتَ ، لو كنتَ صادقاً ما كان لفرسك بُرْقُعٌ وليس لي عَبَاءَة .

بين الصدق والتقصير

وقيل لأبي العَرَيْب المصري : إذا كان الرجل يُحبُّ صاحبه ، ويمنعه مالَه ، أيكونُ صادقاً ؟ قال : يكون صادقاً في حُبّه ، مقصّراً في حقّه .

إخوة هذا الزمان

قال مالكُ بن دينار : إخوةُ هذا الزمان مثلَ مَرَقة الطبّاخ في السوق طيّبُ الريح لا طعمَ له .

خير الإخوان

قال الأحنف : خيرُ الإخوان من إذا استغنيتَ لم يزدك في المودَّة ، وإذا احتجتَ إليه لم يُنْقِصْكَ .

تبدل المواساة

قال أبو يعقوب : دخلنا على أبي المطيع القرباني نسأله الحديث فقدم إلينا طعاماً فأمسكنا عنه فقال : ياهؤلاء كانت المواساة بين الإخوان قبلنا بالضياع ، والرِّبَاع(١) ، والبراذين ، والمماليك ، والدور والبدور(٢) ، فصارت اليوم إلى هذا وهو مروؤتنا ، فإن أمسكتم عن هذا أيضاً ذهب هذا القدر ، وماتت سُنَّة السَّلَف فلا تفعلوا ، فأقبلنا عليه وأكلنا .

التذكير بالرّب

قال بلال بن سعد : أخ لك كلما لقيك ذكَّرك برؤيته ربَّك ، خيرٌ لك من أخٍ كلّما لقيَك وضع في كفك ديناراً .

---

(١) الرباع مفردها رَبْع : وهي الدار وما حولها والمحلّة والموضع يرتبعون فيه ، وجماعة الناس .

(٢) البدور مفردها بدر وهو الطبق .

بين العفو والكفاية

قال يحي بن مُعاذ : واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا ، وإذا رضي كَفَى .

قلت لأبي سليمان[1] : هل يُلاَثُ[2] ما بين الصديقين ، وهل يُفضيان إلى هجر ، وهل يَفْزَعَان[3] إلى عَتْبٍ ؟ فقال : أما مادامت الصداقةُ قاصرةً عن درجتها القاصية ، فقد يعرض هذا كلُّه[4] بينهما ، لكنهما يرجعان فيه إلى أُسِّ المودَّة ، وإلى شرائط المروءة ، وإلى ما لا يَهْتِكُ سَجْفَ الفُتُوَّة ، وأما الهجر فإن حَدَث حدث جميلاً ، ولا مستمر لحوافز[5] الشوق إلى المعهود ، ومحرّكات النفس إلى التلاقي ، وأمَّا العَتْبُ فربما أصلح وردَّ الفائت ، وشَعَبَ الصَّدْع[6] ، ولَمَّ الشَّعْث[7] ، والإكثار منه ربما عرض بالحقد ، وأحدث نوعاً من النُّبُوّ[8] ، وقد قيل : وما صافيتَ مَنْ لا تعاتبه ، وربما كان العَوْدُ إلى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهداه في الأول . وقال الأول :

أُناس أمنَّاهم فنمُّوا حديثَنا فلَمَّا كتمنا السِّرّ عنهم تقوَّلوا

---

(١) هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني من أعاظم علماء المنطق في عصره ومصنّف كتاب (صوان الحكمة) ، وكان أستاذ التوحيدي ، وكان العلماء يجتمعون في منزل أبي سليمان للمناظرة والبحث ، وقد استطاع التوحيدي أن يؤلف من هذه المناظرات والمحاورات كتاب (المقابسات) ، مات السجستاني بعد سنة ٣٩١ هـ .

(٢) ج ق م - يلات . لوَّث الأمر : لبَّسه .

(٣) ج ق م - تفرغان .

(٤) ج ق - يعرض سوء .

(٥) ج ق - خوافر .

(٦) شعب : (من الأضداد) شعب الشيء : جمعه وفرقه ، وأصلحه وأفسده . الصدع : الشق بين شيئين ، وشعب الصدع : جمعه بعد تفريق .

(٧) الشعث : انتشار الأمر وخلله ، ولَمَّ شعثهم أي جمع أمرهم .

(٨) ج ق - النبوة .

ولم يحفظوا الودَّ الذي كان بيننا ولا حين همُّوا بالقطيعة أجْمَلوا[1]

الفرق بين الصداقة والعلاقة

قلت فما الفرقُ بين الصداقة والعَلاقة ؟ فقال[2] : الصداقة أذهبُ في مسالك العقل ، وأدخلُ في باب المروءة ، وأبعدُ من نوازي الشهوة ، وأنزه عن آثار الطبيعة ، وأشبهُ بذوي الشيب والكهولة ، وأرمى إلى حدود الرَّشاد ، وآخذُ بأهداب السَّداد ، وأبعد من عوارض الغَرارة[3] والْحَداثة .

العلاقة

فأما العَلاقة فهي من قِبَل العشق ، والمحبَّة ، والكَلَف[4] ، والشَّغَف[5] ، والتَّتيُّم[6] ، والتَّهيُّم ، والهَوَى ، والصَّبابة ، والتَّدانُف[7] ، والتَّشاجي[8] . وهذه كلُّها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة ، والطبيعة القويَّة ، وليس للعقل فيها ظِلٌّ ، ولا شخصٌ ، ولهذا تُسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذُّكْران والإناث ، وتنال منهم ، وتملكهم ، وتحول[9] بينهم وبين أنوار العقول ، وآداء النفوس ، وفضائل الأخلاق ، وفوائد التجارب ، ولهذا وأشباهِه يحتاجون إلى الزَّواجر ، والمواعظ ، ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المِزاج ، والطريق الوسَط . على أن العِشق والمحبة وما يحويها فيهما كلام من نحوٍ آخر / . وأنشد أبو عبيدة[10] :

[١٢ ب]

---

(١) أجمل في عمله : اعتدل ولم يُفرط .

(٢) راجع المقابسات طبعة السندوبي ص ٣٥٩ .

(٣) الغرارة : الغفلة وحداثة السن .

(٤) كلف به : أحبّه حبّاً شديداً وأولع به فهو كَلِف . والكِلْف : الرجل العاشق .

(٥) الشغف : أقصى الحب ، والمشغوف هو المجنون حبّاً .

(٦) تيّمه الحب : عبّده وذلّله .

(٧) دَنِف المريض : ثقل ودنا من الموت ، وكذلك العاشق .

(٨) شجاه الأمر : أحزنه ، وشجي الرجل يشجى شجاً : حزن .

(٩) ج ق ـ تجول .

(١٠) نُسب هذان البيتان في عيون الأخبار ٧٩/٣ للرياشي بزيادة بيت آخر :

إن كنت لا تصحب إلا فتىً مثلك لم تؤتَ بأمثالكا =

غضّ الطرف

إن كنتَ لاتصحبَ إلاّ فتىً　　مثلَك لم تُقرن بأمثالِكَا
فأغْضِ عينيكَ على ما ترى　　فالمِسْكُ قد يَستصحبُ الرامِكَا

يقال : رامِك ورامَك[1] ، سمعتُه من الحسن بن عبد الله الإمام السيرافي .

عَتَبَ ابن ثَوابَة أبو العباس على سعيد بن حُميد في شيء فكتب إليه سعيد :

تحوّل الأزمان والأحوال

أَقْلِلْ عِتابَك فالزمانُ قليلُ　　والدهرُ يَعْدِلُ مرّة ويميلُ
لم أبْكِ من زمنٍ ذممتُ صُروفَه　　إلاّ بكيتُ عليه حين يزولُ
والْمُنْتَمُون إلى الإخاء جماعةٌ　　إن حصَّلوا أفناهُم التحصيلُ
ولكل نائبةٍ ألَمّت مُدّةٌ　　ولكلِّ حالٍ أقبلَتْ تَحْويلُ
فلئن سُبقتَ لتبكينَّ بحسرةٍ　　وليكثرنّ عليّ منك عويلُ
ولتَفْجَعنّ بمخلصٍ لك وامقٍ　　حبلُ الوفاء بحبله موصول[2]
ولئن سَبَقْتَ، ولا سَبَقتَ، ليمضيَنّ　　من لا يشاكله لديّ عديلُ
وليذهبنّ جمالُ كلِّ مروءةٍ　　وليُقْفرنّ فِناؤها المأهولُ[3]
ولذاك نكلفُ بالعتاب وودُّنا　　باقٍ عليه من الوفاء دَليلُ
وُدٌّ بدا لذوي الإخاء صفاؤُه　　وبدتْ عليه بهجةٌ وقبولُ

= إن لك الفضل على صحبتي　　والمسك قد يستصحب الرامكا
هبني امرءاً جئت أريد الهوى　　فَجُدْ على ضعفي بإسلامكا

(۱) في م وردت عبارة في الأصل ويجب أن توضع في الهامش وهي : وهو شيء أسود يخلط به المسك . الرامك : ضرب من الطيب في لونه رُمْكة وهي زرقة في سواد . ويقالَ : « لا تمنعني صحبتك وإكرامك فقد يستصحب المسك الرامك » .

(۲) وامقه موامقة ووماقاً : أحبّ كلاهما الآخر . يقال : « إن لم وماق فتعجيل فراق » .

(۳) ج ق - وليعفرن .

ولعـلَّ أيـامَ الحيـاة قصيرةً | فعلامَ يكثرُ عتبُنـا ويَطـولُ ؟

آخر :

التماس العذر

إذا ما أتت من صاحبٍ لَـكَ زَلَّـةٌ | فكنْ أنت مُحتالاً لزَلَّتـه عُـذْرا

آخر :

خيبة الفحص

البسْ أخـاك على تصنُّعـهِ | فلربَّ مفتضـحٍ على النصِّ
ما كدتُ أفحص عن أخي ثقـةٍ | إلا ذممتُ عـواقبَ الفحصِ

آخر :

مودة ماذق

احـذرْ مـودَّةَ مَـاذقٍ | مَـزَجَ المرارةَ بـالحـلاوَهْ[1]
يُحْصي الـذنـوب عليـك | أيـامَ الصـداقـة للعـداوَهْ

سقيم الود

سَعِيد بن حَمِيد[2] :

لقد ساءَني أنْ ليس لي عنـك مذهبُ | ولا لـك في حسن الصنيعـة مَرْغبُ
أُفكِّرُ في ودٍّ تقـادَم بيننـا | وفي دونـه قربى لمن يتقرّبُ
وأنت سقيمُ الـود رثٌّ حبـالُـه | وخيرٌ من الـودِّ السقيم التَّجنّبُ
تسيئ وتـأبى أن تعقِّبَ بعـده | بحُسْنَى وتلقـاني كأنيَ مـذنبُ
واحذر إنْ جازيتَ بالسُّوء والقِلَى | مقـالـةَ قـومٍ، ودُّهم عنـك أجْنبُ[3]

---

(١) في رواية : شاب . مذق اللبن بالماء : مزجه . مذق الودّ : شابه بكدر ولم يخلصه فهو مذاق . ورجل مماذق : غير مخلص .

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد ، كاتب وشاعر في العصر العباسي ، كان يتقلد ديوان الرسائل أيام المستعين العباسي . له أخبار مع فضل الشاعرة ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . راجع الأغاني ٢/١٧ ـ ٨ .

(٣) أجنب : بعد .

أســاء اختيــاراً أو عَرَتْــهُ مَـلالــةٌ فعـــــاد يُسيء الظن أو يتَعقَّبُ
فخبتُ من الودِّ الـذي كنتُ أرتجي كما خـابَ راجي البرقِ، والبرقُ خُلَّبُ

كثرة العتاب

وقال أعرابي : كثرةُ العتاب إلحاف ، وتركُه استخفاف .

الصديق المطلوب

وحدثنا أبو السائب عُتْبة بن عبيد الله القاضي قال : كتب إليَّ أبو الشَّهم الحرمي أيام الشبيبة في خلافة المعتمد ، والزمانُ مواتٍ[1] ، والعيشُ رفيق[2] ، والأملُ قويّ ، وطائرُ السعد مرنِّق[3] ، وغديرُ الأنس مُغْدَوْدِقٌ[4] : ما أحوجَك أيها الفتى المقتبل[5] ، والصاحب المؤمَّل ، إلى أخٍ كريم الأُخوَّة ، كامل المروّة ، إذا غبتَ خلَفَك ، وإذا حضرت كنَفَكَ ، وإن لقي صديقك استزادهُ لك من المودَّة ، وإن لقي عدوّك كفَّ عنك غربَ العادية[6] ، وإذا رأيته ابتهجتَ ، وإذا باثثتَهُ[7] استرحت . قال : فأجبته ، هوّنْ عليك فليس هذا بأول مُتَمنَّى فائت[8] والسلام .

الدنيا لا تسع متباغضين

أخبرني الْمُرزباني ، حدَّثنا الصُّولي ، حدَّثنا المبرَّد ، حدَّثنا أبو عمر قال الأصمعي : دخلتُ على الخليل وهو جالس على حصيرٍ صغير فقال : تعالَ[9]

---

(١) ج ق - موات .
(٢) ج ق - رغد .
(٣) ج ق - السعيد مرفرف . رنّق الطائر : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر .
(٤) اغدودق المطر : كثر قطره ، وعين الماء : غزرت وعذبت : وماء مغدودق : كثير .
(٥) اقتبل الرجل : صار عاقلاً وكيساً بعد أن كان أحمقاً .
(٦) ج ق - عداوته . كف من غربه : من حدته . العادية : الظلم والشر ، وكذلك الحدة والغضب .
(٧) بثّه ما في نفسه : كاشفه به ، وباثّه السر : أظهره له ، ويقال : « وكانت بيننا مباثة ومنافثة » .
(٨) ج ق - فات .
(٩) ج ق - تعالى .

واجلس ، فقلت : أُضيِّقُ عليك ، فقالَ : مَهْ فإنَّ الدنيا بأسرها لا تسعُ مُتَبَاغضَيْن ، وإنَّ شِبْراً في شِبْر يَسَعُ مُتَحابَّيْن !.

بين الناصح والشانئ

قال بعضُ السلف : ضربةُ الناصح خيرٌ لك من تحيَّة الشانئ[1] ، ولا فضل للمرائي [بالود] على مُظهر الشَّنآن .

تعليق الشاشي

قال أبو جعفر الشَّاشي[2] : قد أصاب في الكلمة الأولى ، فأما في الكلمة الثانية فهو مقصّر ، لأن الْمُرائي له ظاهر يُحمد وإن كان له باطنٌ يُذمُّ ، وليس كذلك الشنآن ، فإنه ليس له باطن يُحمد ، ولا ظاهر يُقبل ، فقد بانَ فضلُ المرائي بالود على صاحبه . والْمُرائي قد يبلغ لك كثيراً من محابك ، والرياءُ ستر سابغ ، وليس بينه وبين الإخلاص إلاَّ عقدُ نيَّة ، وضمير نَفْس ، وصدقُ غَيْب ، وصلاحُ سرّ .

الأشرار والأخيار

وسمعتُ ابن شاهين يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « استعيذوا بالله من شِرار الناس ، وكونوا من خيارهم على حذر » .

شاعر :

عطارديون

ثلاثةٌ أصفيتُهم إخائي كأنَّهُمُ كواكبُ الجوزاء
عُطارديون يرون رأيي كأنما أهواؤهم أهوائي

آخر :

خلاّن عجيبان

خِلاّنِ لي أمرُهما عجيب كلٌّ لكلٌّ منهما حبيبُ

(١) شنأ الرجل : أبغضه مع عداوته وسوء خلق فهو شانئ وشنآن .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي القفَّال بن إسماعيل الشاشي أستاذ أبي حيان التوحيدي درس عليه الفقه الشافعي ، وأبو بكر أول من صنَّف الجدل الحسن من الفقهاء ، وكان « فقيهاً محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً » توفي سنة ٣٦٥ هـ .

مـا لي في نجـواهمـا نصيبُ كأنني بينهما رقيبُ

وقال الأول :

العيب والملق

قد ألبسُ المرءَ فيـه العيبُ أعرفُـه ولا أُحبُّ إخـاء الكاذب الْمَلِقِ

حيناً وأطويـه أستبقي ملولتَـهُ طيَّ الرِّداء على أثنـائـه الخرقِ

[١٣آ] آخر : /

ذو اللونين

لحى الله من لا ينفعُ الودُّ عنده وَمَنْ حَبْلُـه إنْ مُـدَّ غيرُ متينِ

ومن هو إنْ تُحدثْ له العينُ نظرةً تقضَّتْ بهـا أسبـابُ كلِّ قرينِ

ومن هو ذُو لـونَيْن ليس بـدائمٍ على خُلُـقٍ، خـوَّانُ كلّ أمينِ

آخر :

معاشرة وحذر

عـاشرِ النـاسَ بـالجميـلِ وسـدِّدْ وقـارِبْ

واحترسْ من أذى الكرام وجُـدْ بـالمـواهبْ

لا يسـودُ الجميـع من لم يقم بـالنـوائبْ

ويحـوطُ الأدْنى ويرْ عَى ذِمـامَ الأقـاربْ

فهمٌ ذو فِطـانـةٍ عـالِمٌ ذو تجـاربْ

لا تـواصـلْ إلاّ الشريفَ الكريمَ الضرائبْ[1]

واجتنبْ وَصْـلَ كلِّ وغْـدٍ دنئِ الْمَكاسبْ

نَيْرَبٌ لا يـزال يُـو قِـدُ نـارَ الْحُبَـاحبْ[2]

---

(١) الضرائب : مفردها ضريبة وهي الطبيعة والسجيّة ، يقـال : « هـذه ضريبتـه التي ضُرب عليها » أي طبع .

(٢) النيرب : الشر والنميـة . ورجـل نيرب وذو نيرب : شرير ، ونيرب الرجـل : سعى ونمَّ ، ونيرب الكلام : زوَّره وزيَّنه ، يقال : هو ينيرب القول أي يخلطه .

لا تبــــعْ عِرْضَـــــــكَ المصـــــونَ بعرضِ المكالبْ
أنـــــــــا للشرِّ كارهٌ ولـــــــهُ غيرُ هـــــائبْ

آخر :

بلاء غريب

بــلاءٌ ليس يُشْبهـــــهُ بـــلاءُ عـــداوةُ غيرِ ذي حسبٍ ودينِ
يُبيحـك منـه عِرضـاً لم يَصُنْـهُ ويرتَعُ منـك في عِرْضٍ مَصُـونِ

خيانة الأصدقاء

والذين ضجّوا من إخوانهم الذين وثقوا بهم فخانُوهم ، وبكوا بـالـدموع الغـــزيرة على مـــا فــاتهم منهم ، وســـاءت ظُنـــونُهم بغيرهم ، فكثير بثير[1] لا يُحصيهم إلاّ الله تعالى . هذا فرار بن سيَّار روى له ابنُ الأعرابي قوله :

جزى الله عني مُرَّة اليوم مـا جَـزَى شِرارَ المـوالي حيث يَجْـزي المـواليـا
إذا مـــا رأى من عَنْ يميني أكلُبـــاً عَوَيْنَ عوَى مُسْتجلبـاً عن شِمَـاليَـا
ويســألني أن كيف حــاليَ بعـده على كلِّ شيءٍ سَـاءَه الـدهرُ حـاليـا
فحـــالي أني قـــد حَلَلْتُ ببلـــدةٍ أُصبتُ بهـــا داراً لأهلي ومـــاليـــا
وحـالي أني سوف أُهـدي لـه الْخنَـا وأمشي له المشيَ الذي قـد مَشَى ليَـا

وهذا الأسود بن يَعْفُرَ[2] يقول :

= الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج وربما جعلوا الحباحب اسماً لما يُرى في ذنبه كأنه نار ، قال الكسعي :

مابـالُ سَهْمي يُوقِـدُ الحبـاحبـا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

وقيل اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافـة الضيفـان فضربوا بها المثل حتى قالوا « نار الحباحب » لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا يُنتفع بـه ، وربمـا قـالوا « نار أبي حباحب » .

(١) البثير : الكثير يقال : « كثير بثير » على الاتباع .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلي ، أحد العشي ، وهـو أعشى بني نهشـل ، يكنى أبـا الجراح ، شاعر جاهلي مقدم فصيح فحل ، كان ينادم النعمان بن المنذر وله في ذلك أشعـار ، وقـد اشتهر الأسود بقصيدته الدالية التي مطلعها : =

عداوة ومعاكسة

إنَّ امرءاً مـــولاهُ أدنى دارهِ ... فيما ألَمَّ وشرُّه لــك بـــادِ
إن قلت خيراً قـــال شرّاً غيرَه ... أو قلت شرّاً مـــدّه بَمـــدادِ
فلئن أقمتَ لأظعَنَنَّ لبلـــدةٍ ... ولئن ظعنتَ لأُرْسِينْ أوتـــادي
كان التفرُّق بيننـــا عن ميزةٍ ... فاذهب إليك فقد شفيت فؤادي

آخر :

إخفاء وإذاعة وكذب

إن يعلموا الخير يُخْفُوه وإن علموا ... شرّاً أذاعوا، وإن لم يعلموا كَـذَبوا

آخر[1] :

أخلاق الناس

إنْ يسمعوا رِيْبَةً طاروا بها فَرَحاً ... مني، وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا

فهذا باب طويل لا طمعَ في بلوغ آخره .

وقال آخر :

نفس مثالية شريفة

مـا وَدَّني أحــدٌ إلاَّ بــذلتُ لــه ... صفــوَ المــودَّة مني آخرَ الأبــد
ولا قَـلاَني، وإن كنت المحبَّ لـه ... إلاَّ دعوتُ لـه الرحمنَ بـالرشَـدِ
ولا ائْتُمِنْتُ على سرٍّ فَبُحْتُ بـهِ ... ولا مَدَدْتُ إلى غير الجميل يَدي

=

نـام الخليُّ ومـا أحسُ رُقـادي ... والهمُّ مُحْتَضِرٌ لـدَيَّ وسـادي

والتي عدها صاحب الأغاني من (مختار أشعار العرب وحكمها) . توفي الأسود نحو ٢٢ ق.هـ . راجع أخباره في الأغاني ١٣/١٥ـ٢٨ .

(١) البيت لقَعْنَب بن أمّ صاحب ، وتفصيل الخبر أن الحجاج لحن يوماً ، فقال النـاس : لحن الأمير ، فأخبره بعض من حضر فتمثل بالأبيات الثلاثة وهي :

صُمٌّ إذا سمعـوا خيراً ذُكرتُ بـه ... وإن ذُكرتُ بسُوءٍ عندهم أذِنُوا
فَطَـانَـةٌ فطنـوها لـوتكـون لهم ... مروءة أو تقىً لله مـا فَطَنُـوا
إنْ يسمعوا سيئاً طاروا به فرحـاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

أذنوا : استمعوا .

ولا أقولُ نعم يوماً فأتْبِعُها   منعاً ولو ذَهَبتْ بالمال والولدِ
ولا أخونُ خليلي في حَليلته   حتى أغيَّبَ في الأكفان واللحدِ

آخر :

الأرواح أجناد

لله في الأرض أجنادٌ مجنَّدةٌ   أرواحُها بيننا بالصدق تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ   وما تناكَرَ منها فهو مُخْتَلِفُ

وقال إبراهيم بن العباس الصُّولي الكاتب :

إخاء محمد

من يشتري مني إخاءَ محمَّدٍ   بل من يريدُ إخاءَه مَجَّانا
بل من يُخَلِّصُ من إخاء محمدٍ   وله رضاه كائناً من كانا[1] ؟

آخر :

سؤال عن دوام العهد

قل لمن شَطَّ المزارُ بهِ   ليتَ شِعْري عنك ما خبَرُكْ
أعلى حفظٍ لحرمتنا   أم عَفَا من ودّنا أثَرُكْ

كتاب الحرّاني

وكتب الحرّاني[2] إلى صديقٍ له :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن كان ذهولُك عني لدنيا أخضلتْ عليك سماؤها ، وأربَّت[3] بك

(١) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : وله مناه .

(٢) ورد ذكره في المقابسات ص ١٣٢ ، والإمتاع ٣٨/١ ، وهناك ثلاثة عرفوا بالحرّاني : ثابت بن قرّة المتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، وسنان بن ثابت المتوفى سنة ٣٣١ هـ ، وإبراهيم بن سنان المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، وجميعهم اشتغلوا بالفلسفة وعاصروا التوحيدي . ولعلَّ المقصود هنا هو إبراهيم بن سنان لأن التوحيدي وصفه بأنه « شام شيئاً من الحكمة وعرف ذروأ من حديث الأوائل » ، وقد ألّف إبراهيم كتاباً عنوانه (زبدة الحكم) في الحكمة !

(٣) الربب : الماء الكثير والماء العذب .

دِيَمُها[1] ، فإنَّ أكثر ما يجري في الظنِّ بك ، بل في اليقين منك ، أملكُ ما يكون لغنانا أن يجمحَ بك ، ولنفسك أن تستعليَ عليك ، إذا لانت لك أكنافُها ، وانقادَ في كفك زمامُها ، لأنك لم تنلْ ما نلته خَطْفاً وخَلْساً ، ولا عن مقدارٍ أزحَفَ إليك غيرَ حقك ، ومال إليك سوى نصيبك ، فإن ذهبت إلى أن حقك قد يحتملُ في قوته وسَعته أن يُضاف إليه الْجَفْوةُ والنَّبوةُ ، فيتضاءل في جنبه ويصغُر عن كبيره ، فغيرُ مدفوعٍ عن ذلك ، وايمُ الله لولا ما مُنيت به النفسُ من الضنِّ بك ، وأن مكانك منها لا يسدُّه غيرُك لتنحيتُ عنك ، وذهلتُ عن إقبالك وإدبارك ، ولكان في جفائك[2] ما يكسر من غَرْبها ، ويبرّد من غليلها ، ولكنه كما تكاملت النعمةُ لك ، تكاملت الرغبةُ فيك .

بشَّار :

الجليس الثقيل

ربَّما يثقـلُ الجليسُ وإن كا	نَ خفيفاً في كِفَّة الميزانِ

سمعتُ أحمد بن محمد الكاتب يحكي : قال العتَّابي : لا أُحبُّ رجلاً نَقَل إليَّ ما كرهتُ عن صديقي فغيَّرني له ، ولا عن عدوٍّ فحملني على طلب الانتصار منه ، ومع ذلك فلم يستحي بأن واجهني بما ساءَني سماعُه . أما قوله :

بكاء وفراق

قد كنتُ أبكي على ما فاتَ من سَلَفي	وأهلُ ودّي جميعاً غيرُ أشتاتِ
فاليومَ إذ فرَّقتْ بيني وبينهمُ	نَوىً : بكيتُ على أهل المودَّاتِ

[١٣ ب]

فليس / ما نحن فيه بسبيل ، لأن الكلامَ في الصداقة على كرمِ العهد ،

(١) الديم مفردها ديمة وهي للمطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، وتجمع أيضاً على ديوم .

(٢) ج ق ـ خفائك .

الكلام عن الصداقة

وبذلِ المال ، وتقديمِ الوفاء ، وحفظِ الذِّمام ، وإخلاصِ المودَّة ، ورعاية الغيب ، وتوقُّرِ الشهادة ، ورفضِ الموجدة ، وكظْمِ الغيظ ، واستعمالِ الحلم ، ومجانبة الخلافِ ، واحتمالِ الكَلّ[١] ، وبذل المعونة ، وحملِ المؤُونة ، وطلاقةِ الوجه ، ولُطف اللسان ، وحسن الاستنابة[٢] والثباتِ على الثِّقة ، والصبرِ على الضَّرّاء[٣] ، والمشاركة في البأساء[٤] ، والعلاقةُ ، وإن كانت تستعير من هذه الأبواب شيئاً فليس ذلك لأنه من عتادها وأساسها ، ولا ما لا يتمُّ إلاّ به ، ولكن من أجل التحسُّن والتزيُّن ، وهذا الذي قاله هذا الشيخُ كلامٌ قَصْدٌ[٥] ، قريبٌ ، سليمٌ ، مقبولٌ ، ولسنا نتعقبُه بنقص ، ولا نقدح فيه باعتراض ، لأن العاشقَ والمعشوقَ ليسا من الصديق والصديق ، وإن كانوا يتشابهون ببعض الأخلاق ، ويتلاقون في بعض الأحوال ، فليكن هذا الرسمُ كافياً محفوظاً ، فإن المغالطة قد تقع في هذا كثيراً ، والإنصاف يقوم عليه دائماً .

وصية ثمينة

قال القرباني محمد بن يوسف : قلت للثَّوْري[٦] : إني أريد الشام فأوصني قال : إن قدرت أن تُنكِرَ كلَّ مَنْ تعرف فافعلْ ، وإن استطعتَ أن تستفيدَ مائةَ أخ ، حتى إذا خلصوا لك تُسقط منهم تسعةً وتسعين ، وتكون في الواحد شاكّاً فافعل .

---

(١) الكلّ : الثقل ويطلق على الواحد وغيره ، وبعض العرب يجمع المذكر والمؤنث على كلول .

(٢) ج ق م : الاستنامة . استنابه استنابةً : طلبه نائباً له .

(٣) الضَّراء : الزمانة والشدة والنقص في الأموال والأنفس ، وهي نقيض السَّرّاء .

(٤) البأساء : الشدة والمشقَّة .

(٥) قصد : مستقيم .

(٦) هو عبد الله بن محمد بن هارون أبو محمد ، قرأ على الأصمعي وروى عن أبي عبيدة وغيره ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي عمر الجرمي وأخذ عن الأصمعي حتى كان ينسب إليه ، وتوفي وله كتب كثيرة . الفهرست ص ٨٥ .

تعليق التوحيدي

قد شدد[1] هذا الشيخ كما ترى ، ولستُ أرى هذا المذهب مُحيطاً بالحق ، ولا مُعَلَّقاً بالصواب ، ولا داخلاً في الإنصاف ، فإن الإنسان لا يُمكنه أن يعيش وحده ، ولا يستوي له أن يأوي إلى المقابر ، ولا بدّ له من أسبابٍ بها يحيَ ، وبأعمالها يعيش ، فبالضرورة ما يلزمه أن يعاشر الناس ، ثم بالضرورة ما يصير له بهذه المعايشة[2] ، بعضهم صديقاً ، وبعضهم عدواً ، وبعضهم منافقاً ، وبعضهم نافعاً ، وبعضهم ضارّاً ، ثم بالضرورة يجب عليه أن يقابل كل واحد منهم بما يكون له [مردٌّ] من دين ، أو عقل ، أو فتوّة ، أو نَجْدة ، ويستفيد [هو] من ذلك كلّه ما يكون خاصّاً به ، وعائداً بحسن العُقْبى عليه ، إمّا في العاجل ، وإما في الآجل ، ولعزّة الحال في وجدان الصديق ، وتعذّر السلامة على القريب والبعيد ، قال القائل :

كُنْ لثَغْر البيت حِلْساً[3] وارضَ بالوحدة أُنْسَا
واغرسِ الناسَ بأرض الزُّهدِ ما عَمَّرتَ غَرْسَا
وليكُنْ يأسُك دون الطمع الكاذب تُرْسَا
لستَ بالواحد حرّاً أو تردَّ اليومَ أَمْسَا
ما وجدنا أحداً ساوى على الخِبْرة فَلْسَا[4]

شرط الوجود .

قال علي بن عُبَيْدة[5] : إنه لا دواءَ لمن لا حياءَ له ، ولا حياءَ لمن لا وفاء له ، ولا وفاءَ لمن لا إخاء له ، ولا إخاءَ لمن يريد أن يجمع هوى

---

(١) ج ق ـ تشدد .
(٢) ج ق ـ المعاشرة .
(٣) الحِلْس والْحَلَس : الملازم ، يقال : فلان حلس بيته : أي ملازمه لا يبرحه .
(٤) الخبرة (بضم الخاء وكسرها) : العلم بالشيء .
(٥) هو علي بن عبيدة الريحاني أحد البلغاء والفصحاء ، كان له اختصاص بالخليفة المأمون ويسلك في تصنيفاته وتأليفاته مسلك الحكمة ، واتُّهم بالزندقة وله مع المأمون أخبار ، ذكر له صاحب الفهرست أكثر من سبعين كتاباً . توفي ابن عبيدة سنة ٢١٨ هـ .

أخلائه له حتى يُحبّوا ما أحبَّ ، ويكرهوا مـا كرهَ ، وحتى لا يرى منهم زَلَلاً ولا خَلَلاً .

نعلان للذكرى

بعث النَّضْر بن الحارث إلى صديق له بعبّـادان[١] نعلين[٢] مخصوفتين[٣] وكتب إليه : إني بعثتُ بهما إليك ، وأنـا أعلمُ أنـك عنهما غني ، لكني أحببتُ أن تعلم أنك مني على بالٍ والسلام .

فأجابه : مـا أنـا بغني عن برّكَ الـذي يحثُّني على شكرك ، ويخرطني في سِلْكك ، ويزيدني بصيرةً بزيادة الله عندك ومحبتك لأن أعلم أني منـك على بال لأن يقيني بذلك راسخ ، وحمدي عليه غادٍ ورائح ، لا عدمتُـك لي أخـاً بارّاً ، ولا عدمتَني لك قائلاً سارّاً .

وقال الشاعر[٤] :

الحث على الإكثار من الأصدقاء

تكثّر من الإخوان ما استطعتَ إنهم ... كنوزٌ إذا مـا استُنْجِـدُوا وظهـورُ[٥]

ومـا بكثيرٍ ألفُ خِـلٍّ وصـاحبٍ ... وإن عُـدَّ منهم واحـدٌ لكثيرُ[٦]

لو تكاشفتم

وقيل : لو تكاشفتُم ما تدافنتُم .

قلة الخلاف

قال أبو غسـان غنـاة بن كليب : اجتمعت أنـا ومحمـد بن النَّضْر الحـارثي وعبد الله بن المبارك ، والفضيل ورجل آخر فصنعت لهم طعامـاً فلم يخـالف

---

(١) عبّادان : مـدينـة جنوبي البصرة على الضّفـة الشّرقيـة للنهر ، وهي اليوم مركـز تكرير النفط الإيراني ومرفأ تصديره .

(٢) ج ق ـ بنعلين .

(٣) خصف النعل : أطبق عليها مثلها وخرزها بالمِخْصَف وهو مخرز الإسكاف .

(٤) البيتان منسوبان في محاضرات الأدباء للأصبهاني ٢/٢ إلى محمود الورّاق .

(٥) رواية المحاضرات : عماد إذا استنجدتهم .

(٦) ج ق ـ وإن عدوا واحداً لكثير .

محمد بن النَّضْر علينا في شيء ، فقال له ابن المبارك : ما أقلَّ خِلافَكَ فأنشد :

وإذا صاحبتَ فاصحبْ ماجداً ذا حياءٍ وعفافٍ وكَرَمْ
قولُه للشيء لا إن قلت : لا وإذا قلتَ : نعم قال : نَعَمْ

وأنشد أبو حاتم :

إلف الهموم

لَعَمْري لقد ألِفَتْني الهمومُ كما يألفُ الصاحبُ الصَّاحبا
فأما السرورُ فمثلُ العدوِّ إذا ما رآني نأى جانبا

أمتع الأشياء

قيل لعبد الله بن أبي بكرة : أيُّ شيء أمتع ؟ قال : ممازحةُ مُحبٍّ ، ومحادثةُ صديق ، وأمانيُّ تقطع بها أيامَك .

[١٤آ]

وقال الشاعر : /

الناس سباع

الناسُ أشباهُ السباعِ فانْشمرْ فمنهمُ الذئبُ ومنهمُ النَّمِرْ
والضَّبُعُ العَثْواءُ والليثُ المُبَرّْ[1]

آخر :

البدء بالعطاء

أخٌ لي يُعطيني إذا ما سألتُهُ ولو لم أعرّضْ بالسؤال ابتدانيا

آخر :

صداقة العدو

ومن نَكَدِ الدُّنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بُدٌّ[2]

(١) العثواء : من العثوة وهي اللمَّة الطويلة ، والعثواء : الضبع قيل لها ذلك لكثرة شعرها . المبرّ : بربر المعز : صوّت والقوم أكثروا الكلام في غضب وصاحوا ، والبربار : الأسد ، والمبربر : الأسد أيضاً .

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :

أقلُّ فَعالي بَلْهَ أكثَرَه مجدُ وذا الجدُّ فيه نلت أم لم أنل جدُ

آخر :

إذا أنتَ عاتبت الخليلَ فلم يكن	بودّك لم يُعْتِبْكَ حين تعاتبُهْ	معاتبة الخليل

العتاب مذلّة

سمعتُ ابن كعبٍ يقول : العتاب مَذَلَّة ، وقلَّ من بدأ به متظاهراً إلاَّ وثَابَ عنه خاسراً ، وربما أُورثَ ما هو أضرّ مما عُتب عليه ، ومن نكَدَه أنه يُضطرّ إليه ، وله وِرْدٌ حلوٌ ، وصَدْرٌ مرٌّ[1] ، ومأخذٌ سهلٌ ، ومَتْرَكٌ صعبٌ ، على أن المودَّة كلما كانت أخلص ، كانت أعراضُها الْمُفسِدة[2] أكثرَ ، وقد قال الأول :

وما أنا في عَتْبي بأول ذي هوىً	رأى بعضَ ما لا يشتهي فتعتَّبا

ولقد أحسن الآخر في قوله[3] :

الحفاظ على الصديق

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً	صديقَك لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّه	مقارفُ ذنبٍ مرّةً ومجانبُهْ[4]

آخر :

وليسَ بِمُغْنٍ في المودَّة شافعٌ	إذا لم يكن بين الضُّلوع شَفيعُ

آخر[5] :

خيانة ومداهنة

رأيتُك تَفْرى للصديق نوافذاً	عدوُّكَ من أوصابها الدهرَ آمِنُ
وتكشفُ أسرارَ الأخلاء مازحاً	ويا ربَّ مَزْحٍ عادَ وهو ضَغَائنُ

---

(١) ورد الماء : صار إليه ، وصدر عن المكان أو الماء : رجع عنه .

(٢) ج ق ـ للمفسدة .

(٣) البيتان لبشار بن برد من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق .

(٤) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٥) الأبيات منسوبة في محاضرات الأدباء ١١/٢ إلى السري الكندي .

سأحفظُ ما بيني وبينَك صائنـاً عهودَك ، إن الحرَّ للعهدِ صائنُ
فألقاكَ بـالبِشْر الجميل مُـداهِنـاً فلي منك خِلٌّ، ما علمتَ، مُداهِنُ
أنمٌّ بمـا استودعتَـهُ من زجـاجـةٍ ترى الشيءَ فيها ظاهراً وهو باطنُ

آخر :

هجوم وجحود

عَـذيري من صـديـقٍ لا يبـالي أأُعــذَرُ في الحــوادث أم أُلامــا
سَرَتْ نحــوي نــوائبُــه فُرادَى فلم أحفِـلْ بهـا فَسَرتْ تُـؤامــا
وأظمأني فلمــــا رمتُ سَقْيـــاً سَقــاني غيرَ مُكْترثٍ سِمَــامــا

آخر :

إطفاء الجوى

لا تُطفئنَّ جـوىً بعتبٍ إنَّـــهُ كالريح تُغْري النارَ بـالإحراقِ

آخر :

عدم الانسجام

ولا خيرَ في ودّ امرئٍ مُتكارِهٍ عليك، ولا في صاحبٍ لا توافقُهْ

آخر :

الودُّ الحقيقي

ألا أن خيرَ الـودَّ ودٌّ تطـوَّعتْ بـه النفسُ، لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

آخر :

واحدة بواحدة

إني إذا مـا الخليـلُ أحـدثَ لي صَرْمـاً ومـلَّ الإخـاءَ أو قَطَعَـا
لا أحْتَسي مــاءَهُ على رَنَـقٍ[1] ولا يَراني لِبَيْنِـــه جَـزِعَـــا

تعليق ابن كعب

سمع هـذا ابن كعب فقـال : ظلم ، لم لا أحتسي مـاءَه على رَنَـقٍ ، ولِمَ لا أجزع لبينه ، وَلِمَ لا أستصلحُه ، وأتلطَّفُ له ، ولِمَ أحرج عنه إذا أحـدث

(١) م - لنفيه . ورنق الماء رَنْقاً ورنُوقاً ورنِقَ : كدر ، ورنَّق الماء : كدّره .

لي صرماً ؟ ولعلَّ صرمَهُ عارض ، وملَلَهُ عن غير عقيدةٍ ، وقطْعَهُ غَلَط ، كأنَّ الصديقَ مكسوبٌ بسهولة ، وموجود متى طُلِبَ ، وهَيْهات !

صديق مثالي

قال المأمون لعبد الله بن طاهر[1] :

أخي أنت ومـــولاي	وَمَنْ أشكرُ نُعْمَـــاهُ
ومـــا أحببتَ من أمرٍ	فـــإني الـــدهرَ أهْـــواهُ
ومـــا تكرهُ من شيءٍ	فـــإني لستُ أرضـــاهُ
لـــكَ اللهُ على ذاكَ	لَـــكَ اللهُ لَـــكَ اللهُ

وقال آخر :

صداقة ناصعة

ومولىً كأنَّ الشمسَ بيني وبينـه	إذا ما التقينا لستُ مِمَّن أُعاتبُهْ

آخر :

ظاهر وباطن

أُكاشرهُ وأعلمُ أن كُـــلاًّ	على ما ساءَ صاحبَه حَريصُ

وقال آخر :

الرفيق أخ

أكرِمْ رفيقَك واعلَم حين تصحبُهُ	أنَّ الرفيـقَ أخٌ ما ضمَّـه السَّفرُ

آخر :

بين الصدق والكذب

الصدقُ أفضلُ ما حصرت بـه	ولربَّما نفـعَ الفتى كَـذِبُـــهْ
ومن البـلاء أخٌ جنـايتُـه	عِلْـقٌ بنـا ، ولغيرنـا نَشَبُـــهْ

(1) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين (١٨٢ هـ ـ ٢٣٠ هـ) ، أشهر الولاة العباسيين ، ولاَّه المأمون خراسان . قال عنه ابن الأثير : « كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم وتجربة ، وللشعراء فيه مراث كثيرة » ، وقال الذهبي : « كان عبد الله من كبار الملوك » ، وقال الشابشتي في الديارات : « كان المأمون تبنّاه وربّاه » .

وقال عروة بن الورد[1] :

لوم اللائم

فَدَعْ مـا لُمْتَ صـاحِبَـه عليـه   فشَيْنٌ أن يلـومَـك مَنْ تَلـومُ

كتب المعتصم إلى ابن طاهر عبد الله[2] :

من المعتصم إلى قائده

إيَّاكَ أن تُريني وجهك ، فإني لستُ آمنُ نفسي عليك ، ولـك من قلبي مكانٌ ، ما أوثر أن يؤثّر فيه ما يُحيله عن صورتـه ، ولأن تكونَ بعيـداً وأنـا لك ، خيرٌ من أن تكونَ قريباً وأنا عليـك ، ولأن لا تراني وأنـا واثق بـك ، أنفعُ لـك من أن أراكَ وأنـا ظنينٌ فيـك ، وإذا صـدقتُـك عمّـا حَنَيْتُ عليـه ضُلوعي من أمرك ، فقد قضيتُ حقَّك في كفايتـك ، واستـدمتُ بـه صفـاءَ ضميرك ، ولـو قرأت لي ألف كتـاب بـالـورود ، فـلا تعمـل عليـه ، ولا يرخصنَّ عندك هذا القول فـإنَّ تحتـه وجـداً بـك ، واستنـامـةً إليـك ، وابتهاجاً بمكانك ، [وازدياناً بخبرك وعِيانك] ، واكتم هذه الحروف عن كل عين رائية[3] ، ولا تـدلَّ على شيء منـه مصرِّحـاً ، ولا معرِّضـاً ، والزم فِنـاءَ عِزّك ، واستنشِقْ نسيمَ شوقي إليـك ، وتطعَّم حلاوةَ ثقتي بـك ، وشِمْ بـارقـة عَتْب إذا هَمَعَ نقع[4] ، وإذا أمسكَ أهلكَ ، وإذا دَرَّ برَّ ، وإذا أقلع أجْزعَ .

---

(١) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي من غطفان من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادهـا ، كان يلقب بعروة الصعـاليـك لجمعه إيـاهم وقيـامـه بـأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم . قـال عبد الملك بن مروان : « من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد » .

(٢) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي أحد ولاة العباسيين ، ولي خراسـان بعد أبيه عبد الله بن طاهر واستمر ثماني عشرة سنة ، وتوفي فيها سنة ٢٤٨ هـ .

(٣) ج ق - رابية .

(٤) همعت عينه هَمْعاً وهَمَعاً وهُمُوعاً وهَمَعَاناً وتهاعاً : أسالت الدمع ، ويقـال : همعت العين بالدمع وكذا انطلّ على الشجرة إذا سال ، والهِمع : السحـاب المـاطر . ج ق - نفع - نقع الماء في بطن الوادي : اجتمع فيه وطال مكثه ، ونقع الماء العطش نَقْعـاً ونقوعـاً : سكَّنـه وقطعه .

كتب أبو بكر لرجلٍ كتاباً في شيءٍ جعله قطيعةً لـه فحملـه الرجل إلى عمر بن الخطّاب ليمضيه ، فلما نظر عمر فيه / بزق عليه ومحاه ، فعاد الرجل مستعراً إلى أبي بكر فقال : فعل عمر كذا وكذا ، والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر ، فقال أبو بكر : هو ، إلاَّ أنه أنا !

عظمة الراشدين

[١٤ ب]

وكان الزُّهري يرويه : إلاَّ أنـه أبى ، وعلى الوجهَيْن المرادُ صحيح ، والمرمى عالٍ ، والغايةُ بعيدة .

قيل لأعرابي : أبالصديق أنت آنسُ أم بالعشيق ؟ فقال : يا هذا الصديق لكل شيء ، للجِدّ والهَزْل ، وللقليل والكثير ، ولا عاذل عليه ، ولا قادحَ فيه ، وهو روضةُ العقل ، وغَديرُ الروح .

الصديق أم العشيق

فأما العشيق فإنما هو للعين ، وبعضُ الريبة ، والعذلُ إليه من أجله سَريع ، وفي الوَلُوع به إفراطٌ مَزْجورٌ عنه ، وحدٌّ موقوفٌ دونه ، فأينَ هذا من ذاك ؟

نهار بن توسعة :

عتبتُ على سَلْمٍ فلما فَقَدْتُهُ وجرَّبْتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ

عتاب وندم

آخر :

ونعتبُ أحياناً عليه ولو مَضَى لكنَّا على الباقي من الناس أعْتَبَا

قال أعرابي : نصفُ عقلك مع أخيك فالقَهُ واستَشِرْهُ .

نصف العقل

شاعر :

واحفظْ صديقَ أبيك حين وجدتَهُ واحْبُ الكرامةَ مَنْ بَدَا فَحَباكَهَا[1]

نصيحة

=

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي الديوان ص ١٩٨ .

آخر :

عداوة وقرابة

قَبَح الإلَـهُ عـداوةً لا تُتَّقى ... وقرابـةً يُـدلَى بهـا لا تنفـعُ

آخر :

رزء الخلان

فتىً لا يرزأ الخـلاَّنَ إلاّ ... مـودَّتهم ويرزأه الْخَليـلُ[1]

آخر :

تغير الصديق

وكلُّ إمـارةٍ عمَّـا قليـلٍ ... مغيّرةُ الصديقِ على الصديقِ

المؤمن مألفة

وقال النَّبي ﷺ : « المؤمن مألفة » .

تفسير السيرافي

قال أبو سعيد السيرافي : معناه أنه يُؤْلف ولا يجوز[2] أن يُؤْلف حتى يَألَف[3] ، فذكر المثال الذي يقع الفعل فيه ومنه .

إلف الناس

وقال بعض السَّلَف : خيرُ النَّاس إلفُ الناسِ للناس .

وقال الشاعر :

الإقلال من الزيارة

أقِلَّ زيارتـك الصـديـقَ تكنْ كثـوبٍ تستجـدّهْ

إنَّ الصَّـديـقَ يَغُمُّـهُ[4] ... أن لا يـزالَ يراكَ عنـدَهْ

زرْ غِبّاً

وقال أبو هُريرة : لقد دارتْ كلمة العرب : زُرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً[5] إلى أن سمعتُ من الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ولقد قالها لي .

= رواية الديوان : أكرم صديق أبيك حيث لقيته . الحباء : العطية .

(١) رزأه ماله رُزْأً : نقصه منه ، والرزيئة : الإصابة بالانتقاص وهي أيضاً المصيبة .

(٢) ج ق - ولا يخون .

(٣) ج ق - يؤنف .

(٤) في رواية : يُملُّه .

(٥) غبَّ يغَبُّ غِبّاً : جاءه زائراً بعد أيام ، غبَّ عنه : أتاه يوماً وتركه آخر .

تعليق العسجدي

قال العَسْجَدي : ليست هذه الكلمة محمولةً على العام ، ولكن لها مواضع يجب أن تُقال فيها ، لأن الزائر يستحقُّها ، ألا يرى أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه لا يقول ذلك لأبي بكر ، ولا لعليّ بن أبي طالب وأشباههما ، فأمَّا أبو هُريرة فأهلٌ لذاك لبعض الهَنَّات التي يلزمه أن يكون مجانباً لها ، وحائداً عنها وقد قال الشاعر :

إقلال الزيارة

إذا شئتَ أن تُقْلى فَزُرْ متواتراً[1] وإن شئتَ أن تَزْدادَ حبّاً فَزُرْ غِبّا

آخر[2] :

عين الرضا

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كَليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخط تُبدي المساويا

آخر :

زُرْ قليلاً لِمَنْ يودُّك غِبّاً فدوامُ الوصالِ داعي الْمَلال

للعتَّابي[3] :

واحدة بواحدة

ولقد أقولُ تصبُّراً وتكرُّماً لما تجرَّمُ وُدّك الأيامُ

إن تجفُني فلطالما قرَّبتَني هذا بذاكَ وما عليك مَلامُ

---

(١) في رواية متتابعاً .

(٢) البيت لعبد الله بن معاوية بن جعفر . مجموعة المعاني ص ١٠٦ وقبله :

فلست براءٍ عيب ذي الودّ كلّه ولا بعضَ ما فيه إذا كنت راضيا

(٣) هو أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، كاتب وشاعر سكن بغداد ومدح هارون الرشيد وآخرين واتُّهم بالزندقة ، ثم اتصل بالبرامكة ، ومن بعدهم بطاهر بن الحسين . صنَّف كتباً عديدة منها (فنون الحكم) و (الآداب) و (الخيل) و (الإجواد) و (الألفاظ) . ويقول ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ٢٦٤ : « وأشعار العتَّابي كلها عيون ليس فيها ساقط » . توفي العتَّابي سنة ٢٢٠ هـ .

سعيد بنَ حميد :

بين وصل واجتناب

إذا كثرتْ ذنـوبٌ من خليـلٍ — فَقِفْـهُ بين وَصْـلٍ واجتنـابِ
وأنْظِرْهُ فلـلأيـامِ حكمٌ — بذلـك كلٌّ مـاضي العزم آبِ[1]
وعـاتِبْـهُ فكم أبـدى عِتـابٌ — جليَّـةَ مُشكلٍ بعـد ارتيـابِ
ورجّ النَّفْعَ في الإعراض عنـه — إذا أخفقت من نفـع العتـابِ
وراجِعْـهُ بعفـوك حين يَثْني — عنـانـاً للرجـوعِ أو الإيـابِ
فـإنَّ العفوَ عن ذي الحـزم أولى — إذا قَدَرتْ يـداك على العِتـابِ
فـإنَّـك واجـدٌ للحيِّ ذنبـاً — وتعـدمُ ذنبَ مَنْ تحت الترابِ

آخر :

تغيّر حارث

تغيَّر لي فيمن تغيَّر حـارث — وكم من فتىً قد غيَّرتْـهُ الحوادثُ
أحارثُ إن شُوركتُ فيك فطالما — عَتَبْنا وما بيني وبينك ثالثُ[2]

سعيد بنَ حميد :

وفاء وتساهل

جعلتُ لأهـلِ الـودِّ ألاَّ أُريبَهم[3] — بغدرٍ، وإن مالوا إلى جانب الغَـدْرِ
وإن أجـزي الـودَّ الجميـلَ بمثلـه — وأقبلَ عُـذْراً جـاء من جهـة العُـذْرِ
واحملهم مني على حكم مُنْصفٍ[4] — تعلَّم حـزمَ الرأي من عُقَب الـدهر
وإنْ يَـدْعُني وصـلٌ أُجِبْـهُ ملبيـاً — وإن يدعُني هجرٌ أجبْ داعيَ الهجر

وقال :

مقابلة بالمثل

وكنتُ إذا مـا صـاحبٌ ملَّ صُحبتي — صددتُ، وبعضُ الصَّدِّ في الحبِّ أمْثَلُ

(١) ج ق - نابي .
(٢) ج ق - ندونا .
(٣) ج ق - لاازتهم .
(٤) ج ق - واحمله .

وقلتُ جميلاً حين أصْرِمُ حبلَهُ[1] فإنْ كانَ لَمْ يأتِ التي هي أجْمَلُ

وقال :

شكوى من جفاء

أشكُو إلى الله جَفاءَ امرئٍ ما كان بالجافي ولا بالملولْ
كان وَصُولاً دائماً عهدُه خيرُ الأخلاء الكريمُ الوَصُولْ
ثم ثناهُ الدهرُ عن رأيه فحالَ والدهرُ بقوم يَحُولْ
فإن يَعُدْ اشكرْ له فِعْلَه وإن يُطِلْ هجراً فصبرٌ جميلْ

آخر :

بداية الهجر

أردتُ عتابكم فصفحتُ إني رأيتُ الهجرَ مبدأُه العِتابُ

آخر :

جدوى العيش

مَنْ كان لا يرجى لرفع شانِ ودفع لأْواءٍ عن الإخوانِ[2]
وليس في الدين بمستعانِ فعيشُهُ وموتُه سِيَّانِ

آخر :

[١٥ آ]

اصطلاح الناس

الناسُ مِنْ خادعٍ ومُخْتَدَعٍ وكلُّهم مانعٌ لما حازا
تعاملوا بالخِداع بينهمُ ما جوَّز الناسُ بينهم جازا

آخر :

غدر الإخوان

وصاحبٍ كان لي وكنتُ له أشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ

---

(١) صرم حبل فلان : هجره . وصرم الحبلُ : انقطع .

(٢) اللأْى واللأى واللأْوَاء : الشدة والمحنة . وهو من ألأى إلاءً : وقع في اللأْواء أي الشدة والمحنة .

كُنَّا كساقٍ يَمْشي بها قدمٌ[1] أو كذراعٍ نِيطَتْ إلى عَضُدِ[2]
وكان لي مُؤنساً وكنتُ له ليست بنا وَحْشَةٌ إلى أحَدِ
حتى إذا استرفدتْ يدي يَدَه كنتُ كمسترفدٍ يَدَ الأسدِ[3]

مجاراة القلوب

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فَلْيُعْلِمْهُ حتَّى يحبَّه فإنَّ القلوبَ تتجارى » .

الأرواح جنود

ورُوي أيضاً أنه قال ﷺ : « الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة تتلاقى في الهواء ، فما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكر منها اختلف » .

إخلاص ومودة

وقال رجل لشَبيب بن شَيْبَة[4] : إني لأُخلص لك الثقة ، وأُصفي لك المودَّة ، قال شبيب : أشهد على صدقك وعلى صحة ودّك ، قال : وكيف تشهدُ [على غيبتي] وليس معي[5] من الشاهد إلاَّ قولي ، قال : لأنك لست بجارٍ قريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ نسيب ، ولا مُشَاكلٍ في صناعة فنسترهنَك أسباب المحاسدة .

قال عَديّ بن زَيْد :

ظلم الأقارب

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الْحُسامِ المهنَّدِ

---

(١) في رواية : تسعى بها قدم .
(٢) ناطه ينوطه نوطاً ونياطاً : علَّقه . ورد في عيون الأخبار ٨١/٣ بيتان هما :
حتى إذا دانتِ الحوادث من خَطْوي وحلَّ الزمانُ من عُقَدي
إحْوَلَّ وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي
(٣) م ـ احتاجت يدي ، كمحتاج يد . استرفده : استعانه واستعطاه .
(٤) هو أبو معمر شبيب بن شيبة بن عبد الله التيمي المنقري الأهتمي نديم خلفاء بني أمية ، من أهل البصرة كان يقال له الخطيب لفصاحته ، توفي حوالي سنة ١٧٠ هـ .
(٥) ج ق ـ معك .

رأي أبي سليمان

وقلت لأبي سليمان : لِمَ صار التنافُس والتَّعادي وما أشبههما في ذوي القربى أكثَرَ وأشدَّ ، وهذا كالشيء المتعالم ، وهو غنيٌّ عن البرهان وإعادة القول والبيان ، وليس ذلك كذلك مع الأجانب والأباعد ، فإن كان كالشَّاذ ، كما أن التصافي والتخالص أيضاً في ذوي الرحم كالشّاذ ؟ فقال : إنَّ ذوي القرابة والرحم والنسَب يرى كلٌّ واحدٍ منهم أنه أولى وأحقُّ بحيازة ما لأبيه وعمّه ، وأنَّ غيره في ذاك كالْمُزاحم والدَّخيل والْمُتَدلّي ، فَتَحْفِزُهُ أعراضٌ كثيرة من الحسد والغيرة والتنافس ، على أن يكون هو وحدَهُ حاوياً لتلك المواريث من المال ، والجاه ، والقَدْر ، والمنزلة ، وهذه الأعراض لا تعتري الإنسان في البعيد والنسَب ، والبلد ، واللغة ، والصناعة والْخَلْق . وكان كلامُه أكثَرَ من هذا لكني أوجزتُه[1] ، لأن الرسالة قد طالت ، وأخاف أن تُملَّ عند القراءة ، ويُنْسب واضعها[2] إلى سوء الاختيار .

دعاءان لابن هبيرة

كان من دعاء ابن هُبَيْرة[3] : اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من بوائق[4] الثقات ، ومن الاغترار بظاهر المودَّات .

وقال أيضاً : اللهمَّ إني أعوذُ بك من صديقٍ مُطْرٍ ، وجليسٍ مُغْرٍ ، وعدوّ يَسْرِ[5] .

---

(١) م ـ اوجزته عنه .

(٢) ج ق ـ وضعها .

(٣) هو أبو المثنى عمر بن هبيرة ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين كان من الدهاة الشجعان ، اشترك في غزو الروم وقاتل مع الحجاج أعداء الأمويين ، توفي سنة ١١٠ هـ .

(٤) بوائق : مفردها بائقة وهي الداهية . وفي الحديث الشريف : « لا يدخُل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقه » ، قال قتادة أي ظلمه وغَشْمه ، وقال الكسائي أي غوائله وشرّه .

(٥) م ـ يبر . سرى يسري : سار في الليل .

وقال علي بن ثابت[1] :

تأدية الحق

إذا أدَّيْتُ حقّـاً لم أُطأطئ ... برأسي عند لُقيان الصديقِ
وليس على مؤدّي الحق لومٌ ... ومَا هو للملامةِ بالحقيقِ
وإن ضيَّعتُ حقّاً حُدْتُ عنه ... كأني قد زَنَيْتُ على الطريقِ

آخر :

عصف الدهر

لعمرك ما أبقى ليَ الدهرُ من أخٍ ... حَفيٌّ ولا ذي خِلَّةٍ أُواصِلُهْ
ولا من خليلٍ ليس فيه غوائلٌ ... وشرُّ الأخلاء الكثيرُ غوائلُهْ[2]

النَّمِرُ بن تَوْلَب العُكْلي[3] :

حب معتدل

أَحْبِبْ حَبيبَكَ هَوْناً رُويداً ... إذا أنتَ حاولتَ أن تحكما

آخر :

تصنع مكشوف

إذا المرء لم يُحْبِبْكَ إلاَّ تكرُّهاً ... بَدَا لك من أخلاقه ما يُغالبُهْ[4]

ابن سُحَيْم[5] :

---

(١) هو علي بن ثابت ، كان صديقاً للشاعر أبي العتاهية انظر خبره في الأغاني ١٤٣/٣ .

(٢) الغائلة : الداهية والفساد والشر والمهلكة .

(٣) هو النمر بن تولب ، شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى الرسول ﷺ وكتب له كتاباً وروى له حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي الديوان ص ١٥٨ .

(٥) هو سُحيم عبد بني الحسحاس من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود ذا لُكنة حبشية ، اشتراه بنو الحسحاس (وهم بطن من بني أسد) فنشأ فيهم . رآه النبي ﷺ وكان يعجبه شعره ، وعاش إلى أواخر أيام عثمان بن عفان وقتله بنو الحسحاس سنة ٤٠ هـ لتشبيبه بنسائهم . الوهل : الفزع .

إنمــا مــولاك من تَرْمي بــه   من تُرامي حين يشتَدُّ الوَهَـل   عند الشدائد

وقال الفضل بن العباس[1] [بن عتبة بن أبي لهب] :

لقد عجبتُ وما بالدهر من عجبٍ   يد تشحُّ وأخرى منك تأسوني[2]   بين الشُّح والمواساة

وقال عبد الله بن معاوية[3] [بن جعفر بن أبي طالب] :

لا يـزهـدنَّـك في أخٍ   لــك أن تراهُ زلَّ زلَّــةْ   غفران الزَّلة
مــا من أخٍ لــك لا يعيب ولــو حرصتَ الحرصَ كُلَّــهْ

وله أيضاً :

لا تركبنَّ الصنيــعَ الــذي   تلــومُ أخــاكَ على مثلــهِ   انسجام ومطابقة
ولا يُعجبنــك قــولُ امرئٍ   يخــالفُ مــا قــال في فعلــهِ

شاعر :

وأبيضَ قـد نـادمتُـه فـدعـوتُـهُ   إلى بَـدَواتِ الأمر حلـوٌ شمائلُـهْ   بين الجد والهزل
أخي ثقـةٍ إنْ ابتغِ الجِـدَّ عنـده   أجِدْهُ ويُلهيني إذا شئت باطلُـهْ

---

(١) هـو الفضـل بن العبـاس بن عتبـة اللَّهبي أحـد شعراء بني هـاشم ، وكان ممن وفـد على عبد الملك بن مروان . راجع خبره في الأغاني ١٧٥/١٦ .

(٢) هذا البيت منسوب في حماسة البحتري ٥٩ إلى صالح بن عبـد القـدوس من أبيـات يقول فيها :

قل للذي لست أدري منْ تلونـه   أنـاصح أم على غشٍّ يـداجيني
إني لأكثر ممــا سمتني عجبــاً   يـد تشجُّ وأخرى منـك تـأسوني
تغتــابني عنــد أقوامٍ وتمـدحني   في آخرين وكلٌّ عنــك يــأتيني
هــذان أمران شتّى بـون بينهما   فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طـالب ، كان من فتيـان بني هـاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفـة في آخر أيـام مروان بن محمـد ثم انتقل إلى الجبل ثم خراسان فأخذه أبو مسلم الخراساني فقتله .

آخر :

مضمون الصدر — وجرَّبَ حتّى لـو يشـاء إذا رأى ... أخـا وجْرٍ أنبـاه بما ضَمِنَ الصَّـدْرُ[1]

آخر :

تلبية الدعوة — دعـاني أخي والخيـلُ بيني وبينـه ... فلمـا دعـاني لم يجـدْني بقُعْـدُدِ

أي بضعيف . قال أبو سعيد السيرافي هذا أحد موضعي قعدد[2] .

شاعر :

لا حنين ولا تصدُّع — فمـا أصبُّ إلى إلفٍ أفـارقُـه[3] ... وما تصـدَّعُ أحشـائي من الشَّفَقِ[4]

آخر :

تقادم العهد — إن الْمُحِبَّ إذا تقـادمَ عهـدُه ... نسيَ الحبيبَ وسام صاحبَـه القِلى[5]

العرب تقول : السؤالُ عن الصديق إحدى القرابتين .

آخر :

شكوى من خيانة — بـأيِّ جريرةٍ أشكُـو الـزَّمـانـا ... لأولِ من وثقتُ بـه فَخَـانـا

آخر :

---

(١) الوجر : الكهف في الجبل والجمع أوجار .

(٢) القعدُد والقُعدَد والقعـدود : الجبـان اللئيم القـاعـد عن المكارم ويقـال : رجل قُعـدُودة : جبان .

(٣) ج ق ـ أحن . صبَّ إليه صبابةً : كلف به كقوله : « ولست تَصَبُّ إلى الظاعنين » .

(٤) الشفق : الخوف والحذر ، والشفـق الشفقـة وهي الرحمـة والرأفـة والحنـو والانعطـاف ، وقيل : الشفقة عطف مع خوف .

(٥) قلاه يقليه قلىً : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه فهو « قالٍ وذاك مقليٌّ » .

قطيعة وانتخاب

تجنَّب صديق السوء واصْرِمْ حِبَالَهُ   فإن لم تجدْ منه مَحيصاً فداره[1]
وصادقْ إذا صادقتَ حرّاً أو امرءاً   كريماً من الفِتيان يَرْعى لجاره

وقال :

الصاحب المتروك

هَبُوني امرءاً منكم أضلَّ بعيرَهُ   لـه ذِمَّةٌ إن الذِّمامَ كبيرُ
وللصاحبِ المتروكِ أعظمُ حُرْمةٍ   على صاحبٍ من أن يضلَّ بَعيرُ

آخر[2] :

ثمن الصداقة

وَفَّيْتُ كلَّ صديقٍ ودَّني ثَمَناً[3]   إلاَّ المؤمِّلَ دولاتي وأيامي[4]
فإنَّني ضامنٌ ألاّ أكافئَه   إلاّ بتسويغه فَضْلي وإنْعامي

آخر :

وفاء ورعاية

إذا كنت رَبّاً للقَلُوص فلا يكنْ[5]   رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكب
أنِخْها فارِدفْهُ فإن حَمَلَتْكُما   فذاكَ، وإن كان العِقابُ فَعَاقِب[6]

آخر :

---

(١) المحيص : المحيد والمهرب من حاص يحيص : عدل وحاد ، وفي القرآن الكريم : ﴿ سَواءٌ عَلَينا أَجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا مالَنا مِنْ مَحيصٍ ﴾ [إبراهيم ٢١/١٤] .

(٢) البيتان للخليل بن أحمد كما في عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) ج ق - ودنيء .

(٤) ج ق - دولاني . الدولات مفردها دُولة وهي التداول وبفتح الواو الداهية . والدَّوْلة : في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى .

(٥) ج ق - فلا تدع . القلوص من الإبل : الشابّة ، وهي أيضاً الناقة الطويلة القوائم . رب القلوص : مالكها وصاحبها .

(٦) عاقب فلاناً في الراحلة : ركب هو مرةً وركب الآخر مرة . والعقبة : النوبة والبدل ، والعقبة : الليل والنهار لأنها يتعاقبان .

تبدل العتاب

كنّـا نعـاتبُكم ليـاليَ عـودُكم حلـوَ الْمَـذاق وفيكُم مُسْتَعْتَبُ
فـالآنَ إذ ظهرَ التعتّبُ منكم ذهب العتابُ فليس عنكم مَذْهبُ

آخر :

نبل وصراحة

وما أنا بالنكسِ الدنيء ولا الذي إذا صـدَّ عني ذو المودَّة أحربُ
ولكنّي إن دامَ دُمْتُ، وإن يكُنْ له مذهبٌ عنّي فلي عنه مـذهبُ
ولستُ إذا ذو الودّ ولّى بـودِّه بمنصرف آثـو عليـه وأكـذبُ[1]
ألاَ إنَّ خيرَ الـودِّ ودٌّ تطـوَّعتْ به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

يقـال : أثَـا فـلان بفـلان إذا وشى بـه أثْـواً وإثـاوَة ، سمعت ذلـك من أبي سعيد السيرافي .

وأنشد اليَزيدي فيما رواه لنا ابنُ سيف :

قلّة الإخوان

ألاَ إنَّ إخـوانَ الصفـاء قليـلُ فهل لي إلى ذاك القليلِ سبيـلُ
قِسِ الناسَ تعرفْ غثَّهُمْ من سمينهم فكلٌّ عليـه شـاهـدٌ وَدَليـلُ

آخر :

الصديق المثالي

دَعْني من المرءِ وأعراقـــهِ ومـــالـــهِ الجمِّ وأوراقـــهِ
فـــا الفتى كلُّ الفتى غير من يستعبـدُ النـاسَ بـأخـلاقـهِ
أخُوكَ مَنْ إن خفتَ من حـادثٍ حَلَلْتَ منــه بين آمــاقـهِ[2]
ليس بغـــدّارٍ ولا خـــائنٍ ولا كـذوبِ الـوعـد مـذّاقـهِ
ولا الـــذي يُخبر عن ودِّهِ والفعـلُ لا يـأتي بمصـداقـهِ

---

(١) أثا أثْواً وإثاوةً به ، وأثى أثياءً وإثايةً به : وشى وسعى به ، والمأثية والمأثاة جمع مآثٍ : الوشاية .

(٢) آماق جمع مؤق ومأق : طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين .

طـوعُـك مـادامتْ لـه سـوقـةٌ | حتى إذا ارتـاب بـأسـواقـهِ
وأبصر الشَّرَّ بَـدَا مُقبـلاً | شمَّر للمكروه عن سـاقـهِ
يـذمُّ عنـد النـاس إخوانَـه | ويمـدَحُ الـذمَّ بـإشفـاقـهِ
يـا ليتَـهُ أعفـاكَ من لَسْعـةٍ | ومن أيـاديـهِ وأرقـاقـهِ
لا خيرُه قـام بـه شرُّه | ولا أفـاعيـهِ بِـدِرْيـاقِـهِ[1]

وقال آخر :

الإغضاء على الأذى

وأُغضي على أشياءَ لو شئتُ قلتُها | ولو قلتُها لم أُبْقِ للصُّلْحِ موضِعَا
وإنْ يَكُ عُودي من نُضارٍ[2] فإنني | لأكرهُ يومـاً أن أُحطمَّ خَرْوَعَـا

آخر :

رياء وإغضاء

ويلقـونني بـالبِشْر مـادمتُ فيهمُ | فإن غبتُ عنهم قطَّعوا الجِلْدَ بـالسَّبِّ
وأُغضي على أشيـاءَ منهم تُريبني | ولولا اصطباري فاضَ من عُظْمِها قلبي[3]

آخر :

مقابلة بالمثل

إذا المرءُ لم يُحْبِبْـكَ إلاَّ تكرُّهـا | عِراض العَلوق لم يكن ذاك باقيا
كـلانـا غنيٌّ عن أخيـه حيـاتَـهُ | ونحن إذا مُتْنَـا أشـدُّ تغـانيـا[4]
ولستُ بهيَّـابٍ لمن لا يَهَـابُني | ولستُ أرى للمرء ما لا يرى لِيَا

---

(١) الدِّرْياق : لغة في التِّرياق وهو دواء يدفع السموم ، والقطعة درياقة .

(٢) النضار (بضم النون) : خشب الأثل وقيل الطويل منه المستقيم الغصون . أجود الخشب للآنية . يقال قدح نضار أي اتخذ من نضار الخشب .

(٣) ج ق ـ ذاب .

(٤) ج ق ـ تفانيا . الأبيات للمغيرة بن حبناء كما في مجموعة المعاني ص ١٠٦ .

تعليق ابن كعب

كان ابن كعب يقول : أنا أستجفي[1] هذا القائل ، ولِمَ لا أرى لصديقي فوقَ ما يرى لي ؟ ولِمَ لا أعتبدُه[2] بالإغضاء ، والإحسان ، والتفضُّل ، والصَّبر ؟ وَلِمَ لا أقارضُه وأقايضُه ؟ ولم أرى أني مغبون إذا كان الرِّبحُ له ، ولِمَ لا أظلمُ نفسي في مرضاته وإن وجبَ أن نتساوى أبداً في الفعل والقول ، ونتكايسَ[3] في الانقباض والانبساط ، ونتحافظَ على اختلاس الحظ والنصيب ، فهل تركنا لأصحاب المذاب[4] والتطفيف[5] شيئاً[6] من الدناءة إلاَّ وأخذنا به ، ورأيناه مرغوباً فيه ، تالله ! ما هذا من الصداقة في شيء ، وإنه إلى الْخَسَاسة والنَّذالة أقرب .

ود العاقل والجاهل

وقال بعضُ العلماء : التمس وُدَّ الرجل العاقل في كل حين ، وودَّ الرجل ذي النُّكر في بعض الأحايين ، ولا تلتمس ودَّ الرجل الجاهل في حين .

صداقة العقل

قيل لديوجانيس : ألك صديق ؟ قال : نعم ، ولكني قليلُ الطاعة له ، قيل : لعله غيرُ ناصحٍ فلذلك أنت على ذاك قال : لا بل هو غاية في النُّصح ، نهايةٌ في الشفَقَة ، قيل : فَلِمَ أنت على دأبك هذا المذموم مع إقرارك بفضل صديقك ؟ قال : لأنَّ جَهْلي طِباعٌ ، وعلمي مكسوبٌ ، والطباعُ سابق ، والمكسوبُ تابع ، قيل : فدُلَّنا على صديقك هذا الناصحِ الْمُشفق

---

(١) استجفى : عدَّه جافياً ، والجافي : الكزّ الغليظ العشرة .

(٢) اعتبده واستعبده : اتخذه عبداً .

(٣) كاس يكيس كياسة : ظرف وفطن وسكن ضد حمق ، وكايسه مكايسة : غالبه في الكَيْس .

(٤) ذبَّ : دفع عنه ومنع ، وذبَّ فلان : اختلف فلم يستقم في مكان وأهل المذاب يروحون ويجيئون في السوق .

(٥) التطفيف : إنقاص الوزن من طفف المكيال : نقصه .

(٦) ج ق ـ نشأ .

حتى نخطبَ إليه صداقتَه ، ونجتهدَ في الطـاعـة لـه ، والقبول منـه ، قـال : صديقي هو العقل ، وهو صديقُكم أيضـاً ، ولو أطَعْتُمُوه لسعـدتُم ورَشَـدتم ، ونِلْتُم مُناكم في أولاكم وأُخراكم ، فأما الصديقُ الـذي هو إنسـانٌ مثلُـك فقلمـا تجده ، فإن وجدتَه لم يَفِ لك بما يَفِي به العقلُ ، ولم يبلغْ بك مـا يبلغ بـك العقل ، وربما أتعبك ، وربما حَزَبَك[1] ، وربما أشقاك ، فـاكبَحُوا[2] أعنَّتكم عن الصـديـق الـذي يكـون من لحمٍ ودمٍ وعظْمٍ ، فـإنـه يغضب فيُفْرِط ، ويرضى فيُسْرِف ، ويُحسن فيُعدِّد ، ويُسيء فيحتج ، ويُشكِّك فَيَضِلُّ .

وصيّة مؤثرة

قال الشاعر :

[١٥ب]

أخي لَنْ تستفيدَ ، الدهرَ ، مثلي	شريكاً في الحيـــاة وفي المماتِ /
أتتركني وأنتَ ترى مكاني	وتطلُبني إذا حـــانتْ وَفـــاتي
فليس بنـــافعي طلبٌ بثـــأري	وأخـذُكَ مَنْ بغـاني بـالتراتِ[3]
فـــإنْ أهملتني وطرحتَ حقّي	عليـك فلا تَغَـافلْ عن وَصَـاتي
بَنيَّ إذا هلكتُ فـــــلا تُضِعْهُمْ	وصُنْ عَمَّنْ يُعـــاديني بَنَـــاتي
فلـــو كنتُ الأسيرَ ولا تكنُـــهْ	عزمتُ على حياتـك لي حيـاتي

علامة الإخاء

قـال عيسى بن مريم عليـه السـلام فيما حـدثنـا ابن الجمـل الكاتب النَّصراني[4] لتلامـذتـه : علامَتُكم التي تُعرفـون بهـا أنَّكم مني ؛ أن يَـوَدَّ بعضُكم بَعْضاً .

---

(١) حزبه الأمر : أصابه واشتـد عليـه أو ضغطـه فجـأة . وفي الحـديث الشريف : « كان إذا حَزَبَه أمرٌ صلَّى » ، أي إذا نزل به مهم ، وأصابه غم . وفي حديث الـدعـاء : « اللَّهمَّ أنت عُدَّتي إن حُزِبْتُ » .

(٢) م - من . كبح فلاناً عن الحاجة : ردَّه عنها .

(٣) ج ق - بغاتي . التِّرات : وتره يتره وتراً وترةً : أصابه بثأر أو ظلم فيه .

(٤) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٦/١ .

بين محبتين

وقال عيسى أيضاً لأيشوع[1] تلميذه : أمـا الربُّ فينبغي أن تحبَّـه بكلّ قلبك ، ثم تحبُّ قرينَك[2] كما تحبُّ نفسك ، قيل لـه : بيِّنْ لنـا يـا روحَ الله ما بين هـاتَيْن المحبتَيْن حتى نستعـدَّ لهما بتبصرةٍ وبيـان ، قـال : إنَّ الصـديق تُحبُّـه لنفسـك ، والنفسُ تحبُّهـا لربِّـك ، فـإذا صُنْتَ صـديقَـك فلنفسـك تصُونُ ، وإذا جُدْتَ بنفسك فلربِّكَ تجُود .

وقال الشاعر :

مغبة عدم الإنصاف

ومن لم يكن مُنصفاً في الإخـاء ... إن زرتُ زارَ وإن عدتُ عـادا
أَبَيْتُ عليـــه أشـــدَّ الإبـــاء ... وإن كان أعلى قريشٍ عِمادا
وقارضتُه الوصْل كيْلاً بكيلٍ[3] ... ووزنـــاً بـوزن عليَّ لـــدادا
فـــإنْ هـو صحَّـــح في ودّه ... جعلتُ اللســانَ لـه والفـؤادا
وإن بـدّل القـولَ دون الفعـال ... بَـذَلتُ اللسـان وصُنْتُ الـودادا

النفاق والرياء

قيل لعبد الله بن المبارك[4] : إنَّ قومـاً يلتقُون بـالبِشْر والسلام[5] فـإذا تفرّقوا طعنَ بعضُهم على بعض . فقال : أعداءُ غيبٍ ، إخوة تلاق[6] ، تبّـاً[7] لهذه الأخلاق ، كأنما شُقّتْ من النِّفاق .

---

(١) ج ق - يشوع .

(٢) ج ق - قريبك .

(٣) قارضه مقارضة وقراضاً : جازاه ، وتكون المقارضة في العمل السيء والقول السيء يقصد الإنسان به صاحبه تقول : « فلان يقارض الناس » أي يلاحيهم ويواقعهم ، وفي الحديث : « إن قارضت الناس قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك » .

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي الحافظ ، شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات ، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، مات سنة ١٨١ هـ .

(٥) ج ق - والسلم .

(٦) ج ق - التلاقي .

(٧) م - يالسوْة .

وقال آخر :

وإذا صَفَا لك من زمانك واحدٌ فهو المرادُ ، وأينَ ذاك الواحدُ

ندرة الأصدقاء

آخر :

وإنّ امرءاً يَصْلي[1] الصديقَ بشرِّهِ لأوّلُ مَنْ يَبْقى بغير صديقِ

حرمان الصديق

قال سعيد بن ميمون : لقيتُ عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فصافحني ثم قال :

قلة الثقات

إذا شئتَ أن تلقى خليلاً مُصَافياً لقيتَ ، وإخوانُ الثِّقاتِ قليلُ

فقلتُ : أمِثْلُكَ يقول الشعر ؟ فقال : أوَما علمتَ أن المصدورَ إذا نَفَث برأ .

وقال بُزُرْجِمْهر : عاملوا أحرارَ الناس بمَحْض المودَّة ، والعامة بالرَّغبة والرَّهبة ، وسُوسُوا السِّفْلة بالمحاور[2] صُراحاً .

سياسة الناس

شاعر :

إذا صديقٌ نَكِرْتُ جانبَهُ لم تُغْنِني في مَرامِهِ الحِيَلُ

نكران وثبات

آخر :

إذا المرءُ لم يبذلُ من الودِّ مثلَ ما بذلتَ له فاعلمْ بأني مُفارِقُهْ
فإن شئتَ فارفضْهُ فلا خيرَ عنده وإن شئتَ فاجعلْهُ صديقاً تُماذقُهْ

رفض ومماذقة

قلت للهائم أبي علي : مَنْ تُحِبُّ أن يكونَ صديقُك ؟ قال : من

وكيل لا صديق

---

(١) ج ق - يجزي .

(٢) محاور ، جمع محور : عود الخبّاز والخشبة التي يبسط بها العجين وهي أيضاً القطعة يدور عليها الشيء .

يُطعمني إذا جُعْتُ ، ويكسُوني إذا عَريتُ ، ويحملُني إذا كَلَلْتُ ، ويغفرُ لي إذا زلَلتُ ، فقال له علي بن الحسين العَلوي : أنتَ إنما تُريد إنساناً يكفيك مَؤونتَك ، ويكفُلُكَ في حالك ، كأنما تمنيتَ وكيلاً فسمَّيتَهُ صديقاً ، فما أحَارَ جَواباً[1] .

صفات مطلوبة

وقلت للبَنَويّ ولقيتُه بالدَسْكَرَة[2] سنة خمسٍ وستين : مَنْ تحب أن يكون صديقك ؟ قال : من يقيلني إذا عثرت ، ويقوِّمني إذا ازوررتُ ، ويهديني إذا ضللت ، ويصبر عليَّ إذا مللتُ ، ويكفيني ما لا أعلم وما علمت .

الصديق هو الصادق

وسمعتُ أبا عامر النَّجْدي يقول : الصديقُ من صَدَقَك عن نفسه لتكونَ على نورٍ من أمرك ، ويصدقُك أيضاً عنك لتكونَ على مثله ، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء ، في السرَّاء والضرَّاء ، والشدَّة والرَّخاء ، فليس لكما فرحةٌ ، ولا تَرْحةٌ ، إلاَّ وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش ، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب[3] المعاش .

أليف لا صديق

وقال أيضاً : قيل لأعرابي : أَلَكَ صديق ؟ قال : لا ولكن أليف[4] .

شاعر :

رياء وصفح

ويلقونني بالبِشْر ما دمتُ فيهمُ ... فإن غِبْتُ عنهم قطَّعوا الجِلْدَ بالسَّبِّ
وأُغضي على أشياءَ منك تُريبني ... ولولا اصطباري فاضَ عن عُظْمها قلبي

(١) أحار إحارةً الجواب : ردَّه ، ومنه « لم يُحِرْ جواباً » أي لم يرد جواباً .

(٢) الدَّسكرة : اسم لعدة قرى فهي : قرية كبيرة غربي بغداد ، وقرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان ، وقرية مقابل جبّل من نواحي الأهواز ، وقرية بخوزستان . راجع معجم البلدان لياقوت ٦٠/٣ .

(٣) ج ق - طيب .

(٤) الأليف : الصديق المؤانس . ألفه ألفاً : أنس به وأحبه . والاسم الإلفة .

وما ذاك من ضَعْفٍ ولا سوءِ مَحْتِدِ ولكنْ تناسي الذنب أقطعُ للذنبِ

آخر :

ترك الشر

لقد أسمعُ القول الذي كاد كلَّما تُذكِّرُنيهِ النفسُ قلبي يَصْدعُ
فأُبدي لِمَنْ أبداهُ مني بشاشةً كأني مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاك من عجبٍ به غير أنَّني أرى أنَّ تَرْكَ الشَّرِّ للشَّرِّ أقطعُ

آخر :

لقاء وشكوى

نغيب إذا غبنا بنصحٍ ونلتقي بأحسنَ ما إلفانِ مُلتقيانِ[1]
ونخفي الهَوَى عمن أخاف وإنَّنا[2] إلى من أمنَّاه لمشتكيانِ

[١٦ آ]

آخر : /

حياء ونفاق

يحيي ويَسْتحيي إذا ما لقيتُه وإن غبتُ أو ولَّيتُ أرتَعَ في عرضي[3]
ولو شئتُ قد عَضَّ الأناملَ نادماً وأوطأته عن ذاك في منزلٍ دَحْضِ[4]
ولكنَّه إحدى يديَّ فلم أجِدْ سبيلاً إلى صَوْلٍ لبعضي على بعضِ[5]

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

صديق عند الحاجة

فأنتَ أخي ما لم يكُنْ لي حاجةٌ فإن عرضتْ أيقَنْتُ أن لا أخا لِيَا

---

(١) ج ق ـ ما الإلفان .
(٢) ج ق ـ يخون .
(٣) رتعت الماشية في المكان رَتْعاً ورتوعاً ورتاعاً : أكلت وشربت ما شاءت في خصب وسعة ، ورتع فلان في مال فلان : تقلّب فيه أكلاً وشرباً ورتع زيد في لحم عمرو : اغتابه .
(٤) مكان دَحْض ودَحَض : زَلِق ، والمدحضة : المزلّة ، يقال : هذه مدحضة القوم أي مزلّتهم .
(٥) صال على قرينه يصول صولاً : سطا عليه واستطال عليه وقهره حتى يذلّ له .

فلا ازدادَ ما بيني وبينك بعدما | بلوتُكَ في الحاجات إلاَّ تمادِيَا [1]

وله :

إجمال الصّد

أصدُّ صدودَ امرئٍ مُجمِلٍ | إذا حالَ ذو الوُدّ عن حَالِه
ولستُ بِمُسْتعتِبٍ صاحباً | إذا جعلَ الصَّرمَ مِنْ بالِه [2]
ولكنَّني صارمٌ حَبْلَهُ | وذلك فعلي بأمثالِه [3]
وإني على كلِّ حالٍ لَه | من إدبارِ ودٍّ وإقبالِه [4]
لَراعٍ لأحسنَ ما بيننا | لحفظِ الإخاءِ وإجمالِه [5]

وأنشد الأصمعي [6] :

إساءة وصفح وعطاء

إذا ما امرؤ ساءَتْكَ مِنْهُ خليقةٌ | ففي الصَّفْحِ طيٌّ للذُّنوب جميلُ
وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلاً | حِفاظاً وإخوانُ الحِفاظ قليلُ

---

(١) في مجموعة المعاني ص ١٠٦ طبعة الجوائب وردت أبيات أربعة على الشكل الآتي :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً | فكشَّفه التمخيضُ حتى بدا ليا
فلا زال ما بيني وبينك بعدما | بلوتك في الحاجات إلاّ تماديا
فلست براءٍ عيب ذي الودّ كله | ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة | ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا

راجع الحماسة لابن الشجري ص ٦٦ .

(٢) في حماسة البحتري ص ٧٥ : الهجر .

(٣) بزيادة هذا البيت من حماسة البحتري :

ومهما أدلَّ بحقٍّ له | عرفتُ له حقَّ إدلالِه

(٤) ج ق ـ بإدبار .

(٥) في الحماسة : وإجلاله .

(٦) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب وأحد فحُول اللغة المصنفين فيها ، ولد في البصرة سنة ١٢٢ وتوفي فيها سنة ٢١٦ هـ ، كان كثير الطواف في البوادي يجمع الأخبار والأشعار . وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر) وله تصانيف كثيرة .

حنين أعرابي

حدَّثني أبو حامد العَلوي ، وكان من الحجاز ، سنة سبعين وثلاثمائة بمدينة السلام قال : رمى[1] أعرابي من بني هلال عن حيِّه إلى أطراف الشام فقيلَ له : مَنْ خلَّفت وراءَك ؟ قال : خلفتُ والداً ووالدةً ، وأختاً ، وابنَ عم ، وبنتَ عم ، وعشيقة ، وصديقاً ، قيل له : فكيف حنينُك إليهم ؟ قال : أشدَّ حنين ، قيل : فَصِفْهُ لنا ؟ قال : أما حنيني إلى والدي فللتعزُّز به ، فإن الوالد عَضُدٌ ورُكْنٌ يُعاذ بها[2] ، ويُؤوى إليها[3] ، وأما نِزَاعي[4] إلى الوالدة فللشفقة المعهودة منها ولدُعَائِها الذي لا يَعْرُجُ[5] إلى الله مِثْلُه ، وأما شوقي إلى الأخت فللصِّيانة لها ، والتروح[6] إليها ، وأما شوقي إلى ابن العم فلِلْمُكانَفَةِ[7] له والانتصار به ، وأما ابنةُ العم فلأنها لحم على وَضَم[8] أتمنى أن أشْبُلَ[9] عليها بالرِّقَّة ، أو أصِلَها ببعض مَنْ يكونُ لها كفؤاً ، ويكونُ لنا إلفاً ، وأما صبَابتي بالعشيق فذاك شيء أجِدُهُ بالفِطْرة والارتياح الذي قلما يَخْلو منه كريمٌ له في الهوى عِرقٌ نابض ، وفي المُجُون جَوَاد راكض . وأمَّا الصديقُ فوجْدي به فوق شَوْقي إلى كل من نعتُّه لك لأني أباثُّهُ[10] بما أجلُّ أبي

---

(١) أرمت به البلاد : أخرجته .

(٢) ج ق - به .

(٣) ج ق - إليه .

(٤) نزع إلى الشيء نزاعاً ، ذهب إليه وحنَّ إليه .

(٥) عرج يعرج عروجاً ومعرجاً في السلم : ارتقى . عُرج به : صعد به .

(٦) الروح : الراحة ، وهو أيضاً النسيم البارد .

(٧) كنف الشيء : صانه وحفظه وحاطه . كنف الرجل وأكنفه وكانفه : أعانه . والكنف : الحضن أو العضدان والصدر . يقال : « أنت في كنف الله » أي في حرزه ورحمته .

(٨) الوضم : خشبة الجزّار التي يقطع عليها اللحم والجمع أوضام وأوضمة . ومن المجاز : هو لحم على وضم أي ذليل . وتركهم لحماً على وضم أي أوقع بهم وذلَّلهم وأوجعهم .

(٩) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه .

(١٠) بثَّ وباثَّ وأبثَّ فلاناً الخبر : أطلعه عليه وكاشفه به .

عنه ، وأجبأ[١] من أمّي فيه ، وأطويه عن أختي خجلاً منها ، وأُداجي[٢] ابن عمي عليه خوفاً من حَسَدٍ يَفْقَأ ما بيني وبينه ، وأكنّي عن بنت عمي بغيرها[٣] لأنها شقيقةُ ابن العم ، ومعها نصف ما معه ، وهي من الشجرة التي تَلفُّنا عيصُها[٤] ، وتلتقي علينا أفنانها ، ويجمعنا ظلّها . فأما العشيقة[٥] فقُصاري[٦] معها أن أشوبَ[٧] لها صِدْقاً بكذب ، وغِلْظةً بلينٍ لأفوزَ منها بحظٍّ من نظر ، ونصيبٍ من زيادة ، وتُحفةٍ[٨] من حديث ، وكلٌّ هؤلاء مع شرف موقعهم مني ، وانتسابهم إليَّ دون الصديق الذي حريمي له مُبَاح ، وسارحي[٩] عنده مُراح[١٠] ، أرى الدنيا بعينه إذا رَنَوْت ، وأجد فائتي عنده إذا دَنَوْتُ ، إذا عززت به[١١] ذلَّ لي ، وإذا ذللتُ له عزَّ بي ، وإذا تلاحظنا تساقَيْنا كأس المودة ، وإذا تَصَامَتْنا تناجينا بلسان الثِّقة ، لا يَتَوارى عني إلاّ حافظاً للغيب ، ولا يتراءى لي إلاّ ساتراً للعيب . قيل له : فهل نَمى إليك خبرُه منذ بانَ عنك أثرهُ ؟ قال : نعم ، لحقني بعضُ فتيان الحيّ أمسِ فسألتُه قَرابتي وعشيرتي فنَعَت لي كلاًّ ، وأطابَ أخبارهم ، حتى إذا سألتُه

(١) جبأ وجبئ : ارتدع وكره .
(٢) داجى مداجاة : داراه .
(٣) م - بغيره .
(٤) ج ق - أغصانها . العيص : الشجر الكثير الملتف وما اجتمع وتدانى من العضاه وهو كل شجر يعظم وله شوك . الواحدة عضاهة وعضة .
(٥) ج ق - العشق . العشيق : المعشوق والعاشق .
(٦) القُصارى : الجهد والغاية ، يقال : « قُصاراك أن تفعل كذا » أي جهدك وغايتك وآخر أمرك .
(٧) شاب الشيء يشوبه شوباً وشياباً : خلطه فهو شائب .
(٨) التُّحفة (بسكون الحاء وفتحها) الهدية والبرّ واللطف ، والجمع تحف .
(٩) السارح : الماشية والراعي الذي يسرح الإبل .
(١٠) المراح : مأوى الإبل والبقر والغنم أي موضع راحتها في الليل .
(١١) ج ق - له .

عن الصديق قال : ماله هِجِّيرَى[1] سِوَاك ، إنْ عَبَّر فباسمك يستقل ، وإن تَنَفَّس فبذكرك يَقطع ، وإذا أوى إلى ندوةِ الحي فبلسانك ينش[2] وجودك يذكر ، لا يمرّ بمعهدٍ لك إلاّ حيَّاه ، ولا بمكان حلّه معك إلاّ تبواه ، فقلتُ له : كفَّ قليلاً فقد أجَّجتَ في صدري ناراً كانت طافئةً ، وأبديتَ صَبَابةً كانت خافيةً ، وما أراني منتفعاً[3] بالعيش دون أن أشْخَصَ إليه غيرَ مُبَالٍ بهذه المِيرَة والغِيرَة[4] التي خرجت من جرَّاها[5] .

قال أبو حامد : فضرب والله كَبِدَ راحلته إلى حيِّه ، وترك ما كان فيه مُستعراً مستقتراً[6] . قلت لأبي حامد : ما أفصحَ هذا اللفظَ ، وما أرقَّ هذا الحديثَ ، لكني أنكرتُ قولَه : جوادٌ راكض ، قال : أراد ذو رَكْضٍ ، ومثل هذا يندُر في كلامهم .

[شاعر] :

طَوَى الكشحَ عمرٌ وللصديق على حقدِ	وغنَّى له من شدَّة الكَرْب والوجْدِ
ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتَ من نجدِ	لقد زادني مَسْراك وَجْداً على وَجْدِ[7] /
أمَا في صروف الدهر أن ترجع النوى	بلى وبذاك القرب يوماً من البعدِ

حقد ووجد
[١٦ ب]
صبا نجد
إرجاع النوى

---

(١) الهجِّيرى : العادة والدأب . يقال : هذا هجِّيراه أي دأبه وعادته .

(٢) النشيش : صوت الماء إذا غلى وصوت غليان القدر وصوت اللحم على المقلى أو في القدر .

(٣) ج ق ـ متمتعاً .

(٤) الميرة : مار يمير ميراً وكذلك أمار عياله : أتاهم بالطعام والمؤنة . الغيرة : الميرة .

(٥) يقال : فعلت ذلك من جرّاك وجرائك وجراك وجرائك أي من أجلك .

(٦) تقتّر واستقتر : تهيّأ للأمر للقتال والصيد ، واستقتره : حاول ختله والاستمكان به . وسعر في حاجته : طاف . وسعر الفرس سعراناً : عدا شديداً ، وسعر النار والحرب : أوقدهما وأشعلها وهيّجها .

(٧) هذا البيت من قصيدة لابن الدُّمَينة راجع الديوان ص ٨٥ طبعة راتب النَّفَّاخ .

رأي لأبي دلف

وسمعتُ أبا دُلَف الخزرجي يقول : أنا أستجفي الشاعر الذي يقول :

والله لا كنتَ في حســابي إلاّ إذا كنتَ في حسابـكْ
فـإن تـزرْني أزرْكَ او إنْ تقفْ ببـابي أقفْ ببـابـكْ

وكان يقـول : مـا هـذه الغِلْظـة والفَظَـاظـة ، ومـا هـذه المُكايسـة والمُصادقة ، أفليس لوقابلك صاحبُك بمثل هـذا الأمر وقف الأمرُ بينكـا ، وانتكَثَ حبلُ المودَّة عنكما ، ودبَّت الشَّحْناء[1] في طيِّ حالكما .

كتاب أبي النفيس

وكتب أبـو النَّفيس[2] إلى صـاحبٍ لـه كان يغشـاه كثيراً ، ويبـاثُّـه طويلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس يَنبغي ـ أبقاكَ الله ـ أن تغضبَ على صديقك ، إذا نَصَح لـك في جليلك ودقيقـك ، بل الأقمنُ[3] بـك ، والأخلقُ لـك أن تتقبَّلَ مـا يقولـه ، وتُبـدي البشـاشـةَ في وجهـه ، وتشكرُه عليـه حتى يـزيـدَك في كل حـالٍ ما يجملـك ، ويَكْبِتُ عـدوَّك ، والصـديقُ اليومَ قليلُ ، والنُّصحُ أقلُّ ، ولن يرتبطَ الصديق إذا وُجد بمثلِ الثقة به ، والأخذِ بهَدْيه ، والمصير إلى رأيـه ، والكون معه في سرّائه وضرّائه ، فمتى ظفرتَ بهذا الموصوف فاعلمْ بـأنَّ جَـدَّك قد سَعِدَ ، ونجمك قد صَعِدَ ، وعدوَّك قد بَعُدَ والسلام .

شاعر :

---

(١) ج ق ـ ودنت . الشحناء : عداوة امتلأت منها النفس من شحن السفينة شحناً : ملأها ، وشحن عليه : حقد عليه ، وتشاحن القوم : تباغضوا .

(٢) ورد ذكره في الإمتـاع والمؤانسـة ٨٦/٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٣٨/٣ ، كما ورد ذكره في البصـائر والذخائر ٣٢/١ ، ٢٥٧ .

(٣) القمِن : الخليق والجدير والجمع قناء . الأقمن : الأجدر .

لبث الهموم

وكان الصـديقُ يزورُ الصـديقَ لِشُربِ الْمُـدام وعَـزْفِ القِيـان
فصار الصـديق يزور الصـديق لبَثٍّ الهمومِ وشكـوى الـزمـان

شاعر :

حتمية العيوب

أتطلبُ صـاحبـاً لا عيبَ فيــه وأيُّ النـاسِ ليس لــه عُيـوبُ

لذة طرح الحشمة

قـال مُعـاويـة بن أبي سُفْيـان : أكلتُ الطعـام حتى لم أجـد طَعْمَــهُ ، وركبتُ الـدَّوَابَّ حتى استرحتُ إلى الْمَشي ، ونكحتُ الحرائرَ والإمـاءَ حتى ما أُبـالي وَضَعْتُ ذَكَري في فَرْجٍ أو حـائـطٍ ، ومـا بقيَ من لـذَّتي إلاَّ جليسٌ اطَّرحُ بيني وبينه الحِشْمة .

شاعر :

رفق وعدوان

وواثقٌ باعتقادي ليس يُنصفُني إذا تزيَّـدتُ رِفْقـاً زَادَ عُـدْوانـا
أضرَّ بي حُسْنُ خلقي عند عِشْرتـهِ وربَّما ضرَّ حُسْنُ الْخُلق أحيانـا

وأنشد العطَّافي فيما رواهُ لنا المرزُباني عن أبي عمرو عنه :

عنف العتاب

عُنْفُ العتـــابِ مَلَجَّـــةٌ[1] فتـــوقَّ من عُنْفِ العتـــابِ
واستبـــق خلَّـــةَ مَنْ يلـــومُ فـــذاك أدنى لـــلإيـــابِ
واصفـــحْ عن الأمر الـــذي إعـلانُـه[2] هَتْـكُ الحجـابِ

آخر :

كبرياء والتواء

كفى حَزَنـاً ألاّ صـديقٌ ولا أخٌ أفـادَ غنىً إلاَّ تـداخلَــهُ كِبْرُ
وإلاَّ التوىَ أو ظنَّ أنـك دُونـه وتلكَ التي جلَّت فما عندهـا صَبرُ

(١) لجَّ يلجُّ لجاً ولجاجاً ولجاجةً : عَنَـد في الخصومة وتمادى في العنـاد إلى الفعل المزجور عنه .

(٢) ج ق ـ علاته .

فلا زادَ فوق القوتِ مثقالَ ذَرَّةٍ صـديقٌ ولا أوفى على عسره يُسْرُ
ومـا ذاك إلاَّ رغبـةً في إخـائـه وإلاّ حَـذار أن يميلَ بـه الغَـدْرُ
ومَنْ صَحِبَ الأيامَ عاتبَ صاحباً وحـالفَ عُـذّالاً وأدّبـهُ الـدَّهْرُ

امرؤ القيس :

صبر وجلد

وخَليـلٍ قـد أُفـارقُـهُ ثمّ لا أبكي على أثَرِهْ[1]

شاعر :

زهد بالصداقة

لا مَرْحبـاً بـوصـالِ ذي مَلَقٍ تُكـدي مـودّتُـه ولا تُجـدي[2]
وإذا الصـديـقُ ذممتُ خلَّتـه صيَّرتُ قطعَ حبالـه وَكْـدي[3]
حتى أرى خِـلاًّ يعـاشرُني بمـودةٍ أطرىَ من الـوَرْدِ

آخر :

نهب مقسّم

وصلتُك لَمّا كان ودُّك خَالصاً وأعرضتُ لمـا صـار نَهْباً مقسَّما
ولن يلبثَ الحوضُ الوثيقُ بنـاؤهُ على كثرة الـوُرّاد أن يتهـدّمـا

شاعر :

بغض وظنّة

ليهنئك بغضٌ في الصَّديق وظِنَّـةٌ[4] تحـدّثـك الشيءَ الـذي أنتَ كاذبُـهُ

---

(١) ج ق - وجليل . البيت من قصيدة مطلعها :
ربّ رامٍ من بني ثُعَـــــلِ
راجع : ديوان امرئ القيس ص ٨٦ .

(٢) أكدى الرجل : أخفق ولم يظفر بحاجته . وفلان مكدٍ : لا ينمي ماله ، وكلها من الكُدْية وهي الأرض الصلبة الغليظة ومنها : طلب إليه فأكدى أي وجده مثل الكُدْية لا تجدي .

(٣) الوكد : المراد والقصد والهمّ .

(٤) ج ق - وظنه . الظنَّة : التهمة .

كتاب لابن المعتز

وكتب عبدُ الله بن المعتز[1] إلى صديق له : قد أعدتَ ذكرَ تصحيح المودّة وإخلاص الْمُوالاة بعد أن أكدهما اللهُ لك مني ، ومنك عني ، وحللتَ أعلى المراتب من قلبي ، وحُزْتَ أجزلَ الحظوظ من ودّي ، وخاطبك بذلك ضميري ، وظهر شاهدُه من فعلي ، فلا تُزْرِينَّ[2] على ما بيننا بالاستزادة بما لا مزيدَ فيه ، والتذكير[3] بما لا يُنسى ، والتجديد لما لا يُخلق ، والوصف لما قد عُرف ، حتى كأنَّ الإخاء مُعْتَلٌّ ، وعقدَ الوصْل مُنْحَلٌّ ، والثقةَ لم تقعْ ، والهجرَ مُتوقَّعْ ، وسوءَ الظن يَفْري ويَدَعُ .

[لآخر] :

دعوة إلى الاعتدال

أحببْ حبيبك هَوْناً ما ، عسى أن يكون بَغيضَك يوماً ما ، وأبغضْ بغيضَك هوناً ما ، عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما .

وكتب آخر :

اعترافات ولي

[١٧ آ]

أنا والله الوليُّ الْمُخْلص ، والوادُّ المصحّح ، ومَنْ إذا شدَّ عقدةً أوثقها ، وإذا عَقَد مودةً صَدَقَها ، والْمُماذِقُ أخو الْمُنَافِق ، والشاهدُ هدفٌ / للغائب ، والرجلُ يُعرف موقعُ رأيه إذا مال ووالَى ، وإذا انحرف وعادَى ، وإذا اجتنبَ واجتبى[4] ، وحركاتُ الإنسان ملحوظةٌ ، وأعمالُه محفوظةٌ ،

---

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المعتصم بن الرشيد العباسي الشاعر المشهور الذي لم يدم حكمه سوى يوم وليلة . ولد في بغداد سنة ٢٤٧ هـ وقتله غلمان المقتدر سنة ٢٩٦ هـ . ويقول عنه الصولي : « من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم ... وكانت داره مغاثاً لأهل الأدب » . ولابن المعتز ديوان شعر مطبوع وكتب كثيرة أشهرها كتاب (طبقات الشعراء) و (كتاب البديع) .

(٢) أزرى : أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبس عليه به .

(٣) ج ق ـ التذكر .

(٤) اجتباه : اختاره واصطفاه .

وتصرُّفه بين وليٍّ مُشْفِقٍ ، وعدوٍّ مُطْرِقٍ ، وكلٌّ يرصدُه وينقده ، وللسانه فَلَتات ، ولقلبه هَفَوات .

بين التوبيخ والتأنيب

وقال بعضُ البُلغاء : ليس تكمُلُ محاسنُ الصَّفْح إلاّ بالإضراب عن مذلَّة التوبيخ ، فإن التأنيبَ أوجعُ وقْعاً في وجه الكريم ، من وقع الضرب في بَدَن اللئيم .

جزاء الموبِّخ

وقال أعرابي : الموبِّخ بعد العفو أولى بالتوبيخ ، لأنه أفسد النِّعمة بالتذكير ، وقبَّح الصفحَ بالتعيير[1] .

العفو الصحيح

وقال سَهْلُ بنُ هارون[2] : العفوُ الذي يقومُ مقام العُتق[3] ما سلم من تَعْداد السَّقطات ، وخلَص من تذكار الزَّلاَّت .

اغتفار الزّلات

وقال رجلٌ للفضل بن سَهْل ذي الرئاستين : أنتَ أحقُّ من تغمَّد[4] هذه الفَرْطة ، واغتفر هذه السَّقْطة .

---

(١) ج ق ـ التعبير . التعيير : التقبيح والنسبة إلى العار .

(٢) هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون الدستميساني ، نسبة إلى دستميسان وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز ، حكيم فصيح شاعر ، ويقول صاحب الفهرست ١٧٤ : « وكان متحققاً بخدمة المأمون ، وصاحب خزانة الحكمة له ، فارسي الأصل ، شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل » ... وكان أبو عثمان الجاحظ يفضله ، ويصف براعته وفصاحته قال في وصفه (البيان والتبيين ٥٢/١) : ومن الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب ، والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المخلدة ، والسير الحسان المدوّنة ، والأخبار المولَّدة : سهل بن هارون بن راهبوني الكاتب ، صاحب كتاب ثعلة وعفرة في معارضة كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان ، وكتاب المسائل ، وكتاب المخزومي والهذلية وغير ذلك من الكتب . توفي سهل سنة ١٧٣ هـ .

(٣) العتق : الإخراج من الرّق إلى الحرية .

(٤) غمد الشيء : ستره ، غمّده وتغمده : ستر ما كان منه . الفرطة : العجلة والأمر الذي فرط فيه صاحبه .

تعريف الودود

وقال أعرابي : الوَدُود من عذر أخاه ، وآثره على هواه .

ذكريات ثمينة

وكتب النصير إلى صديقٍ له : سُقْياً لدهرٍ لما خلي بنا ، خَلا منّا ، ولما تصدّى لنا ، تولّى عنّا ، تلك أحقُّ الأيام بالذكرى .

استحقاق الأنس

وقال الأحْوص الْمَدَني[1] : اجعل أُنسَك آخرَ ما تبذلُ من ودّك ومن الاسترسال ، حتى تجدَ له مُستحقاً .

بين الجود والجفاء

وقال أعرابي : إذا جادَ لك أخوك بأكثره ، فتجافَ له عن أيسره .

استبقاء واستقصاء

وقال آخر : الْحُرُّ يُؤثر كرمَ الاسْتبقاء ، على لؤْم الاسْتِقصاء .

دعاء وتعوّذ

وكتب الْجَرَّاحي[2] إلى صديقٍ له : حَرَسَني اللهُ من الشَّكِّ في إخلاصك ، وأعاذَني من سوء التوكُّل عليك ، وأجارَني مما يُوحش منك ، ويُباعدُ عنك .

رجاء

وقال النصير لصاحبٍ له : أرجو أن يكونَ فيما لنا عندك ، دليلٌ على ما عندنا لك ، وإن كنتَ بالفضل أوْلى ، وبالمكرمة أحْرى .

بحث وتبيّن

وأخبرنا عليُّ بن عيسى قال : أنبأنا ابنُ دُرَيْد قال : أنشدنا عبدُ الرحمن عن عمه الأصمعي قال : وأظنّها لابن قيس الرُّقَيَّات :

لا يعجبنَّك صاحبٌ حتى تبينَ ماطِباعُهْ
ماذا يَضنُّ به عليكَ وما يجودُ به اتساعُهْ
أوْ ما الذي يَقوى عليه وما يَضيقُ به ذراعُهْ
وإذا الزمانُ رمى صفاتك بالحوادثِ ما دفاعُهْ

---

(١) هو عبد الله بن محمد الأنصاري شاعر هجّاء من طبقة جميل بن مَعْمر ونُصَيْب كان معاصراً لجرير والفرزدق ، راجع أخباره في الأغاني : ٢٢٤/٤-٢٦٨ .

(٢) هو أبو طالب الجراحي ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٨/١ .

فهناك تَعْرِفُ ما ارتفاعُ هوَى أخيك وما اتِّضاعُهْ

آخر :

ثبات وتقلب

فَمَنْ يكُ لا يدومُ له وصالٌ وفيه حين يَغْتَرِبُ انقلابُ
فعهدي دائمٌ لهمُ وودِّي على حالٍ إذا شهدوا وغَابوا

وأنشد الأصمعي ولم يُسَمِّ قائله :

تعبير العين

تُبْدي لك العينُ ما في نفس صاحبها من الشَّناءَة أو ودٌّ إذا كانا
إنَّ البغيض لـه عَيْنٌ يَصُدُّ بها لا يستطيعُ لما في الصَّدر كِتْمانا
وعينُ ذي الوُدِّ ما تنفكُّ مُقبلةً ترى لها مَحْجراً[1] بَشّاً وإنسانا[2]
والعينُ تَنْطِقُ والأفواهُ صامتةٌ حتى تَرَى من ضمير القلب تِبْيَانا[3]

طباع الكريم

قال أبو هاشم الحرّاني[4] : ومن طباعِ الكريم وسجاياه رِعايةُ اللقاءَة الواحدة ، وشكرُ الكلمة الحسَنة الطيِّبة ، والمكافأةُ بجزيل الفائدة ، وأن لا يوجد عند عَرْض الحاجة مستعمِلاً سَوْمَ عَالَّةٍ[5] .

---

(١) المحجر (بفتح الميم وكسرها وفتح الجيم) من العين : مادار بها والجمع محاجر .

(٢) بشّ بشّاً وبشاشةً فهو بشّ وبشوش وبشّاش : كان طلق الوجه .

(٣) بان بياناً وتبياناً (بفتح التاء وكسرها) اتّضح وظهر .

(٤) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٣٨/١ ، وفي مثالب الوزيرين ٨٢ .

(٥) عرض عليّ سَوْم عالّة : وهو بمعنى قول العامة عرض سابريّ يضرب هذا مثلاً لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني كالرجل يعلم أنك نزلت دار رجل ضيفاً فيعرض عليك القِرَى . وفي أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٢٦ : « عرض عليّ الأمر سوم عالّة » أي عرضاً سابرياً كا تسامُ العالّة على الشرب لا يستقصى في ذلك لأنها رويت بالنهل . السابري : نسبة إلى سابور وهي كورة بفارس ، قال الشاعر :

وعيشٍ كسِّ السابريّ رقيق

ومنه المثل : « عَرْض سابري » يقوله من يعرض عليه شيء عَرضاً لا يُبالغ فيه لأن السابريّ من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض . العلل : الشرب الثاني . النهل : الشرب الأول .

وأنشدَنا ابنُ كَعْب لعبد الله بن مُعاوية :

العهد للزدوج

العهــدُ عَهْــدانِ فعهــدُ امرئٍ ... يــأنَفُ أن يُعـذرَ أو يُنقضـا
وعهــدُ ذي لَــوْنَيْن مَـلالــةً ... يـوشــكُ إنْ ودَّك أن يُبْغضـا
إن لم تَــزُرْهُ قــال قــد ملَّني ... وبـالحري إن زُرْتَ أن يُعْرضـا
شيمتُه مثـلُ الخِضـاب الـذي ... بيْنـا تراه قـانيــاً إذا نَضَــا[1]

انقطاع العروة

قال العبَّاس بن الحسن العَلَويّ لما مـات الزُّبيري[2] : رحم الله أبـا بكر فَقَدْتُه فما تمسَّكتُ بعده من أخٍ بعُرْوة إلاّ تجذَّمت[3] في يدي .

حق الصديق

وعزَّى يـزيـد بن جَرير آخر فقـال : إني لم آتـك شـاكّـاً في عـزمـك ، ولا زائداً في علمك ، ولكنه حقُّ الصديق على الصـديق ، فـإن استطعت أن تَسْبِقَ السُّلْوَةَ بالصَّبر فافعلْ .

وكتب عبدُ الله بن العبَّاس بن الحسن العَلَوي إلى صديقٍ له : أمَّـا بعـدُ فمثلُ إعظـامي إيَّـاك دَعَـا إلى الانقبـاض عنـك ، ومثـلُ ثقتي بـك دَعـا إلى الانبســاط إليـك ، فلَمَّــا تكافــأ هــذان في نفسي كان أملكُهما بي ، وأوْلاهُما بـالأَثَرَة عنـدي أقربَهما إلى مـوافقتــك ، وأوقعَهما بمحبَّتــك . فعلمت أن أسَرَّ إخوانك لك أفزعُهم عند الملمَّات إليك ، وأوثقُهم عند حوادث الأمور بـك ، ثم شَفَع ذلك عندي مـا يـدعُو إليـه المرء نفســه ، وتُنـازعـه نحوه من الطلب وتُثقل عليه المؤونة فَيُدْمِنُ الإمساك .

وكتب غسَّـان بن عبـد الحميـد الْمَـدَني إلى جعفر بن سُليمــان الهــاشمي يعاتبه : بلغني أن غاشّاً ظالمـاً أتـاك بـأمرٍ لم أكُنْ لـه أهْلاً ، ولم تكُنْ بقبولـه

(١) القاني : الأحمر . نضا الخضاب نَضْواً ونُضُواً : نصل وذهب لونه .
(٢) عبد الله بن مصعب عامل الرشيد على المدينة واليمن . البيان والتبيين ٣٢٠/١ .
(٣) ج ق ـ تحزّمت . جذمه جذماً وجذّمه فانجذم وتجذّم : قطعه بسرعة فانقطع .

خَليقاً ، لأنني لم أكن بأشباهه معروفـاً ، ولم تكنْ على استماع مثلـهِ مُخوفـاً ، فوجَدَ له فيك مَسَاغاً ، وعندك مُسْتقراً / ، وكنتُ أحسبُ منـازلَ إخوانـك [١٧ ب] عندك ، والثقةَ لهم منك في حِصْنٍ حَصين ، ومحل مكين ، لا تنـالُـه أكاذيبُ الكاذبين ، ولا أقـاويلُ المُفْترين ، وذلـك أنَّ الكاذب كان بـالتهمـة عليّ في مَنزلتي وحُرمتي أحق مني بالتُّهمة على رأيي وخُلُقي ، وأنا كنتُ عندك بالثِّقةِ في وفائي أحقَّ منه بالتصديق في عَضِيهتـه[1] إيـايَ ، فـإن الأخَ المخبور أوْلى بالثِّقة من السـاعي بـالكـذب والزور ، وإذا كان تَحَـافـظُ الإخوان إنما هو مُعَلَّق بأيدي السُّفهاء إذا شاؤوا سَعَوْا ، فَقُبِلَ قولُهم ، فكيف تبقى على ذلك أُخوَّة ، أو تُرعى معه حُرْمة ، أو يصلُح عليه قَلْبٌ ، أو يسلَمُ معه صبرٌ ؟.

سَهْلُ بنُ هارون :

لقاء الأخ

وما العَيْشُ إلاَّ أنْ تَجُودَ بنـائلٍ — وإلاَّ لقاءَ الأخ بـالْخُلُق العَـالي

وكتب محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيَّات إلى الْحَسَن بن وَهْب :

شوق شديد

لَعَمْرُكَ مـا عيشـةٌ رغْـدةٌ — لـديَّ إذا غبتَ بـالراضيَـهْ

وإني إلى وجهـك المستنيرِ — في ظُلمـة الليلـة الـداجيَـهْ

لأشـوقُ ، من مُـذْنفٍ خـائفٍ — لقـاء الحِمام ، إلى العـافيَـهْ

بين المداجاة والمصافاة

قيل لأبي زيـاد الكلابي[2] : إنـك فيما نَراك تُـداجي إخـوانَـك كثيراً ، وهذا خُلُقٌ أنت عالقٌ به قال : لأن أُداجيهم مُستـديـماً لما بيني وبينهم أحبُّ إليَّ من أن أدَعَ الْمُداجاة التي أملكُها ولا أملكُ المصافاة التي قد فقدتُها .

(١) عَضه الرجل عَضْها وعَضَها وعضيهة : كذب ونمّ وجاء بالإفك والبهتان .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابي بدوي ، قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ونزل قطيعة العباس بن محمد فـأقـام بهـا أربعين سنـة وبهـا مـات ، وكان شاعراً من بني عامر بن كلاب ، وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتـاب الفرق ، كتاب الإبل ، كتاب خلق الإنسان . (الفهرست : ٦٧) .

وسمعتُ ابن كَعْب الأنصاري[1] يُنشد كثيراً :

وفاء وهجران

يـا أخـاً كان يُرهبُ الـدهرَ مِنْ ذكري لـه عنـد نـائبـاتِ الْحُقـوق
كنتَ تحتـلُّ حبَّـةَ القلب من قلبي وتَجْري مَجْرَى دَمي في عُروقي[2]
كُنْتَ مني مكانَ بَعْضي من بعضي فـأصبحتَ في مَـدَى العَيُّـوقِ[3]
مـا قَـذَى عينَـك التي كنتَ تَرْعَـاني بهـا مَرةً وأنتَ صـديقي[4]
أَمْ بَـدَتْ حـاجـةٌ إليـك أحَلَّتْني محـلَّ البعيـد منـك السَّحيـق
صِرْتَ تَشْري إذا التحفتَ بثـوبي وتُـوَحِّي إذا سلكتَ طريقي[5]

ابن العميد والنيسابوري

سمعتُ علي بن القـاسم الكاتب[6] يقـول : قلت لأبي الفضـل ، يعني ابن العميد : ما يَنْقضي عَجَبي من إقدامك على الحاجب النَّيْسابوري[7] بعد التَّصافي الـذي كنتما عليـه ، والمِلْحِ الـذي تجتمعـانِ لـه ، والرَّضَـاع الـذي تتراوحانِ فيه ، ووالله مـا يَفْصلُ النـاظرُ بينكمـا الظـالمَ من المظلوم منكمـا ، وإنَّ إشكالَ الحـال فيكمـا يـدعُو إلى سوء الظن بكمـا ، وتـوجيـهِ الـلائمة[8] الشنيعة إليكما . فقال : يا أبا الحسن واللهِ لقـد كِـدْتُ أن أكونَـهُ لولا أن الله بَسَط يديَّ عليه ، وأظفرَني به ، إنه لما استحالَ الحالُ بيني وبينه أظلَمَ الجوُّ في عيني ، وعـزبَ عني رأيي ، ووجلتُ من صَوْلته وجَوْلتـه ، وكان كما علمتَ

(١) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ١٠٨/١ ، ١٣٥/٢ .
(٢) حبّة القلب : هنة أو شيء فيه ، وقيل : مهجته أي دمه .
(٣) العيُّوق : نجم يتلو الثريا يضرب به المثل في البُعد .
(٤) قذت عينه : قذفت بالغمص والرمص ، والقذى : ما يقع في العين من تبنة أو غيرها .
(٥) ج ق ـ وتحوي . شرَّ الثوب تشرية : وضعه على خَصَفَة أي قفة كبيرة أو غيرها في الشمس ليجفَّ . توحَّى توحية : استعجل وأسرع . ووحّاه : عجّله .
(٦) ورد ذكره في الإمتـاع والمؤانسـة ٦١/١ ، وفي مثـالب الـوزيرين ٢٩٣ . راجـع خبر النَّيسابوري مع ابن العميد معجم الأدباء ٢١١/١٤ .
(٧) ورد ذكره في مثالب الوزيرين ص ٢٥٣ .
(٨) ج ق ـ للَلامة .

خطيبَ اللسان ، بعيدَ الغَوْر ، خفيفَ الفَوْر ، يَمْري من ثَبَجِ بحر[1] ، ويتلقى جميع أموره بصَدْر ونَحْر ، فما هَنَأني عَيْشٌ ، ولا طابَ لي شرب ، ولا فارقني وَسْواس حتى كان منه ما كان ، فقلت له : كيف استحالتِ الحالُ بعد توكّدها وتعهّدها ؟ قال : طلب من الحظوة عند رُكْن الدولة ما كنتُ أنا قد أفْنَيْتُ شبابي ، وعُمري ، وذُخْري له ، فلم تسمحْ نفسي أن أُفْرِجَ له عنه ، ومنازلُ الأولياء عند الملوك محوطةٌ بالغيرة الشَّديدة ، والحميَّة المُشتعلة ، وليست الغيرةُ عليها إلاَّ فوق الغيرة على السَّراري الحظيَّات ، وبناتِ العمِّ الموافقات ، وفوق غيرة الضَّرّة من الضَّرّة ، وإن الذي يَعْتري الرجالَ في هذه الأحوال أزيدُ من الذي يَعْتري النساء ، إلاَّ أن الرجال لا يتواصون بترك هذا الْخُلق ، ولا يغير بعضُهم بعضاً باستعماله ، فقلت له : أفكان يرتقي لو بقي إلى أكثر من الحِجَابة التي أنت مُسَلِّم لها إليه ، وغيرُ منازعٍ له في شيءٍ منها ؟ فقال : ما أسلمَ صدرَك ، وأصدأ نصْلَك ، الرجل كان يحدِّثُ نفسه بالوزارة ، ويُوَسوسُ إلى صاحبه بإثارة المال من الوجوه المجهولة ، أفكان يجوزُ لي أن أحلُمَ بهذا في النوم ، ثم أتمتَّع بالعيش باليَقظة ؟ لا والله ! وبعدُ فأنا كما قال الشاعر :

المقابلة بالمثل

ولستُ مُكلّفاً أبداً صديقاً ... معاشرَتي على خُلُقٍ ممضٍّ

ولا أن يستقيمَ على اعوجاجي ... ويغفرَ بعضَ أحوالي لبعضِ

ولكني له عبدٌ مُطيعٌ ... على علاَّته أرضى وأُغضي

حريرٌ حين يلمسُني صديقي ... حديدٌ تحت ضِرْسِ رَامَ عَضي

فإن باشرتني فإليك أمري ... وإن باغضتني فإليكَ بُغضي

وكما قال الآخرُ :

---

(١) ج ق - بحذر . مرى يمري الشيء : استخرجه ، والدم ونحوه : أرسله . والثبج من كل شيء : وسطه ومعظمه يقال : يركبون ثبج هذا البحر : أي معظمه .

الفرار من الشر
[١٨ أ]

ألم تَعْلمي يا عصمُ كيفَ حفيظتي ... إذا السرُّ خاضَتْ جانبيه الجارحُ /
أفرُّ حــذارَ الشرِّ والشرُّ تــاركي ... وأطعنُ في أنيـابــه وهـو كالـحُ

ابن العميد والفلسفة

قلت لعليّ بن القـــاسم : كيف كان يستجيزُ قتـلَ النفـوس وهـو يتفلسف ؟ قال : ياهذا الدينُ الـذي نشرهُ على لسـان رسولـه ﷺ يُنـافق به ، ويكذبُ فيه ، والفلسفة التي وُضِعَتْ على ألسنة قوم مجهولين لا يجوزُ أن يُنافقَ بها ، ويكذبَ فيها ، إنما كان يتشيَّع بما يقولُـه ويـدَّعيـه ، ويجب أن تكون مُبَايِناً لهـذا السوادِ الـذي هو فيـه ، وحبُّ الجـاه ، وحبٌّ الرئـاسـة ، وحبِّ المال مهالكُ الْخَلْق أجمعين ، نسألُ الله تعالى أن يكرِّه إلينـا الـدُّنيـا ، ويرغِّبَنا في التقوى ، ويَخْتِمَ لنا ولك بالْحُسْنى بمنّه وقُدرته .

شاعر :

عدو وصديق

عدوٌّ صديقي داخلٌ في عَداوَتي ... وإني لِمَنْ ودَّ الصديقَ صـديقُ[١]

أمنيات مرجوة

أخبرنا أبو السـائب القـاضي قـال : حـدثني أحمـد بن أبي طـاهر قـال : سمعتُ علي بن عُبَيْدة يقول لصديقٍ له : قَسَمَ الله لنـا من صَفْحـك مـا يتَّسع لتقصيرنا ، ومن حِلْمك ما يردَعُ سخطَك عنَّا ، ويعيـدُ مـا كان منـك لنـا ، وزيَّن أُلفتَنا بمعـاودة وَصْلـك ، واجتماعَنـا بزيـارتـك ، وأيـامَنـا الْمُوحشـة لغيبتك برؤيتك ، وسرَّ بقربك القلوبَ ، وبحديثك الأسماعَ .

شاعر :

كسب وحذر

فلا تَلْهُ عن كَسْبِ ودِّ الصـديق ... ولا تجعلنْ صــديقـاً عــدوّاً
ولا تغترر بهـــــــدوّ امرئٍ ... إذا هِيـجَ فـارقَ ذاك الهُـدوّا

---

(١) ج ق - صدوق .

آخر :

كره وعداء

فبعدَك يا شغبُ اجتويتُ صَحَابتي[1] ولاحَظني الأعداءُ بالنَّظَر الشَّزْرِ
وأبدى ليَ الشحناءَ من كان مُخْفياً عداوتَه لما تغيَّب في القبرِ

آخر :

غفران وقناعة

ولئن كنتَ لا تُصاحبُ إلاَّ صاحباً لا يزلُّ ما عاشَ نَعْلُهْ
لا تجده ولو جهدتَ وإني[2] بالذي لا يكونُ يوجدُ مثلُهْ
إنما صاحبي الذي يغفرُ الذنبَ ويكفيه من أخيه أقلُّهْ

عتاب وقطيعة

وأخبرنا المرزُباني ، حدَّثنا الصُّولي ، حدثنا أبو العَيْناء قال : رأيتُ عليّ بن عُبَيْدة يعاتبُ رجلاً ثم قال في كلامه : العجبُ أني أُعاتبكَ وأنت من أهل القَطيعة !

كتاب المهلبي إلى العباس ابن الحسين

وحدثنا أبو عبد الله النمري[3] قال : لما وَزَرَ[4] أبو محمد المهلبي سنة أربعين بعد وفاة أبي جعفر الصَّيْمَريّ[5] كتب إلى أبي الفضل العباس بن الحسين وكان بينهما تواصل :

بسم الله الرحمن الرحيم

إني - حفظك الله - وحفظني لك ، وأمتَعَك بي وأمتعني بك ، قد بلوتُك طولَ أيام أبي جعفر - قدَّسَ اللهُ روحَه - فوجدتُك ذا شهامة فيما

---

(١) اجتوى البلد : كره المقام به ، واجتويت القوم : أبغضتهم .
(٢) ج ق - لا تراه .
(٣) ج ق - النفري راجع الفهرست ص ١٢٩ .
(٤) وزر : صار وزيراً .
(٥) هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد الصيمري ، راجع أخباره في الإمتاع والمؤانسة ١/١٣٢ .

يُناط بك ، حَسَنَ الكفاية فيما يوكل[1] إليك ، كتوماً للسِّرِّ إذا استُحْفِظْتَهُ ، حسنَ المساعدة فيما يَجمُلُ بك الوفاق عليه ، وقد حَداني هذا كلُّه على اجتبائك ، وتقريبك ، وإدنائك ، وتقديمك ، وغالبُ ظني أنك تُعينني على ذلك بِمَيْمُونِ نَقِيبَتِكَ[2] ، ومأمون ضَرِيبتك[3] ، وجعلتُ دعامة هذا كلِّه أني أُجريك مَجْرَى الصديق الذي يُفاوض في الخير والشر ، ويُشارك في الغَثِّ والسمين ، ويُستنام إليه في الشهادة والغَيْب ، ولي معك عَيْنان ، إحداهما مَغْضُوضة عن كلِّ ماساءني منك ، والأخرى مرفوعة إلى كلِّ ماسرَّني فيك ، فإن كنت تجد في نفسك على قولي هذا شاهداً صَدُوقاً ، وإمارةً نطوقاً ، فعرفني لأعلم أن فراستي لم تُفَلّ[4] ، وحَدْسي عن طريق الصواب لم يَمِلْ ، والحالَ التي قد جدّدها اللهُ لي هي محروسةٌ لك ، ومُفْرغَةٌ عليك ، ومُستقلة بك ، فأشْركْني فيها بخالصة الوَفاء ، أو تفردْ بها إن شئت بحقيقة الصَّفَاء ، فلك الأَمَنَةُ[5] من حَيْلُولة الاعتقاد ، والسكونَ إلى عفو الاجتهاد ، وثِقْ بأن الذي خطبتُه منك إنما أُريدُه لك ، فلا تقعنْ في وساوسَ صدرِك أنَّ لكاشحٍ[6] لنا فيما نحنُ عليه طريقاً لنقص ، أو لمحبٍّ لنا فيه باباً إلى الزيادة ، واكتفِ بهذا القدْر الذي دللتُك عليه ، واستقبلْ أمري وأمرَك

---

(١) ج ق - يؤكل .

(٢) النقيبة : العقل والمشورة ونفاذ الرأي والطبيعة . وفلان ميمون النقيبة : محمود المختبر ، وفي الصحاح : « إذا كان مبارك النفس » قال ابن السكيت : « إذا كان ميمون الأمر ينجح في مايحاول ويظفر » وقال ثعلب : « إذا كان ميمون للشورة » وفي التاج : « فلان ميمون النقيبة والنقيمة » أي اللون .

(٣) الضريبة : الطبيعة والسجية ، يقال : « هذه ضريبته التي ضُرب عليها » أي طبع .

(٤) الفلل : انثلام الحد .

(٥) الأمنة : الاطمئنان وسكون القلب .

(٦) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، وقيل للذي يطوي كشحه على العداوة ، أو الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه . الكشح من الجسم : مابين السرة ووسط الظهر .

بالذي أرشدتُك إليه ، وإياكَ أن تستشيرَ فيه غيرَ نفسِك فإنك بِعَرَض حسدٍ يكون عِقالاً لحظِّك ، والله يهديك لِلْحُسْنى ، ويقيني فيك غَوائلَ العيون الْمَرْضى والسلام .

قلت للنمري[1] : فماذا أجابه ؟ قال : مَنْ له بجوابٍ في هذا السَّبْك على هذه الحلاوة ؟ إلاَّ أنه استعانَ بأبي عبد الله فكتب له :

جواب العباس

بسم الله الرحمن الرحيم

الوزيرُ ـ أطال الله بقاءه ـ قد خاطبني بما [إن] لوغلطتُ في نفسي ، وادعيتُ ما لا يليق بي ، لكان في ذلك عُذْري ، ولستُ من أصحاب البَراعة ، فأسهبَ خاطباً ، أو أخطبَ مُطْنِباً ، وأنا ، وإن فاتني هذا بفوت الصِّناعة ، فلن يفوتني إن شاء الله ما يستحق عليَّ من القيام بالخدمة وبَذْلِ الطاعة / ، حتى يكونَ جوابي صادراً على مذهب الْخَدَم ، كما كان ابتداؤه صادراً على مذهب أرباب النِّعَم ، وها أنا قد وَكَلْت ناظري بلَحْظه ، ووقفت سمعي على لفْظه ، انتظاراً لأمره ونهيه اللذَيْن إذا امتثلت أحدَهما ومِلْتُ عن الآخر ملكتُ الْمُنَى ، وأحرزتُ الغِنى ، وكانت شمسي به دائرةً وسط السَّماء ، وعيشي[2] جارياً على النَّعماء والسَّراء ، فلا يبقى لي غمٌّ إلاَّ تفرّى[3] ، ولا وَغْمٌ[4] إلاَّ تسرَّى ، ولا إرادةٌ إلاَّ مَبْلُوغةٌ ، ولا بُغْيَةٌ

[١٨ ب]

---

(١) ج ق ـ النفري .

(٢) م ـ عاشري .

(٣) تفرى : تشقق وانشقّ .

(٤) الوغم : الحقد النابت في الصدر . ورجل وغم : حقود . سرَّى عن قلبه : كشف عنه الهم ، وسُرِيَ عنه (على المجهول) كشف عنه ما كان يجده من الغضب .

إلاَّ مُدْرَكَة ، وقد رَفُلْتُ[1] من نِعْمة الوزير ـ أدام الله أيامه ـ في عِطافِ[2] من المسرَّة ، اللهَ أسألُ إسبالَهُ عليَّ مَدَى الدهر ، بنفاذ أمره ، وجَواز خاتمه ، وجَرَيان قلمه ، وشُعاع شَمْسه ، وسلامة نفسه ، ودوام أُنسه ، وهو يُجيب الداعي إذا أخلص في دعائه ، ويُعطي السائل سؤْلَهُ إذا صفى ضميرُهُ في سؤاله ، ولرأي الوزير العلوُّ في قبول ما جادَ به عنده من طاعته ، وقابل به دعوته من إجابته ، إن شاء الله .

وقال آخر :

مع الزمان

أبا يعقوبَ صرتَ قذىً لعيني ... وستراً بين طَرْفي والمنامِ

وكنتَ على الحوادث لي مُعيناً ... فصرتَ مع الحوادث في نظامِ

وكنتَ على المصائب لي سُلوّاً ... فصرتَ من المصيبات العِظامِ

وقال عَبَدَةُ بن الطَّبيب[3] :

نصيحة وتحذير

إن الذين تَرَوْنَهُم خلاّنكم ... يَشْفي صُداع رؤوسهم أن تُصرعوا[4]

فَضِلَتْ عداوتُهم على أحلامهم ... وأبَتْ ضِبابُ صدورهم لا تُنْزَعُ[5]

---

(١) رفل رفلاً ورفلاناً ورفولاً : جرَّ ذيله وتبختر أو خطر بيده فهو رَفِل وهي رَفِلَة .

(٢) عِطاف جمع عطف وأعطفة : الرداء ، سمي بذلك لوقوعه على عِطْفي الرجل وهما ناحيتا عنقه .

(٣) هو عبدة بن الطبيب ، والطبيب اسمه ، شاعر مجيد غير مكثر ، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، شهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز الفارسي سنة ١٣ هـ . وكان عبدةُ أسودَ وهو الذي رثى قيس بن عاصم المنقري التميمي بقصيدة يقول فيها :

وما كان قيس هلكُه هلكُ واحد ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

قال أبو عمرو بن العلاء : هذا أرثى بيت قيل . وقال ابن الأعرابي : هو قائم بنفسه ماله نظير في الجاهلية ولا الإسلام . مات عبدة حوالي سنة ٢٥ هـ .

(٤) رواية المفضليات : إخوانكم ، غليل .

(٥) من قصيدة مشهورة مطلعها :

أبنيَّ إني قد كبرتُ ورابني ... بصري ، وفيَّ لمصلحٍ مستمتَعُ

إصفاء الود

وقال أبو إسحاق السَّبيعي : ثلاثٌ يُصفين لك ودَّ أخيك : السلامُ إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبِّ أسمائه ، وأن لا تُماريه[1] .

أخلاق عالية

سمعتُ العَوَّامي[2] يقول لعليّ بن عيسى الوزير : إن الحال بينك وبين ابنُ مُجَاهِد[3] صفيقةٌ فما الذي قرَّبه منك ، ونَفَّقه عليك ، وأولعَك به ؟ قال : وجدتُه متواضعاً في علمه ، هَشّاً في نُسْكه ، كَتُوماً لسرِّه ، حافظاً لمروءته ، شَفيقاً على خليطه ، حسنَ الحديث في حينه ، محمودَ الصَّمت في وقته ، بعيدَ القرين في عصره ، والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلاّ واحدة لكان محبوباً ومقبولاً .

شاعر :

معاتبة الملول

إذا أنا عَاتَبْتُ الْمَلُولَ فإنَّما ... أخطّط في جارٍ من الماء أحرفَا
فَهَبْه ارعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودتُه طَبْعاً فصارتْ تكلُّفَا

آخر :

المقلي لا يعاتب

يُعاتبُكم يا أم عمرٍو بحبِّكم ... ألا إنما الْمَقْليُّ مَنْ لا يُعاتب[4]

آخر :

---

(١) في عيون الأخبار لابن قتيبة ٩/٣ : « ... أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وتُوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه » .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٢٨/٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس كبير العلماء بالقراءات في عصره ، ولد سنة ٢٤٥ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ ببغداد ، ويقول ابن النديم : « وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسن الأدب ، رقيق الخلق ، كثير المداعبة ، ثاقب الفطنة ، جواداً » وذكر له أسماء مؤلفاته وكلها في القراءات .

(٤) ج ق ـ محبكم ، القالي الذي .

تلون وهجران

إذا مـا تقضَّى الـودُّ إلاّ تكاشراً ... فهجرٌ جميـلٌ للفريقين صـالـحُ[1]

تلـوَّنتَ ألـوانـاً عليَّ كثيرةً ... ومـازج عـذباً من إخـائـك مـالحُ

ولي عنك مُسْتغنىً وفي الأرض مـذهبٌ ... فسيـحٌ ، ورزقُ الله غـادٍ ورائـحُ

لتعلمَ أنّي إذ أردتَ قطيعتي ... وسـامحتَ بـالهِجْران إني مُسـامحُ[2]

آخر[3] :

تصنع وإخلاص

إذا مـا المرء لم يُحْبِبْـكَ إلاّ ... مغـالبُ نفسـهِ سئِم الغِـلاَبـا

ومن لا يُعـطِ إلاّ في عِتَـابٍ ... يُخاف ، يَدَعْ به النَّاس العِتابا

أخوك أخوك من تـدنُو وترجُو[4] ... مـودَّتـه ؛ وإنْ دُعي استجـابـا

إذا حاربتَ حاربَ مَنْ تُعـادي ... وزادَ سـلاحـهُ منـك اقترابـا

يُواسي في الكريهـةِ كلَّ يـومٍ[5] ... إذا ما مُعْضِلُ الْحَدَثـان نـابـا[6]

وقال رجل لصاحبٍ له : إنما اشتـدَّ غضبي ، لأن من كان علمُـه أكثر ، كان ذنبُـه أكبر ، قـال : فهـلاً جعلتَ سَعَـةَ علمي سبيـلاً إلى حسن الظنِّ بنزوعي ، أو إلى أني غـالـط في تفريطي ، مخطئٌ بقصْدي[7] ، غير مُعـانـدٍ لك ، ولا جريءٍ[8] عليك .

(١) التكاشر : الكشف عن الأسنان . والتبسّم .

(٢) ج ق - « قطعت وإن سامحت إني مسامح » .

(٣) الأبيـات لربيعـة بن مقروم الضبي كما ورد في حمـاسـة البحتري ٦٧ ، وحمـاسـة أبي تمـام ١١٦/٢ ، هو ربيعة بن مقروم أحـد شعراء مضر المعـدودين في الجـاهليـة والإسلام ، أسلم فحسن إسلامه وشهد القادسية وغيرها من الفتوح وعـاش مـائـة سنـة . راجع المفضليـات طبعة دار المعارف ص ١٧٨ .

(٤) رواية الحماسة : فتدنو .

(٥) ج ق م - كريهة .

(٦) رواية الحماسة : مضلع ، وفي رواية : ضالع .

(٧) ج ق - لقصدي .

(٨) ج ق - خزي .

استغناء ويأس

ورأيت الزُّهيري[1] وقد كتب إلى ابن الأزرق كتاباً كتب في آخر هذه الأبيات :

اذهبْ فلا حاجةَ لي فيكا غطَّت على عينيَّ مساويكا
وارغبتا فيك بَدَتْ سوءتي واسوءتا من رغبتي فيكا[2]
قد كنتُ أرجوكَ أخاً لي فلا أفلحَ من أمْسَى يرجِّيكا

وقال بعضهم : تركتني معرفةُ الناس فَرْداً .

وأنشد آخر :

الصديق الشفوق

تركتني صحبةُ الناس ومالي من رفيقِ لم أجد إشفاق ندماني كإشفاق الصَّديقِ

رسالة الصداقة والصديق

قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، وما يتصل بالوفاق ، والخلاف ، والهجر ، والصِّلة ، والعَتْب ، والرضا ، والْمَذْق ، والرياء ، [والتحقق] ، والنفاق ، والحيلة ، والخداع ، والاستقامة ، والالتواء ، والاستكانة ، والاحتجاج ، والاعتذار ، ولو أمكن لكان تأليفُ ذلك كلؤه أتمَّ مما هو عليه ، وأجرى إلى الغاية في ضمِّ الشيء إلى شَكْله ، وصبِّه على قالَبه ، فكان رونقُه أبْيَن ، ورفيقُه أحسن ، ولكنَّ العُذْر قد تقدّم ، ولو أردنا أيضاً أن نجمعَ ماقاله كلُّ ناظم في شعره ، وكل ناثرٍ من لفظه / لكان ذلك عَسيراً ، بل مُتعذّراً ، فإنّ أنفاسَ الناس في هذا الباب طويلةٌ ، وما مِنْ أحدٍ إلاّ وله في هذا الفن حُصَّةٌ ، لأنه لا يخلو أحدٌ من جارٍ ، أو مُعاملٍ ، أو حميمٍ ، أو صاحبٍ ، أو رفيقٍ ، أو سكنٍ ، أو حبيبٍ ، أو صديقٍ ، أو أليفٍ ، أو قريبٍ ، أو بعيدٍ ، أو وليٍّ ، أو خليطٍ ، كما لا يخلو أيضاً من عدوٍّ ، أو كاشحٍ ، أو مُداجٍ ، أو مُكاشِفٍ ،

[١٩أ]

(١) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٣/١ .
(٢) ج ق - يارغبتي ، ياسوأتي .

أو حـاسِـدٍ ، أو شـامِتٍ ، أو مُنـافِقٍ ، أو مُـؤْذٍ ، أو مُنَـابـذٍ ، أو مُعـانِـدٍ ، أو مُزِلٍّ ، أو مُضِلٍّ ، أو مُغِلٍّ ، وقد قال الأوائل : الإنسانُ مـدنيٌّ بـالطبع ، وبيانُ هذا أنه لا بدّ له من الإعانة ، والاستعانة ، لأنـه لا يكْمُلُ وحـدَهُ لجميع مصـالحـه ، ولا يستقلُّ بجميع حـوائجـه ، وهـذا ظـاهرٌ ، وإذا كان مَـدَنيـاً بالطبع كما قيل فبالواجب ما يعرضُ في أضعاف ذلك من الأخذ ، والعطاء ، والمجاورة والمحاورة ، والمخالطـة والمعـاشرة ، مـا يكونُ سببـاً لانتشـار الأمر ، ولا محالةَ أن هذه وأشباهِها مُفْضيـةٌ إلى جملـة مـا نعتـه هؤلاء الـذين روينـا نظمَهُم ونثرَهم ، وكتبنـا جَـوْرَهم وإنصـافَهم ، وذلـك أعلى فنـون مـا قـالـوه ونظروه ، وعيون مـا ذكروه ونشروه ، ونروي في هـذا الموضـع بقيـةَ أبيـاتٍ وإن عَنَّ شيء حَكَيْناه ، ونغلقُ الرسـالـة فـإنهـا إذا طـالـت بُغضت[1] ، وإذا بُغضت[2] هُجرت ، وربما نيلَ من عِرْض صاحبها ، وأُنحيَ باللائمة عليـه من أجلها ، وهو لم[3] يقصدْ إلاّ الخير ، ولا أراد إلاَّ الرّشاد ، وقـد يُؤتى الإنسـان من حيثُ لا يعلم ، ويُرْمَى من حيث لا يَتَّقي ، كما يـــأتي من حيثُ لا يَحتَسب ، وينجـو وقـد أشْفى ، ويُـدْرِكُ وقـد غلب اليـأسُ[4] . قـال العَطَوي[5] :

الإنسان مدني بالطبع

عزاء واستغناء

لا تَبْكِ إثْرَ مولٍّ عنـك مُنْحَرِفٍ — تحتَ السَّماءِ وفوقَ الأرضِ أبْدالُ[6]

النَّاسُ أكثرُ من أن لا ترى خلقـاً — ممن زوَى وجهه عن وجهك المالُ

(١ و٢) ج ق ـ أبغضت .

(٣) ج ق ـ فلم لا .

(٤) ج ق ـ الناس .

(٥) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطيّة العطوي من شعراء الدولة العباسيـة ولـد في البصرة ونشـأ فيهـا ، كان معتزليـاً ، يعـدُّ من المتكلمين الحـذّاق ، اشتهر في أيـام المتوكل واتصل بابن أبي دُواد وحظي عنده ، وكان منهوماً بـالنبيـذ ولـه فيـه وفي الفتوح أشعار كثيرة . توفي العطوي سنة ٢٥٠ هـ .

(٦) أبدال : مفردها بِدْل وبَدَل وبديل وهو العوض والخلف .

ما أقبحَ الوَصْلَ يُدنيه ويُبعدُه ... بين الصديقين إكثارٌ وإقلالُ

الصَّنَوْبَري[1] :

لا عزاء ولا سلوى

يا ناصِحاً ما زال يُتبعُ نُصْحَهُ ... غِشّاً إذا نَصَح الصديقَ صديقُهْ
فَلَهُ العَزاءُ بِرَوْمِ لستُ أرومُه[2] ... قلتُ السلو يُطاقُ لست أُطيقُهْ

آخر :

عتاب وتساؤل

رَمَيْتَ هَوايَ مِنْ مَرْمىً قريبٍ ... وكنتَ أخي فصرتَ أخا الخطوبِ
قَدَرْتَ من الجُسوم على تناءٍ ... ولكن لا تنائيَ للقلوبِ
فمِمَّنْ تطلُبُ الإنصافَ يوماً ... إذا جارَ الأديبُ على الأديبِ

آخر :

وهم وخيبة

كَمْ مِنْ صديقٍ صادقِ الظاهرِ ... متَّفقِ الأول والآخرِ
أطمعَني في مثلِهِ مَطمَعٌ ... مِنْ خاطري، لا كانَ من خاطرِ
حتى إذا ما قلتُ فازتْ يدي ... بمثلِهِ فوزَ يَدِ القامرِ
وجدتُ في كفِّي منه كما ... قد مُلئت منه يدُ الزامرِ

آخر :

مشاركة عاطفية

أخُو ثِقَةٍ يُسرُّ بحسن حَالي ... وإن لم يُدْنِهِ مني قَرابَهْ
يُسرُّ بما أُسَرُّ بهِ ويَشْجَى ... إذا ما أزْمَةٌ نَزَلَتْ رِحَابَهْ
أحبُّ إليَّ من ألفيْ قريبٍ ... بناتُ صدورهم ليَ مُسْترابَهْ

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد الحلبي الصنوبري ، شاعر ولد في أنطاكية وسكن حلب ودمشق توفي سنة ٣٣٤ هـ ، له ديوان شعر أكثره في وصف الرياض والبساتين . كان أميناً على خزانة سيف الدولة الحمداني .

(٢) رامه يرومه رَوْماً ومراماً : أراده فهو رائم .

آخر :

تحذير من الغادر

ولا تصِلْ حبلَ غـادرٍ مَلِـقٍ ... فـالغـدْرُ من شرِّ شيمـةِ الرجـلْ

لا خيرَ في غــادرٍ مـودّتُــه ... كالصّابِ ، والقولُ عنه كالعسلْ[1]

آخر :

تساؤل مؤلم

مـا لي جُفيتُ وكنتُ لاأُجفى ... ودلائــلُ الهِجْران لا تَخْفى

مـــالي أراك نسِيْتني بَطَراً ... ولقـد عهـدتُـك تـذكرُ الإلفَـا

آخر :

وجه جديد

أخلقَتْ عنـدَهُ الْمَلالَةُ وَجهي ... كيفَ لي عِندَهُ بوجهٍ جديـدِ ؟

آخر :

ثقل وإملال

أتَعجَبُ إنْ جفــــاكَ أخٌ ... لغيركَ عنــــكَ مُنْتقِــلُ

فــلا تَعْجَبْ لِجَفْــوَتِــهِ ... ثَقُلْتَ فَمَلَّــكَ الرَّجُــلُ

آخر :

ملاحظة ونبوّ

عَهْدي بطَرْفِكَ لا يزالُ مُلاحِظي ... يَرنُو إليَّ رُنوَّ طَرْفِ الحافِـظِ[2]

فاليومَ تَنْبُو عن جنـاني نَبْوةً[3] ... وأراكَ من بعدِ الإساغَةِ لافِظي[4]

آخر :

---

(١) الصاب : شجر مرّ والواحدة صابة .

(٢) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . الحافظ : يقـال : رجل حـافـظ العين : أي لا يغلبه نوم .

(٣) ج ق ـ كلامي جفوة .

(٤) أساغ الشراب : سهّل مشربه . لفـظ الشيء من فـمه : رمى بـه وطرحـه فـالشيء ملفوظ ولفيظ .

صحبة الملول

تَـوَقَّ من الإخـوانِ كلَّ مُمازِحٍ يَزولُ معَ الأفْنـاءِ حيثُ تَزولُ[1]
فَلا تَصْحَبَنَّ مُستَطرِفاً ذا مَلالَةٍ[2] فليسَ على عَهْدٍ يَـدومُ مَلُولُ

آخر :

عتاب وشفاعة

وحَقِّكَ ما تَرْكي عِتابَكَ من قِلًى ولكِنْ لِعِلمي أنَّـهُ غيرُ نـافِـعِ
وإنّي إذا لم أصْبِرِ اليومَ طـائعـاً فلابدَّ منـهُ مُكْرَهـاً غيرَ طـائعِ
إذا أنتَ لم تَعْطِفْكَ إلاَّ شَفاعَـةٌ فلا خيرَ في وُدٍّ يَكـونُ بشـافِـعِ

إبراهيم بن العبّاس الكاتب :

معاتبة وأمل

أخ بيني وبينَ الـدَّهرِ صـاحبُ أيّنـا غَلبـا
صـديقي مـا استقـامَ فـإن نَبَـا دَهرٌ عليَّ نَبـا[3]
وَثَبْتُ على الـزَّمـانِ بـهِ فَعـادَ بِـهِ وقَـدْ وَثبـا
ولـو عـادَ الـزَّمـانُ لَنـا لعـادَ بـهِ أخـاً حَـدِبـا[4]

آخر :

ظن بيقين

كنتُ عبـداً لـك مـأمـونـاً على دنيـا ودين
بعتني سمحـاً بقـولٍ جـاء من غير يمين
ليتَ شعري عنـك لِمْ حكَّمتَ ظنّـاً بيقينِ
سترى مـا تكشف الخبرة من غيب الظنـون

---

(١) يقال : « هو من أفناء الناس » أي لا يعلم ممّن هو .

(٢) الطرف والمستطرف : المتكلف الملول ومن لا يثبت على صاحب ، وهي تقابل الكلمة الفرنسية (Capricieux) ، ويقال : « ناقة مستطرفة : طرفة » أي لا تثبت على مرعىً واحد .

(٣) رواية الطرائف الأدبية ص ١٥٥ ، وفي ج ق م : صديق .

(٤) حدب عليه : تعطّف .

آخر :

خليلٌ نـأى عني الـزمـان بـودّه فأعرض واستولى على أمره الغدرُ — غدر واستغناء
فألبستُه الثوبَ الذي اختارلبسـه وأحسن من ودٍّ يضيق به الصـدرُ
وأفضل من أمرٍ يُريبُك تركُـه وأجمـلُ من مـالٍ يُرمُّ بـه الفَقْرُ
فإنْ عاشَ فالأيـامُ بيني وبينَـهُ وإنْ ماتَ لم أجْزَعْ لمن ضَمَّهُ قبرُ
إذا ما امرؤٌ جارتْ عليـك ظنونُـهُ وسامَكَ ما فيـه المذلَّـةُ والصُّغْرُ
فَكِلْـهُ إلى حُكم الحـوادث إنّــه كَفَى مُنْصفاً مِمَّن تظلَّمكَ الـدهرُ

آخر :

عَاشِرْ أخاكَ على ما كان من خُلُق واحفَظْ مودَّتَه بالغيبِ ما وَصَلا — حفاظ وتساهل
فأطولُ النَّاسِ غَمّاً من يُريد أخاً ذا خِلَّـة لا يَرَى في ودِّه خَلَلا[1] / — [١٩ ب]

آخر :

أجَفَـوْتَني في مَنْ جَفَـــاني وجعلتَ شـأنَـك غيرَ شَـاني — هجران وتسليم
ونسيتَ مني مــــوضعــــاً لَـكَ لم يكنْ لَـكَ فيـه ثـاني
وسُررتَ يـومــاً واحــداً أنْ لاأراكَ ولا تَراني
وهجرتَـــني وقطعــتَني وقَلَيْتَني في مَنْ قَــــلاَني
أفعلتهـــا فـــالمستعـــان الله أفضـــلُ مُسْتَعـــانِ

آخر :

تَملَّقْتُـه جَهْـدي فلَمَّـا رأيتُـه إذا لانَ مني جانبٌ عزَّ جـانبُـهْ — تملق وإطراء
جريتُ له في الصَّدْرِ مِني مودةً وخلَّيتُ عنـهُ مُهْمِلاً لا أُعاتِبُـهْ

---

(١) الخلّة : المصادقة والإخاء ، يقـال : « فلان كريم الخلّـة والخل » أي المصـادقـة والإخـاء .
الخلل : الوهن والفسـاد .

أطيّن عَيْنَ الشمس كَيْلا يقالَ لي   طبائعُه مذمومةٌ ومذاهبُهْ
وأُطريهِ بالقولِ الجميلِ وعندهُ   مِنَ التّيهِ مُطريه سواءٌ وعائبُهُ[1]

آخر :

سلوك ونصيحة

غَلِطَ الفتى في قولهِ   مَنْ لا يُرِدْكَ فلا تُرِدْهُ
مَنْ ناقشَ الإخوانَ لم   يُبْدِ العتابَ ولم يُعِدْهُ
عَاتِبْ أخاكَ إذا هَفَا   واعطفْ بفضلِك واستَعِدْهُ
وإذا أتاكَ بعيبهِ   وَاشٍ فقلْ لم يَعْتَمِدْهُ
فلقلّما طَلَبَ الفتى   عَيْباً لخلٍّ لم يَجِدْهُ

جرير :

التعلل بالمنى

وإني لمغرورٌ أُعَلَّلُ بالْمُنى   ليالِيَ أرجُو أنَّ مالَك ماليَا[2]
بأيِّ سِنان تطعنُ القوم بعدما   نَزَعْتَ سِناناً من قَنَاتِك ماضِيا

وقال آخر :

ملالة وتجني

تبدَّلتَ بعدي والْمَلُولُ إذا نأتْ   به الدارُ عن أحبابهِ يَتبدَّلُ
فبانَ القِلَى لي منك واتضحَ الْخَفَا   ولاحَ لنا منه الذي كان يُشكلُ
أحينَ أنارتْ للمودة بيننا   رياضٌ بَدَا نُوّارُها يتهلَّلُ[3]
ودامتْ سماءُ اللهو تنهلُّ سَحَّةً   علينا بأنواع الوفاء وتَهْطِلُ[4]

---

(١) تاه يتيه تيهاً : صلف وتكبر .
(٢) من قصيدة مطلعها :
ألا حيّ رهبى ثم حيّ المطاليا   فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا
الديوان ص ٦٠١ .
(٣) النُّوار : مفردها نوّارة وهي الزهر الأبيض .
(٤) سحَّ الماء سحّاً وسحوحاً : سال من فوق إلى أسفل ، وكذلك المطر والدمع ، وسحَّ الماء وغيره : صبَّه صبّاً متتابعاً كثيراً .

تَنكَّبْتَ قوسَ اللهوِ ثمّ رميتَني[1] وخليتني أبكي الوصالِ وأعْـولُ
سأحفظُ ماضيَّعتَه من إخـائنـا لتعلمَ أني عنــــه لا أتبــــدَّلُ

ابن أبي فَنَن[2] :

استغناء وقناعة

إذا كنتَ تَغضبُ من غير ذَنْبٍ وتعتبُ مِنْ غير جُرمٍ عليّـــــا
طلبتُ رضـاكَ فـإن عـزَّ لي عَدَدْتُكَ ميتـاً وإن كنتَ حيًّا
قَنِعْتُ وإن كنتُ ذا حــاجـةٍ فأصبحتُ من أكثر الناس شيًّا
فـلا تعجبنَّ بمـا في يـديـكَ فـأكثرُ منـه الـذي في يـديًـا[3]

وقال آخر :

تغير الصديق

وأخٍ كانَ لي وَدُوداً محبّــــــاً ناصحاً ، ومِقاً ، رفيقاً ، شَفيقَـا[4]
كان أحلى من الجنى بصيِّبِ الْمُـزْنِ يُرْضيـك صَـامتـاً ونَطُـوقَـا
لِمَ لَمَّا أصـابني الـدهرُ بـالجفْوةِ منـه صـارَ البعيـدَ السَّحيقَـا
يا صديقي ما كنتَ لي بصديقٍ إنمـا كنتَ للـزمـانِ صَـديقـا
صرت تشرى إذا التحفت بثـوبي وتشكي إذا سلكنـــا طريقـــا

آخر :

حرمة الصداقة

وأخٍ كانَ لي فـأصبحتُ منــه كأشـلِّ اليــدَيْنِ أو كالأجبِّ[5]
ضـاقَ ذَرْعـاً بـزلَّـةٍ لي كانتْ فـانتحى لانتهـاكِ سِرِّي وثَلْبي

---

(١) تنكب كنـانتـه أو قوسـه : ألقـاها على منكِبـه (بكسر الكاف) وهو مجتمع رأس الكتف والعضد .
(٢) هو أحمد بن أبي فنن مولى بني هاشم راجع خبره في الأغاني ٢٧/٤ ، ١٠٧ .
(٣) ج ق ـ فأكبر . راجع : عيون الأخبار ٢٨/٣ .
(٤) وامقه ومِاقاً وموامقة : أحب كلاهما الآخر ، توامق الرجلان : تحابّا . الوميق والمومـوق : المحبوب .
(٥) الأجب : جُبّ الرجل ، فهو مجبوب بين الجباب ، إذا استؤصلت مـذاكيره . بعير أجب : =

أفمـــا كان في المــودّة والْحُرْمـــةِ حــقٌ يُرِيـــهِ غُفرانَ ذَنْبي ؟

وقال آخر :

خطب الفراق

وكلُّ مُلِمَّاتِ الـزَّمـانِ وَجَـدْتُهـا[1] سوى فرقةِ الأحباب هيِّنـة الْخَطْبِ

لئن كنتَ أمسيتَ العشيَّــةَ سيـــداً شديـد شُحوب اللون مختلف العضب

فـالـك من مَـوْلاك إلا حفـاظَـهُ ومـا المرءُ إلاَّ بـاللســان وبــالقَلْبِ

همـا الأصغرانِ الـذائـدان عن الفتى مكارهَهُ والصـاحبـانِ على الْخَطْبِ

فـــإلاَّ أكُنْ كلَّ الكريم فـــإنَّني أكفُّ عن الجـاني وأصبرُ في الجـدْبِ

ماني الْمُوَسْوَس[2] :

بعد وتباعد

رأيتُـك لا تختـارُ إلاَّ تبـاعـدي فبـاعـدتُ نفسي لاتِّبـاع هَوَاكا

فبعـدُك يُؤْذيني وقربي لكم أذىً فكيف احتيالي يا جُعلتُ فِداكا ؟

آخر :

عزلة اختيارية

رأيتُك تجفُوني فأحـدثتَ عُزْلـةً لتُخفي الذي يـأتي إليّ فتَعْـذَرَا

آخر :

بغض ويأس

أطِلْ حبل الشَّنـاءَةِ لي وبغضي وعِشْ ما شئتَ فانظر من تضيرُ

فمـا بيـديْــك خيرٌ أرتجيــهِ وغيرُ صُــدُودك الخطْبُ الكبيرُ

إذا أبْصَرْتَني أعْرَضْتَ عنّي كأنَّ الشمسَ من قبلي تــــدُورُ

= لا سنام له وناقة جبّاء . قال النابغة :

ونأخـذ بعـده بـذنــاب عيشٍ أجبِّ الظهر ليس لـــه سَنَـــامَ

(١) ملمات مفردها مُلِمَّة وهي النازلة الشديدة من نوازل الدنيا .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن القاسم المعروف بماني الموسوس شاعر ظريف من أهل مصر رحل إلى بغداد واتصل بالمتوكل العباسي . توفي سنة ٢٤٥ هـ ، راجع أخباره في فوات الوفيات ٢٦٢/٢ .

آخر :

وموليً كأنَّ الشمسَ بيني وبينهُ　　　إذا ما التقيْنا ليس مِمَّنْ أعاتبُهْ

قال ابن المرزُبان الكاتب[1] : سمعتُ الخليفة المطيع يقول : صديقُك صديقُك ، وصديقُ صديقك صديقُك ، وعدوُّك عدوُّك ، وصديقُ عدوِّكَ عدوُّك ، وعدوُّ صديقِك عدوُّكَ ، وعدوُّ عدوِّكَ صديقُكَ . صديق وعدو

وقال آخر :

وذوي ضبابٍ مُظهرين عَداوةً　　　قَرْحَى القلوبِ مُعاودي الأكبادِ
ناسيْتُهم بغضاءَهم وتركتُهم　　　وهم إذا ذُكِرَ الصديقُ أعادِي
أعداء

وسمعتُ ابن بابَوَيْه القُمّي العالم[2] يقول : قال جعفر بن محمد : مناغاة الصديق أعبثُ بالروح ، وأندى على الفؤاد من مُغازلة الْمَعْشوق ، لأنك تَفْزَعُ بحديث المعشُوق إلى الصديق ، ولا تفزعُ بحديث الصديق إلى الْمَعْشوق . المعشوق والصديق

وحدثني ابن السَّرّاج قال : كتبتُ إلى ابن الحارث الرّازي : كتبتُ إليك عن محلٍّ قد ابتهجَ بودِّك ، وانزعج لصدِّك ، يُناديك ، ألاَ إن القلبَ قد تألّم بمفارقتك ، فمتى يَلَمُّ شَعْثُ الأنس بمشاهدتك ، فأجبتُه : كلا وإن امتزج فرحُ الاتصال ، بترَحِ الانفصال ، فما ضرّ مباعدة الأشباح مع مساعدة الأرواح ، قال : فأجابني : / : أما صدر كتابك فغنيٌّ عن دَلالتك عليه ، لإحساسي بشاهده عندي ، وكيف أعدم الشاهد عليه وأنا الأولُ فيه ، كتاب ابن السراج إلى الرازي [٢٠ آ]

(١) كاتب فخر الدولة البويهي ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٢/١ ، ١٤١ .

(٢) ج ق ـ ابن مانويه ـ هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمّي ويعرف بالشيخ الصدوق من فقهاء الشيعة ، ومحدث إمامي كبير قيل : له نحو من ثلاثمائة مصنَّف ، أصله من قم ونزل بالريّ وارتفع شأنه في خراسان ، وتوفي ودفن بالري سنة ٣٨١ هـ .

والجالبُ له ، وأما عجزُه فشديد الأخذ بطرفٍ من القَسْوةِ ، لسلوك بأحدِ الأمرين عن الآخر ، ولو علمتَ أنَّ تمامَ الأفراح ، بمساعدة الأرواح ، ومشاهدة الأشباح ، لم تقلْ ماقلتَ ، ولم يَبْلُغ - أكرمك الله - في اللطافة أن يكونَ من غير هذا النوع الذي نحنُ منه ، لكني أقول : كتبتُ إليك من محلٍّ مُوحشٍ لبُعدك ، بلفظ مضطربٍ[1] أنِسَ[2] بذكرك مُستوحشاً ، واستوحشَ إلى رؤيتك مستأنِساً ، ولو كنتَ قريباً مني لكان هذا كلُّه مطرَّحاً ، والأملُ مُدْرَكاً مُقْتَرحاً ، والعائقُ مرفوعاً ، والطَّرْف متنزهاً ، والزمانُ نضراً ، والدهرُ محموداً ، والسلام .

شاعر :

نكر الصديق

وحَسْبُكَ حسرةً لك من صديقٍ	يكون زمامُه بيديّ عدوٍّ

ثبات ووفاء

أخبرنا ابنُ مقسم قال : سمعتُ أحمد بن يحي يقول : كتبَ رجل إلى الزبير بن بكَّار يَستجفيه فأجابه :

ما غيَّرَ الدَّهرُ وُدّاً كنتَ تعرفُهُ	ولا تبدَّلتُ بعدَ الذِّكرِ نِسْيَانا
ولا حمدتُ وفاءً من أخي ثقةٍ	إلا جعلتُك فوقَ الحمد عُنوانا

فضيلة الحذر

وكتب سعيد بن جُبَيْر إلى أخٍ له : أما بعدُ ، ياأخي ، فاحذرِ الناس ، واكفهم نفسَك ، ويسعُك بيتُك .

محبة في الله

قال رجل لمحمد بن واسع : إني لأُحبُّك في الله ، قال : فأطِعْ مَنْ تُحِبني فيه .

---

(١) ج ق - مطرب .

(٢) ج ق - آنس .

بين المسلم والفاجر

قال أبو خازم المدني لسَلَمة بن دينار : لأنْ يُبغضَك عدوُّك الْمُسْلِم خير من أن يُحبَّك عدوُّك الفاجر .

وجود وانتفاء

سمعتُ ابن الجلاَّء يقول بمكَّةَ : يُقال : مَنْ لا إخوانَ لـه فلا عيشَ لـه ، ومن لا ولدَ له فلا ذِكْرَ له ، ومن لا مالَ له فلا مروءةَ لـه ، ومن لا عقلَ لـه فلا دنيا له ولا آخرة .

قال أبو عثمان النَّصيبي : من لا إخوانَ له فلا تَعَبَ له ، ومن لا ولـدَ لـه فلا حجابَ عليه ، ومن لا مال له فلا حسابَ عليه ، ومن لا عقلَ له فهو في الجنة .

شاعر :

إساءة ومسامحة

هَبْني أسَأتُ كما زعمتَ فأيْنَ عاقبةُ الأُخوَّهْ
وإذا أساتَ كما أسأتُ فأين فضلُك والمروّهْ

بين النصحين

وقال أعرابي : نُصْحُ الصديق تأديب ، ونُصْحُ العدو تأنيب .

بين صبرين

قال الفضل بن يحي : الصبر على أخٍ يُعتَبُ عليـه خيرٌ من أخٍ يَستـأنف مودَّتَهُ .

بين الإنشاء والتربية

وسمعتُ ذا الكفايتين ابن العميد ببغداد يقول : إنشاءُ للعرفة صعبٌ ، فلما نَـدَرْنـا[1] من مجلسه قـال أبـو إسحـاق الصَّابي : تربيتُها أصعبُ من إنشائها . عرضتُ هذا الكلام على أبي سليمان فقال : أما الإنشاء فإنما صَعُبَ لأنه لا أوائلَ له يُناط بها ، ويؤسسُ عليها ، وأما التربيةُ فإنما صعُبَتْ أيضاً لأنها تستعيرُ من الإنسان زماناً مـديـداً هو يَشِحُّ بـه ، وعَنـاءً مُتصلاً يشتـدُّ

---

(١) ندر فلان من قومه : خرج .

صبرُه عليه ، ومالاً مبذولاً قلَّما تطيبُ النفسُ بإخراجه إلا إذا كان الكرمُ له طباعاً ، ويجد من ضريبته[1] إليه نِزَاعاً .

وقال ذو الشامة يرثي أخاه :

رثاء أخ

ذكرتُ أخي أخا الخير الـذي لم يَبْـقَ لي خَلَفا
ولا أرجوهُ إلاّ اللهَ منه الـدهرَ مُـؤْتنفا
أخاً مـا كان لي كأخٍ وبي بَرّاً وبي لطفـا
كفَى مَن كنت كافيـه وسـدَّ مسـدَّ من سَلَفـا
وحُـقَّ لعَينِ مَنْ أمْسى بمـا أمْسَيتُ مُعْترفـا
من الإيحـاش والإيجـاسِ والإفراد أن يكفـا[2]

خير الإخوان

وقال أبو بكر : خيرُ إخوانك من آساكَ ، وخيرٌ منه من كفاكَ ، وخيرُ مالك ما أغناكَ ، وخيرٌ منه ما وَقَاك .

قال المأمون الخليفة : مَنْ لَمْ يؤاسِ الإخوانَ في دولته خَذَلوهُ في شِدَّته[3] .

وقال :

بعد الموت

لا أعرِفَنْكَ بعدَ الموت تندُبُني وفي حياتي مـا زودتَني زَادي

وقال آخر :

طاعة وإخلاص

ليس عنـدي وإن تغضَّبتَ إلا طـاعـةٌ حرّة وقلبٌ سليمُ
وانتظـارُ الرضـا فـإنَّ رضـا السـاداتِ عـزٌّ وعتبُهُم تقـويمُ

---

(١) الضريبة : الطبيعة والسجيّة يقال : هذه ضريبته التي ضرب عليها ، أي طبع .
(٢) أوجس الرجل إيجاساً : أحسّ وأضمر يقال : « أوجس القلب فزعاً » أحسَّ به .
(٣) الشدّة : نقيض اللين وخلاف الرخاء ومكاره الدهر والجمع شدائد .

رجل من بَلْعَنْبَر :

لقد ألبسَ المولَى على غِشٍّ صَدْرَهُ ... وأفقأ بَيْضات الضغائن بالهُجْرِ[1] — بين التنائي والتداني

يُثير التّداني بيننا كلَّ دِمْنَةٍ[2] ... ويَشْفي التّنائي بيننا وخَزَ الصّدرِ

آخر :

ضعفتُ عن الإخوان حتى جفوتُهم ... على غير زُهْدٍ في الإخاء ولا الودِّ — ضعف وحرمان

ولكنَّ أيامي تُحَرِّمْنَ مُنيتي[3] ... فما أبلغُ الحاجاتِ إلاَّ على جَهْدِ

آخر :

من عفَّ خفَّ على الصَّديق لقاؤُه ... وأخُو الحوائج وجهُهُ مَمْلُولُ — عواقب الإملال

وأخوكَ مَنْ وفَّرتَ ما في كيسهِ ... فإذا غدرتَ به فأنتَ ثقيلُ

آخر :

أيامَ أنْ قُلتُ قالَ في سرعٍ[4] ... وإن كرهْنَا بدا تأبّيهِ — مسايرة وامتياز

مساعدٌ ، مونقٌ ، أخو كَرَمٍ[5] ... فليسَ شِبْهٌ لهُ يُدانيهِ

آخر :

قُلْ للذين صحبناهُم فلم نَرَهُمْ ... إلاَّ لمن صَحِبُوا يرضوْنَ بالدُّونِ — الهجر المحمود

سلامةُ الدِّين والدُّنيا فراقُكُم ... وقربُكُم آفةُ الدنيا مع الدِّينِ

---

(١) يقال للعاجز : « فلان لا يفقيء البيض » وأفقأ بيضات الضغائن : فجرها وأظهرها .

(٢) الدمنة : الحقد القديم ، والحقد الثابت إلى الأبد .

(٣) ج ق ـ تخرمن .

(٤) سَرُعَ سراعةً وسِرّعاً وسرَعاً وسُرعة : نقيض بَطُؤَ .

(٥) ج ق ـ منجد .

أنـــا النـــذيرُ لمغبـونٍ بصُحْبتكم   مُحَارَفٌ، جـاهلٌ، بـالأمر مَفْتون[1]
خـاب الغبينُ الـذي يبغي مـودّتكم   وليس هـاجرُكم عنـدي بِمَغْبُـونِ

وأخبرنا ابن مقسم قال : أنشدنا أحمد بن يحي الشاعر :

صفاء وعتاب وسماح

وإنّي لتصفُـو للخليـل مـودّتي   وقد جعلت أشيـاء منـه تَريبُ
أخافُ لجاجاتِ العتاب بصاحبي   وللجهلِ من قلب الحليمِ نصيبُ
فإن فاءَ لم أعدُدْ عليه ذُنُوبَـهُ[2]   وهل بعد فَيْئات الرجال ذُنوبُ /

[٢٠ ب]

ابن عروس :

مناجاة حبيب

يــــا فتىً كانتْ بـــــه دُنيـــــايَ تصفُـــو وتطيبُ
ولـــــــه كانت تضيـــــقُ الأرضُ بي حين يَغيبُ
مـــا الـــذي رَابَـــك والأيـــامُ مـــا زالتْ تريبُ
فيم إعراضُـــــك عني   أيهـــــا الحرُّ اللبيبُ
أمَـــلاَلاً فهـــو مـــا ليس يُـــداويـــهِ طبيبُ
أم لظنٍّ فـــــامتحنْ فـــــالظنُّ يخطي ويُصيبُ
أم لعتْبٍ فعتـــــابُ الحرِّ يُجـــــدي ويُثيبُ
أم لـــذنبٍ فلـــك اللهُ بـــأنّي ســـأتـــوبُ

شاعر :

الصبر على النفس

كيف صبري عن بعض نفسي وهـل يصبرُ عن بعض نفسـه الإنسانُ

آخر :

---

(١) المحارف : المحروم المحدود الذي إذا طلب فلا يرزق وهو خلاف مبارك . قال الراجز :
محـارف بـالشـاء والأبـاعر   مُبَـارَّ بـالقلعيِّ البـائر
(٢) فاء يفيء فيئاً : رجع ، والفَيْئَة : المرة من الرجوع .

شواهد التجني

وإذا أرادَك صاحبٌ بجنايةٍ   جعل التجنّي للجفاء سبيلا
فترى دواعي الهجر في حَرَكاته   وكفى بذلك شاهداً ودَليلا

وأخبرنا المرزُباني قال : حدثنا ابن أبي الأزهر قال : أنبأنا بُندار قال : أنشدني ابن السّكّيت :

ألم الهجر

إني لأصْبَرُ من عَوْدٍ به جَلَبٌ   عند الملّمات إلاّ عند هجرانِ[1]
إذا رأيتُ ازوِرَاراً من أخي ثِقَةٍ   ضاقتْ عليَّ برحب الأرض أوطاني
وما صدودُ ذواتِ الدَّلّ أرْمَضَني[2]   لكنّما الهجر عندي هجرُ إخواني
فإن صَدَفْتَ بوجهي كي أجازيَه[3]   فالعينُ غَضْبَى ، وقلبي غيرُ غضبانِ

أبلغ وأحسن

أخبرنا الْمَرْزُباني أبو عبد الله ، حدثنا الصُّولي ، حدثنا أبو العَيْناء قال : كان ابن أبي داود يقول : لوأراد العباسُ بنُ الأحنف بقوله :

المرء قد يُرزق أعداؤهُ   منه ويَشْقَى بالصديقِ الصديقُ

إصلاحاً بين قبيلتين من العرب ، أو إقامةَ لخطبة ، أو إرْسالاً لمثل وحكمةٍ لكانَ أبلغ[4] وأحسن .

وله أيضاً :

قريب وبعيد

إذا امتَنَعَ القريبُ فلم تَنَلْهُ[5]   على قُرْبٍ فذاكَ هو البعيدُ

أخبرنا القاضي أبو السائب ، حدّثنا ابن أبي طاهر ، قال الكِنْدي :

---

(١) الجلب مفردها جُلْبَة : القشرة تعلو الجرح عند البرء .
(٢) أرمض فلاناً : أوجعه ، وأرمض الأمر فلاناً : أحرقه غيظاً ، والشيء ، أحرقه .
(٣) صدف فلان صَدْفاً وصدوفاً : انصرف ومال ، وصدف عنه : أعرض وصدّ .
(٤) م - بالغ .
(٥) ج ق - ينول .

العبّــاس ـ والله ـ ظريفٌ ، مليـحٌ ، حكيمٌ ، وشعرُه جَــزْلٌ ، وكان قليــلاً ما يَرْضى الشعر فكان يُنشد هذا كثيراً له :

مودة وتجني

ألاَ تعجبـــــونَ كما أعجبُ ... صــــديــقٌ يُسيءُ ولا يُعْتِبُ
وأبغي رضــاهُ على سُخْطِــهِ ... فيــــأبى عليَّ ويَسْتَصْعِبُ
فيـــاليتَ حظّي إذا مــــا أســـاتُ أنّـــك ترضى ولا تغضبُ

من كتاب

وقـال لنـا النـاقـط : كتب أبو الحوراء إلى صـديق لـه : الله يعلمُ أنـك مـا خطرتَ ببـالي في وقتٍ من الأوقـات إلاَّ مَثَّـل الـذكرُ منـك لي محـاسنَ تزيدُني صَبابةً إليك ، وضنّاً بك ، واغتباطاً بإخائك .

أخبرنـا ابن سحرة ، حـدثنـا أبو إسماعيـل الْحَرِيي قـال : دخلتُ على عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكنت قد تأخرت عنه فقال :

مع الدهر

رأيتَ جَفَاء الدهر بي فجفوْتَني ... كأنّـك غضبـانٌ عليَّ مع الـدهرِ

فقلت : أيّها الأمير لوعلمتُ أنّي أسمع هذا لأعددتُ له جوابـاً ينـاضل عني في الاعتذار ، ويتقدمني بطلائع الشوق إليـك ، ويقوم لي مقـام العـذر قِبَلك[1] ، ولقد بَدَهْتني بِمُفحمةٍ[2] ، وتركّبتني بمظلمة ، وبالله الـذي أسـألـه الزُّلفة عندك إني ما تـأخرتُ إلاّ لعُـذْرٍ خـافيـهِ كالشمس وُضوحـاً ، وغـائبُـه كالحاضر عِيَاناً ، ومظنونُه كالمشاهـد يَقينـاً ، ومع ذلـك فلم أخلُ من خـاطرِ شوقٍ كالسِّنان ، ونِزَاع نَفْس كالجمر ، وتبرُّم بـالعيش كالحِمام ، أفـأنـا أجفُوكَ مع الدهر ، وأكونُ أَلْباً[3] له عليك ، وأنا ألحاهُ[4] على جَفَائه لك ، إنحائـه[5]

(١) قبلك : عندك .
(٢) بدهه أمر بَدْهاً : بغته . أفحمه : أسكته بالحجة في خصومة أو غيرها .
(٣) ج ق ـ ألفا . ألب وتألب : تجمع وتحشد .
(٤) ألحاه : لامه .
(٥) أنحى : أقبل ويقال : « أنحَى عليه باللوائم إذا أقبل عليه بها » .

على إرادتـك بمـا خـالفَ هواك ، كلا ، والـذي شقّ البَصَر ، وجعلـك الوَزَر [والعَصَر[1]] . فقال لي هذا جوابك عمّا لم تعـد لـه ، فكيف بنـا لوغَمَرَتْنـا منك سحابتُك الغدّاقة[2] : ومُزْنَتُك الـدفّـاقـة ، لله درُّك بـادِهـاً ومُرَوِّيـاً ، وسابقاً ، ومُصَلِّياً .

آخر :

مع الدهر

غيرُ مـا طـالبينَ ذَحْلاً ولكن[3] مالَ دهرٌ على أُناسٍ فَمَـالُوا

الخليع[4] :

الضمير والنظر

لا تعجبنَّ لِمَلَّـــــــةٍ صَرَفتْ[5] وجـــه الأمير فـــإنـــه بشَرُ
وإذا نَبَـا بـــك في سريرتـــه عِقْـدُ الضمير نبَـا بـك النظرُ

وصية ثمينة

أخبرنـا أبـو إسحـاق إبراهيم بن علي الهُجَيْمي قـال : حـدثنـا أبـو داود الطّائي قال : جاء رجل إلى حمّاد بن زيد فقال له : يا أبا سعيد اطلبْ لي رفيقاً إلى مكّةَ ، ما بينك وبين سنة ، فلمـا جـاء الْحَوْل جـاء رجلٌ إلى حمّـاد فقال : أنا أطلب رفيقاً إلى مكـةَ مُـذْ سنـة فجمع بينهما فمضيـا إلى ابن عَوْن فودَّعاه وقالا له : أوْصِنا ، قـال : أُوصيكـا بِخَصْلَتَيْن[6] ، قـالا : ومـا هُما ،

---

(١) الوزر : الجبل المنيع ، وكل معقل والملجأ والمعتصم . العصر : الملجأ والنجاة .
(٢) غدق وأغدق واغدودق المطر : كثر قطره .
(٣) الذحل : الثـأر والحقـد والعـداوة والجمع ذحول وأذحـال ، ويقـال : « طلبت عنـد فلان ذحلاً » ولي عندهم ذحول .
(٤) هـو أبـو علي الحسين بن الضحّـاك بن يـاسر البـاهلي ، شـاعر عبـاسي ولـد في البصرة سنة ١٦٢ هـ ، وتوفي في بغـداد سنـة ٢٥٠ هـ . اتصل بـالخلفـاء الأمين والمـأمون والمعتصم والواثق ونادمهم ومدحهم ، راجع أخباره في الأغاني ٧/١٤٦ـ٢٢٦ .
(٥) الملة : الملل والضجر ، يقال : إنه لذو ملّةٍ ، وملٌّ ، ومَلَة .
(٦) الخصلة : الخلة ، فضيلةً كانت أو رذيلة ، وقد غلبت على الفضيلة ، والجمع خصال .

قال : كَظْم الغَيْظ ، وبذْلُ المال ، قال : فأتى أحدهما في منامه أن ابن عون أهدى لهما حُلَّتَيْن .

وقال الزِّبْرِقَان[1] :

نوعا الموالي

ومن الْمَــوالي مَــوْلَيــان فمنهما ... مُعْطي الجـزيـل وبـاذلُ النَّضْر

ومن الْمَـوَالي ضَبٌّ جَنْـدَلَـةٍ[2] ... لَحِــزُ المروءة ظــاهرُ الغَمْر[3]

يَجْني عليـك إذا استطــاعَ ولا ... يُعطيــك عنــد غنىً ولا فَقْر

وإذا حَبَــاكَ اللهُ أرغمــه[4] ... وَدَعــا لتُصْبِـحَ غيرَ ذي وفْرِ

آخر :

مولى كالداء

ومولىً كداء البَطْنِ لوكان قـادراً ... على الدَّهْرِ أفنى الدهرُ أهلي وماليـا

آخر :

رعاية الغائب [٢١ آ]

ومـولىً قـد رَعيْتُ الغيبَ فيـه ... ولو كنتُ الْمُغَيَّبَ مـا رَعَـاني/

آخر :

بين أحياء وأموات

فما حياةُ امرئٍ أضحتْ مدامعُه ... مقسومةً بين أحيـاءٍ وأمواتِ ؟

علامات الأخ

قيـل لابن المقفَّع : بـأي شيء يُعرف الأخ ؟ قـال : أن ترى وجهَـهُ

---

(١) هو الزبرقان بن بـدر التيمي السعـدي . صحـابي ، لقب بـالزبرقـان (وهو القمر) لحسن وجهه ، تولى الصدقات أيام عمر بن الخطاب ، ومـات في أيـام معـاويـة بن أبي سفيـان سنة ٤٥ هـ ، وكان شاعراً فصيحاً وفيه جفاء البداوة .

(٢) الضَّبّ : حيوان من الزحافات شبيه بالحرذون ذنبه قصير العقد . ويقال : في قلبـه ضب أي غل داخل كالضب الممعن في حجره . جندلة : الصخرة العظيمة .

(٣) لحز يلحز لحزاً : شحّ وبخل فهو لحز . الغمر : الحقد .

(٤) أرغمه : أسخطه .

مُنْبسطاً ، ولسانَه بمودته ناطقاً ، وقلبَه بِبِشْره ضاحكاً ، ولقربه في المجلس مُحبَّباً ، وعلى مجاورته في الدار حَريصاً ، وله فيما بين ذلك مُكْرِماً .

شاعر :

شغل وفراغ

لَهْفي لأيـــــامٍ مَضَتْ مشغـولـــةٍ بـــك فُرَّغَــا

آخر :

شوق وإخلاص

وبي بَرْحُ شوقٍ لو فرشْتُك كُنْهَه[1] لأيقنتَ أنّي في ودادك مُخلِصُ
ولا تأسَ من روح اجتماعٍ يضمُّنا إلى بَرْدِ أيامٍ بقربك يَخْلُصُ[2]

آخر :

مكروه وإغضاء

أتـــاني عَنْـــكَ مـــا ليس على مكروهِـــــه صَبْرُ
فـــأغضيتُ على عَمْـــدٍ وقـــد يُغضي الفتى الحرُّ
وأدّبتـــك بـــالهجر ولَمَّـــا ينفـــعِ الهجرُ
فلَمّـــا زادني المكروهُ واشتـــدَّ بيَ الأمر
تنـــاولتـــك من شرّي بمـــا ليس لـــه قـــدرُ
فحرّكتُ جَنَـــاح الـــذُّلّ لَمَّـــا مسَّـــك الضُّرُّ
إذا لم يُصْلِـــحِ الخيرُ امرءاً أصلحـــه الشَّرُّ

---

(١) ج ق - بثثتك . برّح به الأمر : أتعبه وجهده وآذاه أذىً شديداً . والبَرْح : الشدة والجمع أبراح . فرَش الشيء فَرْشاً وفراشاً : بسطه ، وفرش فلاناً أمراً : بسطه له كله ، ومن أمثال المولدين : « فرشتُه دخلة أمري » . ويُروى فرشت له ، يضرب في الكشف عن باطن الأمر وحقيقته . الكُنْه : جوهر الشيء وقدره وحقيقته وغايته تقول : عرفت كنه المعرفة ، وسله عن كنه الأمر أي حقيقته .

(٢) يصفو من الكدر .

آخر[1] :

صداقة بالمزاد

ولما رأيتُك لا فاسقاً[2] تُهابُ ولا أنت بالزّاهد[3]
وليس عَدُوّك بالمتّقى[4] وليس صديقُك بالحامد[5]
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرَّقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ ؟
[على رجلٍ غادرٍ بالصَّديق كفورٍ لنعمائه جاحدِ][6]
فما جاءني رجلٌ واحدٌ[7] يزيدُ على درهمٍ واحدِ
[سوى رجلٍ حَانَ منه الشقاءُ وحلَّتْ به دعوةُ الوالدِ][8]
فبعتُك منه بلا شاهدِ مخافةَ ردِّك بالشاهدِ[9]
وأُبتُ إلى منزلي سَالماً[10] وحلَّ البلاءُ على النَّاقدِ[11]

آخر :

إخاء وشمائل

أخٌ لي كأيَّام الحياة إخاؤه يلوّن ألواناً عليَّ خطوبُها
إذا عِبْتُ منه خِلَّةً فهجرتُه دعتني إليه خِلَّةٌ لا أعيبُها

---

(1) الأبيات للصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٨٣ ، قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١٨٣/١ : « وهي أبيات مشهورة أوردتها لأني لست أجد مثلها في معناها » .
(2) ج ق م - لا صاحياً .
(3) ج ق م - تقياً ولا أنت بالعابد .
(4) ج ق م - ولا ذو العداوة بالمتقيك .
(5) ج ق م - ولا ذو الصداقة بالحامد .
(6) سقط هذا البيت من ج ق م فرأينا إثباته .
(7) ج ق م - فما أن رأيت سوى واحد .
(8) سقط هذا البيت من ج ق م . رواية ديوان المعاني : حار منه الشقا .
(9) ديوان المعاني : أدرك .
(10) ج ق م - حامداً .
(11) ج ق م - عاد البلاء . وختم أبو هلال القصيدة بقوله : « وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد » .

وكان المُهلّبي يعجبُ من أبيات المُثَقّب العَبْدي[1] على ما حدثني به ابن البقّال الشاعر[2] :

مصارحة واستغناء

فأمّا أنْ تكونَ أخي بحقٍّ | فأعرف منك غثي من سَميني[3]
وإلاّ فاطّرحْني واتّخِذْني | عدوّاً أتّقيكَ وتتّقيني
فإني لو تخالفُني شِمالي | خِلافَك ما وصلتُ بها يَميني[4]
إذاً لقطعتُها ولقلتُ بِيني | كذلك أجْتوي مَنْ يجتويني[5]

وقال آخر :

كلهم شر

بلوتُهم واحداً واحداً[6] | فكلّهُم ذلك الواحدُ
وكلُّهم خيرُه ناقصٌ | وكلُّهم شرُّهُ زائدُ

التصافح والتهادي

قال النبي ﷺ فيما رواه لنا ابن شاهين : « تصافحوا فإن التصافحَ يُذهب غِلَّ الصُّدور ، وتهادَوا فإن الهديّة تُذهب السخيمة »[7] .

السحر الثلاثي

قال أعرابي : البِشْرُ سِحْر ، والهديَّة سِحْر ، والمساعدةُ سِحْر .

وقال الأحوص[8] :

---

(١) هو عائذ الله بن مِحْصَن بن ثعلبة ، شاعر جاهلي قديم كان في أيام عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر ، وشعره جيد نجد بعضه في المفضليات . توفي المثقب نحو سنة ٣٥ ق هـ .

(٢) راجع المفضليات طبعة دار المعارف ص ٨٨ ، ٩٢ .

(٣) أي فأعرف نصحك من غشك .

(٤) خلافك : أي مثل مخالفتك .

(٥) الاجتواء : الكراهة والاستثقال .

(٦) ج ق ـ بواحداً .

(٧) السخيمة : الضغينة يقال : « سللت سخيمته باللطف والترضي » .

(٨) هو عبد الله بن محمد الأوسي من شعراء الغزل المجيدين في العصر الأموي ، نشأ في البيئة الحجازية وتأثر بها كسائر الغزليين ، وامتاز بعصبية يمانية حملته على هجاء قريش ، =

ملال متبادل

فإن تَشْبعي مني وتروي مَلاَلَـةً فإني - وربي - منـك أروى وأشبَعُ

شاعر :

وجوب الكتابة

إذا كتبَ الصـديقُ إلى صـديقٍ فقد وَجَبَ الجوابُ عليه فَرْضَـا

آخر :

عداء وندم ومنّ

وصـاحبٍ سَلَفَتْ منـه إليَّ يـدٌ أبْطَتْ عليـه مُكافـاتي فَعـاداني

لَمَّـا تيقَّن أنَّ الـدهرَ حـاربني أبدى التَّنَـدُّمَ في مـا كان أوْلاني

أفسدتَ بالمنِّ ما أوْلَيْتَ من حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أولى بِمَنَّـــانِ

أبو السائل [مولى بني كهلان] :

تناقض وزيف

أرى فيـكَ أخلاقـاً حِسـانـاً قبيحـةً وأنت صـديـق كالـذي أنـا واصفُ

قريبٌ، بعيـدٌ، أبلـهٌ، ذو فِطَـانـةٍ سخيٌّ، بخيـلٌ، مُسْتقيمٌ، مخـالفُ

كـذاكَ لساني شـاتمٌ لـك مـادحٌ كما أنَّ قلبي جـاهـلٌ بـك عـارفُ

تَلَوَّنتَ حتى لستُ أدري من العمى أريحٌ جَنـوبٌ أنت أم أنت عـاصِفُ

ولستَ بـذي غشٍّ ولستَ بنـاصـحٍ وإني لَمِنْ جهـلٍ بشـانـك واقفُ

أظنُّـكَ كالسَّتُّوق مـا فيـك فضَّـةٌ[1] فـإن كنتُ مغشـوشـاً فـإنَّـك زَائفُ

آخر :

وداد وأذى

أأمنحـــهُ ودِّي ويمنحُني الأذى لحى اللهُ مَنْ تَرْضى بهـذا خلائقُـهْ

آخر :

= وأسرف في اللهو والإسفاف والنيل من الأشراف حتى نفي إلى دهلك وهي جزيرة أمام مصوّع ، وقد مات سنة ١٠٥ هـ .

(١) السَّتوق (بفتح السين وضمها) : درهم زيف ملبَّس بالفضة .

بنفسي مَنْ إنْ قال خيراً وَفَى به وإن قالَ شرّاً قاله وهو مَازِحُ — نفس شريفة

آخر :

يرانا سواءً فيُعْطي السَّواءَ على كل حال وإن زِدْتَ زَادَا — سواء وزيادة

آخر :

وقد تَتَعايشُ الأقوامُ حيناً بتلْفيقِ التَّصنُّع والنِّفاقِ — التعايش الملفق

آخر :

أُراني إذا عاديتُ قوماً وددتُهم وأنأى بودِّ القلب عن أُقاربُهْ — عداء وحنين
ويأتيك ودّي وهو سَهلٌ وقد أبى فؤادُك إلاّ النأيَ ما لم يُغالبُهْ
فَصِلْني فإني من جَناحك منكِبٌ وما خيرُ رُشْدٍ بانَ منه مناكبُهْ

وقال فيلسوف : خيرُ الأصحاب مَنْ سَتَرَ ذنبَك فلم يُقرِّعْكَ[1] ومعروفَهُ عندك فلم يمْنُنْ عليك . — خير الأصحاب

وقال فيلسوف : اجتنبْ مُصاحبةَ الكذّاب ، فإن اضطُرِرْتَ إليها فلا تصدِّقْهُ ، ولا تُعْلِمْهُ أنَّك تكذِّبه فينتقلَ عن ودّك ولا ينتقلَ عن طَبْعه . — مصاحبة الكذاب

وقال فيلسوف : حَسْبُك من عدوّك كوْنُه في قُدرتك . — عدوك في قدرتك

وقال فيلسوف : لا تقطعْ أحداً إلا بعد عجز الحِيلة عن استصلاحه ، ولا تتبعهُ بعد القطيعة وقيعةً فينسدَّ طريقُه عن الرجوع إليك ، فلعلَّ التجاربَ تردُّه إليك ، وتُصلحه لك . — القطيعة والتجارب

---

(١) قرّعه : عنفه .

[٢٢ ب]

المودة والثقة

وقال فيلسوف : لا يزالُ الإخوانُ مُسافرين في المودَّة حتى يبلُغوا / الثقة ، فتطمئن الدارُ ، ويُقبل وفودُ التناصح ، وتُؤْمنُ خبايا الضمائر ، وتُلْقَى ملابسُ التَّخلُّق ، وتُحَلُّ عُقَدُ التَّحفُّظ .

إخوان السوء

وقال فيلسوف : إخوانُ السوء ينصرفون عند النَّكْبة ، ويُقبلون مع النِّعمة ، ومن شأنهم التوسُّل[1] بالإخلاص والمحبَّة إلى أن يَظْفَروا بالأنس والأمْنِ والثقة ؛ ثم يُوَكِّلون الأعينَ بالأفعال ، والأسماعَ بالأقوال ، فإن رأوا خَيْراً ونالوهُ لم يذكروهُ ولم يشكروهُ ، وإن رأوا شرّاً أو ظنّوه أذاعوهُ ونشروهُ ، فإنْ أدَمْتَ مواصلتَهم فهو الداءُ الْمُعْضِل[2] الْمَخوف على القاتل ، وإن استرحتَ إلى مُصَارمتهم ادَّعَوا الْخُبرةَ بك لطول العِشْرة لك ، فكان كذبُ حديثهم مُصدَّقاً ، وباطلُهم محقَّقاً .

شاعر :

أمل أليف

إني لآمَلُ أن ترتدَّ أُلفتُنا بعد النذائرِ والبغضاء والإحنِ

الصديق والعدو

قال أفلاطون : صديقُ كلِّ امرئٍ عقلُه ، وعدوُّه جهلُه .

مقياس الكمال

قال سُقراط : لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوُّك ، فكيف بك إذا كنتَ لا يأمنُك صديقُك .

قصر العمر

وقال أفلاطون : عمرُ الدنيا أقْصَرُ من أن تُطاعَ فيها الأحقادُ .

قال الشاعر :

والعُمر أقصرُ مدَّةً من أن يمحَّقَ بالعتابِ[3]

---

(١) ج ق ـ التوصل .

(٢) الداء المعضل والعُضال : مُعْيٍ غالب لا دواء له ، وتعضَّل الداءُ الأطباء : أعيامم .

(٣) ج ق ـ يكدّر . محّق الشيء : أبطله ومحاه .

إرضاء وإسخاط

وقال أفلاطون : إذا صحبتَ حازماً فأرضهِ في إسخَاطِ حاشيتِه ، وإذا صحبتَ أحمقَ فأسخِطْهُ في رضاء حاشيتِه .

الحسد والمكر

قيل لديوجانس : ما الذي ينبغي للمرء أن يتحفَّظَ منه ؟ قال : من حَسَدِ إخوانه ، ومكْرِ أعْوانه[1] .

أخلاق الأشرار

وقال أفلاطون : الأشرارُ يتتبّعون مساوئَ الناس ، ويتركونَ محاسنهم كما يتتبعُ الذُّباب المواضعَ الفاسدة من الجسد ويتركُ الصحيح .

إقبال وإدبار

وقيل لأبارينوس : ما لفلانٍ أعرضَ عنك ؟ فقال : ما أشبَهَ إقبالَهُ بإدبارِه ، ومن زَعَم أنه يضرّني فَلْيَنْفَعْ نفسَه .

تعريف الصديق

وقيل لثيفانون : مَنْ صديقُك ؟ قال : الذي إذا صِرْتُ إليه في حاجة وجدتُه أشدَّ مُسَارَعَةً إلى قضائها منّي إلى طلبها .

محنة المرء

وقال انكساغورس : إنَّ الشدائد التي تنزلُ بالمرء مِحْنَةُ إخوانِه .

تمني المساواة

وقال أفلاطون : لا ينبغي للعاقل أن يتمنّى لصديقه الغنى فيَزهى عليه ، ولكن يتمنى له أن يساويَهُ في الحال .

رأي في العتاب

قيل لبشّار : ما تقول في العتاب ؟ قال : هو من الرجال خيرٌ ، ومن النساء شرٌّ .

مساوئ العتاب

وقال أعرابي : ما افترقَ مُتَعاتِبان قطُّ إلاَّ على حَسِيكةٍ[2] .

مغبّة العتاب

وقال الأحنفُ : ما عاتبتُ أحداً إلاّ وما انثالَ عليَّ منه أكثر مما عاتبتُه عليه .

---

(١) ج ق ـ أعدائه .

(٢) الحسيكة والحُساكة والحَسَكة : الحقد والعداوة ، وحسك عليه كفرح فهو حسك : غضب .

تجربة العتاب

وقال ابن همّام السَّلولي[1] : ما عاتبتُ أحداً إلاّ وهو مَغيظٌ مَزْهُوٌّ ، وما اعتذرَ إلا وهو ذليلٌ مَقْفُوٌّ ، فإذا كان العذرُ لا يسلمُ من الكَذِب ، فكيف يسلمُ العِتابُ من الحِقْد ؟

التلطف بالعتاب

وسمعتُ ذا الكفايتين[2] بمدينة السلام يقول لابن فارس[3] :

ماعاتبتُ أحداً إلاّ بلسانٍ يخرجُ عن طَبْعٍ صحيحٍ ، وقلبٍ نصيحٍ ، وفؤاد سجيح[4] .

شاعر :

الحمل على الهجر

خليلٌ لي جزاه اللهُ خيراً كلَّما ذُكرا أطاعَ بهجرِنا قوماً أطاروا بيننا شَرَرا

شروط في الصداقة

وقال العتّابي : قلت لأعرابيٍّ قُحٍّ[5] : إني أُريد أن أتّخذ صديقاً فابعثه

(1) هو عبد الله بن همّام بن نبيشة بن رياح السَّلولي من بني مرّة بن صعصعة ، شاعر إسلامي ، أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك . وله أخبار ويقال : إنه هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية ، وكان يقال له العطار لحسن شعره ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ .

(2) هو ابن العميد أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين الملقب بذي الكفايتين (السيف والقلم) ، وزير ركن الدولة في الري ، وكان من أكابر عصره ذكاء ودهاء ، قتله مؤيد الدولة البويهي سنة ٣٦٦ هـ .

(3) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ أو ٣٩١ هـ أو ٣٩٥ هـ ، مؤلف كتابي (المجمل) و (الصاحبي) وغيرهما من الكتب . وكان معاصراً لأبي حيّان ، وكان بينهما عداوة وبغضاء ، وصفه التوحيدي للوزير ابن سَعْدان فقال : « إنه شيخ فيه محاسن ومساوئ ، إلا أن الرجحان لما يُذمّ به لا لما يُحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصرف ، وهناك أيضاً قسط من العلم بأوائل الهندسة ، وتشبه بأصحاب البلاغة ومذاكرة في المحافل صالحة ، إلا أن هذا كله مردود بالرعونة والمكر والإيهام والخسة والكذب والغَيْبة » الإمتاع والمؤانسة ٣/٢٠٥ـ٢٠٦ .

(4) ج ق ـ شحيح . سجيح : ليّن ، سهل .

(5) القح : (بضم القاف) الخالص من اللؤم والكرم وكل شيء ويقال : أعرابي قح بيّن

لي حتى أطلبَهُ قال : لا تبعثْ فإنك لا تجدُهُ ، قلت : فابعثْه كيفما كان حتى أتمناه وإنْ كنتَ لا ألقاهُ ، قال : اتَّخِذْ مَنْ ينظرُ بعيْنك ، ويسمعُ بأُذنك ، ويَبْطُشُ بيدك ، ويمشي بقدمك ، ويحطُّ في هَواك ، ولا يراه[1] سواك ، اتَّخِذْ مَنْ إنْ نَطَقَ فَعَنْ فكرك يَسْتَملي ، وإن هَجَعَ فبخيالك يَحْلُمُ ، وإن انتبهَ فَبِكَ يلُوذُ ، وإن احتجتَ إليه كفاك ، وإن غِبْتَ عنه ابتداك[2] ، يسترُ فَقْرَهُ عنك لئلا تهتمَّ لَهُ ، ويُبدي يَسارَه[3] لك لئلا تنقبضَ عنه .

لؤم أم كرم

قالت امرأة عبد الله بن مطيع لعبد الله : ما رأيت ألأمَ مِنْ أصحابك ، إذا أيسرتَ لَزِمُوكَ ، وإذا أعْسَرْتَ تَرَكُوكَ ، فقال : هذا من كرمهم ، يَغْشُونَنَا في حال القوة منّا عليهم ، ويفارقُونَنَا في حال العجز منّا عنهم .

تعريف الصديق

وقلت للعَبَاداني[4] : مَنِ الصَّديقُ ؟ قال : من شَهِدَ طرفُه لك عن ضميره بالوفاء والودّ ، فإنَّ العَيْنَ أنطقُ من اللسان ، وأوْقَدُ من النيران .

شاعر[5] :

إجمال الصد

أصدُّ صدود امرئٍ مُجْمِلٍ	إذا حالَ ذو الودِّ عن حَالِهِ
ولستُ بمستعتِبٍ صاحباً	إذا جعل الصَّرْمَ من بالِهِ[6]

= القُحوحة والقَحاحة ، خالص عريق في البداوة وكذا لئيم قحّ وكريم قحّ وعبد قحّ والجمع أقحاح .

(١) ج ق - يرى .

(٢) ج ق - دعاك .

(٣) ج ق - بشره .

(٤) ورد ذكره في مثالب الوزيرين للتوحيدي ص ٧٠ .

(٥) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما في حماسة البحتري ص ٧٥ ، وقد سقطت هذه الأبيات من ج ق .

(٦) م - الهجر .

ولكنّي صـارمٌ حَبْلَـهُ ... وذلـك فِعْلي بـأمثـالـهِ
ومهما أدلَّ بحـقٍّ لـه ... عرفتُ لـه حـقَّ إدلالـه
وإني على كلِّ حـالٍ لـه ... مِن إدبـارِ وُدٍّ وإقبـالـه[1]
[١٢٣آ] لَرَاعٍ لأحسنَ مـا بيننـا ... بحفـظ الإخـاء وإجـلالـهِ/

وكتب الـزُّهَيْري[2] إلى ابن السَّكَن[3] في آخر كتـابـه ، وابنُ السكن إذ ذاك بالأهواز ، والزُّهيري ببغداد :

ثبات الودّ

لئن غاب عن عينيَّ شخصُك بالنَّوَى ... لَمَا غَابَ عن قلبي الْمُصَافـاةُ والودُّ
ولا نَسِيَتْـكَ النَّفْسُ مني سـاعـةً[4] ... ولا انتقض الميثـاقُ والـودُّ والعقـدُ

وأنشدنا عليّ بن هارون سنة خمسين وثلاثمائة ومات سنة ستين[5] :

حاضر بالفكر والقلب

لئن غبتَ عن عَيْني بـالبُعْـدِ والنَّوَى ... لما غبتَ عن فكري وعن ناظرِ القلبِ
أراكَ على بعـد المسـافـة بيننـا ... كما تُبْصِرُ العَيْنَـانِ مني على القُربِ

وقال روح أبو همام :

عين الرضا

وعينُ السخـط تُبصر كلَّ عيبٍ ... وعينُ أخي الرضـا عن ذاك تَعْمى
ولـو يُمْنَى يـديَّ تكرَّهَتْني ... إذاً لحسمتُهـا بـالنـارِ حَسْمَـا

---

(١) م ـ أمر .
(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٣/١ ، ١٩٦/٣ .
(٣) هو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي من حفّاظ الحـديث ، نزل بمصر وتوفي بها سنة ٣٥٣ هـ . قال ابن ناصر الدين في التبيـان : « كان أحـد الأئمة الحفّـاظ ، والمصنِّفين الأيقـاظ ، رحـل وطـوّف ، وجمـع وصنّف » ، لـه (الصحيـح المنتقى) في الحديث .
(٤) ج ق : استبدلتك .
(٥) هو أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحي المنجم شاعر وراوية للشعر ونديم الخلفاء ، ولد في بغداد سنة ٢٧٧ هـ ، لـه كتب منهـا : (شهر رمضـان) ألّفـه للراضي العبـاسي ، =

دعاء لابن هبيرة

وقال ابن هُبَيْرة[1] في دعائه : اللهم إني أعوذُ بك من جليسٍ مُغْرٍ ، وصديقٍ مُطرٍ ، وعدوٍّ مُسْرٍ[2] ، وأعوذُ بك من إرجام[3] النَّوْكى[4] ، وكلّ ما أوجبَ مُلابسةَ الْحَمْقى ، وأعوذُ بك من أدب التُّجار ، ومن أخلاق الصغار ، ومن خُلْطة كلّ مُحَرَّم[5] تصعبُ رياضتُه ، وكلّ حريص يغرّهُ حِرْصُه ، ونعوذُ بالله من صحبةِ مَنْ غايتُه خاصّةُ نفسه ، والانحطاط في هوى مستسيره ، وأستعيذُ بالله ممن لا يلتمسُ خالصَ مودَّتك ، إلاَّ بالتأتي لمواقع شهوتك ، [وأعوذ بالله] ممّن يُساعدُكَ على ساعتك ، ولا يفكر في حوادث غدك ، ولا يبالي في أي أقطارها نزلت ، ومن أي أعيانها سقطت ، ولذلك قالوا : صاحبُ السوء قطعةٌ من النار ، ولذلك قال

= و (الرّدّ على الخليل) في العروض ، و (النوروز والمهرجان) ، و (الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي) في الغناء . توفي سنة ٣٥٢ كما ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات ٣٥٦/١ .

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي بن فزارة ، ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك سنة ستين ، وكان يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أوليتَ العراق ورافدَيْه ... فزاريّاً أحذَّ يد القميص
تفتق بالعراق أبو المثنى ... وعلّم قومه أكل الخبيص

رافداه : دجلة والفرات . أحذّ القميص : خفيف اليد نسبة إلى الخيانة . مات ابن هبيرة بالشام نحو سنة ١١٠ هـ . (المعارف لابن قتيبة : ١٧٩) طبقات فحول الشعراء للجمحي ص ٢٨٩ .

(٢) في البيان والتبيين ٣٩٣/١ : « سمعت عمر بن هبيرة على هذه الأعواد (أي أعواد المنبر) في دعائه : اللهم إني أعوذُ بك من عدوٍّ يُسري ، ومن جليسٍ يُغري ، ومن صديقٍ يُطري » .

(٣) ج ق - إرضاء . الرجم : اللعن والشتم والقذف والظن .

(٤) النوكى : جمع أنوك وهو الأحمق والعاجز الجاهل والعيي في كلامه .

(٥) المحرم : الجافي الذي لم يخالط الحضر .

القائل : ما رأينا في كلّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من صاحب . وكان يقول : اللهمَّ احفظني من بَوائقِ[1] الثقات ، وعداوة ذوي القرابات .

شاعر :

مشاركة الرفيق

إذا أنت لم تُشْرِكْ رفيقَك في الذي ... يكونُ قليلاً لَمْ تشارِكْه في الفضْلِ

آخر :

إذا قلّ ...

إذا قلَّ مالُ المرء قلَّ صديقُه ... وضاقَتْ عليه أرضُه وسماؤُه

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤُه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقُدّامُه خيرٌ له أم وراؤُه

آخر :

سوء الجزاء

ستذكرُني إذا جرَّبتَ غيري ... وتعلمُ أنني لكَ كنتُ كَنْزا

بذلتُ لكَ الصّفاء بكل ودٍّ ... وكنتُ كما هويتَ فَصِرْتَ جِبْزا[2]

وهنتُ إذا عززتَ وكنتُ ممن ... يهونُ إذا أخوه عليه عَزَّا

فرحتَ بمديةٍ فَحَزَزْتَ حَبْلي ... بها مودّتي بيديكَ حَزَّا

فلم تَتْرِكْ إلى صُلْحٍ مَجَازاً ... ولا فيه لمطّلبٍ مهزَّا

ستنكتُ نادماً في الأرض بَعْدي[3] ... وتعلم أنَّ رأيكَ كان عَجْزا

آخر :

الأخ المخلص

أخُوكَ الذي لو جئتَ بالسيفِ قاصداً ... لِتَضْرِبَهُ لم يَسْتَغشَّكَ في الودِّ

ولو جئتَ تدعُوه إلى الموتِ لم يكنْ ... يردُّك إشفاقاً عليك من الردِّ

---

(١) بوائق : جمع بائقة وهي الداهية والغائلة .

(٢) الجبز : اللئيم والبخيل .

(٣) نكت الأرض بقضيبٍ أو بأصبع نكتاً : ضربها به فأثر بها ، يفعلون ذلك حال التفكر .

يَرَى أنـــــــه في ذاك وَانِ مُقَصِّرٌ على أنه قـد آدَ جهـداً على جهـدِ[1]

وقال رجل من بني نهشل بن دارم :

شأفة الصديق

إذا مـولاك كان عليـك عـونـاً أتـاك القومُ بـالعجب العجيب
فـلا تَخْنَـعْ إليـــــه ولا تَرِدْهُ ورَام برأسـه عرض الْجَنُـوبِ[2]
فـــا لشئــافــة في غيرِ ذنبٍ[3] إذا ولّى صـديقُــك من طَبيبِ

قال أبو سعيد السيرافي إمامُ الدنيا : يقال : شئفتُ الرجل أُشائِفه شأفـاً وشأفةً ، ويقال أيضاً : شئفتُه وشئفتُ له .

انتخاب الصاحب

قال عبدُ الله بن جعفر لصديقٍ له : إن لم تَجدْ من صحبـة الرجـال بـدّاً فعليكَ بصحبـة من إذا صحبتَـهُ زانَـك ، وإن خَفَفْتَ[4] لـه صَانَـك ، وإن احتجت إليه مانك[5] ، وإن رأى منك خلةً سدّها ، أو حسنة عدّهـا ، وإن وعدك لم يَخْرِصْك[6] ، وإن كبرت عليه لم يرفضك ، وإن سألته أعطـاك ، وإن أمسكتَ عنه ابتداك .

وقال دِعْبِل[7] في مُعاذ بن سعيد الحِمْيَري :

---

(١) آده الأمر أوْداً وأووداً : بلغ منـه المجهـود وأثقلـه ، ومنـه في القران الكريم : ﴿ لا يَـؤُودُه حِفظُهُمَا ﴾ أي لا يشقُّ عليه .

(٢) ج ق - ورم .

(٣) ج ق - شناءة . شئفت وله : أبغضته . ويقـال : بينهم شـأفـة : عـداوة ، واستـأصل الله شأفتهم : عداوتهم وأذاهم ، ويقول الشاعر :

ولم نفتـأ كـذلـك كلَّ يـوم لشـأفَـةِ واغرٍ مُسْتَـأصلينـا

(٤) ج ق - حققت .

(٥) مانه يمونه موناً : احتمل مونته وقام بكفايته فهو مائن .

(٦) ج ق - يخرصُك . خرص : كذب والخرّاص : الكذّاب .

(٧) هو أبو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي شـاعر هجـاء ولـد في الكوفـة سنـة ١٤٨ هـ وتوفي في بلـدة الطيب بين واسـط وخـوزستـان سنـة ٢٤٦ هـ ، قـال عنـه ابن خلكان : =

السر في المعاشرة

فـإذا جـالستُـه صـدَّرتُـه ... وتنحيتُ لـه في الحـاشيـهْ
وإذا سـايرتُـهُ قـدَّمتُـه ... وتـأخرت مـع المستـأنيـهْ
وإذا يـاسرتُـه صـادفتُـه ... سَلِسَ الخلـق سليمَ النـاحيـهْ
وإذا عـاشرتُـه أَلْفَيْتُـه ... شَرِسَ الرأي أبيّـاً داهيـهْ
فـأحمـدُ اللهَ على صُحبتـه ... وأسأل الرحمن منه العـافيـهْ

سلامة الحج

وأتى رجلٌ الحجَّ فأتى شُعبة بن الحجَّاج فودَّعه فقال له شُعبة : أما إنك إنْ لَمْ تَرَ الحِلْم ذُلاً ، والسَّفَهَ أَنفاً سَلِمَ حَجُّكَ .

وقال كُثَيِّر[1] :

كراهة ود الملول [٢٣ ب]

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنـائلٍ ... قليـلٍ ولا راضٍ لـه بقليـلِ /
وليسَ خليلي بالْمَلُولِ ولا الـذي ... إذا غِبْتُ عنـه بـاعَني بخليـلِ
ولكنْ خليلي مَنْ يدومُ وِصَالُه[2] ... ويحفظُ سرّي عند كلِّ دخيلِ[3]

آخر :

نصح وتحذير

لا تثقنَّ بـامرئٍ طـويّتُـه ... غِشٌّ ويُنْـدي اللسـان بـالملقِ
فربمـا يلبس الجـديـد لأن يستر مـا تحت من الْخَلَـقِ

= « كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس ، وهجا الخلفاء الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق وممن دونهم ، وطـال عمره فكان يقـول : لي خمسون سنـة أحمـل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك ! » .

(١) هو كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي . شاعر غزلي مشهور ولد بالحجاز وأقام بمصر ، وفد على الخليفة عبد الملك بن مروان فأدنى مجلسه ، لـه أخبـار ومغـامرات عاطفية مع عزّة بنت جميل الضمرية حتى عرف بها . توفي في المدينة سنة ١٠٥ هـ . راجع أخباره في الأغاني ٣/٩ .

(٢) رواية حماسة البحتري ص ٧٠ : يديم .

(٣) رواية حماسة البحتري ص ٧٠ : ويكتم .

شاعر :

ولربّما غَفَـل الفَتى عن نفســه	ولحـاظُ عين عـدوِّه تَرْعَـاهُ	حذر العدو
حتى إذا ظفرَ العـدوُّ بفرصــةٍ	نَفَثَ الـذي في بُغضـه أرداهُ[1]	

شاعر :

تغربتُ أســألُ مَنْ قــد أرَى	من النَّاس هَلْ من صديقٍ صَدوقِ	شيئان نادران
فقـالوا : عزيـزان لن يـوجـدا	صديقٌ صَدوقٌ وبيضُ الأنوقِ[2]	

شمال بلا يمين

وقال ثامسطيوس : الإنسان بلا أصدقاء كالشِّمال بلا يَمين .

لُخلص الإخوان

وقـال أرسطوطـاليس : أخلصُ الإخوان مَودَّةً من لم تكن مـودَّتُـه عن رَغْبةٍ ولا رَهْبة .

القرابة والمودة

وقال هرمس : القرابةُ تحتاجُ إلى المودّة ، والمودّة لا تحتاج إلى القَرابة .

عقل الصديق

وقال سقراط : مما يدلُّ على عقل صديقـك ونصيحتـه أنـه يـدلُّـك على عُيوبك ، ويَنْفيها عنك ، ويعظُكَ بالْحُسْنى ، ويتَّعِظُ بها منك ، ويزجُرُكَ عن السيئة ، وينزجرُ عنها لك .

بين السِّر والعلانية

وقـال خـالـدُ بن صَفْـوان يصف رجـلاً : ليس لـه صــديـق في السِّرّ ، ولا عدوّ في العلانية .

شاعر :

ومـــا يسكِّن قلب الغريبِ	رفيــقٌ تَطيبُ بــه الصُّحْبَــه	صديق الغربة

آخر :

---

(١) ج ق ـ واراه .

(٢) الأنوق : العُقاب . وفي الأمثال : أعزُّ من بيض الأنوق ، يضرب لما لا سبيل إليه .

صحبة الجاهل

فـلا تصحبْ أخـــا الجهــل وإيَّـــاك وإيَّـــاهْ
فكَمْ من جـــاهـــلٍ أردَى حليمـــاً حين آخـــاهْ
يُقـــاسُ المرءُ بـــالمرء إذا مـــا هُـو مَـــاشَـــاهْ
وفي الشيء من الشيء مقـــاييسٌ وأشْبـــاهْ

عبد الرحمن بن حسّان[1] :

عمل خائب

ومُتَّخـــذٍ وداً لمن لا يــودُّه كمعتـذرٍ عُـذْراً إلى غيرِ عَـاذِرِ[2]

المتلمس[3] :

النصيحة والرأي

احفظْ نصيحةَ مَنْ بَدَا لك نُصحُه وكذاك رأيَ الحرّ جَهْدكَ فـاقْبَلِ

للقُطَامي[4] :

ردّ النصيحة

لعلَّـــك إنْ رددتَ عليَّ نُصحي سَيُنْدِمُـك الـذي عَمِلَتْ يَـدَاكا

وأنشدنـا [أبو الفتح بُنـدار بن غـانم الكاتب] ، وكان عـامل حلوان ، هذين البيتين :

---

(١) عبد الرحمن بن حسّان بن الشاعر حسّان بن ثابت ، اشتهر كشاعر في زمن أبيه ، توفي في المدينة سنة ١٠٤ هـ .

(٢) لم نعثر على هذا البيت في الديوان .

(٣) هو جرير بن عبد العزّى من ربيعة شاعر جاهلي من أهل البحرين ، وهو خـال الشـاعر طرفة بن العبد ، هجا عمرو بن هنـد ملـك العراق فعمل عمرو على قتلـه ففرّ إلى الشـام ولحق بـآل جفنـة ملوكهـا ومـات ببصرى من أعمـال حوران في سوريـة . وفي الأمثـال : « أشأم من صحيفة المتلمّس » وهي كتاب حمله وفيـه الأمر بقتلـه فلما علم مـا فيـه أتلفـه ونجا . له ديوان شعر فيه ما بقي من شعره ، مات المتلمس نحو ٥٠ ق هـ .

(٤) هــو عمير بن شُيَيْم بن عمرو من الشعراء الإســلاميين يقــول عنــه ابن قتيبــة في الشعرَ والشعراء ص ١٧٠ : « وكان حسن التشبيب رقيقـــه » ، ويقــول ابن ســلاّم الجمحي في طبقات فحول الشعراء ص ٤٥٢ : « وكان القطـامي شـاعراً فحلاً ، رقيق الحواشي ، حلو الشعر والأخطل أبعدَ منه ذكراً ، وأمتن شعراً » .

يختــارُ عمرٌو عَــداوتي سَفَهــاً	وأبتغي سَلْمَـــــــهُ ويمتنـــعُ	بين العداوة والسلم
كِلْــهُ إلى بَغْيــهِ سَيَصْرَعُـــهُ	والــدهر بيني وبينــه جَــدَعُ	

المعاشرة بالمعروف

كان يبلغُ محمد بن الحنفية عن عبد الله بن الزُّبَيْر ما يكره فقال له أصحابُه : إن إمساكك عنه يُجرِّئُهُ[1] عليك ، قال : ليس بحكيمٍ مَنْ لم يُعاشر مَنْ لا يجد بُدّاً من معاشرته بالمعروف حتى يجعلَ اللهُ له منه فرجاً ومخرجاً ، وقد يدفع الله باحتمال المكروه مكروهاً أعظمَ منه .

أنشدنا أبو علي النحوي الشاعر :

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسَيْتَ مِمَّا	يَــزْرَعُ الــودَّ في فــؤاد الكريمِ	زرع الودّ

شاعر :

ومن النَّـاسِ مَنْ يـودُّك حقّــاً	صـافِيَ الـودِّ ليس بـالتكـديرِ	الصداقة والفلس
فـإذا مــا ســألتَــهُ دَفْـعَ فَلْسٍ	ألحَــقَ الــودَّ بــاللطيف الخبيرِ	

آخر :

فلا تَغْرُرْكَ خلَّةُ مَنْ تُواخي	فما لك عنــد نــائبــةٍ خليــلُ	الخليل عند النوائب

آخر :

ومن شيمتي أنّي إذا المرءُ مَلَّني	وأظهرَ إعراضاً ومـال إلى الغَــدْرِ	إقبال واستغناء
أطلتُ لـــه فيما يُحبُّ عتـــابَـــه	وفــارقتُـــه في حسن مَسٍّ وفي سَتْرِ	
فـإن عــادَ في ودّي رجعتُ لــودّه	وإن لم يعــد أهملتُ ذاك إلى الحشرِ[2]	

شاعر :

---

(١) ج ق ـ تجربة .

(٢) ج ق ـ ألفيت .

تجلد للشامتين

لولا شماتةُ أقوامٍ ذوي حَسَكٍ[1] أو اغتمامِ صديقٍ كان يرجُوني
لما خطبتُ إلى الدُّنيا مَطامِعَها ولا بذلتُ لها نفسي ولا ديني

آخر :

صديق نادر

أحبُّ من الإخوان كلَّ مؤاتٍ وكلَّ غَضيضِ الطَّرْفِ عن عَثَراتي
يُساعدني في كلِّ أمرٍ أُحبُّه ويحفظني حيّاً وبعدَ وفاتي
فمن لي بهذا ، ليت أنّي وجدتُهُ فقاسمتُه مالي من الحسناتِ

شاعر :

بين بعض وكل

كريم له من نفسه بعضُ نفسهِ وسائرُه للحمد والشكرِ أجْمَعُ

آخر :

فتى لا يفسد

لم يبقَ مما فاتني كسبُه إلاّ فتىً يَسلمُ لي قلبُه
ينأى فلا يُفسده نأيُه عني ولا يُصلحه قربُه[2]
يكون حسبي من جميع الوَرَى وفي كل حالٍ وأنا حسْبُه

شاعر :

مقارنة العذر

عتبي عليك مُقارنُ العذرِ قد ذادَ عنك حفيظتي صَبْري
فمتى هفوتُ فأنت في سَعَةٍ ومتى جفوتُ فأنت في عذرِ
تَرْكُ العتاب إذا استحقَّ أخٌ منك العتابَ ذريعةُ الهَجْرِ

آخر :

خير القرينين

اقبلْ مَعاذيرَ مَنْ يَلْقَاكَ مُعتذِراً إن بَرَّ عندك فيما قال أو فَجَرا
خيرُ القرينَيْن من أغضَى لصاحبه ولو أراد انتصاراً منه لانتصرا

(١) حَسِك يحسَك حسكاً عليه : غضب ، والحسكة والحُساكة : العداوة والحقد .
(٢) ج ق - يسمُه .

آخر :

صديقُك حين يَـذْخَر عنـك خيراً[1]	وآخرُ لستَ تعرِفُــــهُ سَــــوَاءُ	إخفاء الخير

آخر :

فإنْ تَنْأ عنَّا لا تضرُّنا وإن تَعُدْ	تجدْنا على العهدِ الـذي كنتَ تعلَمُ	بقاء على العهد

آخر :

بلـوتُ النـاس قِرناً بعـد قِرنٍ	فلم أرَ غيرَ خـلاّن الْمَقــــالِ/	حصيلة التجارب [٢٤أ]
ولم أرَ في الْخُطـوبِ أشـد هـولاً	وأصعبَ من مُعــاداة الرجــالِ	
وذقتُ مرارة الأشيـــاء طُرّاً	فـــا طعمَ أمرٌ من الســؤالِ	

آخر :

فــإنــك لن ترى طَرْداً لحرٍّ	كإلصــاقٍ بــه طرفَ الهــوانِ	بين الطرد والجلب
ولم تجلب مــودّة ذي وفــــاءٍ	بمثـل البـذلِ أو لُطْفِ اللســانِ	

وقال فيلسوف : من لم يرضَ من أخيه بِحُسْن النيَّة لم يرضَ منـه بحسن العطيَّة . — النية والعطية

وقال أعرابي : الحِفاظُ عمودُ الإخاء . — عمود الإخاء

وقال فيلسوف : لكلِّ جليلةٍ دقيقة ، ودقيقةُ الموت الهجرُ . — دقيقة الموت

شاعر :

إذا أنت لم تَتْرُكْ أخـاك لـزلَّـةٍ	إذا زلَّهـــا أوشكتُما أن تَفرَّقــا	الزلة والفراق

آخر[2] :

---

(١) ذخر الشيء : خبأه .

(٢) البيتان لكثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي كا ورد في حماسة البحتري ص ٧٢ مع اختلاف في =

الإغضاء عن الذنوب

إذا أنت لم تغفر ذنــوبــــاً كثيرةً … تُريبُك لم يسلمْ لَكَ الـدهرَ صاحبُ
وَمَنْ لا يُغمِّضْ عينَـه عن صـديقـهِ … وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُ

آخر :

بين الكمال والنأي

أردت لكيمــا لا ترى ليَ زلــةً … ومن ذا الذي يُعْطَى الكمالَ فيكملُ
ومن يَسألِ الأيام نأى صديقـه … وصرف الليالي يُعْطَ ما كان يَسألُ

آخر :

وضع الزيارة

نضع الزيارة حيث لا يُزري بنـا … كرمُ الْمَزُور ولا يُعـابُ الـزُّوَّرُ

آخر[1] :

تلوّن ومراءاة

قُلْ للذي لستُ أدري مِنْ تلوُّنـهِ … أنـاصـحٌ أم على غشٍّ يـداجيني
إنّي لأُكثر ممــا سُمتني عجَبــاً … يدٌ تشجُّ وأُخرى منك تأسُوني[2]
تغتـابني عنـد أقـوامٍ وتمـدحُني … في آخرين وكلٌّ عنـك يــأتيني
هــذان أمرانِ شتَّى بَـوْنُ بينهما … فاكفُفْ لسانَكَ عن ذمّي وتزييني

آخر :

ميل مع الرجحان

كلٌّ يُـوازيـكَ المـودّة بـالسـوا … يُعطي ويأخـذ منـك بـالميزانِ
فإذا رأى رُجحانَ حَبَّـةِ خَرْدَلٍ … مـالتْ مـودَّتُـه مـع الرُّجْحَـانِ

آخر :

= ترتيب الشطور والرواية :

ومن لم يغمِّض عن صــديقـــه … وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبَّــع جـاهــداً كل عثرة … يجدها ولا يسلم له الدهرَ صاحبُ

(١) الأبيات لصالح بن عبد القدوس الأزدي كما في حماسة البحتري ص ٥٩ .

(٢) ج ق ـ تشح .

الصدق والنفاق

والصدقُ أفضلُ ما لفظت به إنَّ النِّفاقَ سجيَّةٌ تُردي

إني وإن أظهرتُ شكركُم أخفي وأضمر غيرَ ما أبدي

لا مَرْحباً بوصالِ ذي ملقٍ يُكدي مودَّته ولا يُجدي

وإذا الصديقُ ذممتُ خلَّته صيَّرتُ قطعَ حِبالهُ وكدي

حتى أرى رجلاً يُعاشرني بمودّةٍ أطرى من الوردِ

وله أيضاً :

عبد المودّة

فلو أن كفي غيرُ نافعتي لقطعتُها بالفأس من زَنْدي

عيني إذا قَذِيت ضحرتُ بها فأودُّ لو سالتْ على خدّي

أنا عبدُ مَنْ أرضى مودَّته ثم الخليفةُ بعد ذا عَبْدي

وأفِرُّ مِمَّنْ خانَني فَرَقاً إنَّ الخيانةَ عِلَّةٌ تُعدي

الأخ والتابع

قال ديوجانس للإسكندر لما ملك : أيُّها الملكُ ، إني إلى اليوم كنتُ أخاً ، وأنا اليوم تابع ، وشتَّان بين الأخ والتابع ، فقال الإسكندر : إن الأُخوّة قبل اليوم كانت أنعم بك ، وهذه الحال اليوم أرفعُ لك ، وإذا كنت تُباطنني على ما تعهدناه[1] قديماً لم يضرُّك أن يكون تظاهرُك[2] على ما نستديمُ به أنسنا حديثاً .

شاعر :

ريح المودّة

لعمري لئن ريحُ المودَّة أصبحتْ شَمالاً لقد بدَّلت وهي جَنوبُ

آخر :

تكريم الكريم

وإني لمكرامٌ لمكرمِ نفسهِ وأبتذلُ المرءَ الذي لا يَصُونُها

(١) ج ق ـ عهدناه .

(٢) ج ق ـ ظاهرك .

متى ما تَهُنْ نفسي على مَنْ أودُّهُ   أهنْــهُ ولا يكرُم عليَّ مُهينُهـــا

آخر :

النَّمام

مَنْ نمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقــارِبُه   على الصَّديق ولم تُؤْمَن أفـاعيـهِ
فالويلُ للعهد منه كيف ينقضُــهُ   والويلُ للودِّ منـه كيف يُفنيـهِ

آخر :

نافذة الضمير

وعينُ الفتى تُبـدي الــذي في ضميره   ويُعرف بـالفحوى الحـديثُ المغمّسُ

المعاشرة بالحسنى

وقال أعرابي : عاشر أخاك بالحسنى .

وقال أعرابي : أوحشْ قريبك إذا كان في إيحاشه أُنسُك .

شاعر[1] :

وفاء ومواساة

فلا أدَعُ ابنَ العمِّ يمشي على شفاً[2]   وإنْ بَلَغتني من أذاهُ الْجَنـادِعُ[3]
ولكِنْ أُواسيــهِ وأنسَى ذنوبَــهُ   لتُرجِعَــهُ يـومــاً إليَّ الرَّواجِعُ
وحسبُك من ذلٍّ وسوء صنيعـةٍ   مناواةُ ذي القُرْبى وإن قيلَ قاطِعُ

آخر :

الاغترار بالمظاهر

فــلا تغترر بِرُواء الرجـــال[4]   وإن زَخْرَفُوا لــكَ او مـوَّهُــوا
فكم من فتىً يُعجب النـاظرين   لـــه ألْسُنٌ ولـــه أوجُـــهُ

---

(١) الأبيات لمحمد بن عُبيد الأزدي كما في حماسة البحتري ص ٢٤٦ .
(٢) في الحماسة : فلا أدفع .
(٣) في ج ق الخنـادع . الجنـادع : الأحنـاش ، وجنـادع الشر : أوائله ، والجنـادع البلايا والآفات وما يسوءك من القول . وذات الجنادع : الداهية .
(٤) الرواء : المنظر وقيل حسنه .

يَنَــامُ إذا حَضَرَ المكرمـــاتِ   وعنــد الــدنــاءة يَسْتَنْبِـــهُ[1]

الخليل النحوي :

بين الرغبة والزهد

رغبتُك في الزاهد فيك ذُلُّ نَفْسٍ ، وزهدُك في الراغب فيك قِصَرُ همَّة .

شاعر :

التحمُّل والعزاء

تنكرت حالُ الصـديق فبُعْـدُهُ   عني ومَحْضَرُه لـــديَّ ســواءُ
وبـدت عليَّ من الأعـادي رِقَّـةٌ   ومن الصَّديق فَظَاظَـةٌ وجَفَـاءُ
وألفتُ ضَنْـكَ العيش عنـدك فـاستـوتْ عنـدي بـه السَّرَاءُ والضَّرَّاءُ
وعلى الليـــالي أن تلمَّ صُروفهـا   وعلى الكريم تحمُّـــل وعَـــزاءُ

بين الأبرار والفجّار

قـال مـالـك بن دينـار[2] : نَقْلُ الحجـارة مع الأبرار أنفعُ لـك من أكل الخبيصِ[3] مع الفجّار .

التهادي والتحابّ

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « تهادَوا تحابُّوا » .

عمل صعب

وقال الأوزاعيُّ[4] ، عن عبدة بن أبي لبـابـة قـال : إذا التقى المسلمـان فتصافحا وتبسَّم كلٌّ واحد منهما لصاحبه / تحاتت[5] خطـايـاهمـا كا يَتَحـاتُّ [٢٤ ب] ورقُ الشجر فقلت : إن هذا ليسير ، فقـال : لا تقُلْ ذلـك فـإن الله يقول :

(١) ج ق - يستنبسه .

(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار أحد كبار الزهّاد والوعّاظ ، روى عن أنس بن مـالـك وعن كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . توفي سنة ١٣٠ هـ .

(٣) الخبيص : الحلواء المخبوصة معروف .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الشامي الفقيه ، ولد سنـة ٨٨ هـ ، كان من فقهـاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم نزل بيروت فمات بها . وكانت الفتيـا تـدور بـالأنـدلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام . توفي الأوزاعي سنة ١٥٠ هـ .

(٥) حتَّ الورق عن الشجرة حتّاً : سقط . تحاتَّ تحاتّاً وانحتَّ انحتاتاً مطـاوع حتَّ يقـال : « حتَّ الشجر فتحاتَّ أو انحتَّ » وتحاتَّ الورق من الغصن : تناثر .

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[1] ، فعلمت أنَّه أفقهُ مني .

أهواء

قال ثابت البنَّاني : جالستُ الناس خمسين سنة فما جالستُ أحداً إلاَّ وهو يُحبُّ أن تَنْقادَ الناسُ لهواه ، وإن الرجل ليخطئُ فيحبُّ أن تخطئَ الناسُ كلُّهم .

آمن وقانط

التقى يحي بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام فتبسم يحي في وجه عيسى ، وقطَّب عيسى في وجه يحي [فقال عيسى ليحي] : أتبتسم كأنك آمن ، فقال له يحي : أتعبس كأنَّك قانط ، فأوحى الله : إن ما فعله يحي أحبُّ إليَّ .

شاعر :

ثمرة المعاشرة

عمرتُ مع الناس دهراً طويلاً	وعاشرتُ شبَّانهم والكهولا
وجربتُ أحوالهم في الخطوب	فشرّاً كثيراً وخيراً قليلا

آخر[2] :

ثلاث خلال

إلى اللهِ أشكُو من خليلٍ أوَدُّهُ	ثلاثَ خِلالٍ كلُّها لي غائضُ[3]
فَمِنْهُنَّ ألاَّ يجمَعَ الدهرَ تلعةٌ[4]	بُيوتاً لنا يا تَلْعٍ سَيلُك غامضُ[5]
ومنهنَّ ألا أستطيعَ كلامَه	ولا وُدَّهُ حتى يزولَ عوارضُ[6]

(١) القرآن الكريم : سورة الأنفال : الآية ٦٣ .

(٢) الأبيات للبُرْج بن مُسْهِر الطائي كما في حماسة أبي تمَّام ١٧٤/٢ .

(٣) غائض : من غاض الماء إذا نقص . وغاضه غيره : نقصه ، أي كلها يحدُّ من عزيمتي .

(٤) التلعة : أرض مرتفعة يتردد فيها السيل إلى بطن الوادي . ويقال : « فلان لا يوثق بسيل تلعته » إذا كان غير صدوق في أخباره .

(٥) معنى الشطر أن السيل يأتي من حيث لا يتَّقى وكذلك عداوات الأقارب .

(٦) عوارض : جبل .

ومنهُنَّ ألاّ يجمعَ الغزوُ بيننا وفي الغزو ما يُلْقى العدو المباغضُ[1]
كفى بالفُتور صارماً لو رعيته ولكنَّ ما أعلنتَ بادٍ وخافضُ

وقال مبذولٌ العُذْريّ[2] :

مولى السوء

وَمَوْلَىً كضِرْسِ السَّوءِ يُؤْذيكَ مَسُّهُ ولا بدَّ إن آذاكَ أنَّكَ فاقِرُهْ[3]
دَوي الجَوْفِ إن يُنزَعْ يَسُؤْكَ مَكانُهُ[4] وإنْ يَبْقَ تُصْبِحْ كُلَّ يومٍ تُحاذِرُهْ
يُسِرُّ لكَ البَغْضاءَ وَهْوَ مُجامِلٌ وما كلُّ مَنْ يَجْني عليكَ تُناكِرُهْ[5]
فَلا يَكُ أدْنى النَّاسِ مِنْكَ مَحَلَّةً جوى الصدر يُخْفِي غِشَّهُ ويُكاشِرُهْ[6]
ومَا كُلُّ مَنْ مَدّدتَ ثوبَكَ دُونه لِتَسْتُرَهُ مِمَّا أتى أَنْتَ ساتِرُهْ

آخر :

معرفة الأعادي

فأبلغ مُصعباً عني رسولاً وقد يُلقى النصيح بكلِّ وادِ
تَعلَّمْ أن أكثر من تُناجي وإن ضحكوا إليك هُمُ الأعادي

آخر :

مقاطع الإخوان

إنّما شيَّبَ الذُّؤابةَ منِّي وبَرَاني مَقَاطِعُ الإخوانِ

---

(١) قال أبو هلال العسكري في تفسير البيت : أي لا نتقارب في غزو ولا سفر والمتباغضان ربما اجتمعا في سفر وضمهما غزو .
(٢) ج ق م ـ العدوي . وفي مجموعة المعاني ص ٦٥ : مبذول الغزي . الأبيات في وحشيات أبي تمام ص ٢٣٦ . والبيان والتبيين ٥٦/٤ .
(٣) ج ق ـ ناقره ـ فاقره : كاسره كما في البيان والوحشيات .
(٤) ج ق م ـ ذو الخوف وكذلك في البيان .
(٥) في البيان : تساوره .
(٦) في الوحشيات : دَوِي الصدر .

آخر :

مرض وصحة

عليك سلامُ الله أمَّا قلوبُنا فمرضى وأمّا ودُّنا فصحيحُ

آخر :

عودة إلى القلب

عزمتُ على هجرٍ فلما أبى الهوى رجعت إلى قلبٍ عليك شفيقِ
فلا يمكنُ الهجرانُ من ذات بيننا فيعيي صديق عن لقاء صديقِ

آخر[1] :

بغض متبادل

لَعَمْرُكَ إنَّني وأبا رِباحٍ على طُول التَّجَاوِرِ مُنْذُ حينِ
لَيُبْغِضُني وَأُبْغِضُهُ وأيضاً يَرَاني دُونَهُ وأراهُ دُونِي

آخر :

شهباء ماحض

وأصبح عمِّي بعد ودٍّ كأنّه إليَّ من البغضاء شهباء ماحض[2]

آخر :

متح وغفلة

مَتَحْتَ لنا سَجْلَ العداوة مُعرضاً[3] كأنَّك عما يُحدث الدهرُ غافلُ

آخر :

كرم وصبر

فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النعلُ زلَّتِ

آخر :

---

(١) البيتان لمرداس بن عمرو كما ورد في وحشيات أبي تمام ص ٨٤ ، وقد نسبت لعلي بن بدال من سليم في الجمهرة ٣٠٣/٢ ، وخزانة الأدب ٣٥١/٣ ، وفي اللسان مادة (رمى) ، والجمهرة ٢٠٣/٢ ، والزجاجي ١٤ ، والمجتبى ٨١ .

(٢) شهباء : سنة مجدبة .

(٣) السجل : الدلو العظيمة فيها ماء قلَّ أو كثر .

إذا أقبلت منــه المـــودةُ أقبلتْ وإن غُمزت منه القنـاةُ اكفهرّتِ — إقبال وغمز

شاعر من الأعراب[1] :

إني وإن كان ابن عمي غائباً[2] لَمقـاذفٌ من دُونـه ووَرَائــه[3] — وفاء وكرم

وأعدُّه نصري وإن كان امرءاً[4] مترجرجـاً في أرضـه وسمائـه[5]

ومتى أجِدْهُ في الشدائـد مُرملاً[6] ألقِ الذي في مِزْوَدي بوعائـهِ[7]

وإذا تتبَّعتِ الجلائفُ مالـه[8] خُلطتْ صحيحتُنا إلى جَرْبائه[9]

وإذا أتى من وِجْهةٍ بطَريفةٍ[10] لم أطَّلـعْ مِمَّـا وراءَ خبــائـه

وإذا اكتسى لونـاً جميلاً لم أقـل يَــا ليتَ أنَّ عليَّ حسنَ ردائـه

وإذا غدا يومـاً ليركبَ مَركبـاً صعباً قعدتُ لـه على سِيسَـائـه

وإذا استراش وفرتُه وحمدتُـه[11] وإذا تصعلكَ كنتُ من قرنائـه[12]

---

(١) الأبيات لسماك بن خالـد الطـائي كما في حمـاسـة البحتري ص ٢٤٧ ، ونسبهـا أبو تمـام في حماسته ٢١٣/٤ وكذلك صاحب مجموعة المعاني ص ٦٣ إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

(٢) في الحماسة : عانياً .

(٣) في حماسة أبي تمام : خلفه .

(٤) ج ق م ـ مفيده .

(٥) حماسة البحتري : متزحزحاً . وكذلك في حماسة أبي تمام .

(٦) أرمل القوم : نفد زادهم وافتقروا . وفي حماسة أبي تمام : أجِدْه .

(٧) المِزود والمزاد والمزادة : ما يوضع فيه الزاد . وفي حماسة أبي تمام : لوعائه .

(٨) في حماسة البحتري : وإذا تعرقت الشديدة ماله وفي حماسة أبي تمام : مـالنـا . الجلائف : مفردها جليفة وهي السنة الجديبة . والجلائف أيضاً : السيول .

(٩) الجربى : المصابة بالجرب . والمعنى : أنا ساويناه بأنفسنا . وهنا مثل معناه أنا نخلط فقره بغنانا وغثّه بسميننا .

(١٠) طريفة : مؤنث طريف ، وهو ما استطرفه من المال واستحدثه والقصـد مـا يستحسن من الأغراض .

(١١) استراش : جمع المال والأثاث واغتنى .

(١٢) تصعلك : افتقر .

السيساء : فقار[1] الظهر هكذا قال أبو سعيد السيرافي الإمام .

وقال آخر :

قيد الصداقة

حبـاك خليلُـك القَسْريُّ قيـداً | لبئس على الصداقـة مـا حبـاكا

آخرُ[2] :

مولى السوء

ومَـوْلىً أمَتْنَـا داءَهُ تحت جنبِـهِ | فَلسنا نُجازيـه ولَسْنَـا نُعـاقِبُـهْ
رأى اللهَ أعطاني فأغلق صـدرَه | على حسدِ الإخوان فازْورَّ جانبهْ
فَـوَيْـلٌ لهـذا ثُمَّ وَيْـلٌ لأُمِّــهِ | علينا إذا ما حَرَبتنا حواربُـهْ[3]

مُطيع بن إياس[4] :

مراء وانقطاع

ليس من يُظهر المـــودَّة إفْكاً | وإذا قـالَ خـالَف القَـوْل فِعلُـهْ
وَصْلُـهُ للصَّـديقِ يومٌ وإن طـا | لَ فيــومـانِ ثم يَنْبتُّ حَبْلُــهْ

وقال العَرْجي[5] :

وفاء وشهامة

ولا بُعْــدي يُغيِّرُ حـــالَ وُدِّي | عنِ العهدِ الكريمِ ولا اقْترابي[6]

---

(١) م ـ قردود وهو وسط ظهر الإنسان وأعلاه وكذلك القردودة .

(٢) الأبيات للأقرع بن مُعاذ القشيري كما ورد في كتاب الوحشيات لأبي تمام ص ١٦٨ .

(٣) الحرب : الهلاك والويل . وفي الوحشيات : حركته حواربه .

(٤) هو مطيع بن إياس الكتاني شاعر مخضرم ولد ونشأ في الكوفة ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور ، ثم أقام ببغداد زمناً وولاه الخليفة المهدي الصدقات بالبصرة فتوفي فيها سنة ١٦٦ هـ . راجع أخباره في الأغاني ١٣/٢٧٤ ، والوحشيات ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٥) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، شاعر غَزِلٌ من مدرسة عمر بن أبي ربيعة ، كان من الأدباء الظرفاء والفرسان المعدودين ، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم . توفي سنة ١٢٠ هـ .

(٦) رواية الوحشيات : ولا اغترابي .

ولا عند الرَّخاء أخونَ يوماً[1] ولا في فاقـةٍ دَنسَتْ ثيـابي[2]
ولا يَغْـدو عليَّ الجـارُ يَشكُـو أذَاتي مـا بَقِيتُ ولا اغْتِيَـابي
ومـا الـدُّنيـا لصـاحِبهـا بحـظٍّ سوَى حَظِّ البَنان مِن الخِضابِ
إذا مـا الخصْمُ جـارَ فقُلْ صواباً فـإنّ الْجَوْرَ يُـدمغُ بـالصَّوابِ
فـإنّي لا يَغُـولُ النـأيُ وُدّي[3] ولـو كنَّـا بِمُنْقَطَـعِ التُّرابِ

وقال آخر :

لولا القرابة

فلـولا أن فرعـك حين يَنْمي وأصلَـك مُنْتَمى فَرْعي وأصْلي
وإني إن رَمَيْتُ رميتُ عَظمي ونـالَتْني إذَا نـالَتْـكَ نَبْلي /
لَقَـدْ أنكرْتَني إنكارَ خَـوْفٍ يَضُمُّ حَشـاكَ عن شَتمي وأكلي

[٢٥أ]

المتلمّس[4] :

وفاء المتلمس

ولَـوْ غيْرُ أخْـوالي أرادوا نَقيصَتي جَعَلتُ لهم فـوقَ الْعَرانين مِيسَما[5]
ومَـا كنتُ إلاّ مِثـلَ قـاطـعِ كفِّـهِ بكَفٍّ له أُخْرى فـأصبَحَ أجْـذَمـا[6]
يَـدَاهُ أصـابتْ هـذِهِ حَتْفَ هـذِهِ فلَمْ تَجدِ الأخرى عليهـا مُقـدَّمـا[7]

---

(١) رواية الوحشيات : أطوف .
(٢) رواية الوحشيات : دنس ثيابي .
(٣) غاله يغوله غولاً واغتاله : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .
(٤) هو جرير بن عبد العُزّى من ربيعة ، شاعر جاهلي من أهل البحرين ، وهو خال طرفة بن العبد ، هجا عمرو بن هند ملك العراق فأراد عمرو قتله فهرب إلى الشام ولحق بآل جفنة ومات ببصرى من أعمال حوران في سورية . وفي الأمثال : « أشأم من صحيفة المتلمس » ، وهي كتاب حمله وفيه الأمر بقتله فلما علم ما فيه أتلفه ونجا . توفي المتلمس نحو سنة ٥٠ ق . هـ .
(٥) العرانين : جمع عرنين وهو الأنف أو ما صلب من عظمه . الميسم : اسم لأثر الوسم .
(٦) الأجذم : المقطوع اليد .
(٧) ج ق ـ تجده .

فلَمَّا استقادَ الكفَّ بـالكفِّ لم يَجِدْ ... لـه دَرَكاً في أن تَبينـا فـأحجَما[1]
فـأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولـوْ يَرَى ... مَسَاغـاً لنـابَيْـه الشجـاعُ لَصَمَّا[2]

آخر :

بين الحديث والصوت

وإذا شَنِئْتُ فتىً شَنِئْتُ حديثَه ... وإذا سمعتُ غنـاءَهُ لَمْ أطْرَبِ

آخر :

خلائق ثابتة

لـه خـلائـقُ بيضٌ لا يُغيِّرهـا ... صَرْفُ الزَّمان كما لا يَصدأُ الذهبُ

آخر :

خبث الحديد

سَبَكْنـاهُ وَنَحْسَبُـهُ لُجَيْنـاً ... فأبـدى الكِيرُ عن خَبَث الحـديـد[3]

النابغة :

أي الرجال المهذَّب

ولستَ بمستبـقٍ أخـاً لا تلُمُّـه ... على شَعَثٍ : أيُّ الرجـال المهـذَّبُ ؟

بكل واد

ولما جفت سعد سيدهـا الأضبـط بن قُرَيع تحوّل عنهم إلى قبيلـةٍ أُخرى فظلموه وآذوه فقال : « بكل وادٍ بَنُو سَعْد »[4] .

شاعر :

---

(١) ج ق ـ استفاد ـ تبين . استقاد الكف بالكف طلب إليها قطعها من استقـدت الحـاكم : سألتـه أن يقيـد القاتل بالقتيل ، الدرك : اللحاق . تبينا : تنقطعا . أحجم : كفَّ .

(٢) ج ق ـ لا نياب . الإطراق : السكوت . الشجاع : نوع من الحيَّات لطيف دقيق . المسـاغ : المـدخل . صمَّ الشيء : عضَّه .

(٣) خبث الحديد : ما نفاه الكير ، وما لا خير فيه ، ومـا يكون في الـذهب والحـديـد ونحوهـا من الغش . الكير : زقّ ينفخ فيه الحداد ، وأما المبني من طين فهو الكور .

(٤) في مجمع الأمثـال للميـداني ٩٤ : هـذا مثل قولهم : « بكلِّ وادٍ أثر من ثعلبـة » ، وهو قـول ثعلبي رأى من قومه ما يسوءه فانتقل إلى غيرهم فرأى منهم أيضاً مثل ذلك .

إني لَيَرْدَعُني عن ظلمِ ذي رَحمٍ	لُبٌّ أصيــلٌ، وحلمٌ غيرُ ذي وَصَمِ	ردع وصفح
إنْ لاَنَ لِنْتُ وإن دبَّت عقاربُه	ملأتُ كفيـه من صفحٍ ومن كرمِ	

آخر :

ولـو أخـاصمُ أفعى نـابُها لَبِـقٌ	أو الأساودَ من صُمِّ الأهـاضيبِ	مع الأفاعي
لكنتمُ معهـا إلْبـاً وكان لهـا[1]	نابٌ بـأسفل سـاقٍ أو بعرقوبِ	

آخر[2] :

أذيتُم بقربي منكُمُ وَمَــودَّتي[3]	فأغْنَيْتُ عنكم ما أذيتُم بـه مِنِّي	استغناء
وأصبحتُ عنكم غانياً في عدوكم[4]	وأغنـــاكُم تقصيرُ رأيكُمْ عَنِّي	

آخر :

لَعَمْرُكَ لـو أني أُخـاصمُ حيَّـةً	إلى فَقْعَسٍ مـــا أنصفتْني فَقْعَسُ	مخاصمة فقعس

آخر :

أفكِّرُ مـا ذنبي إليــكَ فـلا أرى	عليَّ سبيـلاً غير أنَّـك حــاسـدُ	إخلاص وحسد
وإنّـا لمـوسـومـانِ كلٌّ بـوسْمَـةٍ	أقَرَّ مُقِرٌّ أمْ أبى جــــاحِـــــدُ	

آخر[5] :

بني عمِّنـا لا تقربوا البُطْـلَ إنه	يضيقُ وأن الحقَّ مـأتـاهُ واسعُ	الباطل والحق
فلا الضَّيْمَ أُعطيكم لطُولِ وعيـدكم	ولا الحقَّ من بَغْضائكم أنا مـانِعُ	

(١) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . وتألب القوم : تجمعوا .

(٢) البيتان للربيع بن أبي الحُقَيْق كما جاء في وحشيات أبي تمام ٩٢ .

(٣) ج ق م ـ أدنتم .

(٤) ج ق م ـ غائباً .

(٥) المظنون أن الأبيات لكيت بن معروف راجع : وحشيات أبي تمّام ص ١٧ .

آخر[1] :

فخر شاعر

لقــد زادني حُبّــاً لنفسي أنّني بغيضٌ إلى كل امرئٍ غير طائلِ
وأني شقيٌّ بـاللئــام ولا ترى شقيّــاً بهم إلاّ كريمَ الشمائــلِ
إذا مـا رآني قطّـع الطرفَ بينـهُ وبيني فِعْلَ العـارفِ المتجـاهلِ
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنّهـا من الضّيقِ في عينيه كِفّـة حـابلِ
أكلٌّ امرئٍ ألفى أبـــاه مقصّراً معـادٍ لأهل المكرمـاتِ الأوائلِ

آخر :

مولى الزبرقان

ومولىً كمولى الزِّبْرقان دَمَلْتُهُ[2] كما دملتْ ساقٌ يهاضُ بها كَسْرُ[3]
ترى الشَّرَّ قد أفنى دوائرَ وجههِ كضبِّ الكُدَى أفنى براثنهُ الحفْرُ[4]
تراه كأنَّ اللهَ يَجْـدَعُ أنفَـهُ وأُذنَيْـه إنْ مولاهُ نـابَ لـهُ وَفْرُ

آخر :

بررة وذئاب

إخوةٌ مـا شهـدتُ سَرُّونَ بَرُّونَ فـإن غبتُ فـالـذئـابُ الجيـاعُ[5]
لاَ لِسُــوء البَــلاء مِنّي ولكنْ ظهرتْ نِعْمَـةٌ عليَّ فَـلاَعُـوا[6]

---

(١) الشعر للطرمـاح بن حكيم الطـائي المتوفى سنـة ٨٠ هـ . راجع : حمـاسـة البحتري ص ٢٥٠ ، البيان والتبيين للجاحظ : ٤٦/١ .
(٢) دمل : أصلح وأبرأ وداری .
(٣) هاض فلان العظم : كسره بعد جبور ، وهاضه : كسره وفتره .
(٤) الكُدَى : جمع الكُدْية وهي الأرض الصلبة الغليظة . وكديت أصـابعـه : كلّت من الحفر ونحوه .
(٥) يقال : رجل برّ سَرّ أي يبرّ ويُسرّ وكذلك : قوم برُّون وسرُّون .
(٦) لاع يلاع ويلوع لوعة : جزع وضجر أو احترق فؤاده من هم أو شوق . واللاع : الجزوع أو الجبان والجمع لاعون ولاعة .

آخر[١] :

ستعلمُ أيُّنــا أبْــذَى وأفْرَى[٢]	وأقْــوَل للعظيمِ ولا يُبـــالي	معرفة الحقيقة
ومَنْ بتـواترِ السُّبَّات أحْرَى[٣]	إذا نحنُ ارتَمَيْنـا في النِّضـال	
ومَنْ أخـلاقُـهُ قَـذَعٌ ولُـؤْمٌ[٤]	ومن يَرْمي بـأمثـالِ الجبـالِ	

الْخُرَيميُّ[٥] :

فلم أُجـزِه إلا المـودَّة جـاهـداً	وحسبُـك مني أن أوَدَّ فـأجهـدا	جزاء المودة

مِسْكين الدَّارميّ[٦] :

ولا تحمَـدِ المرءَ قبـلَ البـلاء	ولا يسبـقُ السيـلُ منـك المطرْ	المرء بعد التجربة
وإني لأعرفُ سيما الرجـــالِ	كما يَعْرِفُ القـائفـونَ الأثر[٧]	

كتاب عمر بن الخطاب

وكتب عمر بن الخطَّاب إلى سعد[٨] : إن الله إذا أحبَّ عبداً حَبَّبَهُ إلى خَلْقه ، فاعتبر منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أنَّ مالك عنـد الله

(١) الأبيات لبعض المدنيين كما في وحشيات أبي تمّام ص ٢٣٩ .

(٢) ج ق م ـ أندى والتصحيح مـأخوذ عن الأستـاذ محمود محمد شـاكر في الوحشيـات ، أبـذى إبذاءً : تكلم بالفحش . أفرى : من الافتراء وهو الكذب والاختلاق .

(٣) ج ق م ـ ومن بتوافر السوءات ، والتصحيح عن الوحشيات .

(٤) ج ق م ـ فزع .

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسّان بن قوهي الخريمي أصلـه من خراسـان من بلاد السنـد وكان متصلاً بخريم بن عامر المرّي وآله فنسب إليه ، أورد له الجاحـظ في البيـان والتبيين شعراً وأخباراً .

(٦) هـو مسكين بن أنيف الـدارمي ومسكين لقب لـه واسمـه ربيعـة بن عـامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عـدس بن زيـد بن عبـد الله بن دارم . شـاعر من أهـل العراق كان معاصراً للفرزدق .

(٧) قيف أثره تقييفاً وتقيّفه تقيُّفاً : تتبعه . القِيافة : (بكسر القاف) : تتبُّع الأثر .

(٨) سعد بن أبي وقّاص .

مثلُ ما لله عندَكَ . وقالوا : إذا أحبَّ اللهُ عبداً ألقى مودّته على الماء فلم يشرب منه أحد إلاَّ أحبَّه ، وإذا أبغض اللهُ عبداً ألقى بُغْضَهُ على الماء فلم يشربْ منه أحدٌ إلاَّ أبغضَهُ .

ابن سمعون

وسمعتُ ابن سَمْعُون الصوفي[1] يقول : ما يقفُ البشر على بعد غَوْر قول الله تعالى لكليمِهِ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وِلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[2] ، فإن في هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهُهُ[3] ، ولا يُنال آخرُه ، ولو أنّ أرقَّ الناس لساناً ، وألطَفَهم بياناً أراد أن يتوسط حقيقة هذا القول لم يستطع وعاد حَسيراً ، ونكَصَ بهيراً[4] ، وبقي عاجزاً . ثم قال : اللَّهُمَّ حَبِّبْ بعضَنا إلى بعض ، واجْمَعْ شملَنا إلى رضاك عنَّا مع إحسانك إلينا ، إنَّكَ أهلُ ذلك ، والجوادُ به .

خير الناس

وقال بعضُ السلف الصالح : خيرُ النَّاس خيرُ النَّاس للنَّاس .

حبّ الناس

وقال آخر : من أحَبَّ الناسَ صَنَع ما يُحبُّه الناس .

[٢٥ ب]

مخالطة الناس

وقال / رجل من قريش : خالطُوا النَّاسَ مُخالطةً إن غِبْتُم حنُّوا إليكم ، وإن متُّم بكَوا عليكم .

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون ، زاهد واعظ يلقب (الناطق بالحكمة) ، ولد ببغداد سنة ٣٠٠ هـ وتوفي فيها سنة ٣٨٧ هـ . علت شهرته حتى قيل : « أوعظ من ابن سمعون » ، وقال الحريري في المقامة ٢١ الرازية في الكلام على واعظ : « ويحلون ابن سمعون دونه ! » جمع الناس كلامه ودوّنوا حكمه وقال الشريشي : كان وحيد عصره في الإخبار عما هجس في الأفكار » .

(٢) القرآن الكريم : سورة طه ، الآية ٣٩ .

(٣) الكنه : جوهر الشيء وقدره ووجهه وحقيقته وغايته ، تقول : « عرفت كنه المعرفة » .

(٤) ج ق ـ مبهوراً . بُهِرَ : (للمجهول) عدا حتى غلبه البُهر وهو تتابع النفس وانقطاعه من شدة الإعياء .

وقال بكر بن عبد الله الْمُزَني[1] : لو كان هذا المسجدُ ، يَعْني مسجدَ البَصْرة ، مُفْعماً بالرجال ثم قيل : مَنْ خيرُهم ؟ لقلت : أَخْيَرُهُمْ لَهُمْ .

أخيرهم للناس

وقال مُعاذُ بن جَبَل[2] : خيرُ الرجال الألوف وشرُّهم العَزُوف .

الألوف والعزوف

شاعر :

وما الودُّ إلاَّ عنـد من هُوَ أهلُـه ... وما الشَّرُّ إلاَّ عند من هو حاملُـه

الودّ والشّرّ

وقال ابن دَارة[3] :

إذا أنت لم تَسْتَبْقِ يوماً صَحابةً ... على عتْبةٍ أكثرتَ بَثَّ المعـاتبِ[4]

بثُّ المعاتب

آخر :

أخي وصفي فرّق الدهرُ بينَنَـا ... بكُرْهٍ ولكنْ لاعتابَ على الـدهرِ

تصبَّرْ على جَنْب الخولن مُبصّراً ... تصبَّرْ بحاجاتِ الْمُجاور والصّهْر

فرقة وعتاب

آخر :

---

(١) هو أبو عبد الله بكر بن عبد الله المزني البصري محدّث ثقة توفي سنة ١٠٦ .

(٢) معاذ بن جبل صحابي جليل وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ﷺ . شهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمره الرسول ﷺ على اليمن وكتب إلى أهل اليمن : « إني بعثت لكم خير أهلي » ، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر وتوفي بالطاعون في الشام سنة ١٧ هـ .

(٣) هو سالم بن مسافع بن يربوع كان يهجو بني فزارة فقتله زميل الفزاري ، وفي البيان والتبيين ٣٨٩/١ بيت للكميت بن معروف يقول فيه :

ولا تكثروا فيـه الضجـاج فإنـه ... محا السيفُ ما قال ابن دارة أجمعا

(٤) في مجموعة المعاني طبعة الجوائب ص ٦٣ بيتان آخران :

أخافُ كلاب الأبعـدين ونبحهـا ... إذا لم تجـاوبها كـلاب الأقـارب

وإني لأستبقي امرأ السـوء عِدّةً ... لعدو عريض من النـاس عـاتب

العرّيض : الذي يتعرض للناس بالشر .

الإكثار من الأخلاّء

إذا أنتَ أكثرتَ الأخلاّء صادفتْ ... بهم حاجةَ بعض الذي أنتَ مانعُ
إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تؤدّي أمانةً ... وتحمِلُ أخرى أفْدَحَتْك الودائعُ

آخر :

ضغن وشماتة

ومحتملٍ ضِغْناً عليّ وشامتٍ ... شديدِ اللسان ودَّ لو أتضعضعُ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنما ... يَضيقُ عليه عَرْضُها حين أطلَعُ

آخر :

بين الودّ والمال

عجبتُ لبعض النّاسِ يبذلُ ودَّهُ ... ويمنعُ ما ضُمَّت عليه الأصابعُ
إذا أنا أعطيتُ الخليلَ مودَّتي ... فليس لمالي بعد ذلك مانعُ

آخر :

فراق مفروض

وكم من أخٍ فارقتُ لو كان أمرُه ... إليَّ طَوالَ الدهر لم نتفرّقِ

آخر[1] :

ابن العم

أنا ابنُ عمِّكَ إنْ نابتْكَ نائبةٌ ... ولستَ ذاك إذا مانعتُك اعتدَلا

آخر[2] :

مؤاخاة الكريم

إذا شئتَ أن لا يبرحَ الودُّ دائماً ... كأفضلِ ماكانتْ تكونُ أوائلُهْ
فآخِ فتىً لا الْمُقرفاتُ وَلَدْنَهُ[3] ... كريماً كنصل السيف حلواً شمائلُهْ[4]

(١) البيت من أربعة أبيات للربيع بن أبي الحُقَيْق كما جاء في وحشيات أبي تمام ص ٩٢ ورواية البيت :

أنا ابن عمك ما نابتك نائبةٌ ... ولستَ منكَ إذا ما كعبُك اعتدلا

(٢) الشعر لعمرو بن مالك البَجَلي كما في حماسة البحتري ص ٥٧ .

(٣) ج ق ـ المقذفات . رواية الحماسة :

فآخ فتىً حرّاً كريماً عروقُهُ ... حساماً كنصل السيف حلواً شمائلُه

(٤) المقرف : ما يداني الهجنة أي أمه عربية لا أبوه لأن الإقراف من جهة الفحل والهجنة من جهة الأم .

فذاكَ الذي يُرضيك صـارمُ حدِّهِ[1]   ويكفيـكَ مِنْ لهو الكـواعبِ بـاطِلُـهْ

آخر :

مولى السوء

ومولىً كَدَاء البَطْن ليسَ بزائلٍ   تَـدِبُّ أفـاعِيـهِ لنـا والعَقَـاربُ
دملتُ على أشياءَ منه لوأنها[2]   تنمُّ لم يَسْلَمْ عليهنَّ صــاحبُ[3]
أمـولايَ إنّي لا تكـونُ عـداوتي   عليك ولكنّي بوِتْرِكَ طـالبُ[4]

آخر :

اتّقاء الأعداء

فَتُبْ واتّخِذْني جُنَّة تتَّقي بها[5]   عَدوّك إنْ نابتْ عليـك النوائبُ

آخر :

بين الحمد والكره

إني ليحمدُني الخليلُ إذا احتوَى   مـالي ويكرهُني ذوُو الأضغـانِ

آخر :

حبيب غير محبوب

إنّي تـــــــوَدّكم نفسي وأمنحكم   حبّي ورُبَّ حبيبٍ غيرِ محبوبِ

آخر :

---

(١) رواية الحماسة وم :
فذاك الذي يمنى لواشيـك جـدُّهُ
وفي الحماسة بيت رابع :
ويحمـل مـا حَمّلتَـهُ من مُلِمَّــةٍ   ويكفيكَ طلق الوجه مـاأنت سـائلُه
(٢) دمل الجرح : تماثل وتراجع إلى البرء . ويقـال : دمـل بين الرجلين . وداملت فـلانـاً : داريته لأصلح ما بيني وبينه .
(٣) نمّ الحديث : ظهر .
(٤) الوتر : الانتقام أو الظلم فيه ، والجمع أوتار .
(٥) الجنّة : كل ما وقى من السلاح ومثلها المجنّة والمجنّ .

مجاملة وضغينة

أُجاملُ ذا الضِّغن المُبينِ ضِغْنُهُ ... وأضحكُ حتى يبدوَ النابُ أجمعُ

وأهديه عمداً بالمقول ولو يرى ... سريرةَ ما أُخفي لظلَّ يُفزَّعُ

آخر :

المرء بإخوانه

وما المرء إلاّ بإخوانه ... كما تقبض الكفُّ بالمعصم

ولا خيرَ في الكفِّ مقطوعةً ... ولا خير في الساعدِ الأجذَم[1]

آخر وهو جاهلي :

بذل المال

إني لأبذلُ للخليل إذا دنا ... مالي وأتركُ مالَهُ موفوراً

وإذا أردتُ ثوابَ ما أعطيتُه ... فكفى بذلك نائلاً تكديرا

آخر[2] :

مجانبة ابن عم السوء

تَبغَّ ابنَ عمِّ الصِّدْقِ حيثُ لقيتَهُ ... فإنَّ ابنَ عمِّ السَّوء أوعَرَ جانِبُهْ[3]

تَبَغَّيتُهُ حتى إذا ما وجدتُهُ ... أراني نَهارَ الصَّيْفِ تَجْري كَواكِبُهْ[4]

وربَّ ابن عمٍّ تدّعيه ولو تَرَى ... خبيئَتَهُ يوماً لساءَك غائبُهْ[5]

فإن يَكُ خيراً فالبعيدُ ينالُه ... وإن كان شرّاً فابنُ عمكَ صَاحبُهْ

ألا ربَّ من يَغْشَى الأباعدَ نَفْعُه[6] ... ويشقى به حتى المماتِ أقاربُهْ

فخلِّ ابنَ عمِّ السوءِ والدهرَ إنه ... ستدركُه أيامُه ونوائبُهْ

---

(١) الأجذم : المقطوع .

(٢) الأبيات لابن الذّيبة الثقفي كما في حماسة البحتري ٢٤٣ ، وللحارث بن كلدة الثقفي كما في وحشيات أبي تمام ١٢٠ .

(٣) ج ق - أوعر . رواية الوحشيات : وجدته ، أوعرُ جانبه .

(٤) رواية الحماسة : القيظ .

(٥) رواية الحماسة : مغيّبه ما يخفى ساءك غائبه .

(٦) رواية الوحشيات : وفي الناس من يغشى الأباعد نفعه .

آخر :

مؤاخاة ومسايرة

أواخي كرامَ القــــوم ثمَّ أحُــــوطُهُم
ولستُ بمذْق القول مستطرف الوصـل[1]

ومـا لي من ذنبٍ إليـك فـلا تكُنْ إليَّ بـلا شيءٍ كأنشوطـة الحبـلِ[2]

فلا مَرْحباً بالسُّخط منك وبـالقِلَى فكلٌّ الذي يُرضيك بالرحْبِ والسهْلِ

آخر :

أخ في الشدائد

وإني أخـوهُم عنــد كلّ مُلمَّــةٍ إذا متُّ لم يلقـوا أخــاً لهمُ مثلي

ومـولىً دفعت الـدرَّ عنــه تكرّمــاً ولوشئتُ أمسى وهومُغْضٍ على تَبْلِ[3]

آخر :

تقلب الخليل

تـواصـلُ أحيـانـاً وتَصْرِمُ تـارةً وشرُّ الأخـلاّء الحبيبُ الْمُمَـزّحُ

آخر :

إضمار العداوة

كَمْ مِنْ عَـدُوٍّ أخي ضِغْنٍ يُجـامِلُني يُخفي عـداوتَـهُ أن لا يرَى طَمَعـا

آخر :

تورّع ومداراة

وكَم تـورَّعتُ مِنْ مــولىً تعرَّضَ لي رفَّهتُ عنـهُ ولـو أتعبتُــه ضَلَعــا[4]

---

(١) مذق اللبن : شابه بالماء ، مذق الودّ لم يخلص فيـه ، المذّاق : من كان ودّه غير خالص .
المستطرف : للملول الذي لا يثبت على حال .

(٢) الأنشوطة : العقدة التي يسهل انحلالها . يقال : « ما عقالك بأنشوطـة » أي مـا مودتك بواهية ضعيفة كالأنشوطة . والجمع أناشيط .

(٣) التبل : الحقد والعداوة .

(٤) ج ق - وحدت عنه ولو ألفيته خرعا . ضلعا : مال وجنف وجار .

آخر :

حلاوة ومرارة

كالتمرِ أنتَ إذا ما حاجةٌ عَرَضَتْ   وحَنظلٍ كلّما استغنيت للجاني[1]
تَنأى بودِّكَ ما استغنيتَ عَنْ أحدٍ   وما افتقرت فأنْتَ الواغِلُ الدّاني

آخر :

اصطناع ومنّ

فيا قَومَنا لا خيرَ في كلِّ صاحبٍ   إذا اصطنَعَ المعروفَ منَّ وعدَّدا

آخر :

بين الصرم والغضب

مَتى ما يَشَا ذو الوَصْلِ يَصْرِمْ خليلَهُ   ويَغضَبْ عليهِ لا مَحالةَ ظَالِما

آخر[2] :

النجدة والحمية

أخوكَ الذي إن تَدْعُهُ لملمَّةٍ   يُجِبْكَ وإن تَغضَبْ إلى السَّيْفِ يَغْضَبِ

آخر[3] :

ملال وقطيعة

ألَم تَرَ ما بيني وبينَ ابن عامرٍ   من الوُدِّ قَد بالَتْ عليهِ الثَّعالِبُ[4]
فأصبحَ باقي الوُدِّ بيني وبينَهُ   كأن لم يكُنْ، والدَّهرُ فيهِ العجائبُ
فما أنا بالباكي عليهِ صَبابَةً   ولا بالذي مَلَّتْكَ منهُ المثالبُ[5]
إذا المرءُ لم يُجِبْكَ إلاّ تَكرُّها   بدا لكَ من أخلاقِه ما يُغالِبُ[6]

---

(١) الكلمة غير واضحة في المخطوطة .

(٢) من قصيدة لحجيّة بن المُضَرِّب راجع حماسة أبي تمام ١٦٨/٣ وروايته :
أخي والذي إن أدعُهُ لملمَّةٍ   يجبني وإن أغضبْ إلى السيف يغضب

(٣) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي . الديوان ص ١٥٨ .

(٤) رواية الديوان : ما بالت . بالت بينهم الثعالب : تعادوا بعد الصداقة .

(٥) غير موجود في الديوان .

(٦) يغالب أخلاقه : ينازعها في كتمانها .

فدَغْـهُ فصرمُ المرء أهـونُ حــادثٍ   وفي الأرضِ للمرء الكريمِ مذاهِبُ[1]

آخر :

الأخ الصالح [٢٦ أ]

فإن تترِك يوماً أخـاً لـكَ صـالِحـاً   ففي الأرضِ منأىً عن بلادِكَ واسِعُ/

آخر :

ظلم وتجني

ولي ابنُ عمٍّ لـو أنَّ النـاسَ في كبـدٍ   لظـلَّ مُحتجِراً بـالنَّبْـلِ يَرْميني[2]

إني لَعَمرُكَ مـا بـابي بـذي غَلَـقٍ   عنِ الصَّـديـقِ ولا خيري بمَمنـونِ

آخر :

حوّل وقلّب

إذا افتقرتَ نـأى واشتـد جـانِبُـه   وإن رآكَ غنيّـــاً لانَ واقتَربـــا

وإن أتـــاكَ لمـــالٍ أو لتنصرَهُ   أثْنى عليكَ الذي يَهْوَى وإن كَـذَبا

مـدلي القرابـة عنـدَ النَّيـلِ يطلبُـه   وهـو البعيـدُ إذا نـالَ الـذي طَلَبـا

حُلـوُ اللسـانِ بعيـدُ القلبِ مشتمِـلٌ   على العداوةِ لابن العَمِّ مـا اصْطَحَبـا

آخر :

شكوى وبراءة

ويَـزعمُ لي الـواشُـونَ أنيَ فـاسـدٌ   عليـكَ وإني لستُ ممـا عهـدتَني

ومـا فسَـدَتْ لي ـ يعلم الله ـ نيَّـةٌ   عليـكَ بـل استفسـدتَني فـاتهمتني

غـدرتَ بـودِّي جـاهِـداً فـأخفتني   فخفتُ ولـــو آمنتني لأمنتني

إلى اللهِ أشكـو لا إليـكَ وطـالمـا   شكوتُ الـذي ألقـاهُ منـك فَـزِدْتني

آخر :

---

(١) في الديوان :

فللنـأي خيرٌ من دُنوٍّ على الأذى   ولا خيرَ فيما يستغـلّ المعــاتب

(٢) احتجر : اتخذ حجرةً .

إخلاص وثبات

ولستُ بذي لونَيْنِ يَهْفو ولا الذي إذا ما خليلٌ بانَ منهُ تَقلُّبَا
ولكنْ خليلي مَنْ يَدومُ وصالُهُ على كلِّ حالٍ إن نَأى أو تَقرَّبا

آخر :

لين المعاملة

ألينُ لذي القُربى مِراراً وتَلتوي بأعناقِ أعدائي حِبالي فتمرُثُ[1]

قال قَعْنَب[2] :

عداوة وشماتة

مابال قومٍ صديقاً ثم ليس لهم عَهْدٌ وليس لهم دينٌ إذا أُتُمِنوا
إن يَسْمعوا رِيبَةً طاروا بها فرحاً مني وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ بهِ وإن ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أذِنوا[3]
وإن بَطنتُ أُرجِّي ودَّهم ظهروا[4] وإن ظهرتُ للقيا فيهمُ بطَنُوا[5]
فَطانةً فطنوها لو تكون لهم مروءة أو تُقىً لله ما فطِنُوا
وقد علمتُ على أني أعايِشهم[6] لا تبرَحُ الدهرَ فيما بيننا إحَنُ
كلٌّ يُداجي على البغضاء صاحبَهُ ولن أعالنَهُم إلا كما علنُوا
شِبْهُ العصافيرِ أحلاماً ومقدرةً[7] لو يُوزَنُونَ بزِفِّ الريش ما وَزَنُوا[8]
جهلاً علينا وجُبْناً عن عدوِّهم لبئستِ الخَلَّتانِ : الجهلُ والجبنُ

---

(١) مرث الشيء : ليّنه .
(٢) هو قَعْنَب بن أم صاحب . راجع : مختارات ابن الشجري ص ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٣) أذنوا : استمعوا .
(٤) ج ق - أواخي . بطن : خفي ، باطنه : سارّه وصافاه .
(٥) ج ق - كيدهم .
(٦) ج ق - أعاتبهم .
(٧) في مختارات ابن الشجري : مثل .
(٨) الزفّ : صغير الريش .

كغـارزِ رأسَـهُ لم يُـدْنِـهِ أحَـدٌ[1] بين القرينينِ حتى لَـــزَّهُ القَرَنُ[2]

آخر :

صبر وتغافل

البس قَرينَك إنْ أخلاقُه فَحُشَتْ[3] فـلا جـديـدَ لمن لا يَلْبَسُ الْخَلَقـا

وقال زياد الأعجم[4] :

إقبال وإخلاص

أخٌ لَـكَ لا تراه الـدهرَ إلاّ على العلاّتِ بسّـامـاً جـوادا

أخٌ لـكَ ليس خُلَّتُـهُ بِـمَذْقٍ[5] إذا مـا عـادَ فقرُ أخيـهِ عـادَا

آخر :

وصال اللئيم

احـذرْ وصَـالَ اللئيمِ إنَّ لَـهُ عِضَهاً إذا حبلُ وصلهِ انقطَعا[6]

آخر[7] :

---

(١) ج ق م - يلجه .

(٢) القرينـان : البعيران يشـدّان أحـدهما إلى الآخر . القرن : الحبـل الـذي يشـدان بـه . الغارز : المثبّت .

(٣) لَبِس يلبَسُ لُبْسـاً فلانـاً : تمتّع بعشرتـه ومصـاحبتـه مـدة من الزمـان . لبس فـلانـاً على ما فيه : قبله واحتمله ، ويقال : « لبستُ لفلانٍ أذنيّ » أي تغافلتُ له . ويقـال : وألبس الناس على قدر أخلاقهم : عاشرهم .

(٤) هو زياد بن سليمان الأعجم ، مولى بني عبد القيس شاعر كانت في لسانه عُجْمة فلقب بـالأعجم ، ولـد ونشـأ في أصفهـان وانتقـل إلى خراسـان فسكنهـا ومـات فيهـا حـوالي سنـة ٨٥ هـ ، قـال عنـه أبو الفرج الأصفهاني في الأغـاني ٣٨٠/١٥ : « كان شـاعراً جـزل الشعر ، فصيح الألفاظ على لُكنة لسانه وجريه على لفظ أهل بلده » .

(٥) الخلّة : الصداقة .

(٦) العِضَه : الكذب والبهتان والبيت للمتوكل الليثي كما في حماسة أبي تمام ١٧٦/٣ .

(٧) الأبيات للمقنّع الكندي كما جاء في حماسة أبي تمام ١٧١/٣ وحمـاسـة البحتري ٢٤٠ وهي من قصيدة مطلعها : يعاتبي في الدّين قومي وإنما . وهو محمـد بن ظفر بن عمير شـاعر أموي كان سيداً في قومه . وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه لجماله فقيل لـه المقنع ، راجع خبره في الأغاني ٢١١/٦ .

أبناء العمومة

وإنّ الـــــذي بَيْني وبين بَني أبي | وبين بني عمّي لمختلفٌ جـــــدّاً
فـإنْ أكلـوا لحمي وَفَرْتُ لحـومَهم | وإن هدموا مَجْدي بَنَيْتُ لهم مَجْدا
وإن ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيـوبَهم[1] | وإن هم هووا غيّي هويتُ لهم رُشْدَا
وإن زَجَرُوا طيراً بِنَحْسٍ تمرُّ بي[2] | زجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سَعْــدا
ولا أحمـلُ الحقْـدَ القـديم عليهم | وليس رئيسُ القومِ مَنْ يحمـل الحِقْدا
وإن أجمعـوا صَرْمي معـاً وقطعيتي | جمعتُ لهم منّي مـع الصّلـةِ الـوُدّا
أجـودُ بمـالي خَشيـةَ أن يعمّروا | إذا مـا هم شـدّوا على الصّور العُقْدا
لهم جُـلُّ مـالي إنْ تتـابـع لي غنىً | وإن قَـلَّ مـالي لم أكلِّفهم رِفْـدا

العدل والمعرفة

وتقدم خصمان إلى الْمُغيرة بن شُعْبَةَ فقال أحدُهمـا : إن هـذا يـدلُّ عليَّ بمعرفةٍ بـك ، قـال : صَدَقَ وإنهـا لتنفعُـه . قـال : كيف أتضلع[3] عليَّ في الحكم ؟ قال : لا ، ولكن أنظر فإن توجه الحق لـه أخذتُـه منـك بعنفٍ ، وإن توجَّه الحق لك عليه قضيتُ عنه إليك ، إنَّ المعرفـة لتنفع عنـد الكلب العَقُور[4] فكيف عند الرجل الحرّ .

شاعر :

مودة وإساءة

لي صاحبٌ قد كنتُ آمل نَفْعَهُ | سبقتْ صـواعقُـه إليَّ صَبيبَـهُ
يا مَنْ بذلتُ لـه المودّة مُخْلصاً | في كلِّ أحـوالي وكنتُ حبيبَـهُ
أيـامَ نسرحُ في مَرادٍ واحـدٍ[5] | للعلم تنتجع القلـوبُ عريبَـهُ

---

(١) ج ق - عيني ، عيونهم .

(٢) ج ق م - طبري .

(٣) ضلع مع فلان : مـال . الضَّلْع : الميـل والعـوج يقـال : ضلعـك مع فـلان : أي ميلـك وهواك .

(٤) عقر الكلب والفرس والإبـل : قطـع قـوائمهـا بـالسيف ، وقيـل العقـور للحيـوان والعُقَرة للموات يقال : كلب عقور ، وشجرة عُقَرَة ، والجمع عُقَر .

(٥) المراد : مكان رِياد الإبل أي اختلافهـا في المرعى مقبلـة ومـدبرة ، ومراد الريح : المكان =

ونظـلٌ نشرع في غـديرٍ واحـدٍ　　نصفُ الصفاء لوارديـه وطيبَـهُ
أيســؤُني مَنْ لم أكُنْ لأسـوءه　　ويريبني من لم أكن لأريبَـهُ
ماهكذا يَرْعى الصديقُ صديقَه　　وحبيبَـهُ وقرينَـهُ ونسيبَـهُ

يمين المحبة　قال الفضلُ بن الربيع : احلفْ لأخيك أنَّك تُحبّه ، واجتهدْ في تثبيت ذلك عنده ، فإنه يستجدُّ لك حبّاً ، ويزدادُ لك ودّاً .

التودُّد إلى الناس　وقال النبي صلى الله عليه وآله : « رأسُ العقل بعد الإيمـان بـالله التَّودُّدُ إلى النَّاس » .

وقال شاعر :

قرب الصديق　زادني قربُ صـديقي فَـاقـةً　　أورثتْ من بعد فَقْري مَسكَنَهْ

آخر :

الكاره الودّ　وإنَّ أخـاك الكارهَ الـودّ واردٌ　　وأنت بمرأى من أخيـك ومَسْمَعِ

آخر :

خطب هيّن　اللهُ يعلمُ أنَّ فرقـةَ بيننـا　　فيما أرى خطبٌ عليّ يَهُـونُ

آخر :

[٢٦ ب]
إفساد الهوى
إلفَـانِ دامَـا على ودادهمـا　　قد أمكنـا الحبَّ من قيـادِهمـا/
تحـالفـا إن صفـا الهَـوَى لهما　　أن يحفظـاه إلى معـادهمـا
مـا مِنْ محبّيْن جـاهرا بهـوىً　　إلاّ سَعى النـاسُ في فسـادِهمـا .

آخر :

استحياء من ثلاثة　وإني لأستحي من الله أن أرى　　رديفـاً لـوَصْلي أو عليَّ رديفُ

= الذي يذهب فيه ويجاء ، وكذلك المستراد : المكان الذي يجال فيه .

وإن أردَ الماءَ الموطأ وردَهُ[1] وأتبع ودّ المرء وهو ضعيفُ

بشّار :

الناس بالناس

وكاشحٍ مُعْرِضٍ عَنّي هممتُ بهِ ثم ارعويتُ وقلتُ: الناسُ بالناسِ

آخر :

شيئان محذوران

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرك نَفْعُها ولا في صَديقٍ لا تَزالُ تعاتِبُهْ

آخر :

هوى ورجاء وصبر

تبدّلْ فمالي من هواكَ بديلُ ولا لك عندي في الأنام عديلُ
وكُنْ قاطعاً إن شئتَ أو كُنْ مُواصلاً فأنت هَوىً لي كيف شئتَ وسولُ
رجائي وإن قصَّرتُ فيك طويلٌ وصبري وإن أعرضتُ عنك قليلُ

آخر :

بغض المصطبر

إني لأبغضُ كلَّ مصطبرٍ[2] عن إلفهِ في الوصلِ والهجرِ

آخر :

غياب وتوق

فإن يكُ عن لقائك غابَ وجهي فلم تغبِ المودَّةُ والإخاءُ
ولم يغبِ الثناءُ عليك منّي بظهر الغيب يتبعُهُ الدعاءُ
وما زالتْ تتوقُ إليكَ نفسي على الحالاتِ يحددُها الوفاءُ[3]

آخر :

صدود وارتداد

من أين لي في سائر الناسِ صاحبٌ إذا صدَّ عنّي ردّه النظمُ والنثرُ .

---

(١) م ـ طيبه .

(٢) ج ق ـ من يكون مقصراً .

(٣) ج ق ـ يحذوها .

آخر :

تعدّى النمية

وإذا سمعتَ نميمةً فتعـدّهـا[1] وتحفظَّنْ من الـذي أنبـاكَهـا

وذرِ النميـةَ لا تكن من أهلهـا وتجنَّبَنْ مَنْ صَاغها أو حاكها

كتاب ابن ثوابة إلى ابن فراس

وكتب ابنُ ثَوَابَة إلى ابن فِراس الكاتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

عهدي بك يا سيدي يتطوّعُ بنافلة الابتداء ، فكيف تُخِلُّ بفريضة الجواب ، وهل يرضى الصديقُ منك أن تبرّه قريباً ، وتجفوهُ بعيداً ، وتُذيقه حلاوةَ الوَصْل دانياً ، وتجرّعه مرارة القطيعة نائياً ، وما عليك لو رضيت بالبَيْن فاجعاً ، واكتفيت بالدهر قاطعاً :

والدهر ليس بِمُعْتِبٍ من يَجْزعُ والبينُ بالشَّمْل المجمَّع مُولَعُ

فما ظنُّك بمن يُجري ذوي المروءة مجرَى سائر مَنْ يرى باطنَه يخالفُ ظاهرَهُ ، وتأويلَه ينافي تنزيلَه ، وهذا هزلٌ يترجمُ عن جِدٍّ ، والضدُّ يُبرز حُسنَه الضدُّ ، أودعتني ، إذا ودّعتني :

شوقاً إليك تفيضُ منه الأدمعُ وجوىً عليك تضيقُ عنه الأضلُع

فكم أتلهّف على ما أنفدناه في حال الاجتماع من عيشٍ رَخيّ ، ويومٍ فتيّ ، وسرورٍ امتدتْ ظِلالُه ، وليلٍ غاب عُذّالُه ، فارغب إلى الله في إعادة تلك العهود ، إنه فعّال لما يريد .

شاعر :

ياذا الذي ألِفَ القطيعة دهرَهُ إن القطيعةَ موضعُ الرِّيبِ

إن كان ودُّك كامناً في نيَّةٍ فاطلب صديقاً عالماً بالغيبِ

(١) عدّى عن الأمر : خلى الأمر وتركه . يقال : « عدّ عما ترى » ، أي اصرف بصرك عنه .

أوصل الناس

سمعتُ أبا سعيد السيرافي الإمام يقول: العربُ تقول: أوصلُ النَّاسِ أوْضَعُهُم للصَّرْمِ في موضعِهِ.

شاعر:

ظنون ونفي

وما كلُّ مَنْ يظنُّني أنا معتبٌ ... ولا كلُّ ما يُروى عليَّ أقولُ

آخر:

ابن العم

رُبَّ ابن عمٍّ ليس بابن عمٍّ ... داني الأذاةِ ضيِّق المجمِّ

وإن أتى يومٌ شديدُ الغمِّ ... لم يكُ قرنَ المقطع المهمِّ

وقال بشّار[1] :

تغير

أراكَ اليومَ لي وغداً لغيري ... وبَعْدَ غدٍ لأقربنا إلَيْكا[2]

إذا آخيتَ ذا فارقتَ هذا ... كأنَّ فراقَهُ حَتْمٌ عَلَيْكا

فأقدمهم أخسُّهم جميعاً ... وأحدثُهم أحثُّهم لديكا[3]

وكلُّهُمُ وإن طَرْمَذْتَ فيه[4] ... ستتركُه وَشيكاً من يَدَيْكا

أبو الأسود الدؤلي:

الحليم

وما ساسَ أمرَ النَّاسِ إلاّ مجرِّبٌ ... حليمٌ ولا صافيتَ مثلَ كريمِ

فما لحليمٍ واعظٍ مثلُ نفسهِ ... ولا لسفيهٍ واعظٍ كحليمِ

آخر:

---

(١) الأبيات منسوبة في حماسة البحتري ص ٧٠ إلى عبد الله بن عمرو القرشي.

(٢) ج ق - لذي قرب.

(٣) رواية الحماسة:

فأقربُهم أقلُّهم صفاءً ... وأبعدُهم أحبهم إليكا

(٤) طرمذ: صلف وكان مفاخراً ومباهياً بما ليس فيه فهو طِرْمَاذ وطِرْمِنان.

تعفف

وأُعرِضُ عن ذي المال حتى يقالَ لي ... قَدَ أحدثَ هذا جفوةً وتعظُّما
وما بي جفاءٌ عن صديقٍ ولا أخٍ ... ولكنَّه فِعْلي إذا كنتُ مُعْدِما

آخر[1] :

وإنَّ أمانتي لا يَحْتَويها ... خليلٌ في زيالٍ واجتماعِ[2]
سأرعاها وإن هو غاب عنها ... لكلِّ أمانةٍ بالغيب راعِ

آخر :

وذي حَسَدٍ يغتابُني حين لا يرى ... مكاني ويُثْني صالحاً حين أسمعُ
تورَّعتُ أن أغتابَهُ مِنْ ورائه ... وما هُوَ إذْ يغتابُني متورِّعُ

آخر :

وسوءُ ظنِّك بالأدنينَ داعيةٌ ... بأن يخونَك من قد كانَ مُؤْتَمَنا

آخر :

احفظْ نصيحةَ مَنْ بدا لك نصحُه ... ولرأي أهل الخير جهدَك فاقبل

القُطامي :

لعلَّك إنْ رددتَ عليَّ نُصْحي ... سَتُنْدِمُك الذي عملتْ يَداكا[3]

أبو الأسود :

ألا رُبَّ نُصحٍ يُغلق البابُ دونَهُ ... وغشٌّ إلى جنبِ السُّرورِ يقرِّبُ[4] / [٢٧أ]

---

(١) البيتان لنُفَيْل بن مرّة العبدي كما جاء في حماسة البحتري ٧٤ .
(٢) زايله : فارقه . تزايل القوم وتزيّلوا : تفرّقوا .
(٣) أندمه : جعله يندم .
(٤) لم نجد هذا البيت في الديوان .

عبد الرحمن بن حسّان[1] :

ومتّخـــذٍ ودّاً لِمَنْ لا يـــودُّهُ كمعتـــذٍ عُـــذراً إلى غير عـــاذرِ
ومستـوقـدٍ حربـاً على غير ثروةٍ كمقتحمٍ في اليمِّ ليس بمـــاهرِ
وعـاشٍ بعينيـه لمن لا يبـالـه كسـاعٍ برجليـه لإدراك طـائرِ

المدارة

وقال أعرابي : بالمُداراة تَستخرجُ الحيَّة من جحرها ، وتستنزلُ الطـائر من الهواء ، وتقتنص الوحشَ من البَيْداء .

شاعر :

فضل البشاشة

أخـو البِشْر محمـودٌ على حسن بِشْرِهِ ولن يعدمَ البغضاءَ مَنْ كانَ عـابِسَا

وقال أسماءُ بن خارِجَة[2] :

إحسان بغير قصد

أرَدْتَ مَسَـاتي فـاعتمـدتَ مسرَّتي وقد يُحسن الإنسانُ يوماً ولا يَـدْري

وقيل لقُسّ بن سَاعِدَةَ[3] : صِفْ لنا صديقك فقال :

صديق شريف

رحيبُ الـذراع بـالـذي لا يَشينُـه وإنْ كانتِ الفحشاءُ ضاق بها ذَرْعـا

---

(١) لم نجد هذه الأبيات في الديوان .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة ، كان سيد قومه جواداً مقدّماً عند الخلفاء توفى سنة ٦٦ هـ .

(٣) هو قسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني إياد ، أحد حكماء العرب وكبار خطبائهم في الجاهلية ، كان أسقف نجران ويقال : إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه : « أما بعد » . طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال : « يُحشر أمةً وحده » . توفي قسّ حوالي سنة ٢٣ ق هـ .

وقال قَيْسُ بن الْخَطيم[1] :

كتمان السّر

فإن ضيَّع الإخوان سرّاً فإنّني كتُـــومٌ لأسرار العَشير أمينُ
وعندي له يوماً إذا ما ائتمنتُهُ مكانٌ بسـوداء الفـؤاد مكينُ

أوصاف صديق

وقيل للحرّاني : بينَك وبين سَهْل بن هارون صداقةٌ فانعَتْهُ لنا كي نعرفَ فقال : هو كالخير ، وازنُ العلم ، واسعُ الحِلْم ، إنْ فُوخِر[2] لم يكذب ، وإن مُوزِحَ لم يغضب ، كالغيث أين وَقَع نَفَع ، وكالشمس حيث أوفتْ أحْيَتْ ، وكالأرض ماحمَّلتها حملت ، وكالماء طَهُورٌ لملتمسه ، وناقع لغُلَّة مَنْ احترَّ إليه[3] ، وكالهواء الذي نقطفُ منه الحياة بالتنسُّم ، وكالنار التي يعيشُ بها المقرور[4] ، وكالسماء التي قد حسُنت بأصناف النُّور .

شاعر :

ترف

غَمَسْتَ نفسَك في خضراءَ مُغْدقةٍ وغيَّرتْكَ على إخوانك النِّعمُ

آخر :

وشاة

لقد أتاكَ العِدَى عنّا بمنكرةٍ فردّدوها بإسرافٍ وتكثيرِ
لا تسمعنّ بنا إفكاً ولا كذباً يا ذا الفواضلِ والنعماء والخِيرِ

آخر :

---

(١) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي شاعر الأوس وأحد أبطالها في الجاهلية ، له في وقعة (بُعاث) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه ، ويقول ابن سلام في طبقات الشعراء ١٩٠ : « ومن الناس من يفضّله على حسّان شعراً » ، توفي سنة ٢ ق هـ .

(٢) ج ق - حودث .

(٣) نقع الماء فلاناً : أرواه . الغُلّة : العطش وقيل شدته وقيل حرارته .

(٤) قرّ : برد والمقرور : البردان .

آخر :

كأنّي وشبلاً لم نَبتْ ليلةً معاً ... ولم نصطحِبْ خِدْنين قبل التفرُّقِ
ولم نتاحضْ صادق الودِّ بيننا ... ولم نبتعِدْ يوماً لخيرٍ فنلتقي
حليم إذا ما الجهلُ أنْصَلَ نَبْلَه[1] ... وَحَصَّ أثيث الريش عن كل أفْوَقِ[2]
سجيَّةُ حلمٍ صاغَها الله شيمةً ... فتمَّت على ما قالَ غير التَّخلُّقِ

آخر :

ومن يتخذ جُلى إخائك جُنَّةً[3] ... ومُمْتَنَعاً لا تَلْقَهُ الدهرَ مُعْورا[4]

آخر :

وقد كنتَ جاراً للشباب وصاحباً ... فكيف ولم أغدِرْ به مِلءَ جانبي
وإنّي على ما فاتَ منه لقائلٌ ... عليك السلامُ من خليلٍ وصاحبِ[5]

آخر :

ذهب الرجالُ الْمُقتدى بفعالهم ... والمنكِرُونَ لكلِّ أمر مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلَفٍ يزين بعضُهم ... بعضاً ليدفعَ مُعْوِراً عن مُعْورِ

آخر :

(١) نصل السهم وأنصله : جعل فيه نصلاً . ونصّله ركّب فيه النصل .

(٢) حصّ الشعر حصّاً : حلقه وأذهبه . أثيث : كثير والجمع إثاث وأثائث ومنه نبت أثيث ، وشعر أثيث أي عظيم كثير ، ولحية أثّة وأثيثة أي كثّة . الأفوق : السهم الذي كُسِر فُوقه ، وهو شق رأس السهم حيث يقع الوتر ، ومنه قولهم : « رجع فلان بأفوق ناصلٍ » أي بسهم منكسر الفُوق لا نصل فيه يعني رجع بحظٍّ ليس بتام .

(٣) ج ق ـ حبلى . الْجُنَّة : كل ما وقى من سلاح .

(٤) رجل معور : قبيح السريرة .

(٥) ج ق ـ سلام .

ذهبَ الـذين إذا رأوني مُقبلاً هَشُّوا وقالوا : مرحباً بـالْمُقْبلِ
وبقيتُ في خلفٍ كأنَّ حديثَهم وَلْغُ الكلابِ تهارشت في منهلِ[1]

آخر :

ألا ربَّما كان الشفيـقُ مَضَرَّةً عليكَ من الإشفاق وهو وَدودُ

قـالت عـائشـة[2] : كنتُ أرى امرأةً تـدخـل على النبي صلى الله عليـه وآلـه ، وكان يُقبـل عليهـا بحفـاوةٍ فشـقَّ ذاك عليَّ فعلم ذاك مني فقـال : يا عائشة هذه كانت تَغْشانا أيامَ خديجة ، وإنَّ حسن العهد من الإيمان .

وأروي هنا ذُرَاوَةً[3] من كلام أرباب الحِذْق والْخُرْق[4] فإن فيه فـائـدةً حسنة لا أرى الإضرابَ عنه ، والإخلالَ به .

من أصاحب ؟

سمعتُ ابن السَّرَّاج الصُّوفي يقـول : قلت لأبي الحسن البُـوشَنْجي : مَنْ أصحبُ ؟ قال : من يَصْفُو كدرُك بصفائهِ ، ولا يكدرُ صافيك بكدرهِ .

من أعاشر؟

وقلت لغلام ابن بابويـه القمّي : مَنْ أُعـاشرُ ؟ فقـال : مَن إذا أحسنتَ

(١) ولغ يلغ ويولغ وولوغاً وولغاناً : شرب مـا فيـه بأطراف لسـانـه أو أدخل فيـه لسـانـه فحرّكه ، خاص بـالـذبـاب ومن الطير بـالسبـاع وفي الأسـاس للزمخشري : « ولغ الكلب الإناءَ وفي الإناء » .

(٢) هي أم المؤمنين عـائشـة بنت أبي بكر الصّـدّيق أفقـه نسـاء المسلمين وأعلمهن بـالـدين والأدب ، تـزوجهـا النبي ﷺ في السنـة الثـانيـة بعـد الهجرة فكانت أحب نسـائـه إليـه وأكثرهن روايـة للحـديث عنـه ، ولهـا خطب ومـواقف ، ومـا كان يحـدث لهـا أمر إلا أنشدت فيه شعراً ، وكان أكابر الصحابة يسـألونهـا عن الفرائض فتجيبهم ، روي عنهـا ٢٢١٠ أحاديث . توفيت السيدة عائشة في المدينة سنة ٥٨ هـ .

(٣) الذراوة : ما يسقط عند التذرية ، وما ذرّته الريح .

(٤) الخرق : ضعف الرأي ، وعدم إجادة الرجل العمل والتصرف في الأمور .

قال : الحمد لله الذي وفّق هذا لما أرى ، وإذا أسأتَ قال : الحمد لله الذي لم نَبْلُه بأشدّ مما أرى .

لمن أخلص ؟

وقال أبو المتيّم الرَّقّي : قلت لابن المولّه : من أُخلصُ[1] إليه ، وأشتملُ بسرِّي وعلانيتي عليه قال : مَنْ إذا لم يكن لنفسك كانَ لك ، وإذا كنتَ لنفسك كان مَعَك ، يجلو صدأ جهلك بعلمِهِ ، ويَحْسِمُ مادة غيّك برُشْده ، ويَنْفي عنك غِشّ صدرك بنُصْحه ، اصحب مَن إن قلتَ صدقك ، وإن سكتَّ عَذرك ، وإن بذلتَ شكرك ، وإن منعتَ سلم لك ، قلتُ يا سيدي مَنْ لي بمن هذا نعتُه ؟ قال : كن أنت ذاك تجدْك على ذاك ، ويجدك مثلُك على ذاك ، كأنّك إنما تحب أن يكون غيرُكَ لك ، ولا تحبُّ أن تكونَ أنت لغيرك .

من الصديق ؟

وقيل لبُرهان الصُّوفي : مَن الصديقُ ؟ قال : يا هذا مَنْ بِضْعُ[2] نصفه معدوم عليك فاطلب مَنْ يسعُك بخلقه ، ويؤنسُك بنفسه ، ويُواسيكَ من قليله ، إن رضي عنك لم يُغلظك ، وإن سَخِطَ عليك لم / يمقتْك ، يُبدي لك خيرَهُ لتقتديَ به ، ويُواري عنك شرَّهُ لئلا تستوحشَ منه ، فأما من تكونُ مثالَ نفسه في كل حالٍ تلون به الدهر ، وهَمَّ صدره في كل أمر ، يقلّب به الليل والنهار ، يقدّم حظّك على حظّه ، ولا يسارق النظر بلحظه ، ولا يُغلظ القول بلفظه ، ولا يتغيَّر لك في غَيْبه ، ولا يحولُ عما عهدته في شهادته ، يعانقُ مصلحتك بالاهتمام ، ويثبت قدمك عند الإقدام

[٢٧ ب]

---

(١) ج ق ـ اجلس .

(٢) البضع : ما بين الثلاث إلى التسع ، وبضع الشيء : قطعه ، والبضعة : القطعة من اللحم .

والإحجام فذاك شيءٌ قد سدَّ النـاسُ دونـه كلَّ بـاب ، وقصَّر الطمعُ فيـه عن كلِّ قاب[1] ، فليس له شَبَحٌ إلاّ في الوهم ، ولا خيالٌ إلاّ في التمنّي والسلام .

وقلتُ لجعفر بن حنظلة : مَنْ أصحب ؟ قال : أخطـأتَ ، قُلْ لي مَن لاأصحب ، فـإني إن حصرتُ لـكَ مَنْ لا تصحب فقـد أرشـدتُـك إلى من تَصْحب ، قـال : فَمَنْ لاأصحب ؟ قـال : لاتصحَبْني ولا تصحَبْ مَنْ كان مثلي ، وما زادني على هذا ، ولحقني من هـذا الكلام كُرْبٌ وصرفُ الزمـان ، فرأيتُه بمدينة السلام سنة ثمانٍ وخمسين وهو متوجّه إلى الحجّ فقلت له : أيها الشيـخ لقـد جرحت سرّي بكـلامـك في وقت كـذا وكـذا ، ولعلـك ذاكرٌ مما كان هنـاك ، قـال : أردتُ بتنفيرك مني إغراءَك بي ، وهـذا من خِـدَع للشايخ لِلْمُريدين .

وحدَّثني ابن السَّرَّاج الصُّوفي قـال : كنتُ بـالشـام عنـد الروذبـاري أبي عبـد الله ، فكتب إلى المهلَّبي ، وكان من مشـايخ الشـام ، كتـابـاً فيـه شوقٌ وعتبٌ يقول في فصلٍ منـه : أراحـك الله يـا سيـدي من شوقِ مَنْ لا تَشتـاقُ إليه ، وعَتْبِ من لا تغتابه ، فإنه إذا أجاب هذا الدعاء حرس وقتـك لـك ، وأفرغ بـالـك عليـك ، وكنت في زينـة حـالـك سـاعيـاً ، ولحقـائـق سرِّك وعلانيتـك راعيـاً ، ولكن لـو رحمت أصـدقـاءك في شـوقهم إليـك ، صُنْتهم وإياك عن عتبهم عليك ، وليس بضـائرٍ أن تجعلَ اهتمامـك بهم ، وطلوعَـك عليهم ، وتجديـدَك العهـد بمنـاسمتهم في عرض مـا تتقرَّبُ إلى الله بـه إن كان حسناً ، أو في جملة ما تستغفرُ الله منه إن كان قبيحـاً . وبعـدُ فليس كلُّ من أُوتي الصبرَ ، وأُعين بالْجَلَد ، وكان له من نفسه داعٍ إلى الْجَفـاء ، ومجيبٌ إلى الهجر ، أكمل ذلك كلَّه في البُعدِ عن خلاّنـهِ ، والبراءةِ من خُلصـانـه ، ووالله

(١) قـابَ يقوبُ قَوْباً الرجل : قرب ، القـاب : المقدار ، يُقـال : « هو على قـاب قوسين » كناية عن القرب .

الذي هو مالكُ همِّنا ، والسابحُ في سرائرنا ، لولا أنّك أحلى من زُلال الحياة إذا طابت ، وأطيبُ من العيشة إذا لذّت ، وأعذبُ من الزُّلال على الحِرَّة[(١)] ، وأدَبٌ في الضمائر من الخواطر ، وأعلقُ بالعيون من النواظر ، ما اهتَزْنا مُشتاقين إليك ، ولا التهَبْنا مُتهالكين عليك ، ولكنك الروح ، والصبرُ عن الروح مُعوز ، والحياة والبقاء مع فقد الحياة مُعجز ، فإن فاءَ بك رأيي في الانكفاء إلى أحداقٍ طامحةٍ نحوك ، وهممٍ طائحةٍ في الوجد بك ، ومجالسَ خضرةٍ نضرةٍ بأحاديثك ، ومَسامعَ صاغيةٍ إلى لذيذ لفظك ، وشهيّ جِدّك وهَزْلك ، فتصدَّق علينا بنفسك إن اللهَ يَجزي المتصدّقين .

سالمُ بنُ وَابِصَةَ[(٢)] :

وَنَيْرَبٍ من مَوالي السَّوْء ذي حسدٍ[(٣)] ... يقتاتُ لحمي ولا يَشْفيه من قَرَم

داويتُ صدراً طويلاً غِمْرُهُ حَقِداً[(٤)] ... منه وقلّمتُ أظفاراً بلا جَلَم[(٥)]

كقُنفذِ الرمل ما تخفَى مدارجُه ... خِبٌّ إذا نام عنه البومُ لم ينم[(٦)]

ملازمٌ لخداعٍ ما يُفارقُه ... يُبدي لنا الغشَّ والعوراء في الكلم

كأنَّ سَمْعي إذا ما قالَ محفظةً ... أصمَّ عنه وما بالسمع من صَمم

حتى اطّبى ودَّه رفقي به ولقد ... نسَّيْتُه الحقدَ حتى عادَ كالْحُلم

---

(١) ج ق ـ الحر . الحِرَّة : العطش . يقال : « رماه الله بالحِرَّة تحت القِرَّة » أي أعطشه أوان البرد . الزُلال : ماء عذب صاف يمر سريعاً في الحلق .

(٢) ج ق ـ بن رابضة . هو سالم بن وابصة الأسدي شاعر فارسٌ من شعراء عبد الملك بن مروان ، راجع المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٩٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٤٣ .

(٣) النَّيْرَب : النمية والعداوة . أراد : وذي نيربٍ .

(٤) ج ق ـ أذبتُ .

(٥) الجلم والجلَمان (بلفظ التثنية) : آلة كالمقص لجلم الصوف . وجلم الصوف : جزّه .

(٦) ج ق ـ عند النوم .

إنَّ من الحِلْمِ ذُلاً أنت عــــارِفُــــه   والحِلْمُ عن قُــدْرَةٍ صِنْفٌ من الكرمِ

آخر :

فمن شاءَ رام الصَّرمِ أو قالَ ظـالمـاً   لذي ودّه ذنبٌ وليس لـه ذنبُ

آخر :

وهَوَّنَ وَجْدي أنه ليس واجـداً   من الناس إلاّ قد أُصيب بصـاحبِ

آخر :

وما زال يدعُوني إلى الهجر مـا أرى   فـإني وتَثْنيني عليـك الحفـائـظُ
وأنتظرُ العُتبى وأُغضي على القَذَى   وأصبرُ حتى أوْجعَتْني المغـائـظُ

آخر :

ولي صــديــقٌ عــدمتُ عقلي   إن قلتُ : إنّي لـه صــديــقْ
مــا نلتقي في الــزمــان حتى   يجمـعَ مــابيننــا الطريــقْ

آخر[1] :

نشدتُك بالبيت الذي طافَ حَوْلَهُ[2]   رجـالٌ بَنوهُ من لُـؤيّ بن غـالب[3]
فـإنـك قـد جرَّبتني هـل وَجـدتني   أُعينُك في الْجُلَّى وأحميكَ جـانبي[4]
وإنْ معشرٌ دبّتْ إليــكَ عــداوةً   عقــاربُهم دَبّتْ إليهم عَقــاربي[5]

(١) نسبت هـذه الأبيـات إلى أبي الأسـود الـدؤلي الـديوان ١٨٥ . ونسبت في العقـد الفريـد ٣٢٧/٢ إلى أميّة بن الأسكر ، وكذلك في أمالي القالي ١٠٩/٣ .

(٢) رواية الديوان : بالذي حول بيته .

(٣) رواية الديوان : « بمكة حيّ من لؤي بن غالب » ولؤي بن غالب جد الرسول ﷺ .

(٤) رواية الديوان : « أعينك في الدنيا وأكفيك جانبي » .

(٥) رواية العقد الفريد :

وإن دبّ من قومي إليك عداوةً   عقــاربهم دبّت إليهم عقــاربي

آخر :

استغناء متبادل

من لم يُرِدْكَ فـلا تُرِدْهُ ... لِتَكُنْ كَمَنْ لم تستفِـدْهُ

آخر :

إحصاء ونسيان

إذا كنت تُحصي ذنوبَ الصديق وتَنْسى ذنوبَك بالواحدهْ
فـإنّـك أتْبلُ أهل الزمان طُرّاً على هذه القاعدهْ

رسالة بعض آل ثوابة

وكتب بعض آل ثوابة إلى صديق له :

بسم الله الرحمن الرحيم

فأمّا ما أشرتَ به من معاتبة أبي فلان ، واستقبحتَهُ من سيرته في بعض نقض العهد ، وتضييع الودّ فالنّاسُ / يا أخي أصدقاءُ الحال يتصرَّفونَ [٢٨أ] بتصرُّفها ، ويَحُولُونَ[١] بحَوْلها ، والحزمُ أن يُؤْخذَ صَفْوُهم ، ويقبلَ عفوُهم ، ولا يُعاتَبُوا على هفوتهم ، والله يعلمُ أني لكلّ من وادتتُ على حُبٍّ وافٍ ، ومَيْلٍ صافٍ ، وإخلاصٍ شافٍ .

رسالة أخرى

وكتب أيضاً هذا الكاتب إلى آخر :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَدِدْتَنا أعزكَ الله ، فأحسنتَ ظاهرَ التودُّد ، ولاقَيْتَنا فعمرت الحالَ بالتفقُّد ، ثم أخذتَ بوثائق الصُّرمة والْجَفْوة ، وخليتَ عن علائق الصِّلة والمبرَّة ، حتى كأن ما أسلفتَهُ كان حِلْماً ، وما استأنفتَهُ كان غُنْماً ، فإن قلت : إنّ الشغلَ بالسلطان ، والتصرُّفَ مع الزمان ، عاقاك عن جميل العادة ، وقُضي حقُّ السلام والعيادة ، فقد كان لك في الرسول فُسْحة ، وبالكتاب

---

(١) حال يحول حولاً الشيء : تحوّل من حال إلى حال .

بالعُذر حُجَّة ، وكان الأوْلى أن تربطَ وَشَلَ[1] ثقتنا بك ، وتُميطَ[2] سيئَ ظَنّنا عنكَ ، وتجعلَنا في حيّزِ السُّكونِ إليك ، ونحن نرجو أن تستقيلَ الإعْتابَ ، وتستهجنَ هذا الكتابَ ، وتُراجعَ فينا ما أنت أوْلى به من الصَّواب ، إنْ شاءَ الله .

وكتب أيضاً : رسالة ثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوقُك مُفترَضة ، وثقتي بك مُستحكمة ، وربّما كانت الصّلةُ في إظهار ضدّها ، وكان بادئُ الجفْوَة أبقَى للحال ، وأعمرَ لها ، وما أحسبُني أحتاجُ إلى زيادةٍ في علمك بما أنت عليه قديماً وحديثاً من ودّك ، زادَ الله في مِنَنِه ونِعَمِه عندك .

وكتب أيضاً : رسالة رابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا أجري مَجْرى أوليائك ، ومَنْ لبسَ الضّافي من نَعمائك ، فإن زرتُك لم أُوجبْ عليك حقّاً بمواصلَة ، وإن أغْبَبْتُكَ[3] ، لم أخْفِ منك حَيْفاً ولا لائمَة ، فالحمد لله الذي جعلني بهذه المنزلة في المتحققين بك ، والثّقة بفضلك .

---

(١) الوَشَل : الماء القليل يتحلّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره ، وقيل : لا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٢) أماط عني إماطة : بعد وتنحّى ، وأماط فلاناً : نحّاه وأبعده (لازم ومتعدٍ) ومنه إماطة الأذى عن الطريق وهي التنحية والإبعاد .

(٣) أغببته إغباباً : زرتُه غبّاً . غبَّ يغِبُّ غَبّاً وغِبّاً : جاء زائراً بعد أيام .

شاعر :

خشية القطيعة

أخشَى القطيعـةَ بيننـا وأظنُّهـا ستكـونُ إن دُمْنـا على الهجرانِ
وأرى اللجاجـةَ غيرَ شـكٍّ ربمـا قَطَعتْ شوابِكَ حُرْمة الخلاّنِ

رسالة خامسة

وكتب الكاتب الأول أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنـا واحـدٌ منكم أهـلَ البيت ، داخـلٌ في جُملتكم ، وجـاري مجرى لُحْمتكم[1] ، فإن شملتكم نعمـة ، شَرِكْتُكم في التَّجمُّل بهـا ، وإنْ تجـدَّدتْ لكم دولـةٌ تجـاوزتكم[2] في الابتهـاج بهـا ، وإن وقفتْ بكم حـالٌ تصرَّفتُ معكم فيها ، ومن كان بهذه المنزلة في الْمُشابكـة والْمُمازجـة لم يَخْشَ منكم إذا غـابَ نِقْمـةً[3] ، ولا إذا حضر جَفْوةً ، ولا إذا قصَّر مُحاسبـةً ، فالحمد لله الـذي أخلصني لكم ، وجعلني على ثقةٍ بكم ، لا يضيقُ بي عنـدكم عُـذرٌ بمـا لا يجب لي عليكم شكر .

شاعر :

عدو عاقل

عـدوُّك ذُو العقـل خيرٌ لـك[4] من الصـديق الوامِقِ الأحمق[5]
فمـا أحكَم الرأيَ مثـلُ امرئٍ يقيسُ بمـا قـد مضى مـا بقي

(١) اللحمة (بضم اللام وإسكان الحاء) : القرابة والجمع لُحَم .
(٢) ج ق - جاريتكم .
(٣) ج ق - تهمة .
(٤) ج ق - ذي .
(٥) ومِقَهُ يِمِقُه وَمْقاً ومِقَةً : أحبه فهو وامق وذاك وميق وموموق ، وكذلك وامقه موامقةً ووماقاً : أحبَّ كلاهما الآخر ، يقال : « إن لم يكن وماق فتعجيل فراق » .

آخر :

لا أسْمعُ، الدهرَ، جليسي الأذَى إنّ لسـاني عن جليسي كليـلْ (وجه واحد)

إن خليلي واحـــدٌ وجهُـــهُ وليس ذو الوجهين لي بـالخليلْ

شاعر :

أبُنَيَّ إنَّ سعـــــــــادةً بـالمرء طـاعـة ذي التجـاربْ (وصية وتجربة)

خُذْ من صـديقـك مـا صَفَـا لـــك لا تكن جمَّ الْمَعَـــاتِبْ

وإذا مُنيتَ بجـــــاهـــلٍ فـــاحضر بِحِلْمٍ غيرِ عـــازبْ

مـــا نـــال غنمًا ذو السّفـــاه ولا أخـــو حِلْمٍ بخـــائبْ

واشربْ على الأقـــذاء مُلتمِســـاً بهـــا صفــوَ المشـــاربْ

واشكرْ فـــإنَّ الشُّكرَ محتـــومٌ على الإنســــان واجبْ

مــــا خيرُ مَنْ لا يشكُر النُّعمى ويَنْصُرُ في النَّـــوائبْ ؟

آخر :

وإذا وصلتَ بعـــاقـلٍ أمَـلاً كانت نتيجَــةُ قَـوْلـهِ فِعْـلا (عاقبة الأمل)

آخر :

وكيفَ يسودُ المرءُ مَنْ هو مثلُه بـلا مِنَّـةٍ منـه عليـه ولا يَـدِ (طريق السيادة)

إذا لم يكن للمرءِ عقلٌ ولم يكن يُـدافـع عن إخـوانـه لم يُسَـوَّدِ

آخر :

أعـاتبُ إخــواني وأُبقي عليهم ولستُ بمستبـقٍ أخـاً لا أعـاتِبُـهْ (معاتبة الإخوان)

آخر :

ولستُ برائي عيبِ ذي الـودِّ كلِّـه ولا بعضَ مـا فيـه إذا كنتُ راضيـا (عين الرضا)

فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كَليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخْط تُبدي المساويا

آخر :

مصافاة ووداد

أُصافي خليلي ما استقامَ بودّه وأمنحُه ودّي إذا يتجنَّبُ
ولستُ ببادٍ صاحبي بقطيعتي ولا أنا مُفْشٍ سرَّه حين أغضبُ

آخر :

بين أطراف الرماح

فانظرْ لنفسك من يُحبُّك بين أطرافِ الرِّماحِ
من لا يسوْءك لسانه بالعيب أن يلحاك لاحِ

آخر :

رضا وحذر

أرْضى عن المرء ما أصفى مودّته وليس شيء مع البغضاء يُرضيني
ليس الصديقَ بمن تُخشى غوائلُه ولا العدوُّ على حالٍ بمأمونِ

آخر :

ملاقاة وبشر

ولاقِ بِبشْرٍ من لقيتَ تَكُنْ له صديقاً وإن أمسى مُغبّاً على حقدِ

آخر :

بين اليسر والعسر

مالي صديق مَنْ يواصلني في اليسر ثم يصدُّ في العسرِ
اغفر ذنوبَ أخيك ما قصرت دون الحوائج فارْضَ باليُسْرِ

آخر :

إفشاء وحذر

[٢٨ب]

لا تفشِ سرّاً إلى غيرِ الصديق ولا إلى الْمُشيع لَهُ يوماً إذا عَتبا
قد يَحْقِرُ المرءُ ما يَهْوى فيركبه حتى يكونَ إلى توريطه سَبَبا/
شرُّ الأخلاّء مَنْ كانت مودَّتُه مع الزمانِ إذا ما خاف أو رَغِبا
إذا وترتَ امرءاً فاحذر عداوتَهُ من يزرعِ الشَّوكَ لا يَحْصُد به عِنَبا

آخر :

بين الشاهد والغائب

ليس الصديقُ الذي يُعطيكَ شاهِدَهُ شهد الودادَ وخان الغيبَ غائبُه[1]

وقال عبَيد بن الأبرص[2] :

وصل وقطع

قد يُوصَلُ النازحُ النائي وقد يُقطع ذو السُّهْمَةِ القريب[3]

آخر :

لوم وقطيعة

تلومُ على القَطيعة مَنْ أتاها وأنتَ شَبَبْتَها في الناس قَبْلي[4]

آخر :

تآلف واختلاف

قد فرّقَ اللهُ بين شيمتنا في كلِّ أمرٍ فكيفَ نأتلفُ

المنُّ بالعطاء

قال جعفرُ بن محمد رضي الله عنهما : من أفطرَ مِنْ أجل أخٍ له ، ثم لم يَمْنَن عليه عدل له ذلك بصيام شَهْر .

بين الودّ والغلّ

وقال الْحَسَن البَصْري : لا ينظرُ اللهُ إلى من بذل الودّ لأخيه حتى ائتَمَنَهُ ثم انطوى له على غلٍّ .

شاعر :

إلحاح وردّ

وأخٍ إن جاءَني في حاجةٍ كان بالإلحاح مِنِّي واثقا
وإذا ما جئتُه في حاجةٍ كان بالرَّد بصيراً حاذقا
يُعملُ الفكرةَ لي في الردِّ من قبلِ أن أبدأ فيها ناطقا

---

(١) ج ق ـ صاب .

(٢) هذا البيت من مجمهرة عبيد بن الأبرص التي مطلعها :

أقفرَ من أهله مَلْحُوبُ فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

(٣) يقطع : يعق ويطرد . السهمة (بضم السين) النصيب وهي هنا القرابة .

(٤) شبَّ النار شبّاً وشُبوباً : أوقدها ، وشبَّ الشيء : ارتفع ونما .

آخر :

حقد واستغناء

أراكَ مع الأعداء في كل موطنٍ وقلبُـك من ضِغْنٍ عليّ مريضُ
ومـا بي من فَقْرٍ إلى أن تُحبَّني ومـا ضرَّني أنّي إليـكَ بغيضُ

العاقل والجاهل

وقال ابنُ عبّاس : العاقلُ الكريمُ صديقُ كلِّ أحد ، إلاّ من ضَرَّهُ ، والجاهلُ اللئيمُ عدوٌّ لكلِّ أحدٍ إلاّ مَن نفعه .

وقال آخر :

مبغض للأدب

لنـا صديقٌ مُبْغِضٌ لـلأدبِ إخـوانُـه من جهلـه في تعب
يغضبُ حيناً عند حدِّ الرضا نَوكاً ويرضى عند حال الغضب[1]
كأنّـه من سوء تـأديبـهِ أسلمَ في كتـاب سوء الأدبِ

آخر :

عامل الصدقة

الحمـدُ لله عـامـلُ الصَّـدَقـه كان صديقاً فقد لوى عُنُقَه

آخر :

صديق الزمان

يا صديقي ما كنتَ لي بصديقٍ إنّما كنتَ للزّمـان صَديقـا

اتّقاء ثلاثة

قال بعضُ السلف : أحقُّ الناس بأن يُتّقى : العدوُّ القوي ، والصديقُ المُخادع ، والسُّلطان الغشوم[2] .

شاعر :

إظهار العداوة

إذا عـدوُّك لم يُظهر عـداوتَـهُ فـما يضرُّكَ إنْ عـاداك أشرارُ

---

(١) النوك : الحماقة .

(٢) ج ق ـ الحاكم . الغشوم : فعول بمعنى فاعل . والغاشم : الظالم والغاصب .

إهداء العيوب

وقال رجل لعمر بن الخطّاب : واللهِ إني لأُحبُّك في الله ، قال : لو كنت كما تقول لأهديتَ إليّ عيوبي .

أحد اللقائين

وقال أعرابي : السؤالُ عن الصديق أحدُ اللقائَيْن .

شاعر :

حلو العيش

من لم يَكُنْ ذا صديق يُفضي إليه بسرّهْ
ويستريحُ إليه في خير أمرٍ وشرّهْ
فليسَ يعرفُ طَعماً لحلوِ عيشٍ ومرّهْ

آخر :

إقبال وإعراض

وأبيضَ قد صادفتُه فدعوتُه إلى بَدَوَات الأمر حلو شمائلُهْ[1]
أخي ثقةٍ إن أبتغِ الجدَّ عنده أجدْهُ ويلهيني إذا شئتُ باطلُهْ
وإني لمعراضٌ عن المرء بعدما يَبينُ وتبدو لو أشاءُ مقاتلُهْ

آخر :

مودة ثابتة

أغيبُ عنكم بودٌّ لا يغيِّرهُ طولُ البعاد ولا ضربٌ من الْمَلَلِ

آخر :

الحبل الضعيف

ولا يلبثُ الْحَبْلُ الضعيفُ إذا التوَى وجادَ به الأعداءُ أن يتخذَّما[2]

الربح على الأخ

قال الحسنُ البَصْري : ليس من المروءة أن يربحَ الرجلُ على أخيه .

---

(١) البدوات : جمع بداة وهي ما بدا من الرأي ، والحوائج التي تبدو .
(٢) تخذّم الشيء : تقطّع .

كرم وإيثار — وقال الحسن : كان أحدُهم يشقُّ إزارَه اثنَيْن ، ولا يستأثرُ دون أخيه بوَرِقٍ ولا عَيْن[1] .

قضاء الحاجات — وقال الحسن : لأن أقضي لأخٍ من إخواني حاجةً أحبُّ إليَّ من أن أصلّي ألفَ ركعة .

أسباب الفراق — وقال الحسن : ما تحابَّ اثنانِ ففرّق بينهما إلاّ ذنب يُحدثه أحدُهما .

مودة وعداوة — وقال الحسن : لا تشترِ مودّة ألفٍ بعداوةِ واحد .

وقال الشاعر :

إدبار وهدر — إذا ما امرؤٌ ولّى عليَّ بودِّه ... وأدبرَ لم يهدُرْ بإدبارِهِ ودّي

تعريف الصديق — قيل لأعرابي : كيف ينبغي أن يكونَ الصديقُ ؟ قال : مثلُ الروح لصاحبه ، يُحييهِ بالتنفس ، ويُمتعه بالحياة ، ويُريه من الدنيا نضارتَها ، ويُوصل إليه نعيمَها ولذّتها .

عداء وعتاب — وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال : أنشدنا ثعلب لأعرابي[2] :

---

(١) الوَرِق : الدراهم المضروبة والجمع أوراق ووراق . العين : الدينار والذهب المضروب خلاف الورق .

(٢) الأبيات لمعن بن أوس المزني كما ورد في حماسة البحتري ٢٤١ ، وهو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، مدح جماعة من الصحابة ثم رحل إلى الشام والبصرة . له أخبار مع عمر بن الخطاب كان معاوية يفضله ويقول : « أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سُلمى وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس » وهو صاحب لامية العرب التي أولها :

لعمري لا أدري وإني لأوجلُ ... على أيّنا تعدو المنية أول

توفي معن سنة ٦٣ هـ . راجع أخباره في الأغاني ١٢/٥٤ـ٦٥ ، والإصابة ٨٤٤٥ ، ونكت الهميان ٢٩٤ ، والخزانة ٣/٢٥٨ .

وذي رحمٍ قلّمتُ أظفارَ ضِغْنِهِ[1] بحِلْميَ عنه وهو ليس له حِلْمُ
إذا سُمْتُهُ وَصْلَ القرابةِ سَامَني قطيعتَها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
ويسعى إذا أبْني ليهدمَ صالحي[2] وليس الذي يَبْني كمَن شأنُهُ الهدْمُ
يُحاولُ رَغْمي لا يحاولُ غيره وكالموت عندي أن يَسُوغَ له الرَّغْمُ[3]
فإن أنتصِرْ منه أكُنْ مِثْلَ رائشٍ سهام عدوٍّ يُسْتَهاضُ بها العظمُ[4]
وإن أغْفُ عنه أُغْضِ عَيْناً على قذىً[5] وليس له بالصَّفح عن ذنبه عِلْمُ
فما زِلْتُ في لينٍ له وتَعَطُّفٍ عليه كما تحنو على الولد الأمُّ
لأستلَّ ذاك الضِّغْنَ حتى استللتُهُ[6] وقد كان ذا ضغنٍ يَضيقُ له الحزمُ[7]
فداويتُ منه الحقدَ والمرءُ قادرٌ على سهمه ما دامَ في كفِّهِ السَّهْمُ

من الصديق ؟

وقلت لابن برد الأبهري، وكان من غلمان ابن طاهر: مَنِ الصَّديق؟ قال: مَن سلَّم سرَّه لك، وزيَّن ظاهره بك، وبذل ذات يده عند حاجتك، وعفَّ عن ذاتِ يدك عند حاجته، يراك مُنْصفاً وإن كنت

---

(1) جاء في الأغاني ٦٠/١٢: «قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا. فقال عبد الملك: أشعرهم والله الذي يقول: وذي رحم ...».

(2) في الأغاني: فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي.

(3) اختلفت الروايات في هذا الشطر: ففي تاريخ ابن عساكر ٩٣/٤٣ نسخة المرحوم أحمد تيمور باشا، وفي مجموعة شعر معن بن أوس المطبوعة في أوروبة «أن يعزّ به الرغم» وفي الأمالي للقالي ١٠٢/٢ «أن يحلّ به الرغم» وفي خزانة الأدب للبغدادي ٢٥٩/٣ «أن يحلّ به رغم».

(4) في حماسة البحتري ٢٤١: العدو.

(5) ج ق م - أغف.

(6) رواية الأغاني والحماسة: «لاستلَّ منه الضغن حتى سللتُه».

(7) رواية الأغاني والحماسة: «وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحزم».

جـائراً ، ومفضّلاً وإن كنت مُمانعاً ، رضـاه مَنُوطٌ برضـاك ، وهواه مَحُوط بهـوَاك ، إن ضللتَ هـداكَ ، وإن ظمِئْتَ أرواك ، وإن عجـزت آداك[1] ، يبين عنـك بـالجسم والرسم ، ويشـاركـك في القَسْم والـوَسْم[2] . قلت : أمـا الوصفُ فحسن ، وأما الموصوفُ فعزيز ، قال : إنَّما عزَّ هذا في زمـانـك حين خَبُثَتِ الأعراق ، وفَسَدت الأخلاق ، واستُعمل النِّفـاق في الوفـاق ، وخيفَ الهلاك في الفراق ، والله لقد شاهدتُ لشيخنا ابن طاهر أصدقاء ينطوون له على مودَّةٍ أذكى من الـورد والعَنْبر ، إذا لَحَظَهم بطَرْفـه تهلَّلـوا ، وإذا نـاقلهم بلفظه تدلَّلوا ، وإذا تحكّم عليهم تعجَّلوا ، وإذا أمسـك عنهم نوَّلوا وخوَّلوا ، وكان يجدونَ[3] به ما لا يجدون بأهليهم[4] وأولادهم ، رحمـةُ الله عليهم ، فلقـد كانـوا زينـةَ الأرض ، في كلّ حـالٍ من الشِّـدَّة والْخَفْض[5] ، وإني لأذكرهم فـأجـد في روحي عَبَقاً[6] من حـديثهم ، قلت : كيف كان انبســاطُهم في الاجتماع ؟ قـال : مـا كانـوا يتجـاوزونَ الليلـةَ الحلـوةَ ، والمـزحَ الخفيف ، واللفظ اللطيف ، والرمز الرشيق ، والتبسُّم المقبول ، وإذا افترقوا فإنما هم في اهتمامٍ يعود[7] بنظـام عيشهم ، وتـدوم لهم مسرَّةُ حيـاتهم ، الكلمـةُ واحـدةٌ ، والطريقةُ واحدةٌ ، والإرادةُ واحدةٌ ، والعادةُ واحـدةٌ ، والوحـدةُ إذا ملكت الكثرة نَفَت الخـلاف ، وأورثتِ الائتـلاف ، ثم تكلّم في الـوحـدة والـواحـد والأحد بكلامٍ في غـايـة الرقـة ، مع الإيضـاح ، ولولا أن هـذا الموضع يجفو

---

(١) آدى على فلان : أعداه وأعانه .

(٢) القسم : الخلق والعادة . الوسم : العلامة .

(٣) م - وكان . وَجَد به وَجْداً : أحبّه .

(٤) ج ق - بأهلهم .

(٥) الخفض : الدعة وسعة العيش .

(٦) ج ق - روحا . العبق : رائحة الطيب المنتشرة .

(٧) ج ق - بأن يعود .

عنه لرسمته فيه ، ولكن قد قيل : لكل مقام مَقَال ، ولكل فِعْلٍ أوان ، وفي حفظِ الحدود استمرار الموجود ، على ما هو به موجود .

وأنشد لعبد الله بن طاهر :

المرء اثنان

وما المرء إلا اثنانِ هذا موكّلٌ ... بما يُعجب الإخوان إنْ قالَ أو فَعَلْ
فينزلُ محموداً إذا حلَّ منزلاً ... ويرحلُ مفقوداً إذا قيل قد رَحَلْ
فأما الذي لا خيرَ فيه فإنّه ... وإن أطعم السَّلْوى وألعقَ من عَسَلْ
يذيّب عن لحمِ العدوّ مخافةً ... ويأكل من لحم الصديق إذا أكَلْ
وما قلبُه إلاَّ وِعاءٌ معطَّلٌ ... من الودِّ محشوٌّ من الغلِّ والدَّغَلْ
ومن قلَّ منه الودُّ للناس لم يَنَلْ ... من الناس إلاَّ مثلَ ذلكَ أو أقلْ

آفة الملال

قيل لأبي السائب : ماآفةُ الملال ؟ قال : كثرةُ الإدلال .

سبب الهجر

وقيل لابن أبي عتيق : ما يدعو المحبَّ إلى الهَجْر ؟ قال : إدمانُ المحبوب للغَدْر .

ابن المنجم وعبيد الله بن طاهر

لما انتقل ابن للمنجّم عن جيرة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى دار إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي كتب عبيد الله إليه أبياتاً :

ما من تحوّل عنّا وهو يألفُنا ... أبعدت عنا ولأياً صرت تلقانا[1]
فاعلمْ بأنك مُذْ فارقت جيرتَنا ... بدّلت جاراً وما بدّلتَ جيرانا

فكتب إليه ابن المنجّم :

بعدتُ عنكم بداري دون خالصتي ... ومَحْض ودّي وعهدي كالذي كانا
وما تبدلتُ مُذْ فارقتُ قربَكُم ... إلاَّ هُموماً أُعانيها وأحزانا

(١) ج ق ـ بعدت عنا أبعد الآن تلقانا .

وهل يُسر بسُكْنَى دارهِ أحَدٌ   وليسَ أحبابُه للدارِ جيرانا

آخر :

التحفظ والحذر

كُنْ بالتحفُّظ من كلٍّ من عرفتَ حَقيقا
فقد يصيرُ عدوّاً مَنْ كان يوماً صديقا

آخر :

يُخرج أسرارَ الفتى جليسُهُ   ربَّ امرئٍ جاسوسُهُ أنيسُه

الصالح والطالح

وقال الحرّاني : الجليسُ الصالح ، كالسّراج اللائح ، والجليسُ الطالح ، للمرءِ فاضح ، مجالسةُ الأشكال تدعو إلى الوصال ، ومجالسة الأضداد تُذيب الأكباد .

الأشكال والأضداد

وقال النبي صلى الله عليه وآله : مَثَلُ الجليسِ الصالح كمثل الداريّ[1] إن لا يجدك من عطره ، يعلقك من ريحه[2] ، ومثل الجليس السوء كمثل القَيْن[3] إن لا يُحرقك بشرَرَه ، يؤْذِك بدُخانه .

شاعر :

بين البغضاء والحب

خليلي للبغضاء حالٌ مُبينةٌ   وللحبِّ آياتٌ تُرى ومَعَارفُ

آخر :

تجني واستغناء

إذا كنت تغضبُ من غير جرمٍ   وتعتبُ من غير عتبٍ عليّا[4]
عددتُك ممَّن حَوَتهُ القبورُ   وإن كنتُ ألقاك في النَّاسِ حيّا

(١) الداريّ : العطار منسوب إلى دارين وهي فرضة بالبحرين يحمل إليها المسك من الهند .
(٢) ج ق ـ يعبق بك .
(٣) القين : الحداد .
(٤) ج ق ـ ذنب .

آخر :

إذا المرء أعراه الصديق بَدا له[1] بأرض الأعادي بعضُ ألوانها الرُّبْدُ[2] تباعد وكشف

آخر[3] :

أُحبُّ الفتى يَنْفي الفواحشَ سمعُهُ كأنّ به عن كلِّ فاحِشةٍ وَقْرا[4] صديق وأخلاق
سليمُ دواعي الصَّدْر لاناشطاً أذىً[5] ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا[6]
إذا ماأتتْ من صاحبٍ لك زَلّةٌ فَكُنْ أنتَ مُحتالاً لزلّته عُذْرا[7]
غِنى النَّفس ما يكفيكَ من سَدِّ خلةٍ فإن زادَ شيئاً عاد ذاك الغِنَى فَقْرا

آخر :

وأنت امرؤ إمّا ائتَمَنْتُك خالياً فَخُنْتَ، وإمَّا قلت قولاً بلا علمِ خيانة وجهل
فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخِيانَةِ والإثْمِ/ [٢٩أ]

آخر[8] :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأوجَلُ[9] على أيّنا تغدو المنيَّةُ أوّلُ صحة المودّة والإخاء

---

(١) أعرى فلاناً صديقه : تباعد منه ولم ينصره .
(٢) الربد : نبات ، والربدة : غبرة .
(٣) من قصيدة لسالم بن وابصة الأسدي : حماسة أبي تمام ١٤٥ .
(٤) وقرت أذنه تقر وقراً : ثقلت أو ذهب سمعه كله وصمّت .
(٥) رواية الحماسة : باسطاً .
(٦) الهجر : القبيح من الكلام والإفحاش في النطق والخنا .
(٧) سقط من الصداقة والصديق بيت :
إن شئت أن تدعى كريماً مكرّماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرّا
(٨) الشعر لمعن بن أوس راجع ديوان الحماسة لأبي تمّام ١٣٢ . وقد وردت أبيات من هذه القصيدة متفرقة في حماسة البحتري راجع : ٢٧ ، ٦٣ ، ٦٦ .
(٩) لأوجل : لخائف مترقب .

وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أخُنْ[1] إن ابْزَاكَ خصمٌ أو نبا بك منزلُ[2]

أحاربُ مَنْ حاربتَ من ذي عداوةٍ وأحبسُ مالي إن غَرِمْتَ فأعْقِلُ[3]

وإن سُؤْتني يوماً صفحتُ إلى غدٍ ليُعْقِبَ يوماً منك آخرُ مُقْبِلُ

كأنَّك تشْفي منك داءَ مَسَاءَتي[4] وسُخطي وما في ريبَتي ما تعجّلُ[5]

وإنّي على أشياءَ منك تَريبُني قديماً لذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ

ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتني يمينَكَ فانظُرْ أيَّ كفٍّ تَبدّلُ[6]

وفي النَّاس إنْ رَثَّتْ حبالُك واصلٌ[7] وفي الأرض عن دار القِلى مُتَحَوَّلُ[8]

إذا أنتَ لم تُنْصِف أخاكَ وجدتَهُ على طرف الهجرانِ إنْ كان يَعْقِلُ

ويركبُ حدَّ السيف مِنْ أنْ تضيمَهُ إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مَزْحَلُ[9]

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتي[10] وبدّلَ سوءاً بالذي كنتُ أفعلُ

قَلَبْتُ له ظهر المِجنّ فلم أدُمْ[11] على ذاكَ إلاَّ ريث ما أتحوَّلُ

---

(١) ج ق م - أحل .

(٢) ج ق م - اندال . أبزاك : أبزيت بفلان إذا بطشت به وقهرته . بزاه يبزوه بزواً : قهره .

(٣) ج ق م - عزمت .

(٤) أي مساءتك لي .

(٥) أي سخطك عليّ . السخط : نقيض الرضا .

(٦) تَبَدّل : أي تأخذ البدل . وقد ورد هذا البيت في الحماسة للبحتري كما يلي :
كأنك تشفي منك داءً مخامراً

(٧) رثت حبالك : خلقت أسباب وصلك .

(٨) متحول : موضع يتحول إليه .

(٩) مزحل : مبعد .

(١٠) ج ق م - طبتي .

(١١) أي تغيرت له وزلت عن مودته والأصل في ذلك أن المقاتل يكون ظهر مجنّه أي ترسه إلى أعدائه وبطنه إلى أوليائه ، فإذا صار مع أعدائه جعل ظهر مجنه مما يلي أصحابه . وقال أبو العلاء : هذا مثل ، يقال للرجل : قلب لنا ظهر المجن ، إذا تحول عن الصداقة إلى العداوة ، وأصل ذلك أن يكون معه مجن ثم استعمل ولا مجن هناك

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تَكَـدْ إليـه بـوجـهٍ آخِرَ الـدهرِ تُقبـلُ

آخر :

فأكرمْ أخـاكَ الـدهرَ مـا دمتُما معـاً كفى بـالمماتِ فُرْقـةً وتَنَـائيـاً دعوة

آخر :

أفـاطمُ أعرضي قبـل الْمَنَـايـا كَفَى بـالمـوت هَجْراً واجتنـابـا دعوة

آخر :

لا تطلبنَّ الـودَّ من مُتبـاعـدٍ ولا تنأ مِنْ ذي بغضةٍ إن تقرّبا تحذير واستغناء
فـإن القريبَ من يقرِّبُ نفسـه لَعَمْرُ أبيـك الخير لا من تنسَّبـا

آخر :

لعمرك ما أبقى ليَ الدهرُ من أخٍ حفيٍّ ولا ذي خلَّـةٍ أُواصلُـهُ شرُّ الأخلاء
ولا من خليلٍ ليس فيه غوائل وشرُّ الأخـلاء الكثيرُ غـوائلُـهُ

النَّمِرُ بنُ تَوْلب :

أحبِبْ حبيبَـكَ حبّـاً رُويـداً فقـد لا يعـولُـك أن تُصْرَمَـا التمهل في الحالين
وأبغضْ بغيضَـك هونـاً رويـداً إذا أنت حـاولت أن تَحْكُما[1]

آخر :

لقد عجبتُ وما بـالـدهرِ من عجبٍ يـد تشحُّ وأُخرى منـك تـأسُـوني[2] شحّ ومواساة

---

(١) في رواية : أبغض بغيضك بغضاً رويـداً . حَكَمَ : صار حكيماً أي إذا أردت أن تكون حكيماً .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا البيت ص ٨٦ وقائله الفضل بن العباس . وقد سقط البيت من ج ق . وفي رواية : تشجّ .

آخر :

جود الدهر

أتيتُ أُنادي الدهرَ جُدْ لي بصاحبٍ — وخلٍّ طِلابَ الدّهر ما أنا طالبُ
فما جاءَ لي منه بغير مُجانبٍ — وآخر خيرٌ منه ذاك المجانبُ
أخلاّئي أمثالُ الكواكب كثرةً — وما كلُّ ما يُرمى به الأفق ثاقبُ
بلى كلُّهم مثلُ الزمان تلوّناً — إذا سرَّ منه جانبٌ ساءَ جانبُ

آخر :

خيانة ونشب

ومن البلاء أخٌ خيانتُهُ — عَلَق بنا ولغيرِنا نَشَبُهُ[1]

آخر[2] :

فساد الصداقة

ألَمْ تَرَ ما بيني وبين ابنِ عامرٍ — من الودّ قد بَالَتْ عليه الثعالِبْ[3]
فأصبحَ نابي الودّ بيني وبينَهُ — كأنْ لم يكنْ والدهرُ جمٌّ العجائبْ

آخر[4] :

مكاشرة ونفاق

تُكاشِرُني كُرْهاً كأنّك ناصحٌ[5] — وعينُكَ تُبْدي أنّ صَدْرَكَ لي دَوِي[6]

---

(١) ج ق - علق . العلق : دويبة تمتص الدم . النشب : العقار أو المال الأصيل .

(٢) سقط هذان البيتان من ج ق . البيتان لأبي الأسود الدؤلي كما ورد في الديوان ١٥٨ . وقد وردت باء الرويّ مضمومة .

(٣) بالت عليه الثعالب : مثل يقال لقوم يقع بينهم الفساد .

(٤) البيتان ليزيد بن الحكم الثقفي كما جاء في الأمالي ٦٧/١ .

(٥) كاشره مكاشرةً : ضاحكه وحرّك عليه أسنانه كقوله : « أخوك أخو مكاشرة وضحك » . وفي ديوان المعاني ١٩٩/٢ تعاشرني .

(٦) دوي صدره : ضغن . الدوي (بتخفيف الياء) : المريض والفاسد الجوف من داء . وفي ديوان المعاني : أن صدرك .

لسانُـك مـاذِيٌّ وغيبُـك عَلْقَمٌ[1]   وشرُّك مَبْسوطٌ وخيرُكَ مُنْطَـوي[2]

آخر :

مراء وخديعة

كم من صديقٍ لنا أيامَ دولتنا   قد كانَ يمدحُنا فصارَ يهجُونا

آخر :

مواصلة وتوزُّع

دَعْني أُواصـلُ من قَطعتَ تراهُ بي إذ لا يَرَاكا
إنّي متى أحقـدُ لحقـدك لاأضرُّ بـه سـواكا
وإذا أطعتُـك في أخيـك أطعتُ فيـه غـداً أخـاكا
حتى أُرى متقسّـماً   يـومـاً لـذا وغـداً لـذاكا

آخر :

تجني ونبو

يا صديقي بالأمس صِرْتَ عدوّاً   سؤْتني ظـالمـاً ولم تَرَسُوّا
كلّما ازددتُ لـك في الحبّ تـزيّـدتَ نَبْـوةً وعُتُـوّا

آخر :

شكوى وعتاب

مـا لي بحـائجـةٍ أرادني الـزمـانُ بهـا يَـدَانِ[3]
لَمّـا بلغتُ مكاني فيـك بلغتَ فيَّ مـدَى الـزمـان
ونصبْتني غرضـاً يُبيـحُ دمي ولحمي مَنْ رَمَـاني
هـذا جـزاءُ مقـدّمـاتي إذ أكـونُ وليس ثـاني
وَعَـدا عليَّ بـك الـزمـانُ مُـذْرِبـاً نحـوي لسـاني[4]

(١) الماذيّ : العسل أو الأبيض منه . العلقم : الحنظل وقيل إذا اشتدت مرارته ، وكل شيء مرّ . وفي ديوان المعاني : لسانك لي شهد .

(٢) ج ق ـ ملتو . وكذلك في ديوان المعاني .

(٣) حائجة : حاجة والجمع حوائج . على المبالغة .

(٤) ذَرَب السيف ونحوه ذرباً : أحدّه . ذَرِبُ اللسان : حديده .

آخر :

عاقبة الأخوة

هَبْني أســـأتُ كما زعمتَ فـــأيْنَ عـــاقبـــةُ الأخـــوَّه
فـــإذا أســـأتَ كما أســـأتُ فـــأين فَضْلُـــكَ والمروَّه

تجنّب واستحلاء

أخبرنا المرزُباني ، حدّثنا الصُّولي ، حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبي ، حدثنا هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال : كتب أبي إلى بعض من عتب إليه في شيء : لوعرفتَ الحسنَ لتجنَّبت القبيح ، ولو استحلَيْتَ الحِلْم لاستمَرَرْتَ الْخُرْقَ[1] ، وأنا وأنت كما قال زهير[2] :

وذي خطلٍ بالقول يَحْسَبُ أنّه[3] مُصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ[4]
عَبَأتُ له حِلْمي وأكرمتُ غيرَه[5] وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتلُهْ

وإن من إحسان الله إلينا ، وإساءَتك إلى نفسك أنّا أمسكنا عمّا تعلم ، وقلتَ ما لا تعلم ، وتركتَ الممكن ، وتناولتَ الْمُعْجز ، فالحمدُ لله الذي أوضح غَدْرَك ، وأبانَ أمرَك ، وقبَّح عند الناس ذكرَك .

تأديب وتأنيب

وقال أعرابي : نُصْحُ الصديق تأديب ، ونُصْحُ العدوّ تأنيب .

شاعر :

طَرْف وإغضاء

وتطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها فلا يَرَى قَطْعَها من الرُّشْد

(١) الخرق : أن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .
(٢) من قصيدة مطلعها : « صحا القلبُ عن سَلْمى وأقصَرَ باطِلُهْ » الديوان ١٣٩ .
(٣) الخطل : كثرة الكلام وخطؤه .
(٤) فما يلمم به فهو قائله : أي ما حضره من شيء فهو قائله .
(٥) عبأت : جمعت . أكرمت غيره : أكرمت نفسي أي بإعراضي عنه ويحتمل أن يريد : أكرمت بحلمي وعفوي عنه غيره ممن راعيت حقه فيه . بادٍ مقاتله : ممكنه ظاهرة لي .

[٢٩ ب]
مخرج الواحد

قال أبو سعيد السِّيرافي فيما سمعتُه منه : الصديقُ يكون واحداً / وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً . قال المرواني وكان حاضراً : هذا والله من شرف الصديق ، قلت : ما نزيغ[1] بهذا ، قال : أما ترى هذا المثال كيف عمَّ [هذه] الأشياء المختلفة حتى تكونَ صورةُ الصديق محفوظةً فيها ، وملحوظةً منها ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[2] ، فأخرجه مخرج الواحد ، وهو يريد الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

تجنّب صداقة خمسة

أخبرنا أبو السائب القاضي عُتبة بن عبد الله ، حدّثنا الحسن بن عَرْوة ، حدثنا محمد بن عبد الله القرشي ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأشكري عن أبي حمزة الثُّمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنهما قال : أوصاني أبي قال : يابُني لا تصحبْ فاسقاً فإنه بائعُك بأُكْلَةٍ فما دُونها ، قلت : وما هو دونها ؟ قال : يطمعُ فيها ثم لا ينالُها ، ولا تصحبْ بخيلاً فإنه يقطع بك في مالك أحوجَ ما تكون إليه ، ولا تصحبْ كذاباً فإنه بمنزلة السَّراب يُقرِّب منك البعيد ، ويُبعد منك القريب ، ولا تَصْحَب أحمقَ فإنهُ يُريد أن ينفعك فيضرّك ، ولا تصحَبْ قاطع رحم فإني وجدتُه ملعوناً في ثلاثة مواضع من كتاب الله : في سورة البقرة[3] ، وسورة الرَّعد[4] ، وسورة الذين كفروا[5] .

(١) زاغ يزيغ زيغاناً وزيغوغة : مال . وأزاغه عن الطريق : أماله . والزَّيغ : الشك والجور عن الحق .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النور : ٦١

(٣) ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ويَقْطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ في الأرْضِ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧/٢] .

(٤) ﴿ والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ويَقْطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ في الأرْضِ أولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ولَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرَّعد : ٢٥/١٣] .

(٥) هي سورة محمد عليه الصلاة والسلام والآية المشار إليها : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُم أنْ تُفْسِدُوا في الأرْضِ وتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُم . أُولئِكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأصَمَّهُم وأعْمَى أبْصَارَهُم ﴾ [محمد : ٢٣/٤٧-٢٤] .

وقال ابن أبي خازم الشاعر الجاهلي :

وحشة الأنس

وَكُنْ من الإخوان مُستوحشاً   وحشةَ إنسيٍّ بِجِنّانِ[(١)]

خير الإخوان وشرّهم

أخبرنا الصّواف أبو علي ، حدّثنا ابن المُؤمّل ، قال : سمعتُ موسى بن جعفر يقول : خيرُ إخوانك المُعينُ لك على دَهْرك ، وشرُّهم مَنْ سَعَى لك بسوق يومه .

خير الإخوان

وقال بعضُ السّلف الصالح : خيرُ إخوانكَ مَنْ وعظك برؤيته قبل أن يَعظَك بكلامه . قلت لبرهان الصُّوفي : ما تفسيرُ هذا ؟ قال : لأنك إذا رأيته رأيتَ هَيأتَه ، وشارتَه ، وحركتَه ، ونظرتَه ، وقومتَه ، وقعْدتَه ، وهذه كلُّها نواطقُ ، ولكن بلا حروف ، وشواهدُ ولكن بلا لفظ ، وإشاراتٌ ولكن بلا أدوات ، وأمَّا إذا جاء الكلام فقد استوعب أقصى البيان ، وأتى على آخر الإرادة ، فأراد هذا القائل أنه إذا أراك نفسه فقد حضَّك على اتّباع أمره ، ودعاك إلى الاقتداء به ، وأن تحرّج من مُسْكه[(٢)] ، وتبرّز من تبيانه[(٣)] ، فهذا كلام في غاية الإيضاح .

عصيان وطاعة

قال محمد بن علي رضي الله عنهما : كَفَى بالله ناصراً أنْ تَرَى عدوّك يَعْصي الله فيك وتُطيعه .

أفضل الصديقين

قال أنَس : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « ما تحابّ رجلانِ إلاَّ كان أفضلُهما أشدَّهما حبّاً لصاحبه ، هذا أخبرنا به المرزُباني عن ابن السَّراج عن المبرِّد عن الرِّياشي عن أبي عاصم عن مبارك بن فَضَالة عن ثابت عن أنس .

---

(١) جمع جنّ .

(٢) المسك : العقل .

(٣) ج ق ـ بيانه .

الحب في الله

قال رجل من العُبّاد لعابدٍ آخر : إني لأُحبُّك في الله ، قال : أعوذُ بالله أن أكونَ ممن يُحَبُّ في الله واللهُ عليَّ ساخط .

طاعة ومحبة

وقالت امرأة لرابعة العدوية[1] : إني لأحبُّكِ في الله ، قالت : فأطيعي مَنْ أحببتني فيه ، قالت : مِنْ طاعتي له محبتي لمن أطاعه .

تلاد وبلاد وجار

أخبرنا ابن مقسم النحوي قال : حدّثنا أحمد بن يحي ، حدثنا عمر بن شبَّة ، حدثنا الأصمعي ، قال : وقف أعرابي يسألُ فقال : أخٌ في تِلاد الله وجارٌ في بلاد الله ، وطالبٌ خيرٍ من فضل الله ، فهل من أخٍ يواسي في ذات الله ؟ قال ابن السَّرّاج : التِّلادُ : المال الذي لم يُكتسب ، سمعتُه من علي بن عيسى عنه .

محبة ومفارقة

قال أبو الدَّرداء : ما أنصفنا إخوانُنا ، يُحبوننا في الله ، ويُفارقوننا في الدُّنيا ، إذا لقيني قال : أحبُّك يا أبا الدَّرداء ، وإذا احتجتُ إليه في شيء امتنعَ مني .

أحب من أبيه وأمه

قيل للأوْزَاعي[2] : أيبلغُ من حبِّ الرجل لأخيه أن يكون أحبَّ إليه من أخيه لأمه وأبيه ؟ قالَ : نعم ومن أُمّه وأبيه !

---

(١) رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير إحدى صالحات البصرة الصوفيات وعابداتها وناسكاتها ، ولدت في البصرة وتوفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ ، ويقول ابن خلكان ١٨٢/١ : « وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور » .

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن يُحْمِد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع ، إمام الشام في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك سنة ٨٨ هـ وسكن بيروت وتوفي فيها سنة ١٥٧ هـ ، قال صالح بن يحي في تاريخ بيروت ١٥ : « كان الأوزاعي عظيم الشأن في الشام ... ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام » .

شاعر[1] :

نكد الدنيا

ومن نَكَد الدنيا على الحر أن يَرَى   عدواً له ما من صداقته بُدُّ

سمعتُ العَسْجدي[2] يقول وقد أنشد هذا البيت : فما الحيلةُ إذا كان المُخْلِصُ لا يوجد ، والمُرائي لا يُفقد ، والحاجةُ قائمةٌ إلى التعاون ، والتعاونُ مُورِّثٌ للتهاون ، والتهاونُ باعثٌ على الكلام ، والكلامُ بين العتْب والاستزادة ، والتظلُّم والاستراحة ، ثم قال : لا حيلةَ إلاَّ الصبرُ فإن فسادَ دخائل الإخوان مضموم إلى جميع حوادث الزمان / ، والله المُسْتَعان .

[٣٠أ]

وقال المهلَّبي لبني أُميّة :

بنو أمية

مهلاً بني عمِّنا مَهْلاً موالينا   امشُوا رويداً كما كنتم تكونُونا[3]
الله يعلمُ أنَّا لا نحبّكُم   ولا نلومكُم أن لا تُحِبُّونا

في الحضور والمغيب

وأنشدنا أبو السائب القاضي قال : أنشدني محمد بن يزيد لنفسه :

بنفسي أخي بِرٍّ شَدَدْتُ به أزْرِي   فألفيتُه حُرّاً على العسرِ واليُسرِ
أغيبُ فلي منه ثناءٌ ومِدْحةٌ   وأحضرُ منه أحسنَ القول والبِشْرِ

دعاء وسلوى

وكتب أبو النفيس إلى العَباداني : سبحانَ مَنْ لم يُغْنِك عنا حتى سَلانا عنك ، ولا شغَلَكَ بغيرنا حتى عوّضنا منك ، ولا خار[4] لنا في بُعدك ، حتى صنع لنا في فقدك ، ولا هوّن عليك الوجدَ بنا حتى خفَّف عنا

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :
أقلُّ فعالي بلْه أكْثَرَهُ مجدُ   وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لم أنَلْ جدُّ
(٢) ورد ذكره في رسالة (مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي ٢٥٢ .
(٣) ج ق ـ تمشونا .
(٤) خار يخير خيراً : صار ذا خير . وخار الرجل على غيره : فضّله . وخار الشيء : انتقاه .

المَوْجدةَ عليك ، ولا حظَّر عليك وصلَنا حتى أباحَ لنا هجرَكَ ، ولا سهَّل عندك الرُّزْءَ بنا حتى رفعَ عنَّا المصيبةَ فيك .

دعاء وحمد وعزاء

وكتب أيضاً : أُختَ هذه الحمد لله الذي لم يزيِّن لَكَ الكفر بحرمتنا حتى حَسُن عندنا الشِّرْكُ في صحبتك ، ولا طَوَى عنا بساطَ قُربك حتى أسْبَل علينا سِجاف[1] بُعدك ، ولا علَّق حَبْلَك بغيرنا حتى كَفَانا مؤونةَ عَتْبك ، ولا خوَّفك بالرَّغبة عنا حتى أمَّنَنا بالزهد فيك ، ولا دنَّسَ جَيْبك بالأسف علينا حتى طهَّر قلوبنا من الشوق إليك ، ولا سَقاك صفوَ الهَجْر حتى أروانا بزُلال الصبر ، ولا أوسعَ لك في الانحراف عنَّا حتى أوضح لنا العُذر في الانصراف عنك ، ولا أذكرك قُبْحَ الجفاء حتى أنسانا خالص الصفاء ، ولا عرَّاك من يُمْن الإجماع حتى ألبسنا حَبَرَةَ[2] الإفراق ، فَدُم على هجرنا فقد استبدلنا بك ، واسلُ عنا فقد تعزَّينا عنك والسلام .

شاعر من بني أسد :

إنقاذ بعد الزلل

وأستنقذُ المَوْلى من الأمر بعدما ... يَزِلُّ كما زَلَّ البعيرُ عن الدحضِ[3]

آخر :

احتمال الضغائن

وإنّي لأنْسى عند كلّ حفيظةٍ ... إذا قيلَ مولاك : احتمالَ الضغائنِ
وإن كان مَوْلى ليس فيما يَنوبُني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاونِ

آخر :

---

(١) السجاف والسجيف : الستر .

(٢) الحبرة (بالتحريك) : ضرب من برود اليمن .

(٣) دَحَضَ برجله دحضاً : فحص ، ودحضت رجله : زلقت ، ومكان دحض : زَلِق ويقال : « هذه مَدْحضة القوم » أي مزلّتهم .

عطف ومحبة

ومولىً خفتُ عنه الموالي كأنه ... من البُؤس مطليٌّ به القارُ أجْرَبُ

رَئمتُ إذا لم ترأمِ البازلُ ابنَها[1] ... ولم يَكُ فيها لِلْمُبسِّين مَحْلَبُ[2]

آخر :

تثاقل واستثناء

تثاقلتُ إلاَّ عن يدٍ أستفيدُها ... وخلَّةِ ذي ودٍّ أشدُّ به أزْري

أذى القول

وقال ساعدةُ الهُذَلي : ولا أوذي الصديقَ بما أقول .

الصديق الأخ

قال أبو زيد في الأمثال : ربَّ أخٍ لك لم تلِدْه أمُّك .

خذلة وعذلة

وقال أيضاً : أخي خُذَلَةٌ وأنا عُذَلَةٌ وكلانا ليس بابن أمه[3] .

الصبي أعلم

وقال أيضاً : الصبي أعلم بمضعي جده[4] .

علم النفس

وقال أيضاً : النفسُ تعلم مَنْ أخُوها النافع .

وقال :

تفرق واجتماع

القومُ إخوانٌ وشتَّى في الشِّيَمْ ... وكلُّهم يجمعُهُم بيتُ الأدَمْ

علامات العاقل

وقال بعضُ السَّلف : من علامات العاقل بِرُّهُ بإخوانه ، وحنينُهُ إلى أوطانه ، ومداراتُه لأهل زمانه .

---

(١) رئم الشيء رأماً : أحبه وألفه ، ورئمت الناقة الولد رأماً ورئماناً : عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم ورائمة ورائم والجمع روائم . البازل : الناقة إذا فطر نابها أي انشق بدخولها التاسعة . والبازل يستوي فيه المذكر والمؤنث .

(٢) بسّ الإبل : ساقها سوقاً ليناً بقوله بِسْ بِسْ ، وبسّ الحالبُ بالناقة : دعاها للحلب . والشطر الثاني من قصيدة للنابغة الذبياني في الاعتذار .

(٣) ج ق م - عناة . خذلة : الخاذل الذي لا يزال يَخْذُل . العُذلة : الكثير العذل للناس . والعذل : اللوم .

(٤) ق ج - بمبضع .

وقال شاعر :

لعمرُك إنّي بـالخليل الـذي لـه	عليَّ دَلالٌ واجبٌ لمفجَّـــــــعُ	فجيعة وإمتاع
وإنّي بالْمَوْلى الذي ليس نـافعي	ولا ضـــائري فقـدانُـه لمتَّـعُ	
أُولئـك إخوانُ الصَّفـاء رُزئتُهم	ومـا الكفُّ إلاَّ إصبـعٌ ثم إصبـعُ	

والعرب تقول :

خلِّ طريقَ من وَهَى سِقاؤهُ[1]	ومن هُريـق بـالفَـلاة مَـاؤهُ	عدم الاستقامة

وقال أعرابي :

الصديقُ للظهر سِنادٌ ، وللدَّهْر عَتَادٌ ، ولليوم جمالٌ ، وللغَد مالٌ . — صفات الصديق

وقال شاعر :

إن كنتَ تطلبُ في الزَّمان مهذَّباً	فنيَ الزمانُ وأنتَ في الطَّلِبَـاتِ	طلب المهذب
خُذْ صفوَ أخلاقِ الصديق وأعطه	صفواً وَدَعْ أخـلاقـه الكـدِراتِ	

قـال ابن للعتز : إذا صحَّتِ النِّيَّـةُ ، وتـوكَّـدت الثقـةُ سقطت مَـؤونـةُ التَّحفُّظ . — صحة النيّة

أخبرنا ابن مقسم قال : قرأتُ على أحمد بن يحي أنشدنا ابن الأعرابي :

إذا أحسن ابن العم بعـد إسـاءةٍ	فلست لشريّ فعلــهِ بحَمُــولِ	إحسان بعد إساءة

أي إذا أحسن وأسـاءَ لا أحمِـلُ عنـه الشَّرّ أي لم أُواخِـذْهُ ، وأراد بـالشَّر فِعْليْه فَقَلَب .

---

(١) روايـة الأسـاس : خلِّ سبيل . السقـاء : وعـاء من جلـد للمـاء واللبن ونحوهـا . ووهى الشيء : استرخى رباطه . خلى طريقه : أطلقه . ويضرب المثل لمن لا يستقيم أمره .

صحبة الأشرار وقال آخر : صُحبةُ الأشرار ، تُورثُ سوءَ الظَّنّ بالأخيار .

[سَدُوس بن ذهل اليربوعي] :

تولية وإدبار إذا مـا امرؤ ولّى غنيـاً بـودّه وأدبرَ لم يصـدُرْ بـإدبـارِهِ وقرْ

كرم الإخاء ولبني هُذَيْل مَثَلٌ وهو : هذا التّصافي ، لا تَصافي المِحْلَب[1] ، أصلُـهُ أن هُذَيْلاً أصابتْ دماً في بعض العرب ، فأسَر أصحابُ الـدم رجلين من هُـذيل متصادقَيْن ، فقالوا لهما : أيُّكما أشرفُ فنقتلـه بصـاحبنـا ؟ فقـال كلٌّ واحـدٍ منهما : أنـا ابن فلان الحسيب النسيب[2] ، ذو الثـأر المُنِيم[3] ، فـاقتلـوني دون صاحبي ، فكلٌّ بذل نفسَه للقتل دون صـاحبـه ، فعيوا بـأمرهمـا لمـا رأوا من تـأبّيهما فقـالـوا : هـذا التصـافي ، لا تصـافي المِحْلَب ، وصفحـوا عنهما ، أي لا تصافي المنادمة على الشراب[4] .

وروى يعقوب قول نابغة بني جَعْدة[5] :

عهد الوداد أدومُ على العهـد مـادام لي إذا كَـذبتْ خلَّـةُ المِحْلَبِ[6]

(١) العتاد : العدّة لأمرٍ ما تهيئه له من عتَدَ الشيء عتادةً وعتاداً : تهيأ . يقال : « لكلّ حـال عنده عتاد » أي ما يصلح لكل ما يقطع من الأمور ، والعتاد : ما أعـد من سلاح ودوابّ وآلة حرب . والجمع أعتد وأعتدة .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٣١٣/٢ .

(٣) الثأر المُنِيم : الذي إذا أصابه الطالب نام بعده ، يقال : « أصـابَ الثـأر المُنِيم » إذا قتل شريفاً فيه وفاءٌ لطلبته .

(٤) في مجمع الأمثال : أي هذه المصافاة لا مصافاة المواكلة والمشاربة ويضرب في كرم الإخـاء . المحلب : الإناء يحلب فيه . ويروى المِشعل : وهي المصفاة .

(٥) هو قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعـدي العـامري ، شـاعر صحـابي اشتهر في الجـاهليـة ، وسمي النابغـة لأنـه مكث ثلاثين سنـة لا يقول الشعر ثم نبغ فقـال ، وفـد على النبي ﷺ وأدرك صفين وشهدها مع معاوية ، عُمِّر لزمن التابعين ومات سنة ٥٠ هـ .

(٦) رواية حماسة البحتري ص ٦٣ : فإن خان خنتُ ولم أكذب .

آخر :

أخٌ لي إمَّـا كلُّ شيءٍ سـألتُـه فيُعطي وإمَّـا كلُّ ذنبٍ فيَغْفِرُ — عطاء وغفران

آخر :

كان لنـا صاحبٌ فبـانـا وحـادَ عن وصلنـا وخـانا — قطيعة وهجر
تـاهَ علينـا وتـاهَ منّـا فـمـا نراهُ ولا يَرانـا

وقال أعرابي : للمودَّةِ قرابةٌ مُسْتفادة . — المودة قرابة

شاعر :

أخٌ لـك لا تغيِّره الليـالي ولا الأيامُ عن خُلُقٍ جديدِ — ثبات الخلق

وقال أعرابي : وَصُولٌ مُعْدِمٌ[1] خيرٌ من جافٍ مُكثر . — وصول وجاف

وقال محمد بن سليمان لابن السَّمَّـاك[2] : بلغني عنـك شيءٌ فقـال : لستُ أُبالي ، قال : وَلِمَ ؟ قال : فإن كان حقّاً غفرتَهُ ، وإن كان باطلاً رَدَدْتَه . — لا مبالاة

وقال أعرابي : اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من سلطانٍ[3] جائر ، ونـديمٍ فـاجر ، وصديقٍ غادر ، وغريمٍ مـاكر ، وقريبٍ نـاكر ، وشريـكٍ خـائن ، وحريفٍ مائن[4] ، وولدٍ جافٍ ، وخادمٍ هافٍ[5] ، وحاسدٍ محافظٍ ، وجارٍ مُلاحـظٍ ، — دعاء أعرابي

---

(١) أعْدَمَ الرجل إعداماً وعُدْماً : افتقر فهو مُعْدِم وعديم .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل المعروف بابن السَّمَّاك ، نشأ بالكوفة وقدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يُبكي هارون بقوة موعظته . مات بالكوفة سنة ١٨٣ هـ .

(٣) ج ق ـ حاكم .

(٤) حَريف الرجل : معامله في حرفته والجمع حرفاء . مائن : المين الكذب .

(٥) الهافي اسم فاعل ورجل هافٍ : جائع .

ورفيقٍ كسلانَ ، وجليسٍ وَسْنانَ [1] ، ووكيلٍ ضعيفٍ ، ومركوبٍ قَطُوف [2] ، وزوجةٍ مبذِّرة ، ودارٍ ضيِّقة .

شاعر :

الطبع والأصل

فلا تعتقدْ خِلاًّ يَسُرُّك بَعْضُهُ ... وإن غابَ يوماً عنك ساءَك كلُّهُ
إذا شئتَ أن تبلوَ امرءاً كيف طبعُه ... فدعْهُ وسَلْ مِن قبلها كيف أصلُهُ

شاعر ، ويقال أنه لعُمَارَةَ بن عَقيل [3] :

عذل وعتاب

ألم تَرَني والمرءُ يَقْلي ابنَ أمِّهِ ... إذا ما أتت عَوْجاءُ لا تتقوَّمُ
ضممتُ جَناحي عن أبي النَّضْر بعد ما ... تلوَّمتُه ما كان لي مُتَلَوَّمُ
وقلتُ له لَمَّا التقينا وقال لي ... مقالةَ مُزْرٍ عائثٍ يتجرَّمُ
أتعذلُني في أن أبيعَكَ مثلَ ما ... به بِعْتَني والبادئُ البيعِ أظلَمُ
وليس على ودٍّ امرئٍ ليس عنده ... وفاءٌ ولا عهدٌ إذا غاب مندمُ

وقال ابن المقفَّع : لا صديقَ لثلاثةٍ : للميِّت ، والفقير ، والمحبُوس .

---

(١) وَسِنَ الرجل يوسن وسناً ووَسنةً ووسْنة وسِنَةً : أخذه ثقل النوم أو أوّله أو النعاس أو كثُر نعاسُه . وفي اللسان : « وتوقظ الوسنان » أي النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .

(٢) القطوف : الدابة التي تسيء السير وتبطئ ، وقد يستعمل في الإنسان والجمع : قُطُف .

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال التيمي ، شاعر فصيح من أهل اليمامة كان يسكن بادية البصرة ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، وهو من أحفاد جرير الشاعر وجاء في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٧ : « كان عمارة أشعر أهل زمانه ... ولا يأخذ في معنى من المعاني إلا استغرقه ، وكان نقي الشعر ، محكم الرصف ، جيِّد الوصف من أهل بيت الشعر ، وكان مداحاً للخلفاء والوزراء والأشراف والملوك ، فكسب مالاً عظيماً وانصرف إلى البادية » ، وتوفي عمارة سنة ٢٣٩ هـ .

وسُئل الْجُنيد الصُّوفي : مَنْ تصحبُ ؟ قال : من قدر أن يَنْسَى مَالَهُ ويقضي ماعليه .

نسيان وقضاء

شاعر :

تساؤل واستغفار

لیتَ شِعْري ماكانت الحالُ بعدي … أعَلى العَهْد أم تكرَّهتَ ودِّي

أنا ذاك الْمُسِيئُ والذنبُ ذَنبي … فاعفُ عني يا أكرمَ الناسِ عِندي

لا يكونُ الغفرانُ إلاَّ لمولىً … وتكونُ الذنوبُ إلاَّ لعَبْدِ

محمود الورّاق[1] :

نصح وحكمة

لا تَحْسِدَنَّ أخاكَ وارعَ لهُ على الأيامِ عَهْدَهْ

حسدُ الصديقِ صديقَهُ … وأخاهُ من سُقم المودَّهْ

شاعر :

علائم الخير

وأوّلُ خيرٍ من صديقٍ أفدتُهُ … رجُوعي بتسهيلِ الصديق حجابي

وأعرفُ ما لي عندَهُ بغلامهِ … وبالبِشْر منه عند رَجْع جَوابي

آخر :

زرع المودّة

زرعتَ في القلب مني من مودّتكم … زرعاً تمكَّن في الأحشاء والكبدِ

آخر :

دعاء وحرص

جَزَى اللهُ عني صالحاً بوفائهِ … وأضعفَ أضعافاً له في جَزَائه

[٣٠ ب]

أخاً لي إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً … رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه/

بلوتُ رجالاً بعده بإخائهم … فما ازددتُ إلاَّ رغبةً في إخائه

---

(١) هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم والأدب . وفي الكامل نتف من شعره . توفي سنة ٢٣٠ هـ ، راجع أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٦٧ .

آخر :

تيه ودعاء

تَـــاهَ على إخـــوانـــه قـــاسمٌ ... فصـــارَ مـــا يَطْرِفُ من كِبْره
أعـــادهُ اللهُ إلى حـــالـــه ... فـــإنَّـــه يحسنُ في فقره

آخر :

يأس من الناس

لم يَبْـــقَ في النَّـــاس حُرٌّ ... ولا صـــديـــقٌ يَسِرُّ
وكلُّ مَنْ ترتضيـــهِ ... عنـــد المـــذاقـــةِ مُرُّ

آخر :

جفاء وحمد

أكلُّ هـــذا الجفـــاء يـــا حُكَمُ ... كـــذا يكـونُ الإخـــاءُ والكَرمُ
الحمـــدُ لله لا صـــديـــقَ لمن ... زلَّتْ بـــه في زمـــانـــه القَـــدَمُ

آخر :

جهل وهجران

إذا كنتَ تـأتي المرء توجب حقَّـه ... ويجهلُ منك الودّ فالهجر أوسعُ

آخر :

تجربة ونصائح

تَكَثَّرِ الإخـــوانَ مـــالم يُخْبَروا ... وعلى الْخُبْر قليـلٌ في العـددْ[1]
لا تـــودَّنَ امرءاً لم تبلُـــهُ ... وانظرنْ بعـــد ابتـلاء مَنْ تـــودّ
خَـالِقِ النَّـاسَ على أحسـابهم[2] ... لا يغرنَّـــك ثيـــابٌ وجَسَـــدْ
ربَّ محمـــودٍ على الصُّـــورة قـــد ... نـالَ ذَمّـاً ، وذميمٍ قـــد حُمِـــدْ
فـــإذا الصـــورةُ والحمـــدُ معـــاً ... جُمِعَا يـومـاً لإنسـانٍ سَعِـدْ

---

(١) خبر الشيء وخبر (بفتح الباء وضمها) خَبراً وخِبرةً علمه بكنهه وحقيقته ومنه قولهم : « وجدت الناس أخبُرْ تَقْلَهْ » والمعنى أن كل امرئ إذا جرَّبته وامتحنته أبغضته .

(٢) خالقهم مخالقة : عاشرهم بخلق حسن ، يقال : « خالصِ المؤمن وخالق الفاجر » .

قُــلْ بِحِلْمٍ[1] أو دَعِ القــولَ فَلَلْصَمْتُ خيرٌ من مَقـــالٍ في فَنَــدْ[2]
وَدَعِ المــزحَ فيـــا رُبَّ امرئٍ قـــادَهُ المــزحُ إلى مـــا لم يُرِدْ

شاعر :

إعراض

إذا كان إعراضُ الفتى مثــلَ أكْلِـــهِ فـذاك ضعيفُ الرأي مُستجهلُ العقلِ
ولَيسَ بمـوثـوقٍ بـــه في مـــودَّةٍ ولا حسنِ رأيٍ عنـد عقـدٍ ولا حـلّ
فـآخِ صـديـقَ الصّـدقِ إنّـك إنَّـه[3] وإن هُوَ نَافَى بالتخطُّـط والشُّكْلِ[4]

أمور غير ثابتة

يقال : أمورٌ ليست لهـا ثَبَـاتٌ منهـا : ظِلُّ الغَمام ، وخِلَّـةُ[5] الأشرار ، وثناءُ الكذّابين ، وللمالُ الكثير يَرِثُهُ الأحمق ، ومودَّةُ النِّسَاء .

سبعة أشياء

قـال أكثمُ بن صيفي[6] : العيشُ في سبعـة أشيـاء : الـولـدُ البــار[7] ، والزوجة الصالحة ، والأخُ المُساعد ، والخادمُ العاقل ، والعـافيـةُ السـابغـة ، والقوتُ الكافي ، والأمْنُ الشامل .

شاعر :

---

(١) ج ق - بعلم .
(٢) فَندَ الرجل فَنَداً : خرف وأنكر عقله لهرم أو مرض ، وفند في القول والرأي : أخطأ .
(٣) ج ق - عينه .
(٤) ج ق - لم تكنه .
(٥) الخلّة : المصادقة والإخاء ، يقال : « فلان كريم الخلّ والخلّة » .
(٦) هـو أكثم بن صيفي بن ربـاح التميمي حكيم العرب في الجـاهليـة ، أدرك الإسـلام وقصـد المدينة مع قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق وهو المعني بـالآيـة الكريمـة : ﴿ ومَن يَخرُجْ مِن بيتِـهِ مُهـاجِراً إلى اللهِ ورَسولِـهِ ، ثمَّ يُـدْرِكْـهُ الموتُ فقـد وَقَعَ أجرُهُ على اللهِ ﴾ وأخباره كثيرة وتوفي أكثم سنة ٩ هـ .
(٧) بَرَّ والده بِرّاً ومَبَرَّةً : أحسن الطاعة إليه ورفق به وتوقّى مكارهـه فهو بَرٌّ بـه وبـارٌّ وجمع الأول أبرار والثاني بَرَرَة .

ماء وتحذير

إذا رأيتَ امرءاً في حال عُسْرتهِ مُصافياً لَكَ ما في وُدِّهِ دَخَلُ
فلا تَمَنّ لَهُ أنْ يَسْتفيدَ غِنىً فإنه بانتقال الحالِ يَنْتَقِلُ

آخر :

تحذير وابتلاء

لا تحمدنّ على الإخاء مؤاخياً حتى تبيَّن قدرَ غَوْر إخائه[1]
فَتَذُمَّ أو تختصَّه مِنْ بَعْدِما تبلُو سريرته وصدقَ وفائه

شاعر :

مشاجرة ولين

إذا أنتَ شاجرتَ الرفيق فَلِنْ لَهُ ومنْ خيرِ مَنْ رافقتَ مَن لا تشاجرُهْ

تنصُّل وتجني

كاتب : اشتريتُك بالتَّنَصُّل إذْ بِعْتَني بالتَّجني .

تحوُّل الأصدقاء

فيلسوف : لا تعدنَّ مَنْ آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة ، واعلم أنه ينتقلُ عليك في أحوالٍ ثلاثةٍ : يكونُ صديقاً يومَ حاجتهِ إليك ، ومعرفةً[2] يوم استغنائهِ عنكَ ، ومُتجنّياً[3] ذنباً يومَ حاجتكَ إليه .

شاعر :

دوام الشّر

وشرُّكَ عن صديقكَ غيرُ نابٍ وشرُّك عند مُنْقطعِ التِّراتِ

شاعر :

الصحيح والأجرب

فانظُرْ لنفسكَ مَنْ تصاحبُ منهمُ ليسَ الصحيحُ داؤهُ كالأجربِ

شاعر :

عديم النفع

إذا غبتَ لم تنفعْ صديقاً وإن تَقُمْ فأنتَ على ما في يديْك ضَنينُ

(١) الغَوْر : القعر من كل شيء .
(٢) ج ق ـ معرفته .
(٣) تجنى على فلان : ادَّعى عليه ذنباً لم يفعله .

آخر :

أبـــا هـــاشمٍ لا فرَّقَ اللهُ بينَنَـــا ففي قربكمْ أُنسي، وفي بُعــدكم حَتْفي دعاء لطيف

شاعر :

الأخـلاءُ في الرَّخـــــاء كثيرٌ فـإذا مـا بَلَـوْت كانـوا قليـلا[1] أخلاء الرخاء

وإذا مـا أصبت خـلاً حفيظــاً راعيــاً لـلإخـاء بَرّاً وَصُـولا

فتمسَّــكْ بحبلـــه أبـــدَ الـــدهر وأكرِمْ بــه أخــاً وخليـلا

قال الراجز :

إني وإن عيَّرتني نحـــــولي أو ازدريتَ عَظْمي وطُـــولي شكل ونبل

لأعجفُ النفس على خليلي[2] أعرِّض بـالودِّ وبـالتنـويـلِ

قال أبو زيد الأنصاري : يقال عجفت نفسي على للريض[3] إذا صبرت عليه .

شاعر :

مُـذْ بـدا يخطُرُ مـــا لم يَرَني وإذا يخلـو لـــه لحمي رَتَــعْ خطران وغيبة

آخر[4] :

---

(١) بلا يبلو : اختبر ، والبلاء : الاختبار يكون بالخير والشَّر . كقول زهير :
« أبلاهما خير البلاء الذي يبلُو »

(٢) عَجَف فلانٌ نفسه عن الطعام عَجَفاً وعجوفاً : حبسها عنه وهو له مُشتهٍ ليؤثر به جائعاً أو ليشبع مؤاكله . عَجف نفسه على فلان : إذا آثره بالطعام على نفسه ، وعجف نفسه على المريض : صبَّرها على تمريضه والقيام به ، وعجف نفسه على فلان : احتمل غيَّه ولم يؤاخذه . وفي أساس البلاغة واللسان : « وعجفتُها على أذى الخليل إذا لم تخذله » .

(٣) ج ق م ـ المرض .

(٤) البيت لعبد الله بن همام كما في حماسة البحتري ١٧٥ .

نصح وأمانة

وَرُبَّ امرئٍ تَغْتَشُّه لك ناصحٍ[1] ومُؤْتَمَنٍ بالغَيْبِ غيرِ أمينِ

قال أبو زيد العُذري[2] :

نصيحة عن تجربة

وابْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءَهم وتوسَّمَنْ أمورَهُم وتفقَّدِ
فإذا ظفِرْتَ بذي اللبانة والتُّقى فبهِ اليدَيْنِ قريرَ عين فاشدُدِ
ومتى يزلُّ، ولا محالة، زَلَّةً فَعَلى أخيكَ بفضل حلمك فارْدُدِ

آخر :

تجني وعتاب

أحينَ تناهتْ بك المكرماتُ رميتَ بحبْلي على غاربي[3]
فما بالُ عينِكَ مطروقةً إذا ما رميتَ بها جانبي

شاعر :

مع الأعداء

أراكَ مع الأعداء في كلِّ موطنٍ وقلبُك من ضغنٍ عليَّ مريضُ
وما لي من فقرٍ إلى أن تُحبّني وما ضرَّني أنّي إليك بغيضُ

شاعر :

المزاح والمراء

أما المُزاحَةُ[4] والمراءُ فَدَعْهُما خُلُقانِ لا أرضاهُما لصديقِ
إنّي بلوتُهما فلم أحْمَدْهُما لمجاورٍ جاراً ولا لرفيقِ

(١) رواية الحماسة : ألا رُبَّ . اغتشَّه واستغشَّه : ضد انتصحه واستنصحه ، أو ظنَّ به الغش ، أو عدَّه غاشّاً .

(٢) ج ق - عروة بن حزام العذري ، راجع أخباره في الأغاني ١٥٢/٢٠ ، وذيل الأمالي للقالي ١٥٧ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٥٣٣/١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١٩/٢ .

(٣) الغارب : الكاهل وقيل ما بين السنام والعنق وهو الذي يلقى عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء ، ثم استعير للمرأة وجعل كناية عن طلاقها فقيل لها : « حَبْلُك على غاربك » أي اذهبي حيث شئت أي أنت مرسلة مطلقة غير مشدودة ولا ممسكة بعقد الزواج .

(٤) المزاحة : الهزل والمداعبة .

قال ابنُ عبّاس : ما من عُرّة إلاّ وإلى جانبها عَرّة[1] ، وما الذئبُ في فريسته بأسرعَ من ابن عمٍّ دَنيّ ، في عرض ابن عمٍّ سري . — أشياء وأضدادها

قال الأصمعي : وقفَ أعرابي على قوم يَعيبونَ رجلاً من إخوانه . فقال : أبطئوا عن عَيْب مَنْ لو كان حاضراً لسارعتُم إلى مدحه . — الطعن في الغيب

شاعر :

الامتناع عن الغيبة

إن شرَّ النـــاس من يَكْشِرُ لي ... حين يَلقــاني وإن غبتُ شَتَمْ
وكــلامٌ سيئٌ قــــد وَقَرتْ ... عنه أُذنــايَ ومــا بي من صَمَمْ
لا تَراني راتعــــاً في مجلسٍ ... في لحوم الناس كالسَّبُع الضَّرِمْ[2]

قال المدائني : يُقال : من رمى أخاه بذنبٍ قد تاب منه ابتلاه الله به . — توبة وبلاء

وقال عمر بن الخطّاب : كفى بك عَيْباً أن يبدوَ لك من أخيك ما يُغني عليك من نفسك ، أو تؤذي جليسَك . — عيوب الصديق

الأخطل :

تغير ووفاء

إنّي تدومُ لذي الصفاء مودّتي ... وإذا تغيّر كنتُ ذا ألـــوانِ
وأصدُّ عن عَيْب الصديق تكرُّماً ... عَمْداً وما دهري له بهَوانِ
وأُفارقُ الخِلاّنَ عن غير القِلى ... وأُميتُ بعضَ السِّرّ بالكتمانِ

كاتب : ولَعَمْري إن في الحق أن يُقبلَ الاعتذار ، ما لم يكن معه الإصرار ، وأن لا تحملَ المتستّر بالصَّداقة على المُكاشفة بالعداوة ما صلح ظاهرُه ، وتصنّعت سرائره . — قبول وتستُّر

---

(١) العَرّة : الخلة القبيحة ، العيب .

(٢) الضّرم : الجائع .

إخوان الشر — وقال آخر : إخوانُ الشّرِّ كشجرة النار يَحْرُقُ بعضُها بعضاً .

الصدق والعدو — وقال آخر : إنما سُمي الصديقُ صَديقاً بصدْقه لك ، وسُمي العـدوّ عـدوّاً لعدوه[1] عليك لو ظفر بك :

امتحان وثقة — وقال أيضاً : مَنْ لم يقدّم الامتحـانَ قبل الثقـة ، والثّقـة قبل الأنس ، أثمرت مودتُه نَدَماً ، ليكنِ الأنْسُ أغلى أعلاق[2] مودّتـك ، وأبطـأهـا عَرْضـاً على صديقك .

علامة الصديق — وقـال : عـلامـةُ الصـديـق إذا أراد القطيعـة أن يـؤخّر الجـواب ، ولا يبتدئ بكتاب .

إخوان السوء — وقـال : إخوانُ السُّوء يتفرّقون عنـد النكبـة ، ويُقبلون مـع النّعمـة ، ومن شـأنهم التوصُّل بـالإخلاص والمحبـة إلى أن يظفروا بـالأنس والثقـة ، ثم يوكّلون الأعينَ بالأفعال ، والأسماعَ بالأقوال ، فإن رأوا خيراً سَتَروه ، وإن رأوا شرّاً أو ظنُّوه أذاعُوه ونشرُوه .

مساعفة الإخوان — وقال آخر : إنّما تطيبُ الدنيا بمساعفة الإخوان ونفعِ بعضِهم بعضاً في كلّ بـاب ، وإلاّ فعلى الصّـداقـة الـدمـار ، ومـا أرجـو إذا كانت تنقطـع في الدُّنيا ، ولا تتصل بما أحِبُّ في الدنيا .

شاعر :

غش وحسد — أنت امرؤ قصّرتْ عنه خليقتُـه ۝ إلاّ من الغشّ لـلأدنين والحسـدِ

ثمرة المودّة — حدّثنا ابن مسرف قال : كان بين محمد بن السَّمّـاك وبين رجلٍ مؤاخـاةٌ

---

(١) عدا يعدو عَدْواً وعدواناً عليه : وثب .

(٢) ج ق - وأغلى . العلق (بفتح العين وكسرهـا وإسكان اللام) النفيس من كل شيء لتعلق القلب به والجمع أعلاق وعلوق .

فانقطع عنه الرجل فكتب إليه ابن السَّمّاك : أما بعد : فإنَّ لكلِّ شيء ثمرةً ، وثمرةُ المودّة الزيارة والسلام . وكتب إليه في آخره :

لقد ثَبَتَتْ في القلب منكَ مودّةٌ ... كما ثَبَتَتْ في الراحتين الأصابعُ

تعهُّد المودّة

فأجابه الرجل : أما بعدُ ياأخي فقد زرعتَ في قلوبنا مودّتَك ، فتعهدْ زرعَكَ بسقي الماء وإلاّ فلا تأمَنْ والسلام .

شاعر :

أصدقاء الغنى

صـديقُـك حين تَسْتَغني كثيرٌ ... ومالَكَ عند فقرِكَ مِنْ صـديقِ
فـلا تغضب على أحـدٍ إذا مـا ... طَوَى عنك الزيارةَ عنـد ضيقِ

آخر :

إقبال وإدبار

إذا المرءُ لم يَبْـذُلْ لـك الـودّ مُقْبِـلاً ... مدَى الدهر لم يَبْـذُلْ لـك الودّ مُـدْبِرا

آخر :

جاران

أقـام معي من لاأُحبُّ جِـوارَهُ ... وجـارايَ، جـارا الصِّـدقِ مُرتحِـلان
ولا يَسْتـوي الجـارانِ جـارٌ مكارمٍ ... وجـارٌ طويـلُ العمر دون مجـاني[1]

آخر :

عتاب ليلى

أعاتبُ لَيْلى إنّما الصَّرمُ أن ترى ... خليلَك يأتي مـاأتى لا تُعـاتِبُـهْ
ومـا أهلُ ليلى من خليلٍ فينفعوا ... وما أهلُ ليلى من عدوٍّ نُجانِبُـهْ

استالة وتعهُّد

قيل للإسكندر : بما نلتَ هذا المُلْك على حداثة السِّن ؟ قال : باستمالة الأعداء ، وتعهُّد الأصدقاء .

---

(١) م ـ والألحان ـ المجاني : جمع مجنى وهو ما يجنى من الثمار .

وصف العتاب

وقال آخر : العتابُ حدائقُ المتحابين ، وثمار الأوداء ، ودليلٌ على الضِّنّ بالصَّفاء ، وحَرَكات الشوق ، ومُسْتراح الواجد ، ولسانُ الإشفاق .

مساوئ التَّجني

وقال آخر : التَّجنّي رسولُ القطيعة ، وداعي القِلَى ، وسببُ السلوّ ، وأولُ التجافي ، ومنزلُ التهاجر .

المعاشرة بالمسامحة

وقال آخر : من عاشر الناس بالمسامحة دام استمتاعُه بهم .

شاعر :

مصاحبة ومسامحة

وكنتُ إذا صحبتُ رجالَ قومٍ ... صحبتُهم وثبّتني الوفاءُ
فأحسن حين يُحسنُ محسنُوهم ... وأجتنبُ الإساءة إن أساؤوا
وأُبصرُ ما يعيبُهم بعينٍ ... عليها من عيونِهم غِطَاءُ

آخر :

زر غبّاً

إنّي رأيتُك لي مُحبّاً ... وإليَّ حين أغيبُ صَبّا
فهجرتُ لا لملالةٍ ... حدثَتْ ولا استحدثتَ ذَنْبا
لكنْ لقولٍ قد مضى ... من زار غِبّاً زاد حُبّاً
اللهُ يعلمُ أنّني ... لكَ أخلَصُ الثَّقلَيْنِ قَلْبا[1]

وقال جَحْظَة[2] فيما حدثنا ابن سيف ، كتب رجلٌ إلى صديقٍ له :

---

(١) الثَّقَلان : الإنس والجن .

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي البغدادي ولد سنة ٢٢٤ هـ ، نديم ، أديب ، مغن من بقايا البرامكة ، كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة فلزمه اللقب ، وكان راوية للأخبار متصرفاً بفنون العلم كاللغة والنجوم ، مليح الشعر حاضر النادرة عارفاً بالموسيقى ، مقدماً في فن الغناء ، له ديوان شعر وأخباره كثيرة ، توفي في قرية جيل من أعمال بغداد سنة ٣٤٤ هـ .

جفاء وسعي

لله أنتَ على جفائكْ ماذا أؤملُ من وفائكْ
فكّرتُ فيمَ هَجَرْتني فوجدتُ ذاكَ لسوءِ رأيكْ
فرأيتُ أن أسعى إليكَ وأن أُبادرَ في لقائكْ
كيما أُجدِّدَ ما تغيَّر لي وأخْلَقَ من إخائكْ

الموصلي وأبو دلف

لإسحاق بن إبراهيم الموصلي[1] في أبي دُلَف العِجْلي[2] :

اجعلْ أبا دلفٍ كَمَنْ لم تعرفِ واهجرْهُ مُعترفاً وإن لم يُخلفِ
آخِ الكرامَ المنصفين بوصلهم واتركْ مودَّةَ كلِّ مَنْ لم يُنصفِ
لا خَيرَ في صدقِ الإخاءِ موكّلٍ بأذى الصديقِ مَلُولةٍ مُستطرِفِ[3]/ [٣١ أ]

شاعر :

يأس ووفاء

سأحبسُ نفسي إذْ كرهتَ مودّتي وأكْسِرُ قلبي منكَ باليأسِ والصَّبرِ
وأذكرُ ودّاً كان مني تكرُّماً وإن حُلتَ عن وَصْلي ومِلْتَ إلى الهَجْرِ
فَشُكْري لما أوْليتني لكَ دائمٌ وحبي جديدٌ ليس يَنْقُصُ في الدَّهْرِ
فما زلتُ أبكيكُمْ بعينٍ سَخينةٍ كما كانت الخَنْساءُ تَبكي على صَخْرِ

---

(١) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التيمي الأرجاني الموصلي ، نديم الخلفاء وأحد المتفردين في صناعة الغناء ، كان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، راوياً للشعر حافظاً للأخبار ، شاعراً من نوابع الدهر أدباً وظرفاً وعلماً ، ولد ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، نادم الرشيد والمأمون والواثق وألف كتباً كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ٢٠١ـ٢٠٢ ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم ، أمير الكرخ وأحد الأمراء الشجعان الأجواد الشعراء ، كان من قادة جيش المأمون ثم المعتصم من بعده ، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ومأثورة ، وللشعراء فيه أماديح ، وصنف كتباً منها (سياسة الملوك) و (البزاة والصيد) و (السلاح) ، وتوفي في بغداد سنة ٢٢٦ هـ . راجع أخباره في وفيات الأعيان ٤٢٥/١ـ٤٢٧ .

(٣) الطرف والمستطرف : المتقلب الذي لا يثبت على حال .

آخر :

أربعة خصال

إذا نائباتُ الدهر يَسَّرْنَ للفتى ... أربعَ خِصالٍ قلَّما تَتيسَّرُ

كَفَافٌ يصونُ الحُرَّ عن بَذْلِ وجهه ... فيُضحي ويُمسي وهو حرٌّ مُوَقَّرُ

وكأسٌ يُسَلِّيه إذا الهمُّ ضافَهُ ... ومُحْسنةٌ إحسانُها ليس يُنْكَرُ

ورابعةٌ عزَّت وقَلَّ حُصُولُها ... صديقٌ على الأيَّام لا يتغيَّرُ

فذاك الذي قد نالَ مُلكاً بلا أذى ... وأسعدَ بالخيرات إنْ كان يَفكرُ

أخبرنا المرزُباني ، أخبرنا القراطيسي قال : أخبرنا أبو العَيْناء[1] قال :

صداقة في محلها

كتب رجلٌ إلى صديقٍ له : أما بعدُ فإني ما اتهمتُ حسنَ ظني بك حين توجَّه إخائي نحوك ، ولا تجدَّد أملي باعتمادي عليك ، ولا استدعتْني رغبةٌ فيك إلى مَنْ سِواك ، ولا أراني اختياري غيرَك عِوضاً منك .

مباثثة لطيفة

وحدثني أبو طائع الطَّلْحي قال : كتب الجراحي إليَّ مرةً : اللهُ يعلمُ أنَّك ما خطرتَ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلاَّ مَثَّل الذكرُ منك لي محاسنَ تزيدُني صَبابةً إليك ، وضنّاً بك ، واغتباطاً بإخائك .

شاعر :

عداوة وتهديد

لئن جدَّ أسبابُ العداوة بيننا ... لَتَرْتَحِلَنْ مني على ظهر شَيْهَمِ[2]

والشيهم ذَكَر القنافذ ، وإنما يُريد لتصيبك مني داهيةٌ ، هكذا حفظتُ عن ابن الأعرابي ، وكان كبيراً .

---

(١) هو محمد بن القاسم بن خلاَّد بن ياسر الهاشمي الضرير ، ولد سنة ١٩١ هـ بالأهواز ، أديب ظريف بنوادره ، شاعر مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وكان « من ظرفاء اللسان » له أخبار كثيرة ، راجع وفيات الأعيان ١/٥٠٤ ، ونكت الهميان ٢٦٥ ، توفي أبو العيناء في البصرة سنة ٢٨٣ هـ .

(٢) الشيهم : الدُّلْدُل وهو القنفذ ، وقيل العظيم منه والجمع شَيَاهِم .

حذر السلطان

قال جميل بن الصريري[1] لابنه : يابُنيَّ اصحب السُّلطان[2] بشدّة التوقّي كما تصحب السَّبُعَ الضاري ، والفيل الْمُغْتَلِم[3] ، والأفعى القاتلة ،

صحبة الصديق والعدو والعامة

واصحبِ الصديقَ بلين الجانب والتواضع ، واصحبِ العدوَّ بالإعذار إليه ، والحجة فيما بينك وبينه ، واصحب العامةَ بالبرّ ، والبِشْر ، واللُّطف باللسان .

شاعر :

بين الكريمين

إنَّ الكريم الذي تبقى مودّتُه ويحفظُ السرَّ إن صَافَى وإن صَرَما
ليس الكريمُ الذي إنْ ذلَّ صاحبُه بَثَّ الذي كان من أسراره عَلِمَا

اعتزال وحذر

قال فيلسوف : اعتزلْ عدوّك واحذرْ صديقك .

الكريم واللئيم

وقال عمرو بن العاص : الكريمُ يلينُ إذا استُعطف ، واللئيمُ يقسُو إذا لُوطف .

وصف صديق

وقال خَلَف الأحمر : وَصَف لي رجلٌ أخاً له فقال : كنتَ لا تراه الدهرَ إلاَّ وكأنه لا غنى به عنك ، وإن كنتَ إليه أحوَج ، وإن أذنبتَ غَفَرَ ذنبَك ، وكأنه الْمُذنب ، وإن أسأتَ إليه أحسن وكأنه الْمُسيء .

شاعر[4] :

مولى السوء

إذا أنا لم أُجْزِ الصَّديقَ بنُصْحِه وأُقصِ الذي تَسْري إليَّ عَقَارِبُهْ

---

(١) ج ق - نصير .

(٢) ج ق - الحاكم .

(٣) اغتلم الرجل : غلب شهوة فهو غِلِيم وغَلِم ومُغتلم وهي غِلِّيم وغِلِّيمة وغَلِمة ومُغتلمة .

(٤) نسبت الأبيات السبعة إلى أبي الأسود الدؤلي ما عدا البيتين الأول والثاني ، الديوان ص ٢٤٧ ، وكذلك وردت أبيات في القصيدة لم يذكرها أبو حيّان . ويقول الأُستاذ أحمد محمد شاكر في هامش كتاب ابن منقذ : « وهذه القصيدة اختلفت فيها الرواية عندي =

فمن يتّقي يومي ومن يرتجي غَدي — لنـائبـةٍ ، والـدهرُ جَمٌّ نـوائبُـهْ
لحى اللهُ مولى السّوء لاَأنْتَ راغبٌ — إليـه ولا رَامٍ بـه مَنْ تُحـاربُـهْ
وما قُرْبُ مَوْلَى السّوء إلاّ كَبُعْدِهِ[1] — بـلِ البعـدُ خيرٌ من عـدوٍّ تقـاربُـهْ
من النّاسِ مَنْ يُدْعَى صديقـاً ولوتَرَى — خَبيئـةَ جنبَيْـهِ لَسَـاءَكَ جـانِبُـهْ
يَمُنُّ ولا يُعطي ويـزعُمُ أنـه — كريمٌ ويـأبى لـؤمُـه وضَرَائبُـهْ
وإنّي وتـأميلي جَـذيمـةَ كالـذي — يؤمّلُ ما لا يُدرك ـالدهرَ ـ طـالبُـهْ
فـأمّـا إذا استغنيتمـو فعـدوُّكُمْ — وأُدعى إذا مـا غصّ بـالمـاء شَـاربُـهْ
ومـا تركتْ أحـلامُكم من صـديقكم — لكم صَاحبـاً إلاّ قـد ازورّ جَـانبُـهْ[2]

آخر :

الإعراض عن الحقد

إذا أنتَ لم تُعْرض عن الحقد لم تَفُزْ — بذكرٍ ولم تَسْعَدْ بتقريظِ مـادحِ

آخر :

الحذر من النّمام

مَنْ نَمَّ في النّاس لم تُؤْمن عَقَارِبُـه — عن الصديق ولم تُؤْمن أفـاعيـهِ
كالسَّيْل بالليل لا يَدري به أحـدٌ — من أين جاءَ ولا من أين يأتيهِ

آخر :

معاملة الناس

عـاملِ النـاس بِخُلُـق رفيـق[3] — والـقَ من تَلْقى بـوجـهٍ طليـقِ
فـإذا أنتَ قليـلُ الأعـادي[4] — وإذا أنت كثيرُ الصـديـقِ

= فـالبيتـان الأولان أي الثـالث والرابـع رواهمـا البحتري في الحمـاسـة ص ٢٤٤ ونسبهما إلى أبي الأسود الدؤلي ، وكذلك صاحب الأغـاني ٢٩٧/١٢ ، والبيت الأخير منسوب لعمر بن لبيد مع اختلاف بسيط .

(١) ج ق ـ لبعده .

(٢) تزاور عنه وإزْوَرَّ وإزْوارَّ : عدل وانحرف .

(٣) ج ق ـ رقيق .

(٤) ج ق ـ العدى .

الأصدقاء والأزمان

وقيل لفيلسوف : مَنْ تُحِبُّ أن تُصادق ؟ فقال : أما في الدهر الصالح فالحسيبُ ، اللبيبُ ، الأديبُ ، فإنك تستفيدُ من حسَبه كرَماً ، ومن أدبه علماً ، ومن لُبّهِ رأياً ، وأما في الزمان السوء فارضَ بالْمُكاشر الذي يُعطيك بعضَهُ بالحياء ، وبعضَهُ بالنِّفاق ، ويُمتعك ظاهرُه ، وإن ساءَك باطنُه ، ولكلِّ زمانٍ حُكْم ، ولكل ظهر عُكْم[1] .

وقالت أعرابية :

شكوى أعرابية

يادهرُ لا عُرّيت من آبِدَهْ[2]	ما أنا في فعلك بي حامِدَهْ
صاحبتُ إخوانك طُرّاً فما	حمدتُ منهم خَلّةً واحدَهْ
وكنتُ من كلّهم حَاضِنَه	في كل يوم بيضةً فاسدَهْ

وقيل للواسطي المتكلم : كيف ترى أبا عبد الله البَصْري ؟ فأنشد :

بغض وصفاء

حرجُ الخليفة بغضُه لعدوِّه ... وصفاؤه لصديقه سِيّانِ

رسالة ابن أكمل

وكتب ابنُ أكْمَل إلى ابن سورين ، وكان بينهما ودٌّ مُتوارث : إنْ رأيتَ أن ترويَ ظَمأ أخيك بغُرّتك ، وتبرّدَ غليلَهُ بطَلْعتك / وتؤنسَ [٣١ ب] وحشته بأنس قُربك ، وتجلوَ غِشاء ناظره بوجهك ، وتزيِّنَ مجلسه بجمال حضورك ، وتجعلَ غداءك عنده في منزلك الذي هو فيه ساكنك ، وتَهَبَ له السرورَ بك باقيَ يومه ، مُؤْثراً له على شُغلك فعلتَ إن شاء الله .

جواب ابن سورين

فأجابه : كيف أروي ظمأك إليَّ مني ، وأنا أشدُّ ظمأً إليك منك إليَّ ، وعلى حَيْلولة ذاك فالتلاقي أبردُ لغليل النفس ، وأجلبُ لما شَرَدَ من الأنس ، وها أنا قد هيّأتُ كلّي لطاعتك ، وبشّرتُ روحي بالاستمتاع بحديثك ،

(١) العكم : العِدل والعكام ومنه يقال في المثل : هما « عكما بعير » أي عدلاه . والعُكْم جمع عكام (بكسر العين) ما عكم به أي شدّ من ثوبٍ أو خيط .

(٢) الآبدة : الداهية الخالدة الذكر والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش والجمع أوابد وأُبَّد .

وأخذتُ عِياذَ الاستفادة منك ، وَصُلْتُ على الدهر وأبنائه بما ملكتُه من تشريفك والسلام .

ودّ ثابت

قال أعرابي لآخر : ودُّك لا يَنْضى ملبوسُه[1] ، ولا يَتْوى[2] محروسُه ، ولا يَذوي[3] مغروسُه .

وأنشدنا أبو سعيد السيرافي قال : أنشدنا قُدامة بن جَعْفر[4] الكاتب لشاعر :

فتيان صدق

وفتيانِ صِدْق ثابتين صَحِبْتُهم   يزيدُهُم هولُ الجناب تآسيا
فإن يَكُ خيراً يُحسنوا أمَلاً به   وإن يَكُ شَرّاً يشربوه تحاسِيا[5]

محاسبة واحتساب

واعتذر رجل إلى أبي أيوب سليمان بن وهب الكاتب وأطال فقال له : أقللْ فإن الوليّ لا يُحاسب ، والعدوّ لا يُحتسب له[6] .

حبّة النفس

قال ابن السِّكِّيت[7] : العرب تقول : أنت من حُبَّة نفسي أي ممن تُحِبُّه نفسي .

---

(١) نضاه من ثوبه ينضوه نضواً : جرّده . ونضا الثوب عنه : خلعه وأنضى الثوب : أخلقه وأبلاه . والنِّضْو : الثوب الخَلَق والجمع أنضاء .

(٢) تَوِيَ يتوى توىً المالُ : هلك فهو تَوٍ وتاوٍ . يقال : « لا توى عليه » أي لا ضياع ولا خسارة . وفي مثل آخر : « أتوى من دَيْن » .

(٣) ذوى يذوي ذوِيّاً وذوياً : النبات : ذبل ونشف ماؤه .

(٤) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي أحد الكتاب المشهورين في العصر العباسي والبلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة ، له كتب عديدة أشهرها نقد الشعر ونقد النثر . توفي سنة ٣٣٧ هـ .

(٥) حسى يحسو حسواً واحتسى المرق : شربه شيئاً بعد شيء . وتحاسيا : أشرب المرق أحدهما الآخر .

(٦) احتسب عليه الأمر : أنكره عليه .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السِّكِّيت إمام اللغة والأدب . أصله من =

وقال : يقال : هو صفيّي ، وسَجيري[1] ، وهم أصفيائي وسُجَرائي .

صفيّ وسجير

وحكى أبــو عمرو اللفيف في معنى السجير ، وهــو خُلصــاني ، وهم خُلْصَاني[2] .

ويقـال : آخيتُ الرجل وواخيتُ ، يقلبـون الهمـزة واواً ، كما يقـال : آسيتُه وواسيته ، وهو خلّي وهم أخلاّئي[3]

آخى وواسى

فأما الشِّجِير[4] بالشين فهو الغريب .

الشجير

قـال أعرابي لصـاحبٍ لـه : إني لأصْقُـلُ[5] بلقـائـك عقلي ، وأشْحَـذُ بمحادثتك ذِهْني ، وأطوي بذكر محاسنـك أيّـامي ، وأرجعُ من طويّتـك إلى أكرم موثوقٍ به لرعاية عَهْدٍ ، وأفضل متّكلٍ عليه لمحافظةٍ على ودّ .

مدح صديق

وقال آخر لصاحبٍ له : ما زلتُ أعلم أنّك للسر ملءُ الصدر ، وأنـك في المساعدة أذْكى من الجمر[6] ، وأرقُّ من عتيق الخمر ، ظريفُ المخاطبـة ، عَـذْبُ

مدح صديق

= خوزستان ، اتصل بالخليفة المتوكل فعهد إليه بتـأديب أولاده ثم قتلـه سنـة ٢٤٤ هـ ، لـه كتب كثيرة ذكرها ابن النديم ، وأشهرها (إصلاح المنطق) و (الألفاظ) و (الأضداد) و (القلب والإبدال) و (شرح ديواني عروة بن الورد وقيس بن الخطيم) .

(١) ساجره : صاحبه وصافاه ، وساجرته مساجرة وهي المخالّـة والمخـالطـة ، وهو سجيري وهم سجرائي لأن كل واحد منهما يسجُر إلى صاحبه أي يحنّ .

(٢) في الأساس : هو خالصتي وخلصاني .

(٣) ج ق م - خلمى وهم أخـلامي . وفي الأســاس : هــو خلي وخليلي وخلتي وهم أخــلائي وخلاّني .

(٤) الشجير : الغريب من الإبل ومن النـاس ، والصـاحب الرديء . وفي الأســاس : « فـلان شجير وشطير » غريب . وتقول : ما رأيت شجيريْن إلاّ سجيريْن أي صديقين .

(٥) صقل صقلاً وصقالاً الشيء : جلاه وملّسه وكشف صدأه .

(٦) ذكت النار تذكو ذكواً : اشتدّ لهبها ، وأذكى النار إذكاءً : أوقدها .

المواصلة ، لذيذُ المجالسة ، هنيءُ العشرة ، مقبولُ الظاهر ، سليمُ الباطن ، منشورُ للطاوي ، عارٍ من للمساوي .

تحذير من صديق

قال أعرابي لرجل : إنّ فلاناً وإنْ ضحك لك فإنَّه يضحك منك ، فإن لم تتخذْهُ عدوّاً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك .

ذكر وشكر

وكتب آخرُ إلى صديقٍ له : إنَّما قلبي نجيٌّ ذكرك ، ولساني خادمُ شكرك .

عتاب ودعاء

وكتب آخر في بعض العتاب : قد طالت علَّتك أو تعالُلك[1] ، واشتدّ شوقُنا إليك ، فعافاكَ الله مِمَّا بك من مرضٍ في بدنك ، أو إخائك ، ولا أعْدِمْنَاكَ .

رائد المحبة

قال إسحاق : قلت للعبَّاس بن الحسن : إني لأحبُّك ، فقال : رائدُ ذاكَ معي .

طعم فراق

قال : وذكرتُ له رجلاً فقال : دَعْني أتذوق[2] طعم فراقه فهو والله الذي لا تَشْجى[3] به النَّفْسُ ، ولا يكثُر في إثره الالتفات .

فراغ واكفهرار

سئل أعرابي عن صديقٍ له فقال: صَفِرَتْ عِيابُ[4] الودِّ بيني وبينه بعد امتلائها ، واكفهرتْ وجوهٌ كانت بمائها .

إبراهيم بن العباس الصّولي[5] :

---

(١) ج ق ـ تعلك .

(٢) ج ق ـ أذوق .

(٣) شجي : حزن وطرب (من الأضداد) .

(٤) عياب : مفردها عيبة وهو الزنبيل من أدم أو ما تجعل فيه الثياب كالصندوق . صفرت : خلت .

(٥) راجع : الطرائف الأدبية ص ١٦٤ .

يــا أخــا لم أرَ في النـــاس خِـلاً مثلَـــهُ أسرعَ هجراً وَوَصْـــلا [1] تقلّب وتساؤل
كان لي في صَـدْر يومي صـديقاً [2] فَعَلى عَهْــــدك أمسيتَ أمْ لا ؟

صراحة متبادلة

روى المدائني عن عبد الله بن سلم الفِهْري قـال : غـاب مولى الزُّبَيْر بن العَوّام عن المدينة حيناً ، فلما آبَ قـال لـه رجل من قريش : أمـا والله لقـد أتيت قوماً يُبغضون طَلعتك ، وفارقت قوماً لا يحبُّون رَجْعَتك ، قال : أنعمَ الله بِن قدمت عليه عَيْناً ، ولا خلف الله على من فارقته خيراً .

لعلي بن جعفر

وقرأتُ لعلي بن جعفر الكاتب ، كاتب الطابع ، رقعةً له إلى صـالح بن مسعود الكاتب النصراني لم تكن بذاك قلة مالم أروهـا ، لكني وجـدت شُعَيْراً نقلته إلى هذا الموضع وهو :

بل عشتَ لي وبقيتُ منك ممتَّعاً في صـــالح الإخـوان والأهْــلِ
حتى إذا نـزل الحِمامُ بـواحـدٍ منّـــا ليــأخـــذَهُ على مَهْـلِ
متنــا جميعــاً لا يُفرّق واحـدٌ فيــذوق فيـــه مرارةَ الثُّكْــلِ

الانبساط إلى العامة

وقـال بعضُ السلف : الانبسـاطُ إلى العـامـة مَكْسَبَــةٌ لقرين السـوء ، والانقبـاض مَجْلبـةٌ للمقْت ، فـإمّـا اقتـديتَ من قرنـاء السـوء بـاعتقـاد المَقْت / ، وإمّا ابتغيت أسر الإخوان بالصبر على للكروه . [٣٢أ]

بقايا اللذات

قال عبدُ الملك بن مروان لرجل : مابقي من لديـك ؟ قـال : جليسٌ يقصرُ معه طولُ الليل مع العلّـة ، ودابّـة أشتهي معهـا طول السفر . وأنشـد لأعرابي :

من أين ألقى صاحباً مثلَ عُمَرْ يزداد طيبـاً كلمـا طـالَ السَّفَرْ

---

(١) رواية الطرائف : أعجب .
(٢) رواية الطرائف : كنت في أول يومي صديقاً .

الحذر من رجال

قال بعضُ السلف : توقَّ من الرجال مَنْ إنْ أنعمت عليه كَفرك ، وإن أنعم عليكَ مَنَّ عليك ، وإن حدثته كذَّبك ، وإن حدَّثك كَذَبَكَ ، وإن ائتمنتَهُ خانك ، وإن ائتمنك اتَّهمَكَ .

لأبي الأسود[1] :

صداقة خائبة

أَرَ يتَ امرءاً كنتُ لم أبلُــه أتاني فقال : اتَّخذْني خَليلا
فَخالَلْتُهُ ثم صافيتُهُ[2] فلم أستفدْ من لَدُنْهُ فَتيلا[3]
فألفيتُه غيرَ مُستعتبٍ ولا ذاكرَ الله إلاّ قليلا[4]
ألستُ حقيقاً بتوديعهِ وأُتْبِعُ ذلك هَجْراً جميلاً[5]

إصفاء الودّ

قال عمر بن الخطَّاب : مِمّا يُصفي لك ودّ أخيك أن تبدأهُ بالسلام ، وتوسِّع له في المجلس ، وتدعوه بأحبِّ الكُنى إليه .

محمد بن عبد الملك الزيَّات :

بغيض وسمج

أقولُ إذا ما بَدَا طالعاً وقد كادَ أو همَّ أو قد وَلَجْ
من الناس من ليس حتى الممات منه ولا من أذاهُ فَرَجْ
ولو كنتَ تأمنُه ليلةً إلى الصبح لم يرض أو يدَّلِجْ
ولو كان ذا من أحبِّ العباد إليك لكان بغيضاً سَمِجْ
فكيف إذا كان ممن يكاد صدرُك من بغضه ينفرِجْ

---

(١) الديوان : ٢٠٢ . بلاه الله ، وابتلاه ، وأبلاه : امتحنه .

(٢) رواية الديوان : ثم أكرمته .

(٣) الفتيل : السحاة أي القشرة في شق النواة . ويقال : ما أغنى عنك فتيلاً أي شيئاً .

(٤) في الموشح للمرزباني ٩٥ : فحذف التنوين من ذاكر لأنه أراد أن يحرّك لالتقاء الساكنين فحذف . استعتبه : طلب منه العتبى أي استرضاه . يقال : استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني .

(٥) رواية الديوان : « واتباع ذلك صرماً طويلاً » .

آخر :

تريك أعينُهم ما في صُدورهم ... إن الصدورَ يؤدّي غشَّها البصرُ — العيون والصدور

آخر :

متى تك في صديقٍ أو عدوٍّ ... تُخبّركَ العيونُ عن القلوبِ — العيون والقلوب

أنشدنا المبرّد فيما حدثنا به أبو سعيد السيرافي عن ابن السَّرَّاج عنه :

عزاء وحنين

كيف العزاءُ لمن يَعِنُّ لـه ... شربُ الْمُدام ولـذةُ الخمرِ
وحديث فِتيانٍ غَطَارفةٍ[1] ... وفوارسٍ كالأنجم الـزُّهْرِ
إنْ جئتهم سرّوا وإن نـزحتْ ... داري فـإنَّ حـديثهم ذكري
يـا ليتني أحيـا بقربهم ... فـإذا فقـدتُهم انقضى عمري
فتكـون داري بين دورهم ... ويكـون بين قبـورهم قبري

قال حاتِم الأصَمّ[2] : أربعةٌ تُذهب الحقد بين الإخوان : المعاونةُ بالبَدَن ، واللطفُ باللسان ، والمواساةُ بالمال ، والدُّعاء في الغَيْب . — إذهاب الحقد

كتب سَهْلُ بن هارون الكاتب إلى جعفر بن يحيى :

إذا ما أتى يومٌ يفرّق بيننا ... بموتٍ فَكُنْ أنت الذي يتأخرُ — أمنية غالية

وقال الجمّاز[3] فيما حدَّثنا ابن للمرزُباني عن الصُّولي عن أبي العَيْناء عنه يصف صديقاً : لم أر في الناس وفيّاً بعد واحدٍ كان أصْفى لي مودّته ، وبذلَ — رثاء صديق

(١) غطارفة : مفردها غطريف وهو الشاب الظريف .

(٢) هو أبوعبد الرحمن حاتم بن عنوان المعروف بالأصم ، اشتهر بالزهد والورع والتقشف له كلام مدوّن في الزهد والحكم ، زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل وكان يقال : « حاتم الأصم لقمان هذه الأمة » توفي سنة ٢٣٧ هـ ، راجع تاريخ بغداد ٢٤١/٨ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان الملقب بالجماز ومعناه العدّاء ، شاعر أديب من =

لي مُهجتَـه ، كان أطـوعَ لي من كفّي ، وكنتُ أذلَّ لـه من نَعْلـه ، أتكلم بكلامه فَيَنْطِقُ بلساني ، إن قلت خيراً أعانني ، وإن مِلْتُ إلى سيئ رَدَعني ، كان والله إذا قال فعل ، وإذا حدَّث صَدَق ، وإذا أؤتمن لم يَخُن ، ضاحكَ السِّن ، مُسفرَ الوجه ، كان إذا غاب فكأنه شاهدي ، وإذا غبتُ عنه فكأنه يَراني ، لا ينطِقُ لسانه بخلاف ما يُضمر جَنَانُه[1] ، لا يدري أيّنا أسرّ بصاحبه ، ولا أيّنا أصدق مودة بخليطه ، آنسُ ما كنّا إذا اجتمعنا ، وأوحشُ ما كنّا إذا افترقنا ، ما تفرّقنا طول صحبتنا إلاّ يوماً حسبناه حَوْلاً ، أغبط ما كنّا إذ رمى الدهر فلم يُشق إذ رمى من كان روحه روحي ، ونفسُه أعزّ عليّ من نفسي ، فليته أصابني وأخطأه ، وإذا لم يُخطئه أصابني معه ، فيكون موتُنا معاً كما كان عيشُنا معاً ، مات فمات الوفاء بعده ، خاب الرجاءُ فما ألَذُّ بعده طعاماً ، ولا أسيغُ شراباً ، غمّاً له ، واكتئاباً عليه ، وشوقاً إليه ، فلو كنتُ أقول الشعر لرثيتُه آخرَ الدهر ، ولأتْعَبْتُ بالقوافي الكاتبين ، فبُليتُ بعده بمن إذا أحببتُه أبغضني ، وإن وددتُه عاداني ، وإن أقبلتُ نحوه ولّى عني ، فهو كالذئب والغراب ، ما للذئب ينالُه الغراب ، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه ، حسبُك به غادراً ، تراه عن الوفاء مُبْطئاً ، وإلى الخيانة مُهملجاً[2] .

تعهد الإخوان

قال أرسطوطاليس في رسالة أفدناها أبو سليمان : تعهَّدِ الإخوان بإحياء الملاطفة ، فإن التاركَ مَتروك ، ثم تعهَّدْ إخوان الإخوان ، فإن

= البصرة ، كان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، دخل بغداد في أيام الرشيد والمتوكل وقد أعجب به المتوكل فأمر له بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات بها فرحاً ، راجع : تارخ بغداد ١١٤٣ .

(١) الجنان : القلب .

(٢) هملج هملجة البرذون : مشى مشية سهلة في سرعة . حسن سيره . ودابة هملاج : حسنة السير في سرعة وبخترة .

إخوان الإخوان من الإخوان ، وهم بمنزلة العَلَم الْمُسْتَدَلّ [به] على الوفاء ، ثم تعهّد أهل المكاشرة المتشبهين بالإخوان بالصبر عليهم ، إمّا طمعاً في تحويل ذلك منهم صدقاً ، وإمّا اتّقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائقٍ[1] ذي دَوْلة .

وصف مودة

وذكر أعرابي مودّةَ رجل فقال : مودّةٌ رثّة العُقال ، وسماءٌ قليلةُ البلال ، وأرضٌ دائمةُ الإمحال ، هو اليد الحذّاء ، والأزمة الحصْداء ، أبعدُ مقاله قريب ، وأقرب فعاله بعيد ، يقولُ ما لا يفعل ، ويفعلُ ما لا يقول .

شاعر :

تناسي ونسيان

أتناسيتَ أم نَسيتَ إخائي	والتناسي شرٌّ من النسيانِ

عبد الصَّمَد بن الْمُعَذَّل[2] :

[٣٢ ب]

سلوان النفس

هي النَّفْسُ تجزي الودَّ بالودّ مثله	وإن سُمتها الهجرانَ فالهجرُ دينُها/
إذا ما قرين بتَّ منها حِبالَه	فأهونُ مفقودٍ عليها قرينُها
لبئس مُعارُ الودّ من لا يودُّه	ومستودعُ الأسرار مَنْ لا يصونُها

لما تباعد بين يحي بن خالد وعلي بن عيسى بن ماهان وجّه عليّ أبا نوح ليتعرفَ ما في نفس يحي ، فكتب يحي على يد أبي نُوح :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحي بن خالد

عافانا الله وإيّاك ، كُنْ على يقين أنّي بك ضَنين ، وعلى التمسُّك بما بيني وبينك حَريص ، أُريدُك ما أرَدْتني ، وأُريدُك أن تنوبَ عني ما كان

---

(١) المائق : الأحمق . يقال : « هو أحمق مائق » أي شديد الحماقة والجمع مَوْق على وزن حمقى .

(٢) هو عبد الصمد بن المعذّل بن غيلان شاعر عباسي ، ولد ونشأ في البصرة ، وكان هجّاءاً شديد العارضة ، توفي سنة ٢٤٠ ، راجع أخباره في فوات الوفيات ٢٧٧/١ .

ذلك بي وبك جميلاً ، فإن جاءت المقادير بخلاف ما أحب من ذلك لم أعْدُ ما يُحمد ، ولم أتجاوزْ إلى شيءٍ مما يُكره ، هاجني على الكتاب إليك مسألة أبي نوح إياي ، وإعلامُك رأيي وهوايَ ، فما تبدّلت ، ولا حُلْت ، فجمعنا اللهُ وإيّاكَ على طاعته وأنشد :

صورة الزمان

لكلِّ أديبٍ تَرَى هيئةً ... وهذي تَدُلُّ على هِمَّتهْ
ولم أرَ مثل فتىً ماجدٍ ... يُداري الأمورَ على فطنتهْ
يُجازي الصديقَ بإحسانه ... ويُزجي العدوَّ إلى غفلتهْ
ويلبسُ للدهر تُبَّانَهُ[1] ... ويخضع للقِرْدِ في دولتهْ
بلوتُ الرجال وجرّبتهُم ... فكلٌّ يدورُ على لذّتهْ

سفيان بن عيينة

قال سُفيان بن عُيَيْنَة[2] : صحبتُ الناس خمسين سنة ما ستر لي أحدٌ عَوْرة ، ولا ردّ عني عَيْبَة[3] ، ولا عَفا لي عن مَظْلَمة ، ولا قطعته فوصلني ، وأخَصُّ إخواني لو خالفتُه في رُمَّانةٍ فقلت : هي حامضة ، وقال : هي حلوة لسعى بي حتى يَشيط[4] دمي .

وصف صديق

وقال أعرابيٌّ في صاحبٍ له : أفصحُ خلق الله كلاماً إذا حَدَّث ،

---

(١) التُّبّان : سراويل صغيرة . وتبّنه : ألبسه .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدّث الحرم ، كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . ولد سفيان بالكوفة سنة ١٠٧ هـ ، وتوفي بمكة سنة ١٩٨ . وكان علي بن حرب يقول : « كنت أحب أن لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدّث ! » .

(٣) العيبة من الرجل : موضع سرّه .

(٤) شاطَ دمُهُ : ذهب وبطل ، ويقول الأعشى :

« وقد يَشيط على أرماحنا البطلُ »

وأشاط السلطان دمه : أهدره .

وأحسنَهم استماعاً إذا حُدِّث ، وأكفَّهم عن الملاحاة[1] إذا خُولف ، يعطي صديقه النافلة[2] ، ولا يسأله الفَريضة ، له نفسٌ عن العوراء مَحْصُورة ، وعلى المعالي مَقْصُورة ، كالذهب الإبريز[3] الذي يَعِزُّ كلَّ أوان ، والشمسِ التي لا تَخْفى بكل مكان ، هو النجمُ المضيء للجيران ، والباردُ العذْب للعَطْشان .

تواصل الأرواح

كتب أبو الدَّرداء[4] إلى سَلْمَان الفارسي[5] يدعُوه إلى الأرض المقدَّسة فكتب إليه سَلْمَان : إن بَعُدتِ الدار من الدار فإنَّ الروح مع الروح قريب ، وطائر السماء على إلفه من الأرض يَقع .

قال مَعْبَد بن مُسْلِم :

تجني الموالي

جَزَى اللهُ المَوالي عن أخيهم ... وكلُّ صحابةٍ لهمُ جزاءُ

---

(١) الملاحاة : المنازعة ومنه المثل : « من لاحاك فقد عاداك » .

(٢) النافلة : ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله . يقال : هو كثير النوافل أي كثير العطايا والفواضل .

(٣) الإبريز من الذهب : خالصه .

(٤) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي صحابي من الحكماء الفرسان القضاة ، كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك . وفي الحديث : « عويمر حكيم أمتي » و« نعم الفارسُ عويمر » ، وولاّه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاضٍ بها ، قال ابن الجزري : « كان من العلماء الحكماء وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد الرسول ﷺ بلا خلاف » مات أبو الدرداء بالشام سنة ٢٣ هـ وروى عنه أهل الحديث ١٧٨ حديثاً .

(٥) سلمان الفارسي صحابي جليل أصله من مجوس أصبهان ، رحل إلى الشام فالموصل فنصيبين فعمورية وقصد بلاد العرب وسمع بالإسلام فقصد الرسول ﷺ وسمع كلامه ولازمه أياماً ثم أسلم حتى قال الرسول ﷺ : « سلمان منّا أهلَ البيت » . روى له البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً ، توفي سلمان سنة ٣٦ هـ .

بمــا فعلــوهُ إن خيراً فخيراً وإن شرّاً كما امتثــل الحــذاءُ[1]
فمــا أنصفتم والنَّصفُ يَرضَى[2] بـه الإسلامُ والرحِمُ البَـوَاءُ[3]
لـزدتهم النصيحــة من لــدُنّي فمجّوا النُّصْحَ ثم ثنـوا فقـاؤا
وقلت : فدىً لكم عمي وخـالي فمــا قُبِــلَ التـودُّد والفــداءُ
فكيف بهم وإن أحسنتُ قـالوا أسأتَ ، وإن غفرتُ لهم أساؤا

قال لنا المرزُباني : حدثنا القراطيسي قال : أنشدنا أبو العَيْنـاء قـال : أنشدنا السَّدْري :

حالات متناقضة

وإني لأهــوى ثم لا أتبــعُ الهــوى وأُكرمُ خــلاّني وفيَّ صُــــدُودُ[4]
وفي النـاس عن بعض التضرّع غِلْظـةٌ وفي العين عن بعض البُكاء جُمــودُ

سرور وابتئاس

قـال أبـو العَيْنـاء : قلتُ لأعرابي : كيف أنت ؟ قـال : كما يسرُّك إن كنتَ صديقاً ، وكما يسوءُك إن كنت عدواً .

صداقة ثابتة

وكتب ابنُ ثَوابة إلى صـديقٍ لـه : مـا انفككتُ عن ودّك ، ولاانفركتُ عن عَهْدك .

شاعر :

بين التجني والملل

إذا كَثُرَ التَّجنّي من خليــــلٍ بـلا ذنبٍ فقــد مَـلَّ الخليــلُ

---

(1) الحـذاء : النعل ، وامتثل : احتـذى ، وفي المثل في هـذا المعنى : « حـاذيتُـه حَـذْوَ النعل بالنعل » يضرب في المكافاة ومساواتها .

(2) النصف والنصفة : الإنصاف والعدل .

(3) الرحم : القرابة . البواء : السواء والكفؤ والمعادل . يقال : الناس في الأمر بَوَاء أي أكفاء نظراء . وفي الحديث : « الجراحاتُ بَوَاءٌ » يعني أنها متساوية في القصاص وأنـه لا يقتص المجروح إلا من جارحه الجاني ولا يؤخذ إلا مثل جراحته سواء .

(4) ج ق ـ علي .

كتـــاب للحسن بن وهب

كتب الحسنُ بن وهب إلى صديق له يُعلمه صَبابته إليه ، ووَحشته لفراقه فقال : وقد قسمك الله بين طَرْفي وقلبي ، ففي مشهدك أنسُ قلبي ، وفي عينيْك لَهْوُ طرفي ، فأجابه الصديق : وقفتُ على الفضل الذي أخبرتَ به بما أخبرت ، فسِيَّان عليك رأيتَني أمْ لم تَرَني إذا كان بعضُك يؤنس بَعضاً فتسلوعني ، ولكني أراك فيخشعُ قلبي ، وأغيبُ عنك فتدمعُ عيني ، فسِيَّان بين من سَلا أبده ، ومن حزن أمده .

جواب

فكتب إليه الحسن : يا حانقاً على الجِرَّة[1] ، ثم تمثل :

أعلِّمُـه الرمــايــة كلَّ يـومٍ فلما اشتـدَّ سـاعـدُه رمـاني

هكذا أنشدنا علي بن عيسى الرُّمَّاني[2] بالشين وردَّ السين .

مسالمة الناس

قـال يُونُس النَّحْوي[3] : لا تعـادينّ أحـداً وإن ظننتَ أنـه لا يضرُّك ،

---

(١) حنق الرجل : حقد حقداً لا ينحلّ ومنه الحديث : « لا يصلح هنا الأمر إلاّ لمن لا يحنَق على جرِّته » أي لا يحقد على رعيته .

(٢) هـو أبـو الحسن علي بن عيسى الرُّمّـاني من أئمـة اللغـة والأدب والمتكلمين على طريقـة المعتزلة ، « جمع بين علم الكلام والعربية » ، ويعدُّ في طبقة أبي علي الفارسي وأبي سعيـد السيرافي ، وكان مشاركاً في جميع العلوم ذكر لـه ياقوت في إرشاد الأريب ٧٥/١٤ ثبت تصانيفه المتنوعـة إلا أن الرُّمـاني كان أميل للنحو والمنطق منـه إلى بقيـة العلوم حتى إنـه كان « يمزج النحو بالمنطق » فيبلغ حدّ الغموض حتى قـال أبو علي الفـارسي عنـه : « إن كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منـه شيء ، وإن كان النحو مـا نقولـه فليس معـه منه شيء ، وقد أثر الرُّماني في تلميذه التوحيدي من النـاحيتين العقليـة والمنطقيـة فقـال هـنا يصف أستـاذه : « ...لم يرَ قـط مثلـه علمـاً بـالنحـو وغـزارة في الكـلام ، وبصراً بالمقالات ، وإيضاحاً للمشكل مع تـألـه وتنزه ودين ويقين وفصـاحـة وفقـاهـة وعفـافـة ونظافة » ، توفي الرُّماني سنة ٣٨٤ هـ .

(٣) هو أبو عبـد الرحمن يونس الضبيّ بـالـولاء إمـام نحـاة البصرة ، أعجمي الأصـل من أهـل جَبّـل ، أخذ عنـه سيبـويـه والكسـائي والفرّاء وغيرهم من الأئمة ، قـال ابن النـديم في الفهرست ٦٣ : « كانت حلقتـه بـالبصرة ينتـابهـا طـلاب العلم وأهـل الأدب وفصحـاء =

ولا تَزْهَدنّ في صداقة أحدٍ وإن ظننت أنّه لا ينفعك ، فإنك لا تدري متى تخافُ عدوَّك ، وترجو صديقَك ، ولا يعتذرُ أحد إليك إلاّ قبلتَ عُذره وإن علمتَ أنه كاذب ، وليقِلَّ عتبُ الناس على لسانك .

بين الجوارح والسوانح

وقال جعفر بن يحي لصديق له : أنت من جوارحي يميني ، ومن سوانحي يَقيني .

[٣٣أ]

قوم فاسدون

وذكر أعرابي قوماً فسد مابينهم / بعد صلاح ومودة : والله مازالت عيونُ العداوة تنجم من صدورهم فتمجُّها أفواههم ، وأسباب المودة تخلقُ في قلوبهم وتخرسُ عنها ألسنتهم حتى ماتجد للشرّ مَزيداً ، ولا للخير مُريداً .

خير الجلساء

وقال أعرابي : خيرُ الجلساء من إذا عَجَّبْتَهُ عجب ، وإذا فكّهته طرب ، وإذا أمسكتَ تحدَّث ، وإذا فكَّرتَ لم يلمك .

شاعر[١] :

مساعدة الصديق

وخلٍّ كنتُ عينَ النُّصح منه[٢] إذا نظروا ومستمعاً سَميعا[٣]

= الأعراب ووفود البادية » . وقال أبو عبيدة : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه » ، ذكر له ابن النديم كتاب (معاني القرآن) وكتاب (اللغات) وكتاب (النوادر الكبير) وكتاب (الأمثال) وكتاب (النوادر الصغير) . توفي يونس سنة ١٨٣ هـ بعد أن جاوز المائة .

(١) الأبيات للصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٦٠ ، ونسبت في ديوان المعاني للعسكري لعمر بن أبي ربيعة ص ١٢٢ ، وكذلك في الشعر والشعراء ص ١٣٢ ، وعيون الأخبار ١٥/٣ .

(٢) رواية الطرائف : عين الرشد . وفي ديوان المعاني :

وذي ودٍّ أملتَ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعا

(٣) رواية عيون الأخبار والشعر والشعراء : إذا نظرت ، رواية الطرائف : « ومستمعاً إذا ذكروا » .

أطـاف بغَيَّـةٍ فنهيتُ عنهـا[1] وقلتُ لـه أرى أمراً شنيعـاً[2]
أردتُ رشـادَه جُهـدي فلَمّـا أبى وعَصَى أبينـاه جميعـاً[3]

كتاب لبعض الهاشميين

كتب بعضُ الهاشميين إلى يحي بن خالد : علمي بمودّتك يمنعُني من استحثاثك ، ووصلةُ إخائي تشكو إليك تقصيرك ، وأملي فيك يصبّرني على تأنّيك .

شاعر :

على العلات

إني لألبسكم على عِـلاّتكم[4] لبسَ الشفيقِ على العَتيقِ الْمُخلقِ
ولقد أرى ما لو أشاء عتبتُه وأصدُّ عنه ببُغْيَتي وترفّقي[5]
ليَرَى العدوُّ قَنَاتَنا لم تنصدعْ ويكونَ ذاك كأنه لم يُخلقِ
وإذا تُتُبعتِ الذنوبُ فلم تَدَعْ ذنباً قطعت قوى القرين الْمُشفقِ
وسمعتَ أو نُقِلَتْ إليك مقالةٌ عوراءُ نُطْقَتُها صموتُ المنطقِ

أهل الديانة والمروءة والعلم

وقال ابنُ عائشة[6] : مجالسةُ أهل الدِّيانة تجلُو عن القلوب صدأ الذُّنوب ، ومجالسةُ أهل للروءات تدلُّ على مكارم الأخلاق ، ومجالسةُ العلماء تُزكي النفوس .

---

(١) في ديوان المعاني : بغيه .
(٢) رواية ديوان المعاني : « وقلت تجنّب الأمر الفظيعا » .
(٣) رواية عيون الأخبار والشعر والشعراء : أتيناها . وفي ديوان المعاني : ركبناها .
(٤) العلات : الحالات المختلفة ، والشؤون المتنوعة و « جرى على علاّته أي كل حال أو قُبل على ما فيه من الأحوال والشؤون .
(٥) ج ق - برقة وترفق .
(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، أمير عباسي ثار على المأمون وسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي فطلبه المأمون فاستتر فقبض عليه وضربه بالسياط وحبسه ثم قتله وصلبه سنة ٢١٠ هـ ، وقال ابن الأثير في الكامل ١٦٠/٦ : « وابن عائشة أول عباسي صلب في الإسلام » .

شاعر :

الكريم واللئيم

إن الكريم أخُــو الكريم وإنّما يَصِـلُ اللئيمَ حِبَــالَــةَ بلئيمِ

كتاب للصولي

كتب إبراهيم بن العباس الصُّولي إلى صديقٍ له : أنصفَ الله شوقي إليك من جَفائك ، وأخذ لبريّ[1] من تقصيرك ، ولا سلط الـدهر على حسن ظني بك كما سلّطه على لطيف محلي منك .

رأي لديوجانس

وقيل لديوجانس : لِمَ لا يشتدُّ فرحُك بأخيك في حياته كشدَّة حزنـك عليه بعد وفاته ؟ قال : لأني كنتُ أعلمُ في حياته أنه يموتُ ، والآن أعلم أنه لا يعيشُ !

شاعر :

عهد الودّ

أُصــافي المرءَ يــألفُني فيجري جميعـاً بـاختـلافٍ واتّفـاقِ
وعهـدُ الـودّ محفـوظٌ إذا مـا أمِنّـا في الـودادِ من النِّفــاقِ
وأقطــعُ كلَّ ذي برٍّ وَصــولٍ إذا مـزجَ الخليقـةَ بـاختـلاقِ
وكم من مُعْقبٍ حسن اجتماعٍ لتنـــويـــهِ بسرِّ الافتراقِ

شاعر جاهلي :

عداوة أبناء العمومة

ليَ ابنُ عَمٍّ لوأنَّ المزن طاعَ لـه ما نالني منه مـا يروى بـه الثغرُ
يـودّ لـو أنني أُرمى بمندَبـةٍ[2] من الشواجبِ لا يعفُـو لهـا أثرُ[3]
إذا رآني أبــــدى لي مُكاشرةً وتحتَهـا لهبُ الأحقـادِ يسْتَعِرُ
فلو ذُبحنا على صَراء صَردحةٍ[4] تـزايـلَ الـدَّمُ منّـا حين ينهمِرُ

(١) ج ق ـ لبرى .

(٢) المندبة : من ندب الميت : بكاه .

(٣) الشواجب : شجبه أهلكه . وشجَبَ شجباً وشجوباً : هلك ومات .

(٤) صخرة صرّاء : ملسـاء ، وفي القـامـوس « صمّـاء » وفي التكلـة : حجر أصَرّ : صُلب صردحة : (بكسر الصاد وفتحها) المكان المستوي .

إذا رآني خـالَ الشَّمسَ طـالِعَـةً	من نَحوِ وَجهي إليهِ حينَ يبتـدرُ
لا يحملني على حدباءَ جائحةٍ[1]	مَهلاً أبا الجهلِ لا يطمحُ بكَ الأشرُ
إني ومن وخدت تدمى مناسمُها	إليهِ ينكبُها الحِزّان والطُّرَرُ[2]
لـولا وشـائجُ أرحـامٍ مؤكّـدةٍ	لقـد تبيّنتَ مـا آتي ومـا أذرُ[3]

شاعر :

خليقة المكاشر

ومُكاشِرٍ مـازالَ يَمْـذُقُ لي	مَـذْقاً وأمحضُه الهوى مَحْضَا
يرضى ويُسخطني وأحسبُـهُ	أني متى أرضيتُـهُ يرضَى
جَعَـلَ النَّميـةَ شيمـةً خلقـاً	فرفضتُـهُ عن سـاحتي رفضَـا
وتـزايـدتْ عنـدي مثـالِبُـه	حتى لأشبـهَ بعضُـه بعضـا
فهجرتُـه وتركتُ صحبتَـه	إنَّ النَّمائمَ تُـورثُ البُغضـا

شاعر :

لحاجة الصديق

هـوّنْ عليـك فـما أرتضي	قـطُّ الصـديق على للبـاحث

كلب الأصحاب

وقال كَعْبُ الأحبار[4] لرجل أراد سفراً : إن لكلِّ رفقـةٍ كلبـاً فلا تكنْ كلبَ أصحابك .

---

(١) حدباء : السنة الشديدة والأمور الشاقة ، وناقة حدباء : بدت حراقفها من الهزال ، والحدباء : النعش . أشر : بطر . وخد البعير : أسرع وقيل : رمى بقوائمه كمشي النعام . وقيل : هو سعة الخطو .

(٢) الطرّة : شفير النهر والوادي وطرّت الإبـل الجبـال والآكام : قطعتهـا سيراً . نكبت : جرحت وخدشت . الحزان : الغليظ من الأرض .

(٣) وذر ، يذر : ترك .

(٤) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، تابعي كان في الجاهليـة من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر الصديق ، وقدم المدينة زمن عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخـذ هو من الكتـاب والسنـة عن الصحابة وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ .

إنكار الجميع

وقال محمد بن يوسف[1] : قلت للجوري : إني أُريد الشام فأوْصِني ، قال : إن قَدِرْتَ أن تُنكر كلَّ مَنْ تعرف فافعلْ ، وإن استطعت أن تستفيدَ مائة أخٍ إذا خَلَصُوا لك ، فتُسقط تسعةً وتسعين وتكون في الواحد شاكّاً فافعلْ !

شرط الوجود

وقال علي بن عُبيدة : لا حياءَ لمن لا وفاءَ له ، ولا وفاءَ لمن لا إخاءَ له ، ولا إخاءَ لمن يريد أن يجمع هوى أخلائه حتى يُحبُّوا ما أحبَّ ، ويكرهُوا ما كرِهَ ، وحتى لا يرى منهم خَلَلاً ولا زَلَلاً .

إخوان الطريق

وقال يحيى بن مُعاذ : من لم يَزُرْكَ ، ولم يواسِك ، ولم يُتحفْك[2] فهو من إخوان الطريق .

الحمل على الذلّ

حدثنا العَسْجدي[3] قال : جاءَ رجلٌ إلى أبي إسحاق الكِسَائي ليلاً فقال : ما جاءَ بك ؟ قال : ركبني دَيْن ، قال : كم هو ؟ قال : أربعمائة درهم ، فأخرج كيساً فأعطاه ، فلما رجع عنه بكى فقال له أهلُه : ما يُبْكيك ؟ قال : بُكايَ أني لم أبحث عن حاله وألْجَأتُهُ إلى الذُّلّ !

طبيعة الحسد

قال ابن السَّمَّاك الواعظ : الحسدُ ألأمُ الطبائع ، فمن ثَمَّ وُكِّلَ بالأقرب فالأقرب ، واعلم أن العدوَّ يعودُ بالملاطفة صديقاً / ، والظالمَ بالإنصاف

[٣٣ ب]

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري النّيسابوري أحد معاصري التوحيدي ، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية ، من أهل خراسان ، أقام بالرّيّ خمس سنين واتصل بابن العميد فقرأا معاً عدة كتب ، وأقام ببغداد مدة وعاد إلى بلده ، له شروح على كتب أرسطو وكتب أخرى .

(٢) أتحفه : أهداه ، والتُّحْفَة والتُّحَفَة : الهدية ، ومن معانيها أيضاً اللطف والبرّ ، والجمع تُحَف .

(٣) ورد ذكره في (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي ٤٨/١ ، وفي مثالب الوزيرين ص ٢٥٢ .

مُحسناً ، والعاتبُ بالعُتْبى[1] حبيباً ، والحاسد بمنزلةِ البغل الشّموس[2] يُطيعك في تناول مُراده ، ويكلفك أرضاً بعيدةَ الطلب ، و [كذلك الحاسد] يُدنيهِ منك سوءُ الطّمع ، ويُبعده منك سوءُ الطبع .

وقال أبو زافر يعاتب أخاه نوحاً :

معاتبة أخوية

جرّبتُ من نوحٍ أموراً كثيرةً وطيَّبْتُ من نفسي وما كدتُ أفعلُ
فلما أبى إلاّ اعوجاجاً تركتُه وبعضُ انتهاء النفس أبقى وأوصلُ
فأيُّ أخٍ يا نوحُ يوماً علمتَني إذا كان أمرٌ يُوبِسُ الريقَ مُعضلُ[3]

وقال أيضاً :

إذا ما قلتُ نوحٌ مستقيمٌ أبتْ أخلاقُه إلاّ اعوجَاجَا
فأيُّ أخٍ علمتَ أخاكَ يوماً إذا ما اللُّدُّ أكثرت الضّجَاجا[4]
فأنت مُخَيْلةٌ لا شكٌ فيها[5] فلَمّا أمطرتْ كانت عَجاجَا[6]

---

(١) العتبى : الرضى .

(٢) الشموس : الشامس من الخيل الذي لا يمكن أحداً من ظهره ولا إسراجه ولا إلجامه ، ولا يكاد يستقر .

(٣) أيبس يوبس إيباساً : جفّف .

(٤) لدّه لدّاً : خصمه أو شدّد خصومته فهو لدّ ولادّ ولدود . والألد : الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق ، والمرأة لدّاء والجمع لدّ ولداد ، وفي القرآن الكريم : ﴿ تُنْذِرَ بِهِ قَوماً لُدّاً ﴾ ، قيل معناه : خصماء عوج عن الحق ، وقيل : صمّ عنه . وقال عمر بن الخطاب : « أنا منهم بين ألسنة لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد » . الضجاج : الصياح والجلبة .

(٥) المُخيلة (بضم الميم وفتحها وتشديد الياء وإسكانها) والمختالة : السحابة تحسبها ماطرة لرعدها وبرقها . يقال : السماء مخيلة للمطر : متهيئة له ، وقد أخالت السماء وخيّلت وتخيّلت وخايلت ، وسحابة مخايلة : إذا رأيتها خلتها ماطرة .

(٦) العجاج : الغبار والدخان .

شاعر :

خيبة مريرة

رُبَّ صـديقٍ كنتُ أدعـو لـه ... أن يجعلَ الدُّنيـا كالاً لـدَيْـهِ[1]
حتى إذا صـار إلى حـاجتي ... حقّاً وصارتْ حاجتي في يدَيْـهِ
حَـالَ عن الـودِّ وعن عهـدنـا ... وأظهرَ الشُّـحَّ على درْهَمَيْـه
فـا مضى بعـد دُعـائي لـه ... يومـانِ حتى صرتُ أدعو عليْـهِ

شاعر :

طلب الأمان

خُذْ لقلبي من التَّجنّي أمـانـاً ... واكفني أن أذمَّ فيـك الـزَّمـانـا
أنت صيَّرتَ في فـؤادي مكانـاً ... لك فاحفظْ بـالودِّ ذاك المكانـا
كن لودّي على إخـائـك عَـوْناً ... من زمـانٍ يُغيِّرُ الإخـوانـا

أقل الأشياء

قيل ليحي بن خالد : أيُّ شيءٍ أقل ؟ قال : قناعةُ ذي الهمَّة البعيـدة بـالعيش الـدون ، وصـديقٌ قليلُ الآفـات كثيرُ الامتنـاع يضبّ[2] مـواضـع المدح .

الأخ التالد

وقـال أخـو ثقيف : مـودّةُ الأخ التـالـد وإنْ أخلـق ، خيرٌ من مـودّة الطَّارف ، وإن ظهرت بَشَاشتُه وراعتْك جِدَّتُه .

شاعر :

إخوان الثقات

لعمرُك ما مـالُ الرجـال ذخيرةً ... ولكنَّ إخـوانَ الثِّقـاتِ ذخـائرُ

آخرُ[3] :

---

(۱) ج ق ـ تماماً .

(۲) ضبَّ : شدَّ القبض على الشيء .

(۳) الشعر لأبي عِلاَقة التغلبي كما جاء في الوحشيات ص ٢٦٤ .

وكنتُ جليسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ[1] ولا يَشْقى بقَعْقَـــاعٍ جَليسُ — جليس قعقاع
ضحـوكُ السِّنِّ أمَّــار بعُرفٍ[2] وعنـــد النُّكر مِطْراقٌ عَبُــوسُ

بشَّار :

فـدعِ التبحّث عن أخيــك فـإنّــه كسبيكةِ الذهب الـذي لا يَكْلَفُ[3] — ترك التبحث

آخر :

إنِ القــومُ غَطّــوني تغطيتُ عنهمُ وإن بحثــوا عني ففيهم مَبَـــاحثُ — معاملة بالمثل
وإن نَبَثــوا بِئْري نبثتُ بئـــارهم وأخرجتُ ما تُخفيه تلك النَّبـائثُ[4]

أبو العَتَاهِية[5] :

يدلُّ على الإنسان ظاهرُ فِعلـه ولا علمَ لي بـــالبـــاطن المتغيِّبِ — ظاهر الأفعال

آخر :

---

(١) القعقاع بن شور الربعي الذُّهلي ، شاعر كوفي من كبار الأمراء في عهد بني أميـة ، ذكره المرزبـاني في معجم الشعراء ص ٣٣٠ ، وفي القـاموس أن القعقـاع بن شور تـابعي راجـع ترجمته في لسان الميزان ٤/٤٧٤ .

(٢) رواية الوحشيات : إن أمروا بخير .

(٣) كلف الوجه : تغيَّرت بشرته بلون علاه أو علته حمرة كدرة فهو أكلف ، والكلف : السواد في الصفرة أو بين السواد والحمرة .

(٤) نبث البئر : نبشها وأخرج ترابها فهو نبيث ومنبوث ، ونبث عن الأمر والسر : بحث عنه وهو مستعار من نبث البئر ، والنبيثـة : تراب البئر والنهر أو مـا حولها من التراب والجمع نبائث .

(٥) هو أبو إسحـاق إسماعيل بن القـاسم بن سُويـد العيني الشهير بـأبي العتـاهيـة كبير شعراء المولدين ، ولد في عين التمر بالقرب من الكوفـة سنـة ١٣٠ هـ ، كان شـاعراً مكثراً سريع النظم ، أكثر شعره في الزهد والمديح ، لقي حظوة عند خلفاء العباسيين ونظم مـدائحه فيهم ، توفي سنة ٢١١ هـ ، راجع أخباره في الأغاني ٤/١ـ١١٢ .

جهل دائم

بلغتَ من السنين مدىً طويلاً ... ولم تعرفْ عدوَّك من صديقك

فسرتَ على الغُرور ولستَ تدري ... شرابٌ أم سَرابٌ في طريقك

وأنشد ابنُ حبيب[1] :

ترك المغيبة

أيُّها الفارغ المُريد لغيب الناس مَهْلاً عن المغيبة مَهْلا

إن في نفسك التي في جنبَيْك عن الناس لو تفكرت شُغْلا

عجباً منك في ثناياك لحمي ... فإذا ما رأيتني قلتَ أهلاً

إن ذا الفضل والمروءة لا يقبلُ قولاً يخالفُ القول فِعلا

كشف الستر

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : من وجد دون أخيه ستراً فلا يكشفْه .

صديق

وقال : ربّ أخٍ لَكَ لم تلدْهُ أُمك .

صحبة الناس

وقال : اصحبِ النَّاسَ بما شئتَ ، يصحبُوك بمثله .

بين الثقة والمكاشرة

وقال : الإخوانُ إخوانُ الثقة ، وإخوان المكاشرة ، فإخوان الثقة أهلُ بسط الكف ، ولين الْجَنَاح وهم أقلُّ في الناس من الكبريت الأحمر[2] ، وإخوان المكاشرة فابذلْ لهم حلاوةَ المنطق ، وطلاقةَ الوجه ، وإذا كنت من أخيك على ثقةٍ فابذلْ له نفسَك ومالَك ، وصافِ مَنْ صَافاه ، وعادِ مَنْ عَاداه .

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء من موالي بني العباس ، عالم بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل ، ولد في بغداد وتوفي في سامراء سنة ٢٤٥ هـ ، كان مؤدباً قال ابن النديم في الفهرست ١٥٥ : « وكان مؤدباً وكتبه صحيحة » وذكر له ثلاثة وعشرين كتاباً .

(٢) من الأقوال الشائعة عند القدماء « أعزّ من الكبريت الأحمر » للدلالة على الندرة وهو كقولهم « أعزُّ من بيض الأنوق » ، والأنوق : العُقاب . ومن معاني الكبريت : الياقوت الأحمر والذهب الأحمر ، ويقال : « ذهب أو فضة كبريت » أي خالص .

الرقعة في القميص

وقال علي بن حمّاد : قال الحسن : مثل الصاحب مثل الرقعة في لقميص ، فلينظر امرؤ بأيّ شيء يَرْقَعُهُ .

وقال الحسن : إن المؤمن شعبة من المؤمن ، يحزنُ لحزنه ، ويفرح لفرحه ، وهو مرآة أخيه ، إنْ رأى منه ما لا يعجبه قوّمه وسدّده ، ووجّهه ، وحاطه في السر والعلانية ، إنّ لك من خليطك نصيباً ، وإن لك نصيباً من ذكر مَنْ آخيت ، فاختاروا الإخوان والأصحاب والمجالس .

وقيل لعدي بن حاتم : ما أثقلُ الأشياء عليك ؟ قال : اختيارُ الصديق ، وردُّ السائل ، ومسألةُ اللئيم . فقيل له : فما أضرُّ الأشياء للرجل ؟ قال : كثرة الكلام ، وإفشاء السّر ، والثقة بكل أحد .

جديد وقديم

وقال يونس بن عبيد : ليس لملولِ صديق .

وقال الشاعر :

البسْ جديدَك إني لابسٌ خَلَقي ... ولا جديد لمن لا يلبس الْخَلَقا

قال النمري : الجديد هاهنا الصديق الحديث العهد كأنه استجده بالصداقة . والْخَلَق الصديق القديم الصداقة . يقول على وجه التوبيخ : عليك بالإخوان الجدد فإني متمسك بإخواني القدماء ، ثم قال : لا جديد لمن لا يلبس الْخَلَق ، أي من لم يقم على مودة الصديق القديم لم يقم على مودة الصديق الجديد .

قال : ومثله قول العَرْجي[1] :

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي المكي ولقب بالعرجي لسكناه العرج في الطائف ، أحد شعراء الغزل في العصر الأموي ، كان ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء والفرسان المعدودين صحب مسلمة بن عبد الملك =

الجديد والقديم

سميتني خَلَقاً لحلـةٍ قَـدُمَتْ ولا جـديـد إذا لم يُلبس الْخَلَقُ

قال : والناس يظنون أن الجديد والخلق هاهنا ثوبان .

[٣٤أ]

وقال العرْجي : /

ثبات الفؤاد

لا يحـولُ الفـؤادُ عنـكَ بـودٍّ أبـداً أو يحـولَ لـونُ الغراب

وقال رُبَيْعَةُ الأسدي[١] :

صداقة بالية

إن المـودّة والهـوادة بيننـا خَلَقٌ كَسَحْقِ اليُمْنَةِ المنجاب[٢]

آخر :

أين الصديق ؟

ما سمعنا باسم الصديق فطالبنا بمعناه فاستفدنا الصديقا

أتراه في الأرض يـوجـدُ لكن نحن لا نهتـدي إليـه طريقـا

أم ترى قـولهم صـديق مجـاز لا ترى تحت لفظهم تحقيقـا

شاعر :

خيبة ووحشة

ذهبَ الـذين أحبُّ قربهم وبقيت كالمقمـور في خلفِ[٣]

= في حروبه مع الروم . سجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة فمات في السجن سنة ١٢٠ هـ .

(١) هو ربيعة (بضم الراء) بن أسعد بن جذيمة . من شعراء بني أسد ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ١٢٥ .

(٢) رواية معجم الشعراء :

إن البقيـة والهـوادة بيننـا شمل كسَحْق الرَّيْطة المنجاب

السحق : الثوب البالي ، يقال : رأيت عليه سَحْق بُرْدٍ وسَحْق عمامة . اليمنة : برد يمني يقال : لبس اليمنة . الشَّمَل : القليل من الناس وغير ذلك يقال : رأيت شملاً من الناس والإبل أي قليلاً .

(٣) المقمور (اسم مفعول) من الخاسر في القمار .

من كل مطـــويٍّ على حنـــقٍ مُتصنّـــــعٍ يُكفى ولا يكفي

المتلمّس :

على كلهم آسى ولـلأصـل زُلْفَـــةٌ فزحـزح عن الأدنين أن يتصـدعـوا — أسى ووحشة
وقـد كان إخـواني كريمـاً جـوارهم ولكن أصـل العـود من حيث يُنزعُ

وقال المُقنّع الكندي[1] :

وصـاحبُ السـوء كالـداء العَيَـاء إذا ما ارفضّ في الجلد يجري ها هنا وهنا — صاحب السوء
يجري ويُخبر عن عَوْراتِ صـاحبـه ومـا يرى عنـده من صـالحٍ دفنـا
كَمُهْر ســوءٍ إذا رفّعت سيرتـــــه رام الجمــاحَ وإن خفّضتــهُ حَرَنـــا
إن يحي ذاك فكن منـه بمعـزلـةٍ وإن يمتْ ذاك لا تشهد لـه جَنَنَـا[2]

آخر :

رأيت مـواليّ الأُلى يخـــذلـونني على حـــدثـــان الـــدهر إذ يتقلّبُ — خذلان الموالي
فهــلا أعـــدُّوني لمثلي تفـــاقـمـــدوا وفي الأرض مبثوثـاً شجـاعٌ وعقربُ

الحارث دعيّ الوليد :

فـإن أنت أقررت العـــداة بنسبتي عُرفت وإلاّ كنت فَقْعاً بفَـدْفَـدِ[3] — انتساب إلى شريف

---

(١) هو محمد بن ظفر بن عميرة ، شاعر مقلّ أموي وكان لـه محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته ، ويقول الجاحظ : « كان الدهرَ مقنّعاً ، والقناع من سيا الرؤسـاء » ، ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع ما كان يخاف على نفسـه من العين ، فقـد كان أحسن الناس وجهاً ، وأمدّهم قامة ، وأكملهم خلقاً ، فكان إذا سفر أصـابتـه أعين النـاس فيرض ويلحقه عنَت ، راجع أخباره في الأغاني ١٥/١٥١ .

(٢) الْجَنَن : القبر والميت والكفن والجمع أجنان .

(٣) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ويقال للذليل : « هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر » =

ويشمتُ أعـداءً ويُخْـذل كاشـحٌ عمرتَ لهم سُمّاً على نـابِ أسـود[1]

شاعر :

حقد وقهر

ومعشرٍ منقـعٌ لي في صـدورهم سمُّ الأسـاود تغلي في المـواعيـدِ
وسمتُهم بـالقـوافي فـوق أعينهم وَسْمَ المعيدي أعناق المقاحيدِ[2]

آخر :

ترك الضغينة

وإني لترّاك الضغينـة قـد بـدا تراهـا من المـولى فـا أستثيرهـا

مخالطة ومرابدة

قال بعض السلف : خالطوا الناسَ ورابدوهم[3] .

وقال أبو العيال الهُذَلي[4] :

مؤاخاة وعطف

وأخـاك إن آخـاكم وعتـابَـه إذ جـاءكم بتعطفٍ وسكـون

ثَعْلَبَةُ بنُ صُعَيْر[5] :

استغناء وهجر

وإذا خليلُك لم يَدُمْ لك وصلُه[6] فـاصرم لبـانتـه بحرفٍ عـاقر[7]

= أي أذلّ من كأة في أرض منخفضة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، وقيل لأنه يداس بالأرجل . الفدفد : الفلاة ، والأرض المستوية .

(١) الأسود : العظيم من الحيّات والجمع أساود .

(٢) ناقة قَحِدة ومِقْحَاد : عظيمة السنام . المقحدة أصل السنام .

(٣) رَبَد في المكان : أقام .

(٤) هو أبو العيال الهذلي أحد الشعراء المخضرمين ، عمر إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان .

(٥) ج ق ـ صغير ، هو ثعلبة بن صُعير بن خزاعيّ المازني ، شاعر جاهلي قديم .

(٦) من قصيدة في المفضليات ١/١٢٦ .

(٧) رواية المفضليات : « فاقطع لبانته بحرفٍ ضامر » .
الحرف : الناقة الماضية . الضامر : يعني للنجابة لا للهزال . ومعنى الشطر : فاقطع حاجتك إليه وارتحل عنه على هذه الناقة ولا تلتفت إلى مودته .

وقال ذو الإصبع العَدْوانيّ[1] :

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مخالفٌ ليَ أقليه ويقليني[2]

أزْرَى بنا أنّنا شَالَتْ نعامتُنا ... فخالَني دونه بل خِلْتُه دُوني[3]

وقال أُسامة بن الحارث الهُذَلي :

تذكر الإخوان

تذكرتُ إخواني فبتُّ مسهّداً ... كما ذكرت بوّاً من الليل فاقد

وقال عَبَدَةُ بن الطّبيب :

حذر النّمّام

واعصُوا الذي يُبدي النميمةَ بينكم[4] ... متنصّحاً وهو السّمام المنقعُ[5]

يُزْجي عقاربَهُ لتبعثَ بينكم[6] ... حَرْباً كما بَعَثَ العُروقَ الأخْدَعُ[7]

حَرّانَ لا يَشفي غليلَ فؤاده ... عَسَلٌ بماءٍ في الإناء مُشَعْشَعُ[8]

لا تأمنُوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهُمْ ... بين القوابل بالعداوة يُنْشَعُ[9]

---

(١) اسمه حُرثان ، شاعر فارس قديم جاهلي له وقائع مشهورة ، وهو أحد الحكماء ، عمّر دهراً طويلاً . ولما احتضر أوصى ابنه أسيداً وصية جيلة مذكورة في الأغاني ٨٩/٣ . توفي نحو سنة ٢٢ ق هـ .

(٢) رواية المفضليات ١٥٨/١ « مختلفان فأقليه ويقليني » قلاه : أبغضه .

(٣) أزرى به : قصّر به ، وزرى عليه : عابه . شالت نعامتنا : خلت منازلنا أو ارتحلنا أو تفرقنا أو تفرقت كلمتنا .

(٤) رواية المفضليات ١٤٤/١ : النائم .

(٥) رواية المفضليات : ذاك السام . يزجي : يسوق . المتنصّح : المتشبه بالنصحاء . السمام : جمع سم . منقع : معتّق ، من قولهم أنقع السم : عتقه ، وأنقعته الحية : جمعته .

(٦) رواية المفضليات : ليبعث .

(٧) الأخدع : عرق في العنق إذا ضرب أجابته العروق .

(٨) الحران : الشديد التلهب ، يغلي جوفه من حرارة الغيظ ، وأصله العطشان . الغليل : لهبان من الغيظ ومن العطش ، والغلّة بالضم شدة العطش ، والمراد شدة الغيظ . مشعشع : ممزوج .

(٩) ج ق ـ يبشع . القوابل : مفردها قابلة وهي التي تستقبل المولود . ينشع من النشوع =

الناس نوعان

وقيل لعبد الله بن عُرْوَة[1] ، وكان خطيباً : تركتَ المدينة ولو رجعتَ إليها لقيتَ الناس ، فقال : وأين الناس ؟ إنما الناسُ رجلان : شامِتٌ بنكبةٍ ، أو حاسدٌ لنِعْمة .

أخاك أخاك

شاعر :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخاً لـه كَسَاعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاحِ

وأنشدَ يُونس بن فَرْوَة[2] :

معرة الإخاء

فلقد رضيتَ بعُصْبةٍ آخَيْتَهم[3] وإخاؤهم لَكَ بالمعَرَّة لازمُ

= (بفتح النون) وهو الوجور (بفتح الواو) الدواء الذي يُصَبُّ في الفم ، وكذلك نشغ ومنها النشوغ وهو للسعوط ، والوجور للصبي والمريض .

(١) هو عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي ، تابعي من الخطباء الشجعان ، كان يتشبه بعبد الله بن الزبير في فصاحته وشجاعته ، توفي سنة ١٢٦ هـ .

(٢) هو يونس بن محمد بن كيسان الملقب بأبي فروة أو ابن فروة كما جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ، كاتب زنديق ، كان جدُّه أبو فروة مولى للخليفة عثمان بن عفان ، ونشأ يونس على أخلاق الشطَّار ، والشاطر كما يقول الجهشياري : من أعيى أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، ويقال إنه لحق بالخوارج الشراة في العراق ثم صار كاتباً للأمير العباسي عيسى بن موسى ابن أخي السفاح ، ويقول الجاحظ (أمالي المرتضى ١٣١/١) : « كان مُنقذ بن زيد الهلالي ، ومُطيع بن إياس ، ويحي بن زياد ، وحفص بن أبي ودّة ، وقاسم بن زُنْقُطة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحمَّاد عجرد ، وعلي بن الخليل ، وحمَّاد بن أبي ليلى الراوية ، وحمَّاد بن الزبرقان ، ووالبة بن الحباب ، وعُمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبي ، وبشَّار بن بُرد المرَعَّث ، وأبان اللاحقي ، يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكلٌّ منهم متَّهم بدينه » . ويقول المرتضى : « وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه وصار به إلى ملك الروم فأخذ منه مالاً » . توفي يونس سنة ١٥٠ هـ .

(٣) البيتان لحمَّاد عجرد في هجاء يونس كما ورد في كتاب الحيوان ٤٤٦/٤ وقد سبقها الأبيات الأربعة الآتية :
=

فَعَلِمْتَ حين جعلتهم لـك دُخلـةً[1] آنّي لعِرضـك في إخـائـك ظـالمُ

نسيب الجسم والروح

وقال بعضُ الحكماء : إنّ الأخ إذا لم يكن صديقاً فهو نسيبُ الجسم ، والصديقَ وإن لم يكن أخاً فهو نسيبُ الرّوح .

بين أعرابيين

أخبرنا ابن مقسم ، حدثنا ثَعْلَب ، حدثنا عبد الله بن شبيب قال : سمعت العتّابي يقول : سمعتُ أعرابياً يقول لصاحب له : لا تنكرْني لك فأعرفُ نفسي بك ، ودَعْ سَرْحَ القلب[2] مجمّاً ، وثمر الفؤاد مجنيّاً فيوشك أن تبعد الطّيّة[3] على غير أُهبَةٍ[4] ولا أوبة[5] .

أخو الخفض

شاعر :

وكنّا كغصنَيْ بانةٍ ليس واحدٌ يزولُ على الحالاتِ عن رأي واحدِ
تبدّل بي خلاً فخاللتُ غيره وخلّيته لمّا أراد تَباعدي
ألاَ قَبّح الرحمنُ كلَّ ممانقٍ يكونُ أخاً في الخَفْض لا في الشدائدِ[6]

= أما ابن فروةَ يونسٌ فكأنه من كبره أيرُ الحمارِ القائمُ
ما الناسُ عندك غيرُ نفسك وحدها والخلقُ عندك ما خلاك بهائمُ
إنّ الذي أصبحت مفتوناً به سيزولُ عنك وأنفُ جارك راغمُ
فتعضُّ من ندم يديك على الذي فرّطتَ فيه ، كما يَعَضُّ النادمُ

(١) دخلة (بتثليث الدال) بطانته .

(٢) سرح ما في صدره : أخرجه وباح به .

(٣) الطّيّة : الجهة التي إليها تطوى البلاد ، قال الخليل : الطّيّة تكون منزلاً وتكون منتأى تقول منه : مضى لطيّته أي لنيّته التي انتواها ، وبعدت عنه طيّته وهو المعتزل الذي انتواه ، وسمي المنزل طيّة لأن الرجل يقصده ويطوي نفسه إليه .

(٤) الأهبة : العدّة ، يقال : أخذ للسفر أهبته أي عدّته .

(٥) الأوبة : العودة .

(٦) الخفض : الدعة وسعة العيش .

فساد الناس

وكتب أحمد بن إسماعيل الكاتب[1] إلى مَيْمُون بن هارون[2] : أعلمني رسولي أنك سألتَه عمن آنسُ به في ناحيتي ، ومَنْ في الناس اليوم يُؤانَس أو يُجالَس ؟ نحن إلى الأُنس منهم أحوجُ منّا إلى الأُنس بهم ، وصورة الأمر في فسادهم أنه لما كان الدينُ عمودَ المحاسن ، ونظامَ الفضائل ، وعَصْمَ الأخلاق ، وكان الناسُ قد خلوا أو أكثرُهم منذ صاروا يتعاطونه مع المِراء من الدين في معاملاتهم ومودّاتهم ، مدخولاً من جوانبه ، مختلاً من أوساطه وأطرافه فلن ترى إلاّ ذامّاً / مذموماً ، زارياً مَزْرياً عليه ، حالفاً بالقبيح ، مَحْلوفاً به .

[٣٤ب]

وصية سفيان

وحُدثت أن رجلاً قال لسُفيان الثوري[3] : أوصني ! فقال : أقِلَّ معرفةَ الناس ، وأنكِرْ مَنْ تعرفه منهم ، وابدأ بي ، وأغْضِبْ مَنْ شئت ، ودُسَّ مَنْ يسأله ، فوالله لولاحَيْتُ[4] رجلاً في زمانه فغضب لما أمنتُ أن يترامى به غضبه إلى سفك دمي ، وأفرط أعزّك الله مفرط في هذا الزمان

---

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن الخصيب الأنباري المعروف بنطّاحة ، أديب من كبار الكتاب المترسلين ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقتله محمد بن طاهر . له كتب منها (ديوان رسائل) في ألف ورقة و (طبقات الكتّاب) و (صفة النفس) ، توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) هو أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان البغدادي ، كاتب ، صاحب أخبار وآداب وأشعار أخذ عن الجاحظ ومعاصريه ، وأخذ عنه قدامة بن جعفر وآخرون . توفي سنة ٢٩٧ هـ .

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المحدّثين وسيد أهل زمانه في علوم الدين . ولد في الكوفة سنة ٩٧ هـ ونشأ بها ، وأراده المنصور على أن يلي الحكم فخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١ هـ .

(٤) لاحاه ملاحاةً ولحاءً : نازعه . وفي المثل : « من لاحاك فقد عاداك » . وتلاحى القوم تلاحياً : تلاعنوا وتلاوموا .

فقال : لا أقول كما قال سُفيان لنقصان دهرنا عن دهره ، ولكني أقول : أرْضِ مَنْ شئت ، ودُسَّ من يسأله عنك ، وما أنكر لكثرة الشّر في الناس أن يكون جواب كثير ممن يرضى مثل جواب من يغضب ، إلاّ أني أرجو أن لا تكون هذه القضيَّة عامة .

وأنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :

جليس الخير

وحــدةُ الإنســان خيرٌ   من جليس السوء عنــدَهْ
وجليسُ الصـدقِ خيرٌ   من جلــوس المرء وحــدَهْ

وهذا لعَمْري كما قال ، ولكن كيف لنا بجليس الصدق ؟ ولربما نفع قربُ العدو ، وضرَّ قربُ الصديق ، وهذا كلام يُنكر ظاهرُه إلى أن يَظهر تفسيرُه ، أما العدوُّ الذي ينفع قربُه فهو الذي مقدار ضرّه أن يَثْلِبَ ويعيبَ ، ويجد مَطْعناً ليُذيع ويُشيع ، فإذا قرب هذا صورته ممن يعاديه وكَّله بحراسة نفسه ، ومراعاة أموره ، وتحصين تدبيره ، وتحسين أفعاله ، وكان برصده له رقيباً عليه ، وإذا رامَ تحفظ الإنسان بهذا الرصد وترقيه هذه الرتبة صَلُحَتْ أموره ، وكان سببَ صلاحها قربُ هذا العدو منه ، وإنما صار للعرب مآثر تُنْشَر ، ومفاخرُ تُذكر ، بتوقّيهم للعاير[1] والمعايب ، في المقاوم[2] والمجامع ، ولم يخلُ أحد قط من وليٍّ مؤدِّب ، أو عدوٍّ مؤنِّب ، أو تقريع بخطأ أو تَهجين[3] بنقص إلاَّ من أهمل نفسه ، ومن عادة الإهمال الهَلاك ، وقلَّ من تحفَّظ فسلم من إضاعةٍ ، فكيف به إذا أضاع التحفظ من نفسه ، وأمنه من غيره .

---

(١) المعاير : المعايب .

(٢) المقاوم : مفردها قوم ، وقوم : الإقامة .

(٣) هجَّن الأمر : قبّحه وعابه .

صلاح الملك

وقال بعضُ المتقدمين : لا صلاحَ لِلْمَلِك إلاَّ بنفسه ووزرائه وأعداءٍ يخرجونَ عليه فيُصْلح نفسَهُ من أجلهم .

واجبات العاقل

ومما دوّنوه من الكلام : أنه يجب على العاقل أن يتَّخذ أبَوَيْه أصدقاءَ ، وإخوانَه رفقاء ، وأزواجَه أُلاّفاً ، وبنيه ذُكَراء ، وبناتِه خُصماء ، وأقاربَه غُرماء ، والعلماء أولياء ، والجيران رُقباء ، ويعدُّ نفسه فرداً وحيداً ، فذكروا رُقْبَة[1] الجيران ، وحضُّوا على توقِّيها ، فكيف بالجار العدوّ ، وأما الصديقُ الذي يضرُّ قربُه فهو الذي إذا قرب توصل بصداقته إلى معرفة الأسرار ، وعَلِمَ الأخبار ، ثم تحفظ الزَّلل ، والتقط الْخَلَل ، وأحصي الفَلَتات ، وعدَّ الهفوات ، وراعى عَثَرات الألسن ، وبوادرَ القول والعمل ، عند الغضب والرضا ، وفي أوقات الاسترسال التي لا يخلو الإنسان فيها من إغفال ، ثم جعل ذلك سلاحاً معداً يحمله على صديقه وقت العداوة وقد قيل في ذلك :

يُحصي العيوبَ عليكَ أيامَ الصداقة للعداوَهْ[2]

ونحن لم نخالف في ما عمَّمنا به من الذمّ في باب الإخاء والأُنس قول النابغة :

أيّ الرجال ؟

ولستُ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه على شعثٍ : أيُّ الرجالِ المهذّبُ

وقول الآخر :

الأخ المهذب

هم الناسُ والدنيا ولم يزلِ القَذَى يُلِمُّ بعينٍ أو يكدّر مَشْرَبَا
ومن قلّةِ الإنصاف أن تطلب الأخ المهذّب في الدنيا ولستَ مُهذَّبَا

(١) الرقبة (بكسر الراء) : الحراسة والتحفظ .
(٢) في ديوان المعاني ٢/٢٠٠ بيت قبل هنا :

احذَرْ مودّةَ ماذقٍ شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ

وقال آخر :

كظم وخوف

وكنتُ إذا الصديق نبا بـأمري	وأشرقني على حَنَـــقٍ بريقي
غفرتُ ذنوبه وكَظَمْتُ غيظي	مخـافـةَ أن أعيشَ بـلا صـديـقِ

هـؤلاء إنمـا أوجبـوا الإغضـاءَ والاحتمالَ والصبرَ والكَظْمَ مع سلامـة الإخاء ، وإنما وقفوا بـالصَّفح والعفو على مـا لا يخلو الإنسـان يـأنس بـه من مثله ، ألا ترى النابغة يقول : أيّ الرجال المهذّبُ ؟ والآخر يقول : مخـافـةَ أن أعيشَ بلا صـديق ، والآخر يقول : ومن قلّـة الإنصـاف أن تطلبَ الأخ المهذّب في الدنيا ولستَ مهذّباً ، نقول كما قـالوا ، ونغفر كما غفروا لو وجـدنـا من يسلم لنا جملة إخائه ، وإنما نشكو فَقْدَ عمودِ الإخـاء الـذي حُصُولُـه يغفر ما دونه ، وحيث بلغنا من هذه الشكوى ، وهذا الذّم ، فلسنا نجحـدُ النعمـة في بقيّةٍ جميلةٍ في هذا الزمـان من أحرار الإخوان قـد قـدمـك الله فيهم فضلاً وبرّاً ، وهمّةً عليّةً ، وأخلاقاً رضيّة ، ومع ذلك فإنّ على العـاقل في شريطـة الإخاء إذا وجد موضع الدين والوفاء أن يقتصدَ / في المؤاخاة ، ويقتصرَ من العدّة على من تَفي طاقتُه بما يجب لهم ، فإن حقوقهم إذا زادت على وُسعه[1] لحقته الإضاعة لبعضها ، وجنت الإضاعـةُ عليـه العـداوة ممن أضـاع حقّـه ، ولذلك قيل : كثرةُ الأعداء من كثرة الأصدقاء ، وانتظم في هذا المعنى :

[٣٥آ]

اتساع الإخاء

إذا اتّسع الإخـاءُ عَرَتْ حقـوقٌ	مُراعيهــــا مُقيمٌ في مَضيــقِ[2]
فإن خصّت رعـايتُـه فريقاً[3]	أخـلَّ بمـا عليـــه في فريــقِ
وإن رامَ القيـــامَ لهم جميعـــاً	بشرط الـودّ لم يَـكُ بـالْمُطيـقِ

(١) الوسْع (بتثليث الواو) : الجدة والطاقة ، وفي القرآن الكريم : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها ﴾ .

(٢) المضيق : ماضاق من الأماكن والأمور والجمع مضايق .

(٣) خصّ الشيء خصوصاً : ضدّ عمّ ، وخصّ فلان لنفسه شيئاً : اختاره .

وأوحش بعضهم فأفاد منه[1] عدواً كان في عَدَدِ الصديقِ
فخُذْ مِمَّنْ تؤاخيه بقصْدِ وقدِّرْ فتحَ أبوابِ الحقوقِ

وقال :

الكثرة والوحدة

إذا كَثُرَ الإخوانُ للمرء وابتغوا معونَتَهُ في صَرْفِ دهرٍ وغدره[2]
فوحدتُه لا تستقلُّ بحقِّهم وكثرتُهم لا تستقلُّ بضُرّه

وكنت أعلمتني أنك استحسنتَ مني البيتين في ذكر العدوّ والصَّديق وهما :

خليل وعبد

إن كنت تطلب فضلاً إذا ذكرتَ وَمَجْدا
فَكُنْ لعبدك خِلاًّ وكُنْ لِخِلِّك عَبْدا

وكان سببهُما أن صديقاً لي ضرب عبداً له فحضره صديق له فمنعه الصديق فلم يمتنع ، فكتبتُ إليه بهذين البيتين أذكّره بحقّ الصديق في عبودية الطاعة ، وأُخوة العبد في حقّ الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] ، هذا مع ما في التسلُّط على المماليك من الدناءة !

أحوال الزمان

ولأحمد بن إسماعيل أيضاً إلى إسحاق بن سعد : وكأنَّ الزمان يخصّ الإخاءَ وأهلَه من كدره ونكَدَه بما لا يعمُّ به غيرهم ، فما تشاء أن ترى ذَوَيْ صفاءٍ قد فرّقتْ بينهما[4] نوىً فحصلا من التزاور على التكاتب ، ومن أُنس

---

(١) أوحش فلاناً : جعله يستوحش ، واستوحش الرجل استيحاشاً : وجد الوحشة ضد استأنس ، واستوحش منه : لم يأنس منه ؛ واستوحش المكان : صار وحشاً وذهب الناس عنه .

(٢) صرف الدهر : نوائبه وحدثانه .

(٣) القرآن الكريم : سورة الحجرات ١٠ .

(٤) ج ق - بينهم .

الاجتماع على وَحْشة الافتراق ، ومن بهجة اللقاء على لَذْعة الشوق وكثرة التَّوْق[1] ، ومن راحة المباوحة والمفاوضة على ضيق الصدور بالأسرار ، وكَرْب النفوس بالكتمان إلاّ وجدتها ، ولا تشاء أن تجدَ أمثالها قد جمعتها الديار ، واعترضت بينها الأحداث ، فاجتماعها في معنى التفرّق ، وقربها في صورة البعد ، إلاّ أن شوقَها أبرح ، ونزاعَها إلى اللقاء أشدّ ، وحسرتها على ما يفوت منه أكثر إلاّ رأيتها ، فأما إخوانُ اللقاء ، وعبيدُ العيون الذين تجمعهم الرَّغبة والرَّهبة ، ويتزاورون في المواصلة من العهدة إذا ولَّت مُطعمة ، وأخلفت مُخيّلة[2] ، أو نابت نائبة ، فاكتراثهم لأعراض الدهر بينهم تستُّر ، لأن الحاضرَ منهم لا تُزعجه من أخيه الغيْبة ، والغائب لا تقَرُّ[3] عينه بالأَوْبة ، فالفُرْقة لا تورثهم وحشةً ، والاجتماع لا يجدِّد لهم أَنَسةً[4] ، وربما وجدت تراضيهم بمخالفة ظاهرهم باطنَهم ، قد أُتيح لهم متعة بعشرتهم لأن كلاًّ منهم قد قدم التحرُّز من صاحبه ، واستشعر الاحتراس منه ، فليس يستودعه ما يخاف ضياعَه ، ولا يأمَنه على مايحتاج إلى الاهتمام به ، وأعطاه مقداراً من ظاهره ، وقفتْ عليه عادته ، وأسقطت مؤونة التحصيل عنه ، ولبسته على علمٍ به ، فإن أظهر له جميلاً لم يغترَّ بظاهره ، وإن وقف على غِلٍّ أو غِشٍّ لم يجدِّد له علماً بباطنه ، فليس يبدو له من أفعاله ما ينفِّره فيقطعه ولا يغيب عنه منها ما يأمنه فيسكن إليه ، ويخاف جنايةَ[5] الاسترسال عليه ، ولا يُبقيه في مشهده ومغيبه منه ما لا يعرفه ، فيجريان

---

(1) تاق إليه تَوْقاً وتؤوقاً وتياقة وتوقاناً : اشتاق إليه .

(2) المُخيّلة والمخيّل : السحابة التي تحسبها ماطرة . وكذلك المخايل من السحب المنذرة بالمطر كقول مروان بن أبي حفصة : « إن أخلف الغيث لم تخلف مخايلُه » .

(3) قرّت عينه : بردت سروراً وجفّ دمعها ، أو رأت ما كانت متشوقة إليه .

(4) ج ق ـ أنسه .

(5) ج ق ـ جنانه .

في مثل هذا الميدان مدةً طويلة متمتعَيْن بـالمؤاكلة ، وللمشـاربـة ، واللقـاء والمحادثة ، وأخو الثقة يرمق الحركة ، ويراعي اللحظة ، ويتأول اللفظـة ، وإن ظهرت منكرة وقف عنـدهـا ، وتعرّف سببهـا ، وتبيّن مـوقعهـا من العَمْـد[1] والخطـأ ، ومقـدارهـا في الصِّغَر والكِبَر ، وهـل يقـلُّ صغيرُهـا عن الْمُعـاتبـة ، أو يبلـغُ كبيرُهـا تركَ المراجعـة ، ويُنزل الأمـور بين هـذين الطرفين منازلَها ، ويعمل في ما يستقرُّ عليـه بمـا هو أصونُ لعقـدتـه[2] وإن كانت نفيسـة ، لأن [أخـا] الثقـة من الإخـوان يمنح الأنس ، ويبثّ ذاتَ النفس ، ويُظهر العُجَر والبُجَر[3] ، ويكشف الأسرار ، ويخصُّ بخـواص الأخبار ، ويُـدَّخر[4] للنوازل ، ويُفزع إليـه[5] في النوائب ، فيعـدُّ لِلْمَشْهـد والمغيب ، واليوم والغد ، والْمَحْيا والْمَمَـات ، والنفس والعَقِب ، ويُستظهر بإخائه على الزمان ، ويُعتضد به في الحـدثـان ، وإنَّما يستحقُّ ذلـك مـا نقيَ جيبُه ، وسلم غيبُه ، وخَلَص قلبُه ، وصحَّ لُبُّـه ، ولوقوفـه على هـذه الغـايـة من الاستحقـاق يراعيـه من أودعـه أجلَّ ودائعـه ، وجعلـه أفضـلَ عـدده ، والحمدُ لله الذي جعلك مقدَّماً في إخوان الصفاء ، يثقُ بك الصـديق ، وتخفُّ المِحْنة عليه في مراعاة طويتك بصحة عقدك ، وكرم عَهْـدك ، وتمسكـك في وِرْدِك[6] وصَـدَرك بعِصَم الـدين التي تشتمـل على المنـاقب ، وتنفي المقـابـح

---

(١) فعله عمداً وعن عمد : قصداً لا خطأ .

(٢) ج ق - لعهدته .

(٣) العُجر مفردها عُجرة وهي العقدة في الخيط والعصا وعروق البدن . البُجر : مفردها بجرة وهي السُّرَّة ويقال : ذكر عجره وبجره : أي عيوبه .

(٤) ج ق - يدحر .

(٥) ج ق - إليها .

(٦) ورد يرد وروداً الماء : أشرف على الماء خلاف صدر ، والمصدر الوِرْد .

والمعايب ، وتؤدي صاحبها إلى فوز الأبد ، وتحوز له النعيم المقيم ، فتمم الله نعمه ، وأوزعك[1] شكره ، وأمدّك بمزيده :

[٣٥ ب]

تنازعنا الوداد وكنتُ أجري إذا بلغ المدى جريَ السُّبُوقِ /

فحازَ السَّبْقَ إسحاقُ بن سَعْدٍ وخلّفني بقارعةِ الطَّريقِ

الاستزادة على حسب الحرية ، ومن لم يجد ألم الجفوة لم يعرف موقع المبرَّة ، وأيام السلطان والقدرة غنيمة ذي النُّبل والهمَّة ، تُعتقد بها المِنَن ، وتُرعى فيها الْحُرَم ، وتُبْنى المكارم لليوم والغد ، والنفس والعقب ، ولي ما شهدته من مودةٍ صحيحة موروثة ، وأسباب شابكة متقدمة ، ورغبة متجددة ، وأمل متأكد ، ولكلٍّ من ذلك حق وحرمة ، وأنا شريك في النعمة بالهوى والنيّة ، مطلق اللسان بوصف فضائلك في محافل ذي الشرف والحرية ، كَبْتاً لعدوك الذي ليس بينه وبين الله عصمة ، ونصراً لوليّك وليّ الدين والمروءة ، ومعي معاضدة الأخ ، وخدمة العبد ، وطاعة اليد والسلام .

وقال أيضاً في فصل آخر : وإذا سلمت لي الحال القديمة بيننا التي كان العهد فيها باللقاء يتراخى ، فإذا التقينا وجدناه على جِدَّته ، وأعطى المفضول منا ـ أعني نفسي ـ من آتى فاضلاً ـ أعنيك ـ من الإعظام والإجلال حقه ، وسلك الفاضل بالإنصاف والتواضع سبيل فضله ، لم أحفل بما يحدث بعد ذلك من إدراك أمل وفَوْته ، ونيل طَلِبة وتعذرها .

وكتب عبدُ الله بن المعتز إلى أحمد بن يحيي الشيباني[2] أبياتاً منها :

ابن المعتز

إنَّا على البعاد وللتفرُّقِ لَنَلْتقي بالذِّكْر إنْ لم نلتقِ

(١) أوزع فلاناً بالشيء إيزاعاً : أغراه به .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء المعروف بثعلب إمام =

الشيباني

فأجابه : لم تَعْدُ ما في النفس ، بلَّغَكَ الله أملَك ، ونحن وإن لم نَلْتَقِ كما قال رُؤْبَة[1] :

إنّي وإن لم ترني فإنَّني أراكَ بالغيب وإن لم تَرَني
أخوك والراعي لِمَا استرعَيْتَني

ولكني أحذر عليك ، فإنه لا تخفى محبَّتي إليك ، ومن لم يحذر فقد ضيَّع الْحَزْم ، وأنا أسأل الله أن يجعل عليك واقيةً برحمته .

وكتب آخر :

المحاورة والمكاتبة

مَنْ عَاقَتْهُ العوائقُ عن المحاورة ، عوَّلَ على المكاتبة ، وأنا آنسُ بذكرك فضلاً عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك فضلاً عن رؤيتك ، ولو تقاربتِ المنازلُ كتقارب القلوب لأحبت داعيَ الشوق إليك في [الحذاء والرداء] ، والضياء والدجى . وأنشدني مُنشد :

مقدار الشوق

كُنَّا نزوركم والدارُ جامعةٌ في كلِّ حالٍ فلَمَّا شطَّت الدارُ
صِرْنا نقدِّرُ وقتاً في زيارتكم وليس للشوق في الأحشاء مِقْدارُ

= الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر محدثاً ، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، ثقة ، حجة ، ولد في بغداد عام ٢٠٠ هـ ، وتوفي فيها عام ٢٩١ هـ ، له كتب أهمها : (الفصيح) ، رسالة في قواعد الشعر (شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى) ، (شرح ديوان الأعشى) ، (مجالس ثعلب) .

(١) هو أبو الجحّاف رؤبة بن عبد الله العجّاج بن رؤبة التميمي السعدي أحد الرُّجّاز والفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه في البصرة وعنه أخذ أهل اللغة ، وكانوا يحتجون بشعره ويقرون بإمامته في اللغة ، مات رؤبة في البادية عام ١٤٥ هـ ، وله ديوان رجز مطبوع ، ولما مات قال الخليل : « دفنَّا الشعر واللغة والفصاحة » .

ولربَّ منازل متقاربة لقلوبٍ متباعدة ، يجمعهم النِّفاق ، وتفرّق بينهم الأخلاق !

قريب وبعيد

وكنتُ كتبتُ إلى صديقٍ يمرح في بعض ما يستهدي :

لا تجعلن بُعـد داري   مخسّـاً لنصيبي[1]
فربَّ شخصٍ بعيدٍ   إلى الفؤادِ قريبِ
وربَّ شخصٍ قريب   إليكَ غيرِ حبيبِ
ما البعدُ والقربُ إلاَّ   ما كانَ بين القلوبِ

بين العين والقلب

لابن ثَوابَة : فلبثتُ بعدك بقلبٍ يودُّ لو كان عَيْناً فيراك ، وعينٍ تودُّ لو كانت قلباً فلا تخلُو من ذكراك .

هجاء رجل

وقَّع أحمد بن صالح بن شيرزاد إلى رجل : أنتَ ضعيفُ الإخاء ، قليلُ الوفاء ، معاملُك معك في عَناء ، ومعاشرُك منك في بَلاء .

إلى صديق

وكتب إلى صديقٍ له : وصل كتابُك مخبراً بعافيتك ، مُبشِّراً بسلامتك ، مُذكِّراً بلذيذ عشرتك ، وطيبِ أُلفتك ، ناطقاً بصحيح ودِّك ، وكريم عهدك ، وإني لآنسُ بذكرك ، فضلاً عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك فضلاً عن رؤيتك ، إلاَّ إني في ذلك كما قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

إنَّ ما قلَّ منك يكثرُ عندي   وكثيرٌ من الحبيبِ القليلُ[2]

رسالة ودّيّة

عيسى بن فرخانشاه[3] : اعتقدتُ ودّك ، وأوجبتُ حقّك ، واعتددتُ بشكرك ، ولحفظ حالك عندي رقيبٌ من عنايتي لا يفترُ فيك لفظُه ،

---

(١) خسّس وخسّ نصيبه خَسّاً : جعله خسيساً أي دنيّاً حقيراً .

(٢) ج ق - قليل .

(٣) هو أبو موسى عيسى بن فرخانشاه وزير المتوكل العباسي ثم المعتز من بعده ، روى له التوحيدي كلاماً في رسالة (مثالب الوزيرين) ص ٣٣ .

ولا يُصْرف عنك لحظُـه ، وذكر السيـد استيحـاشَـه لقَصْـدي ، وحنينَـه إلى لقائي ، والأنسُ آخِرُ ما يُبذلُ من ذات النفس ، وأجلُّ مـا تخصُّ بـه السـادةُ أولياءَهم ، والإخوانُ إخوانَهم ، وبه تُنال راحةُ المفاوضـة والْمُبـاثَّـة ، وعليـه تُبنى الثقـةُ والمشـاورةُ ، وإليـه ينتهي إخـاءُ المودة ، فـإذا بلغـه أهلُهـا قضوا حقوقَهـا ، واستوفوا شروطَهـا ، والسيـد ممن لا يَخُصُّ بـأنسـه إلاَّ من ترتضي أخلاقه ، وتحمد مذاهبه ، وكفى بذلك فضلاً لمن نالـه ، فـأين يبلغ شكري ماقضى به من ذلك لي .

رسالة أخرى

وكتب أيضاً : وأنـا ـ والله ـ أيهـا السيـد مـازلت[1] كاتبـاً ، وممسكاً ، وفـائـزاً ، ومشـابراً ، الـوالي المخلص ، والـوادُّ المصحـح ، ومَنْ إذا شـدَّ عُرْوَةً أوثقها ، وإذا عقـد مودّةً صـدقهـا ، ولا خير في الْمَـذْق والشوْب ، والْمُماذِقُ أخو للمنـافق ، والشـائب هـدف العـائب ، والرجل بمواقع اختيـاره إذا مـال ووالى ، وإذا انحرف وعـادى ، وإذا اجتنب واجتبى ، يـدل على خطره وقدره ، ويُقوِّم نفسه قيمةً يرجعُ إليها مَنْ عامله وعدل عليه .

رسالة أخرى

محمد بن بَحْر : وثل كتابُك فنابَ عن زهر الرياض حسنـاً ، وأخبر عن فتيق المسـك عَرْفـاً ، لمـا جمع من غريب المعنى ، وبـديـع اللفـظ ، وتصرف كاتبه ـ لاعدمته ـ في برٍّ جدَّده ، وتفضل وكّده .

رسالة أخرى

القـاسم بن محمـد الكَرْخي : قـد واصلتُ أيـامـاً تبـاعـاً ، غـدوّاً إليـك ورَوَاحـاً ، حتى ملَّني البُكـور[2] ، وسئمني التهجير[3] ، وشَكَـاني الطريـق ، ولَحَاني الصديق ، وفي كل ذلك أُعاقُ عنك بالْحُجَّاب :

(١) سقطت من م .

(٢) بَكَرَ بكوراً : أتاهُ بُكْرَة أي باكراً .

(٣) التهجير من هجَّر القوم : ساروا في الهاجرة وهي نصف النهار في القيظ خاصة عنـد زوال الشمس مع الظهر أو من عنـد زوالها إلى العصر لأن النـاس يستكنُّون في بيوتهم كأنهم قـد تهاجروا ، والهاجرة » شدَّة الحر .

ولا خيرَ في ودّ امرئٍ متكارهٍ   عليك، ولا في صاحبٍ لا توافقُهْ/ [٣٣أ]

هذا طَرَفٌ من عتابٍ جاش به الصَّدْرُ، وقلَّ عن كتمانه الصبر، فإن عطفك حفاظٌ فأهلُ البرّ والفضل أنت، وإلاّ فإني على العهد ولا أقول:

فَمَا ملّني الإنسانُ إلاّ مللتُه   ولا فاتني شيءٌ ظللتُ له أبكي

رسالة أخرى

كاتب: أطال الله بقاءَك، والمخاطبة بكل دعاء تخاطب به إخوان الصفاء وإن ضعفت اليد عن استقصائه، وضاق ما يكتب فيه عن استيفائه.

رسالة أخرى

للحسن بن مُسْلِم: زاد اللهُ من عمري في عمرك، ورفعك إلى الدرجة الموازية لقَدْرك، وضاعف الكرامةَ والنعمةَ والسعادةَ لك، وقدّمك في المحبوب قَبْلي، وقدّمني للمحذور قَبْلك، [إنّي] - وجعلني الله فداءك - وإن كنتُ آنسُ بك في الْحَوْل وقتاً، وأغبر في بقيته خِلْواً مستوحشاً، فإنّ موقع وقتك عندي منه، كموقع ربيعهِ من سائر شهوره، لما يبهجني من السرور بك، ويُونِقُ بصري من بهيِّ منظرك، ويرتعُ فيه لُبي من رياض علمك وأدبك، ويجدّد لي من يوافع[1] فوائدك، وملذوذ ثمار ودّك، ما يروقُ به الربيع العيون من بهيج زينته، ويجودُ به على الأرض من غيوثه، ويلبسها من زخارفه، وينشر عليها من موشى حُلله، ويملأها من خِصْبه وبركته، وأشبّه مغيبك - جُعِلتُ فداك - بأضداد هذه الصّفات، غير أنّي أحيا بالتذكُّر والرجاء[2] مدى النأي إلى اللقاء، وأجدُ عقلي بما أفدتُ في ساعةٍ منك متقوتاً زمناً طويلاً كقول أنوشروان الملك: قُوتُ العقول الحِكَم، وقوتُ الأجساد الْمَطْعَم، فلا زِلْتُ من نورك مُقتبِساً،

---

(١) اليافع: العالي وما أشرف من الأمكنة.

(٢) ج ق م - الرخاء.

ولإخوانك في القرب والبعد مُؤنساً ، ولا زالت الأقدار تُسعفنا فيك ببلوغ أملٍ ، ودنوِّ محلٍّ ، حتى تطولَ العشرة ، وتدومَ الغبطة والمسرَّة .

رسالة أخرى

كاتب : لئن بَعُدَ - أسعدك الله - مزارُنا بعد قرب ، لما باعد ذلك ، بحمد الله ، قلباً من قلب ، ولا حلَّ مما بيننا عقداً من ودّ ، ولا منع من محافظةٍ على غَيْب وعَهْد ، وإن انقطعت منَّا المكاتبة أحياناً لاعتناق علَّةٍ أو شغل ، فتواصل التشاكل لا ينقطعُ لانقطاع الكتب ، وقد جعل الله - وله المنُّ والطَّوْل - نعمتَنا عند بعض بنجوةٍ من التقصير ، وفي حالٍ غنيَّةٍ عن المعاذير ، فجعل الله ما عراك تمحيصاً ، وعقباه تخليصاً ، وأعادك إلى أحسن ما عوَّدك ، وما لم تجري به آلاؤه عندك .

رسالة أخرى

وكتب آخر : إن لم يكن جَمَعَنا - أسعدك الله - تلاقٍ يأنسُ فيه بعضُنا ببعض ، وتتصل به أسباب البرِّ بيننا في القرب والبُعد ، فكفى بالْمُشاكلة مؤانسة ، وبالْمُشاكهة مواصلة ، تثبت علائق الثقة ، وتدفع عوارض الحشمة ، وتزين استعمال الدَّالّة .

رسالة لليزيدي

لليزيدي[1] : فأمَّا ما عندي مما أبذلُه لك رغبةً ، وأرضى بقبولك إياه مثُوبَةً فمودَّةٌ أُقيم عليها بقيَّةَ عمري ، وأستوفي لك حقوقها على نفسي ، وطاعةٌ أُصححُ فيها سِرّي وعَلَني ، وأتبع شروطها فيما وافقني وخالفَني ، وشكرٌ أُشغلُ به خاطري وعَقْلي وأُعمل فيه لساني ، وثناءٌ حَسَنٌ أسعى فيه وأجتهد ، وذكرٌ جميلٌ أقومُ به وأقعُد ، وأن أُوالي بك وأُعادي ، وأُصافي وأُصادي[2] ، ولو ملكتُ غيرَ ذلك لبذلته ، ولو علمتُ وراء ما أنا عليه مكاناً لبلغتُه .

---

(١) هو أبو عبد الله بن العباس بن محمد أحد كبار علماء العربية والأدب (٢٢٨ هـ - ٣١٠ هـ) .

(٢) صاداهُ مصاداةً : داجاه وداراه وساتره وعارضه يقال : « من صاداك فقد صادك » .

رسالة أخرى

وكتبَ آخرُ : وما أعلمني أن في سَعة صدرك ، وفضل رأيك ، وعلوّ قدرك ، ويُمْن تدبيرك ، وشدّة تحصيلك ، وما مكّن الله لك من سُلطانك ما أغنى عن مسألتي عما أراه في أمري ، فوالله ما حُلْتُ لك عن عَهْد ، ولا [من] موالاة إلى عداوة ، ولا عن وفاء إلى غدر[1] ، ولا عن شكر إلى كفر ، ولا قصّرتُ فيا ظننتُ إنه يقضي عني الحق بما بلغتْهُ الطاقةُ والوُسْع ، فإن تكنِ الدُّنيا بلغتني ما لا يُجدي معه سَعْيِّ ، فذلك على الزمان لا عليّ :

ما كلّف اللهُ نفساً فوقَ طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلاّ بما تَجِدُ

فواللهِ ما كنتُ بذميم العهد لك في شدّةٍ ولا رَخاء ، ولا في حال سَرّاءِ ولا ضَرّاء ، على قدر ما تبلغه طاقتي وتناله يدي ، وليس من قصّر به القَدَر بملوم على تقصير ، ولا من نصح بالنيّة إذا أعجزه الفعل بمعدودٍ في أهل الغش .

رسالة أخرى

كاتب : وإن الذي ﴿ يعلمُ السّرَّ وأخْفى ﴾[2] ليعلمُ أني لم أحُلْ لك عن عَهْد ، ولا رجعتُ لك عن ودّ ، ولا انطويتُ لك على غلّ ، في وقت رخاء ، ولا شدّة ، ولا نعمة ، ولا مِحْنة ، ولا خلفتك بقبيح في نفسٍ ، ولا مالٍ ، ولا عَرَضٍ من الأعراض ، اللهمّ إلا أن تكون تعتدُّ عليَّ بعتابٍ أجريتُه بيني وبينك في بعض ما يُعاتب الصديقُ صديقه ، وما ظننتُ / أن ذلك يخرج عن طريق المودّة ، ولا يوجب العداوة والجفوة ، لأنه أمر سلكت فيه سبيل نصيحةٍ لم أمِلْ فيه إلى غشٍّ لك ولا خيانة ، وربما احتملت للناصح الكلمة المُرّة ، ولم تُخرجه عن حدّ الأمانة والثّقة ، وإن كان مخطئاً في المشورة ، لأنه قد اجتهد عند نفسه ولم يُرد سوءاً ولا غائلة[3] .

[٣٦ ب]

---

(١) ج ق ـ عذر .

(٢) القرآن الكريم سورة طه ٧ .

(٣) الغائلة : الداهية والفساد والشر والمهلكة تقول : « أخاف غائلته » أي عاقبة شره .

رسالة أخرى

كاتب : وقد هيَّأ اللهُ لك دولةً لست تغبى[1] فيها عن الإحسان إلى الْمُحسن جزاءً له ، والتغمُّد[2] للمسيء احتجاجاً عند الله ، وطلباً للفضل الذي لا يُذمّ الآخذُ به ، فإنّ مُدَدَ الأعمار ، فضلاً عن الدول ، قصيرة ، وأيامَ العزّ ، وإن طالت يسيرة ، وإن اعتقدت فيها المِنن اتبعتها أيام الشكر ، وهي أحسنُ منها عاقبةً وأحمدُ مَغَبَّةً ، وشراءُ الصديق صعبٌ عَسير ، وبيعُه سَهْلٌ مُمكن ، وحيث وجّهت المعروف فهو عائدٌ بثناءٍ جميلٍ ، أو ثوابٍ جزيلٍ ، وقليلُ البِرّ يستعبدُ لك الْحُرَّ ، ويسترُ الهوانَ بصرف وجوه الآمال :

ومن يسألِ الأيامَ نأيَ صديقه وصرفَ الليالي يُعْطَ ما كان يَسألُ

لإسماعيل بن عبّاد

أحمد بن إسماعيل بن عبّاد : فما كان أولاكَ أن تحميني من سوء الظن بك ، وألاّ تجعل من مصائبي المصيبةَ بمودّتك ، وأن أعجب عندي من إمساكك عن مكاتبتي إمساكُك عن ذكري في كتبك إلى قومٍ قد علمت أنهم لا يخفون عني مكاتبتكَ إياهم ولكني مع هذا أقول :

أترسل بالسلام وصدرعيسى يشدّ على عدوّي بالحزام
فلولا أن يكون العهدُ منكم لما أرسلتُ نحوكُم سلامي
ولكنّ الفتى ليست عليه تمائمُ قد علمتَ من الحِمامِ

---

(١) غبي الشيء وعنه يَغْبَى غبَاً وغباوةً : لم يفطن له ، وغبي منه الشيء : خفي ، وفي الأساس : « لا يغبى عليَّ ما فعلت أي لا يخفى ، وادخل في الناس فإنه أغبى لك أي أخفى » .

(٢) غمد الشيء : ستره ، وتغمده : ستر ما كان منه .

ولا أقول فيك كما قال إبراهيم بن المهدي[1] لعمرو بن بانة[2] ودعاه يوماً فامتنع من المصير إليه لسخط السلطان عليه فكتب إليه : ليس يخلو أميرُ المؤمنين أن يكون ساخطاً عليّ أو راضياً عني ، فإن كان راضياً فما يأبى أن يسرّني ، وإن كان سَاخطاً فما يأبى أن يغرّني ، وإنك لموقوف بينهما بحمد الله ، فأمّا فلانٌ فلو كان الصديق إذا نزلت به نائبة ، أو نالته نكبة ، أو نَبَا بهِ الدهرُ نَبْوةً استوى عدوُّه وصديقُه في الجفاء به ، والاحتراسِ من خُلطته وعِشْرته ، وترك معونته على دهره ، لكان اسم الصديقُ اسماً معلَّقاً على غير مَعْنى ، ولكانت حُرمة مودّته ، واعتقاد إخائه في أيام الرخاء وزمانه ضياعاً لا حظَّ فيه ، كلا والله إن الرجل ليبذلُ لأخيه في النكْبة ماله ، وقد أعفى الله مالك وإنه ليحظر نفسه في معونته ، وقد صانَ اللهُ نفسك لك ، وإنه ليفارق الأوطان والأهلين في إيثار موافقته ، ولقد أعفاك الله من أن ترد عليك مسألة في ذلك ، وما أردت إلاَّ أن أعلم أنَّ لي صديقاً قد أبقى لي الدهر منه مثل الذي أخذ ، وأنفس منه ، وأن الأيام لم تبلغ من مساءتي كلّ ما أحذره ، ولله روحٌ منتظر ، وفرجٌ مأمول ، وصنعٌ متوقع ، ولنا ذنوب ما نتّهم غيرها ، ورحمة الله أكثر منها .

رسالة ابن أبي البغل

كتب ابن أبي البغل[3] إلى النعمان بن عبد الله أبي المنذر : كتابي ـ أدام

---

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي أخو هارون الرشيد ، ولد ونشأ في بغداد عام ١٦٢ هـ ، تولى الخلافة مدة عامين (٢٠٢ ـ ٢٠٤ هـ) وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخراسان وبقي مستتراً حتى عام ٢١٠ هـ ومات في سُرَّمَنْ رأى عام ٢٢٤ هـ .

(٢) عمرو بن محمد بن سليمان شاعر وعالم بالغناء ، كان نديم المتوكل وتوفي بسامراء عام ٢٧٨ هـ .

(٣) ج ق ـ النعل . هو أبو الحسين محمد بن يحيى بن أبي البغل ، استدعي من أصفهان وكان يلي الوزارة في أيام المقتدر ، وكان بليغاً ، مترسلاً ، فصيحاً ، من أهل المروءات ، وكان =

الله عزك ـ من أصفهان ، وعادة الله عندي جميلة ، والحمد لله ربّ العالمين ، ولم تتأخر كتبي عنك ـ جعلني الله فداءَك ـ مع ما ألزمه نفسي من الحقوق المعترضة للمتقدمين في المنزلة للرعيّة بين المتخالصين في المودّة ، لا إغفالاً للحق ، ولا إضاعةً للحظ ، لكن عرضت لي أحوالٌ وأشغالٌ وأسفارٌ ورجوتُ أن تُزيلَ عني الاستزادة تمحلك[1] لي عذراً كعذرك في تأخر كتبك فتقع مُتاركة أو مُسَامحة ، ثم جرتْ خطوبٌ تكشّفت عما ساءَني منك ، وخفت أن يُغني العتاب من إعتابك في سَوْرتك[2] ، فأمهلتُ توقعاً إلى الغاية ، ومؤملاً منك عند بلوغها حسن المراجعة ، وأن تتأمل فتعلم أني ما حُلْتُ عن عهدك ، ولا زُلْتُ عن ودّك ، ولا جنيتُ بيدٍ ولا لسان عليك فتتوكل لي على نفسك ، وتتعطف بجميل أخلاقك ، وترعى مني ما يرعاه الحرُّ من صديقه ، وتبقي عليَّ مما أجريت إليه ، فاستمرَّ بك اللجاجُ ، ووصلت ما أتيته في أمر فلان بإدامة النبوّ[3] عني ، والوضع مني ، وجعلتَ ذكري باللقب دون الاسم ، وبالاسم دون الكُنية ، وبالكُنية دون الدعاء ، وما هكذا أفعلُ عند ذكرك ، ولا أخللتُ بما يجب عليَّ من تعظيمك ووصف فضلك ومحاسنك ، ولولا الرغبةُ فيك ، والضنُّ بك لوجدت عن هذا القول مذهباً ومُنْتَدَحاً[4] ، ولكني ملّكتك مني رقّ المودّة فقلَّ صبريَ على سوء الملكة !

= شاعراً أيضاً مجوداً مطبوعاً فله ديوان رسائل وكتاب رسائله في فتح البصرة (الفهرست ١٩٧) .

(١) تمحّل الشيء : طلبه بحيلة وتكلف ، وتمحل له : احتال .

(٢) السَّوْرة : الحدّة . (سورة الخمر وغيرها) حِدتها ، وسورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه ، وسورة البرد : شدته ، وسورة السلطان : سطوته واعتداؤه .

(٣) ج ق ـ النبوة .

(٤) المنتدح : المكان الواسع . الندحة (بفتح النون وضمها وإسكان الدال) : ما اتسع من الأرض ومنه يقال : « لك عن هذا الأمر مُنْتَدَح ومندوحة أي سعة وفسحة وحِدّ » .

للقاسم الكرخي

القاسم بن محمد الكرخي : لو كنتُ أعلمُ أنك تعتب إذا عاتبت لشدوت من ذلك في مذهب لا أبلغ بك فيه القصوى ، ولا أقتصر منه على الأدنى ، ولا أُخليك من الاستزادة في غير شكوى ، والتعريف في غير تعنيف ، والاحتجاج في غير تبكيت[1] / ولا توقيف ، ولكنَّ شرَّ القول ما لم يسمع ، ولم يكن لقائله فيه مُنتفع[2] ، وأشبهُ البرِّ بالعقوق ما استُكْرِهَتْ عليه النفوس ، ولم يكن له باعث من النِّيّة والضمير :

[٣١ أ]

وليس بمغنٍ في المودَّة شافعٌ إذا لم يكنْ بين الضلُوع شَفيعُ

وما آمَنُ أن أكون قد عزرت بمن كتبت له إليك فإن كنت قد حلت عن كل جهة فهنيئاً لك سوء العهد .

فائدة الرسائل

وله : الكتب تُحْيي ما أماتَ الفراق ، وتجدِّدُ من عهد المودة ما أخلقَهُ الزمان ، وقد انقطعتْ بيننا انقطاعاً كاد يعرضُ الشك معه في اليقين المعتمد عليه ، والصحيح الموثوق به من إخائك ، على أني لا أصرف شيئاً من العتاب إليك إلاّ عدتُ على نفسي بأمثاله لك ، واستوفيتُ عليها استيفاءً غيرَ مسامحٍ لها في المعذرة ، ولا معذرٍ في المعاتبة ، فإنَّ الحقوق بيننا توجب من التواصل ما نحن على ضدّه في ظاهر التعامل ، فأما ما تنطوي عليه النيَّات ودّاً وإخلاصاً فأرجو أن أكون فيه على منزلةٍ تُعجزُ المجتهد ، وأن تكون على مثلها ، وذلك هو الغرض المقصود ، والمغزى المأمول ، فإنَّ الواصلَ بنيّة وإن انقطعت كتبُه واصلٌ ، والواصلَ بنفسه إذا مَذَق ودَّه قاطعٌ .

رسالة أخرى

كاتب : أنت ـ أعزَّك الله ـ واجدٌ عندي مودةً غيرَ مَدْخُولةٍ[3] ، وعشرةً

---

(١) التبكيت : التقريع والتعنيف .

(٢) م ـ مستنقع .

(٣) للدخول : للعيب الفاسد وللمؤنث مدخولة ، قال علي بن أبي طالب : « وأحلَّ حلالاً غير مدخول » ، ونخلة مدخولة : عفنة الجوف .

غيرَ مملولـة ، ودوامَ عهـدٍ على طُـول المـودة ، وحسن احتمال للصنيعـة ، واستقلالاً يشكر العـارفـة[1] ، مـع سعـة العـذر ، ولين المطـالبـة ، والتغمُّـد بالصَّفْح عند الزَّلَّـة ، والصبر على الجفوة في غير ذلَّـة ، والتغـابي الـذي يجلب الغَفْلة ، واستفراغ المجهود في تحرِّي الموافقة ، ولست مسؤولاً إلاَّ ما تتعـاطـاهُ ممكناً ، وتبذله عفواً ، وتَنْهـدُ لـه[2] مسرعـاً ، وتـأتيـه مُختـاراً ، فـإن تقبل مابذلنا ، وتوجب ماسألنـا فـالفضلُ معـك ، والرغبـةُ إليـك ، وإلاَّ فَحُـطَّ مـا أضعت ، ويسِّر مـا مَنَعْتَ ، على ظننـا يتجـاوز حـدَّ الظنـون ، تشبيهـاً بـالعيـان ، وقريبـاً من اليقين ، ألاَّ نفنِّـد رأيـك ، ولا نسـوء اختيـارك إن شاء الله .

الحث على المواصلة

سعيـد بن عبـد الملـك[3] في الحثِّ على المـواصلـة : أكرهُ أن أصفَ لـك ولنفسي موضـع العـذر والقبـول ، فيكـون أحـدنـا مُعتـذراً مُقصِّراً ، والآخر مُقبلاً[4] متفضِّلاً ، ولكني أذكرك ما في التلاقي من تجديـد البرّ ، وفي التخلُّف من قلة الصبر ، واللهَ أسألُ أن يوفِّقـك وإيَّـانـا لـمـا تكون معـه عُقبى شُكْر ، لا عُقبى صبر .

رسالة أخرى

كاتب : أخبرني - جعلني الله فـداءَك - أحصلنـا منـك على اعتـلالات تتمحَّلُها ، ومعـاذير نتخيَّلُهـا ، في هجرٍ تُظهره ، وتـدَّعي أنـك لا تستشعره ،

---

(١) العارفة : العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة . والجمع عوارف .

(٢) نهـد الرجل : نهض ومضى على كل حـال بخلاف النهوض فـإنـه يكون عن قعود ومنـه : « دخل المسجد فنهد الناس يسألونه » ، ونهد لعـدوه وإلى عـدوه نَهْـداً ونَهَـداً : صمـد لهم وأسرع في قتالهم .

(٣) هو سعيد بن عبـد الملك بن مروان الأُموي الـدمشقي ، كان حسن السيرة متعبـداً ، وليَ الغزو في خلافـة أخيـه هشـام ، وولي فلسطين للوليـد وكان عـاملاً على المـوصل . قتـل عام ١٣٢ هـ ، وكان يلقب بسعيد الخير (المعارف لابن قتيبة ١٥٧) .

(٤) ج ق - متقبلاً .

وجفاء تُبديه ، وتزعم أنك لا تنويه ، لا كانَ مَنْ قَبلَ هذا ولا أفلح ، لأني إنّما أحبُّ اعتقاد الصديق لي الخير لتولينيه ، وأكره انطواء العذر لي على القبيح خوفاً من أن تبلينيه ، وإذا كان فعلاهما بي سِيّين[1] لم أعرف بهما فاصلاً ، لأن السرائر مُغيَّبة عن العِيان ، ولو اطّلع عليها لما كان في صافيها نفعٌ ، ولا في دخل دخيلها ضرر ، ما لم يَبْدُ من أهل السوء والشر ، بل [لكان] العدو الذي أحذره ويسرُّني ، أحبُّ إليَّ من صديقٍ آمنه ويغرّني ، وأسكن إليه ويضرّني ، ولهذه العلة تراني أخالفُ أكثر الناس في هذا الباب وأقول : إن الواجب أن تردّ باطن الناس إلى ظاهرهم ، وتستشهدَ أفعالهم على سرائرهم ، إذ كانت الأفعال نتائجَ النيّات وثمراتِها ، وأسلك مع إخواني في هذا السبيل وأسألهم أن يُجْروني على مثل هذه الوتيرة ، ويعفوني من سريرة لا تُعلم مصدوقتها ، ولا تُعرف حقيقتها ، وأجريهم على ذلك فليس من العدل أن يطالب المرء لنفسه بما لا يبذله منها ، وإذا عاملتَ الصديق الذي تصافيه بالجفاء ، فقد حملتَه على السيرة في الأعداء ، وهذا فاحش الخطأ ، وأفحشُ منه أن تمنح العدو من الصلة تصنُّعاً ، ما تمنعه الصديق تطوُّعاً ، والله للستعانُ وللستودَعُ لما لديك ، والمُستزاد في الإحسان إليك .

من رسالة أخرى

كاتب : وليس يضيق بيننا أمر من جهة الحجة إلاَّ اتَّسع من قبل المودّة ، والحرمة ، والأسباب المتصلة .

من رسالة أخرى

آخر : وأنت أيها الأخ في حال الجفوة إذا اعتمدتها أبرُّ من غيرك في حال / الصلة إذا توخّاها وقصدها .

[٣٧ ب]

رسالة أخرى

آخر : ولولا أنك قلتَ فقلت ، وكتبتَ فأجبت ، لكان ما عندك من للعرفة بموقعي منك في هذا وغيره مُغنياً عن الإفصاح ، ونائباً عن

---

(١) السّيُّ : المساوي والمثل وهما سِيّان أي مثلان والجمع أسواء .

الإيضاح ، وليس ينبغي لنا أن نتنازع فضلاً متى تفرّد به أحدُنا فهو شائعٌ بيننا ، إذ كان ما خصّك فقد خصّني ، وما شمَلَكَ فقد شمَلَني وأنا أسالُ الله إذا مَنَّ بالنعمة أن يجعلك المقدَّم فيها ، وإذا امتحن بمحنةٍ أن يجعلني وقايةً لك منها .

من رسالة لسعيد بن عبد الملك

كاتب : أنت تُعرض عني إعراضَ المتجرّم ، وترجع إذا رجعت رجوع المتندمّ[1] ، فأما ما سبق إلى قلبك من التهمة فكيف أُطنب في مساءتك ، وعلى قلبي من هواك رقيب يحجرُه أن يتصرّف إلاّ في إرادتك .

سعيد بن عبد الملك : أولُ أسباب المودّة ما أنت به عارف ، وله آلف ، وإن كنتُ لا أعتدُّ به برّاً ، بل أرى لك فيه منّةً وحقّاً إذ صدقت المخيلة ، وخلصت على المحبّة[2] ، ولست أستريب بما توجبه على حال من الأحوال ، بل أشكرك على النيّة دون الفعل ، وتلك إرادة مثلي ومثلك ، وعندي مزيدٌ لكل ما تُحب ، وإسراعٌ إلى كل ما تهوى وتريد .

من رسالة أخرى

كاتب : والله لا قابَلَ إحسانَك مني كفرٌ ، ولا تبع إحساني إليكَ مَنٌّ ، ولك عندي يد لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ، فتجنَّب ما يسخطني فإني أصونُ وجهك عن ذلّ الاعتذار .

لحمد بن مهران

حمد بن مِهْران : لي - أعزَّك الله - سابقُ حُرْمةٍ يحفظها مثلُك ولو اجترمتُ ، ومتقدِّمُ حقٍّ يرعاه كرمك ولو اقترفَت ، وسالفٌ لا ينقضه وفاؤك ولو اجترحت ، وخالص مودّة لا يضيعه حياؤك ولو زَلَلْت .

لجعفر بن يحيى

جعفر بن يحيى[3] : عندنا الاغتفارُ لما اقترفت ، وتصديقُ كل ما قلت

---

(١) تنمم الرجل : استنكف يقال : « ولو لم أترك الكذب تأثماً تركته تذمماً » أي مجانبة للذّم .

(٢) ج ق - المحنة .

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي ، ولد عام =

واحتججت بذكره ، واعتذرت بوصفه ، والإسقاط لما جحدته ، والإكذاب لِلْجَوْر الذي اقترفته ، والرجوع عما أنكرته ، والزيادة فيما اخترته ، استدعاءً لك وإن انصرفت ، وحياطةً لما قدمت وإن ذممت ، وإيثاراً للإغضاء والاحتمال فإنها أبلغُ في الإصلاح ، وأنجعُ في الاستنجاح ، وأبلغُ في التعليم ، وأكبرُ في التقويم ، وإن احتيج إليه في مثلك ممن تؤمن عليه قريحتُه ، وترده إلى الاستقامة تجربتُه .

لسليمان بن وهب

سليمان بن وَهْب[1] : من انصرفَ عن الحجّة إلى الإقرار بما يُلزمه وإن لم يكن لازماً فقد لَطُف للاستعطاف ، واستوجب الْمُسَامَحَةَ والإنصاف .

لابن ثوابة

لابن ثوابة : وصل إليَّ كتابٌ مخالفٌ لما كنتُ أعرفُك به من الصَّفْح[2] ، والفضل ، والأخذ بمحاسن الأمور ، فإن كنتَ شفيتَ به غيظاً ، وبرَّدتَ به غليلاً فما أسهَلَهُ ، وإن كنتَ لم تندم عليه نَدَمَ المتنزّه عن سوء المجازاة ، ولم تراجع الجميل بعده فما أشَدَّه ، وأيُّ ذنب كان فأرجو أن لا يجتمع على عبدك الخطأ والإصرارُ على الذَّنْب ، ولا أفارق استصلاح رأيك ، وارتجاع ودّك ما حييت وإن لم أصل إلى حيازة ما كان لي منه ، فإني قانعٌ ببعضه ، ما استقلّ شيئاً من أقسامه ، ولا أيأسُ فيك من عُقْبى الأيام ، وحسن مراجعة الدهر حتى يكون هذا الذي حدث بيننا من ظلم وعتب منك نافياً

= ١٥٠ هـ ، ونكب مع البرامكة عام ١٨٧ هـ وكانت له توقيعات جيلة ، وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس . قالوا في وصف حديثه : « جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة » .

(١) هو سليمان بن وهب بن سعيد عمرو الحارثي الوزير ، كان من كبار الكتّاب من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق ، ولد ببغداد وكتب للمأمون وهو ابن ١٤ عاماً ، وولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه للموفق بالله فحبسه فمات في حبسه عام ٢٧٢ هـ ، وله (ديوان رسائل) ، وكان من مفاخر عصره أدباً وعقلاً وعلماً ، ولأبي تمام والبحتري مدح به وبأهله .

(٢) ج ق ـ أتصفح .

لكل وحشة ، ومؤكداً لكل ثقة ، فلست فيما أنكرته بواجد[1] ، ولا الفضل في أخلاقك وشيمك بمستغرب .

لابن ثوابة أيضاً

وله : فإن رأيت أن أصفح[2] مستأنفاً ، كما صفحت متقدّماً ، وتتفضل عائداً كما كان الفضلُ منك بادئاً ، فإني قاطعٌ كلَّ سبب إلاَّ ما وصلني بك ، وتاركٌ مكاتبة الناس جميعاً إلاّ مَنْ أجرى لي ذكراً عندك ، واستدعى إحساناً ورِفْداً منك .

لمحمد بن مكرم

لمحمد بن مُكرم : وخاتمةُ الأعذار بيني وبينك صدقي إياك عما عندي أنك لا تُحدث نَبْوةً ، إلاّ أحدثت لي عنك سَلْوة ، ولا يزدادُ أملي في إثابتك ضعفاً ، إلاّ ازدادت مُنّتي في قطيعتك قوةً ، حتى لا أقبل العُتبى ، ولا أختار المراجعة ، وحتى يُسلمني لليأس منك إلى العزاء عنك ، فإنْ تَرْعَ فصفح لا[1] تثريب فيه ، وإن تماديت فهجر[3] لا وصل بعده والسلام .

لمحمد بن مكرم أيضاً

وله : ما زالت نيّتي وسريرتي الحِفاظَ الحرَّ ، والوفاءَ المرَّ لإخواني عند النكبات كما قال حمَّادُ عَجْرَد[4] :

أنا عبدُ الوفاء لا أطلب الدهرَ من الرقّ ما حييتُ فَكَاكا
وصل اللهُ لك بالصُّنع صُنعاً ، وبالمزيد مَزيداً

---

(١) واجد : غاضب .

(٢) ج ق - فتصفح فلا . التثريب : التقبيح .

(٣) ج ق - فتهجر فلا .

(٤) هو أبو عمرو وقيل أبو يحي حماد بن عمر بن يونس المعروف بعجرد ، شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية ، ونادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، ويقول ابن خلكان في الوفيات ١٦٥/١ : « وحماد عجرد من الشعراء المجيدين وبينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة » توفي حمّاد عام ١٦١ هـ .

للبصير

البصير[1] : من ذممت عهدَهَ ، واستقصرتَ فعلَهُ ، أو لبسته على التجاوز له عمّا أنكر فأنت الأخُ المرضيُّ إخاؤه ، والمحمودُ عندي بلاؤه ، المخالطُ أمري بأمره ، في عُسره ويُسره ، الباذلُ ما لا أسأله ، والحاملُ لي على نفسه فوق ما أحمله ، ومن لا يُخلفني عدّة المثابرة عليه ، ويخلٌ بموضعي عند إغبابي[2] إياه .

[٣٨ أ]
للبصير أيضاً

وله : فأما من احتج في إساءته وأغضبه على أخيه أن يستعتبَهُ / فقد جعل العقلَ خصمَه ، وظلمَ الإخاءَ حقَّه ، وما ساهلناك فيه ، أو حادثناك إياه فلفرطِ الضَّنِّ بك ، والمحاماةِ عن ودِّك ، والله يَقيني فيك ، ويدفع لي عنك .

شاعر :

وإذا ينوبُك والحوادث جَمَّةٌ ... حدثٌ حَداك إلى أخيك الأوثقِ[3]

طلب إخاء

كتب عُمَارة بن حمزة[4] إلى محمد بن زياد الحارثي يطلب إخاءه[5] :

أما بعد فإنَّ أهل الفضل في اللُّبِّ ، والوفاء في الودّ ، والكرم في الحق لهم من الثناء الحسن في الناس لسانُ صدقٍ يُشيد بفضلهم ، ويُخبر عن صحة

(١) ورد ذكره في رسالة (مثالب الوزيرين) لأبي حيّان التوحيدي ٢٦٦ .

(٢) أغبّ الزائر القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ومنه : « فلان لا يُغبّنا عطاؤه » أي لا يأتينا يوماً دون يوم بل يأتينا كل يوم ، وأغبّته الحمى : أخذته يوماً وتركته آخر .

(٣) حدا يحدو حدواً وحُداءً وحِداءً الليلُ النهار ، تبعه ، وحدا الريح السحاب : ساقته .

(٤) هو عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، كاتب من الولاة الأجواد الشعراء الصدور ، كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره ، وكان من الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين . وفيه تيه شديد يضرب به المثل : « أتيه من عُمارة » . وله (ديوان رسائل) و (الرسالة الماهانية) و (رسالة الخميس) ، توفي عام ١٩٩ هـ .

(٥) ج ق ـ أخاه .

ودّهم ، وثقة مؤاخاتهم ، فتجوز لهم بذلك رعيّة الإخوان ، وتُصطفى لهم سلامة الصدور ، وتُجتنى لهم ثمرة القلوب ، ولقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك ، وبين الناس طريقةً محمودةً نُسبت إلي مرتبها في الفضل ، وجَمُل بها ثناؤك في الذكر ، وشهدَ لك بها لسان الصدق ، فعُرفتَ بمناقبها ، وَوُسِمْتَ بمحاسنها ، وأسرع إليك الإخوان بمحبتهم مُسْتَبقين ، وبرغبتهم فيك متقاطرين ، يَبْتَدرُونَ[1] ودّك ، ويَصِلُون حبلَك ، فمن أثبت الله عندك وداً فقد وضع خلته عندك موضع الحِرْز والثّقة ، وملأ به يديه من أخي وفاءٍ وصلة ، واستنام بك إلى شِعبِ مأمون ، وعهدٍ محفوظ ، وصار مغموراً بفضلك عليه في الود ، يتعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ، ويتطلب منه ما لا يلحق ، ولو كنت لا تؤاخي إلاّ من كان في وَزْنك ، وبلغ من الخلال مَبْلغَ حدّك ، ما آخيتَ أحداً ، ولكنتَ من الإخوان صِفْراً ، وقد رأيت أن آخذ بنصيبي من ودّك ، وأصِلَ وثيقةَ حَبْلي بحبلك ، وعلمت أن تركي ذلك غبنٌ ، وإضاعتي إياه جهل .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله : غير أنّي إنْ كنت مقصّرَ القوة ، فلست بمقصّرِ النيّة ، وإن كنت مقصّر الرأي ، فلست بمقصّر الرغبة .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله أيضاً : أما بعدُ فإن خير الإخوان من عَظُمَ حِلْمه ، وحَسُن لفظُه ، وشرُّهم من عجلتْ بادرتُه ، وساءتْ مقالتُه ، وقد عرفنا فضلك ، وعدنا إلى موافقتك ، فَصِلِ الأول من طَوْلك ، بالآخر من مراجعتك .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله : [لا تكن] كمن يرى الْحَسَن من نفسه ، ويتغابى عن الجميل من غيره ، وإني المأمونُ اليوم في إخائه ، المداومُ لمن عاهد بوفائه ، والغالبُ على الأكثر مَلَقُ النطق ، والتلافي بالظنون .

---

(١) بدر إلى الشيء بدوراً وبادر إليه مبادرة : أسرع وبدر إليه وبادره وابتدره : عاجله .

لابن المقفَّع

ابن المُقفَّع[1] : أما بعدُ : أصلحنا الله وإياك صلاحاً دائماً يجمع لنا ولك به الفضيلة في العاجلة ، والكرامة في الآجلة ، فإني لا أعرف أمراً أعظم عند أهل منفعةٍ من أمر ترك ذكره لفضله ، ولا أعلم أمراً أحقّ بأن يستغني أهله بفضله عندهم عن ذكره فيما بينهم من أمرٍ أوشج[2] الله بيننا وبينك في الدنيا أسبابَه ، وثبَّت حقوقه ، وعظَّم حرمته فأبقى الله لنا ولك ما أحرزه بيننا وبينك في الدنيا حتى نكون إخواناً في الآخرة حين تصير الخلَّة عداوة بين أهلها إلاَّ خلَّةَ المتَّقين .

من رسالة لكاتب

كاتب : لا تجمعنَّ دعوى السَّراة ، وتكبُّر الولاة ، وتحكم القضاة .

من رسالة لكاتب

كاتب : لا تدعوكَ قوةُ ملكك لفضلك في صلة إخوانك إلى استصغار ما يتخلصون إليه من صلتك ، فإنك إن قايستهم بتفضلك عليهم قلَّ كثيرُهم في جنب ما يأتيه إليهم .

من رسالة لكاتب

كاتب : إنا ـ حفظك الله ـ لو كنا قطعناك ثم كافأتنا بقطيعتك إيانا ما كان لك أن تُفْردنا بالذنب دون نفسك إذ صرت فيه نظيراً ، لأنك أنكرت علينا ما ركبته ، وطلبت منا ما تركته ، وقد علمت أن المكافئ لم يدع وراء ما فعل ، ولا يستوجب تقاضي ما جهل ، فاحكم لنا عليك بمثل ما تحكم به علينا لك .

لجرير بن يزيد

جرير بن يزيد[3] : أما بعدُ : فإنه لولا خلق الله له الناس من تقلّب

(١) هو عبد الله بن المقفّع إمام الكتّاب والمترجمين ، وواضع أسس الكتابة الفنية ، ولد عام ١٠٦ هـ ، وقتل في البصرة عام ١٤٢ هـ . ومن آثاره المشهورة : « كليلة ودمنة » و « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » و « اليتيمة » .

(٢) ج ق ـ أرسخ ، وشجت : اشتبكت ، وأوشج : شبك وألف وخلط ومنها : رحم وشيجة : مشتبكة متصلة .

(٣) ورد ذكره في كتاب الحيوان للجاحظ ٨٤/٧ ، وفي البيان والتبيين ٢٠٦/٣ .

قلوبهم ، وتصرُّف حالاتهم ونيّاتهم واختلافهم ، لَمَا تشعَّبوا من أصلهم ، ولا ائتلف منهم اثنان بعد تشعبُّهم ، ولا بدَّ فيا يحدث بين الناس من علل الوحشة ، وأسباب العداوة والفُرقة ، ويجري بينهم من المودة ودواعي الصلة من سابقٍ ومسبوقٍ ، وداعٍ ومُجيبٍ ، فسابقٌ إلى قطيعة يجتني بها من صاحبه الوحشة ، ومبتدئٌ بصلةٍ يجتلبُ بها من صاحبه الثقة ، ويزرع بها في قلبه المِقة[1] ، وقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما حرَّكني لودّك ، ورغَّبني في خلّتك ، ودَعاني إلى طلب فضلك ، فأجبت دعاءك إلى الصلة والملاطفة بما أحسستُ لك من الثقة ، وحدث لي فيك من الرغبة ، فاقبل ما بدا لك من ودّنا ، وأحسنِ الإجابةَ إلى ما دعوناك إليه من إخائنا ، واتبعْنا بإحسان إذ كان الابتداءُ منا ، فإن المجيبَ إلى الجميل شريكُ الراغب فيه / وإن المكافِيءَ به شكلٌ لِمُسْديه ، ولا تكرهنَّ أن تكون لنا إذ دعوناك مُجيباً ، وإذ سبقناك بالفضيلة تابعاً ، فإنّا قد أحسنّا إجابة فضلك ، واعلم أنك لو كنت سبقتنا إلى الصلة ، وتقدمتنا إلى الرغبة ، وطلبت فضلنا عليك بالمودة كنت بذلك للطَّوْل أهلاً ، وبه جديراً ، لأن مثلَك في فضلك عطفَ نفسه على نفسه ، ومثلَنا رَغِبَ في صلته .

[٣٨ ب]

للحسن بن وهب إلى أبي صالح

الحسَن بن وَهْب[2] إلى أبي صالح : لولا اتّكالي عليك ، لكثرتْ كُتُبي إليك ، وإذا استحكمت الثقةُ نقص البِرُّ ، لما يدخل النفوس من الكسل عن العمل ، والاسترسال إلى الاتّكال .

جواب أبي صالح

فكتب إليه أبو صالح وكتب في آخره :

يا مُشفقاً حذراً على ودّي له ... كُنْ كيف شئتَ فإنني بك واثقُ

(١) ومقه يمقُه وَمْقاً وَمِقَةً : أحبّه فهو وامق وذاك وميق وموموق .

(٢) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين كاتب وشاعر ، كان معاصراً لأبي تمّام وله معه أخبار . مات عام ٢٥٠ هـ .

من رسالة لكاتب

كاتب : صمتتْ مخاصمةُ نفسي لك بلسان عذرك ، فأنا وكيلُك على ماأصلح من قلبي لك ، وأمينُك على القيام على نفسي بحجّتك .

لسعيد بن حميد

سعيد بن حَميد[1] : أنا ـ جُعلتُ فداءَك ـ أعتذر إليك بالشغل ، وأعذرك به ، وأرى أن من سلمت نيّتُه ، وصحّت علانيتُه ومودّته ، لم يقدح في الثقة به ، ولم يكن في تأخير كتبه ورسله مايُزيلُ إخاءه عن عهد ، والله يديم نعمه لك ، ويقدمني قبلك .

لحمد بن مهران

حمد بن مهران : وأما فلان فهو والله النفيسُ وُدّاً ، والوفيُّ عَهْداً ، والبعيدُ من الأذى ، الصافي من القذى ، المتوطئُ سرّاً وإعلاناً في إعظامك ، وشكر إنعامك ، والابتهاج بأيامك ، وأكره حثّك على زيادته فيكون قدحاً في رعايتك الذمام لأهله ، وسوء ظن بما توجبه لمثله ، وكتابك إذا ورد آنسَ وسرَّ ، إلى أن نستغني بالنظر عن الخبر ، وعن التكاتب بالتزاور .

من رسالة لكاتب

كاتب : تفضلُك يا أخي ـ أدام الله عِزَّك ـ في وقتٍ يتظاهر عليَّ ، وبرّك يتوالى ويتضاعف لديّ ، وإن كان شكري دون ما تستحقه ، فقد جلَّ ماأوليتنيه عن الشكر ، وأنت الذي بلَّغتَني ماأردتُه ، وأوطأتني خدّ الزمان على قَسْر ، وما زلتُ ـ يعلمُ الله ـ قبل المشاهدة ، أعِدُ نفسي منك بجميل المساعدة ، وعظيم المعاضدة ، ثم وقع الالتقاءُ فصدق مخايل الفراسة ، وبيَّن آثار النَّفاسة ، وقد ـ واللهِ ـ استخلصتني أخاً صادقَ الإخاء ، خالصاً من الأقذاء ، يتّصل شكره واعتداده ، وتدوم محبتُه ووداُده ، فإن كان سيدُنا عظيمَ الرعاية ، كثيرَ الإيجاب والعناية ، فالمنّة فيما ألفيته عليه من

(١) هو أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد كاتب مترسل ، من الشعراء ، أصله من النهروان الأوسط من أبناء الدهاقين ومولده بغداد ، قلّده المستعين العباسي ديوان رسائله . أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة ، وشعره رقيق ، وكان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة . توفي عام ٢٥٠ هـ .

ذلك لك ، لأنك جددت ما درَس ذكرُه ، وأحييت ما تقادمَ عهدُه ، ووكّدت اليد عند من تنمى عنده ، وأنا أسأل الله أن يُعلي يدك بالمكارم والفضائل ، ويبسطها بالعُرْف والنائل ، ولا يُخليك من جميل أقسامه ، وجزيل مواهبه وإنعامه ، ومهما شككتُ في شيء أو ارتبتُ به فما يتخالجني[1] شكٌ ولا ارتيابٌ في أنه لا مزيد في نيّتك ، ولا عناية فوق عنايتك ، وإلى هذا اليقين قد سكنتْ نفسي ، وبقوة الأمل فيك قويتْ مُنّتي ، وبحمايتك إياي استدركني ، وبإزالتك ما أحذر زالت الفكرةُ عني ، فلا أعدمنيك اللهُ ، وبلّغك أمانيك ، وبلّغني غاية المحابّ فيك .

شاعر :

وحشة الدار

أجيرانَنا ما أوحشَ الدارَ بعدكم   إذا غبتمُ عنها ونحن حُضُورُ

من رسالة لكاتب

كاتب : أنا أخوك المشاركُ لك في نعمتك الذي - يعلم اللهُ - إنك تضعه بحيث يريد لنفسه من قلبك ونظرك ، وأنت الذي لا أستزيد ولا أحتاج إلى كدّه لاكتفائي بعفوه وحسن ظني به لمن ليس مثلي من أهله .

من رسالة لكاتب

كاتب : قد فتحت عليّ بابَ المعتبة ، وأحوجتَني إلى أن أغلقه عني بالمعذرة والحجّة ، وكلّفتَني من ذلك ما لم يكن لي خُلُقاً ولا عادةً ، ورأيتك عجلت فقبلت صيغة لسان كاذب ، واستعملت مقالةَ بائر فاجر ، فاستمع وأنصف ، ولا يذهبنّ بك هوىً مُسرف ، ولا يغلبنّ عليك شيء سبق إلى أذنٍ أو قلبٍ ، فليس لك أن تغفل ولا تتغافل ، ولا تجعل توهماً كحق ، ولا يقيناً كشك .

من رسالة لكاتب

كاتب : أنا من الشوق إليك على ما يستوي في العجز عن وصفه

---

(١) تخالج في صدره شيء : شك فيه .

الخطيب المِصْقَع[1] ، والعيّ الْمُفْحَم ، وحقٌّ لمن فقدك ألا يقنع ، بغيرك ، ولا يسكن قلبُه دونك ، لأن الله جعلك صفواً لا كدَرَ فيه ، ووفاء لا غَدْر معه ، فأمّا ما ذكرت مما توجبه لي وتتحرّاه فيَّ ، فتفضُّلك الذي سبق استيجَابي ، وبرُّك الذي تقدم استحقاقي ، وحقيقٌ من جمع اللهُ له خصال الفضل ماجمع لك بربِّ[2] معروفٍ أسداه ، وإتمام جميلٍ ابتداه .

من رسالة لكاتب

كاتب : لو اعتصم شوقي بمثل سُلُوّك عن صلتي ، لم أبتذل لك وجه الرغبة فيك ، ولا تحسَّيت مرارة تماديك ، ولكن استَخفَّتْني صَبَابةٌ إليك ، فاحتملتُ صعبَ قسوتك ، لعظيم قدر مودتك ، وأنت أحقُّ من انتصر لصلتي مِنْ جفائه ، ولشوقي مِنْ إبطائه .

لإبراهيم بن المدبّر

[١٣٩أ]

إبراهيم بن الْمُدَبِّر[3] : ذكرتَ - جعلني اللهُ فداءَك - خوفَك إملالي ، والزيادة في إشغالي بكثرة / كتبك ، فأقول أخي قدمت قبلك ، لم أُرزق فيما قلته عدلك ، هل يملُّ الروح جسده ، والجسدُ جوارحَه ، والجوارحُ سلامَتها ، والسلامةُ دوامَها ؟ ظلمتني عفا الله عنك ، فأما الشغلُ فيك ولك ، فإنه غيرُ منقطع بذكرك والفكر فيك ، والشوق والنزاعُ إليك ، والخوضُ والإفاضة في محاسنك ، والله وليٌّ جمعنا سريعاً بما هو أهلُه ، وقد كان والله قلبي شديد التَّطلُّع إلى ورود خبرك ، وعلم وصول كتابي إليك لما كان يتصورُ لي من ابتهاجك به وأُنسك بقراءته ، قياساً غيرَ فاسد على موقع كتابك مني ، وجلالته في نفسي ، واغتباطي به ، وسكوني إليه ، وسروري به ، فالحمد لله الذي تفضَّل من ذلك بما هو أهله ووليّه .

---

(١) المصقع : البليغ ، العالي الصوت ، من لا يرتج عليه في كلامه .

(٢) ربَّ : جمع وزاد ولزم ، وربَّ الأمر : أصلحه .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبّر ، وزير من الكتّاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد استوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر عام ٢٦٩ هـ ، وتوفي ببغداد متقلداً ديوان الضياع للمعتضد عام ٢٧٩ هـ .

لإبراهيم بن المدبّر أيضاً

وله : إني ـ لا أفقدني اللهُ فائدةَ ودّك ـ لَمَّا فقدت ما كنت تطالعني به من كتبك التي كانت مُنتزهات بصري ، ومراتعَ لُبّي ، ومسارَّ قلبي ، وكنتَ لا تُخليني منها ، مُبتدئاً أو مُجيباً ، ولا تحوجُني إلى التحريك فيها مستطباً أو مستزيداً ، أعملتُ الفكر في ذلك فقلت : أجفوةٌ ؟ فكيف يجفُو من ليس الجفاءُ من طبعه ، أم نَبْوَةٌ ؟ فكيف ينبُو الشَّكْل عن شَكْله ، أم شغلٌ ؟ فهلاً جعلني من شغله ، أم عِلَّةٌ ؟ فكانت أحْرى للنادرة بخبره ، أم فرطُ ثقة منه بي ؟ فذلك لَعَمْري أشبهُ به ، فلما كانت هذه الخلَّة أثبتَ في الوهم ، وأغلبَ في الظنّ سَكَنَتْ نفسي إليها ، وأتت مع سكونها إلاَّ ماعودتها من النعمة بالمكاتبة ، والإيناس بخبر السلامة .

لسعيد بنَ حميد

سعيد بن حَميد : ولكنك ـ واللهُ يتولى عونَك ـ لا تضعف عن حقٍّ وإنْ عَرضتْ دونه العلل ، ولا يتسهَّل لك سبيل إلى التقصير وإن سهَّلها العُذْر .

لسعيد بن حميد أيضاً

وله إلى محمد بن عيسى : فأمَّا الوحشةُ لفراقك فعلى حسب الأنس بقربك ، والسرور بمكانك ، وما وهب اللهُ منك لإخوانك فإنك بحمد الله ممن لا يدخر بودهم مودّة[1] ، ولا ينفردُ عنهم بنعمة ، ولا يُؤْثِرُ نفسَهُ عليهم في فائدة ، ولا يُسلمهم عند ثُلْمَةٍ[2] ، ولا يُخليهم من محافظة ورعاية ، ولا أدري أأدعو لك بدوام الحال التي أنت فيها فأعقّ نفسي ، وأوثر برّك ، إلاَّ أنني أسألُ اللهَ أن يُحسن لك الاختيار حيث استقرَّتْ بك الدارُ ، وتصرفت بك الحالُ ، وأن يَقِيَنا فيك نوائبَ الأقدار ، وحوادثَ الأيام ، بمنِّه وطَوْله .

---

(١) ج ق ـ عنهم بوده .

(٢) ثَلم الحائط وغيره ثَلْماً : أحدث فيه خللاً ، وثلم الإناء : كسره من حافته . ومن المجاز : « هذا مما يكلم الدين ، ويثلم اليقين ، وموت فلان ثلمة في الإسلام لا تسدّ » .

لسعيد بن حنيف

سعيـد بن حنيف : يـا سيِّـدَ أخيـه ، ومولى عبـدِه ، ونسيـجَ وحـدِه ، وقريعَ زمـانـه ، ومـالـكَ قلـوبِ إخـوانِـه ، أطـالَ اللّهُ بقـاءَك ، وقفتُ من رقعتـك ـ أعـزَّك الله ـ على مـا أذكرني الفراقَ قبـل وقتـه ، وعجَّـل لي الاستيحاش ولم يَحُنْ حِينُه ، وهيَّج ـ والله ـ عليَّ أحزانـاً قـد كان متقـادمُها دفيناً يُرجى زوالُه ، فعـادَ مكينـاً يُخْـذَرُ استفحـالُه ، وأخطرَ ببـالي ذكرَ أبياتٍ ودَّعتُ بهـا أخـاً فـارقنـا مرتحلاً من طرسوس إلى الرملـة ، وكان كثيرَ الإخوان ، فودعه كلُّ مَنْ شيَّعه من المنـادمين بكلامٍ منثورٍ ، وشعرٍ مـأثورٍ ، ونحن إذ ذاك أحداثٌ وأترابٌ فكتبتُ إليه :

أبـا بكرٍ لئن صَرَفَتْـكَ عنَّـا ... تصـاريفُ الحوادثِ والـدُّهُـورِ
لقبلـكَ نحنُ للشـام ارتحلنـا ... وإن كنَّـا أقمنـا بـالثُّغـورِ
فلم نرحـلْ بـأنفسنـا ولكن ... بمَحْضِ الشَّوقِ عن مُهَجِ الصُّدورِ
فَقَـدْتُ بفقـدك الـودَّ المصفَّى ... وأخـلاقـاً تكشفتْ عن بُـدُورِ
أُشيِّعـه إلى سَفَرٍ كأنّي ... أُشيِّـعُ والـديَّ إلى القُبُـورِ
ومـا ودعتُـه إلاَّ ونفسي ... تـودِّعني بتـوديـعِ السُّرورِ
ولا أتبعتُـه بـاللحـظ إلاَّ ... رَدَدْتُ اللَّحْظَ عن طَرْفٍ حَسيرِ
أُدافـع عن مفـارقَتِه جهـدي ... وكيف دفـاع مقـدُور الأمـورِ
وكان الشهرُ قبـل اليـوم يـومـاً ... فصـار اليـومَ بعـدك كالشُّهـورِ
إذا مـا الليـلُ أخلصني محبّـاً ... وأسلمني إلى طَرْفٍ سَهُـورِ
أُنـاجي فكرةً أدنـو وتنـأى ... وتنطـقُ حين أسكتُ عن ضميري
تسافرُ وهي لوصدقت منـاهـا ... تمنَّت صـدق هـا ذاك المسيرِ
إذا لم أستطعْ بـالـدمع حُـزنـاً ... على يـوم الفراق فمن مُجيري ؟
أمـا حكم قضى حكم افتراقٍ ... على جمـع الأحبَّـة بـالقَـديرِ

لأحمد بن سعد

أحمد بن سعد : ومهما أنكرت على نفسي ثباتاً على عهدك ، ومقاماً على طاعتك ، تحسن لي القبيح من فعلك ، وتتخطَّى بي في مقابلة العَتْب إلى العُتْبي ، والسُّخط إلى الرِّضا ، وتقرب عندي من أسباب عذرك ما بَعُد ، وتوضِّح من غامضه ما أشكل ، حتى إذا أغناني الإنصافَ منك لم تَنُبْ عنك منزلةُ الاعتراف التي تقتضيك الصفحَ عن الذنب ، فكيف البراءة والعذر / [٣٩ ب] فإن كنت محقّاً فالحجَّةُ معي ، وإن كنت جانياً فهذا عُذري .

وله : فكيف صرت تعذرُ نفسك وتعذلُني ، وتُعفيها وتطالبني ، وكان الحقُّ عليك في تعهدي أوجبَ منه عليَّ لفراغك وشغلي ، وتمهلك وعجلتي ، واستقرارك ووقاري ، وأنت تعلم أني لم أقرأ لك كتاباً إلاَّ هذا الكتاب المشحون بالعتاب ، فإن شئت الآن أن تستعمل المساحة فإنَّما تخص بذلك نفسك ، وإن شئت أن تستقصيَ المحاسبة فما أراك تتعداها بالحجَّة إلى غيرك ، وجملة الأمر عندي بذلُ العتبى ، وَوَقْفُ نفسي على طاعتك .

كاتب : ووجدتُ استصغارَك لعظيم ذنبي ، أعظم لقدر تجاوزك عني ، ولعمري ما جلَّ ذنبٌ يُقاس إلى فضلك ، ولا عَظُمَ جرمٌ يُضافُ إلى صفحك ، ويعول فيه على كرم عفوك ، وإن كان قد وسعه حلمُك ، فأصبح جليلُه عندك مُحتقراً ، وعظيمُه لديك مُسْتصغراً ، إنه عندي لفي أقبح صُور الذُّنوب ، وأعلى رتب العيوب ، غير أنه لولا بوادر السُّفهاء ، لم تُعْرف فضائل الحلماء ، ولولا ظهورُ نقص بعض الأتباع لم يَبِنْ جمالُ الرؤساء ، ولولا إلمامُ الملمّين بالذنب لبطلَ تطولُ المتطولين بالصفح ، وإني لأرجو أن يمنحك اللهُ السلامة بطلبك لها ، ويُقيلك العثرات بإقالتك أهلها ، وما علمت أني وقفت منك على نعمةٍ أتدبرها إلاَّ وجدتُها تشتمل على فائدة فضل ، تتبعُها عائدةُ عقل .

رسالة لكاتب

كاتب : وفضل مُلك الإنعام ألزم[1] من مُلك الرّق ، ورقُّ الحر أفخرُ من رِقّ العبد ، والعبدُ يُعطيك طاعته طَوْعاً ، وقد حُزْتَ مني طاعة العبد بنعمتك ، وشكر للعتقِ بمنّتك ، ولا تزالُ دواعي الحِفاظ تقتضيني الكتابَ إليك بما انطوى عليه لك ، فأكتبُ إليك إذا كتبتُ متعهداً بالخدمة ، وأتركُ إذا تركتُ إجلالاً ومهابةً ، فإن أنزلتَ ذلك مني منزلته عندي جريتُ على سبيلي فيه ، فإن مثلت لي غيره صِرْت إليه إن شاء الله .

لسعيد بن حميد

سعيد بنَ حميد : ولو قلتُ إن الحق مُسْقط عني عيادتك لأني عليل بعلتك لصدقني الشاهدُ العَدْلُ من ضميرك ، والأبرّ البادي من حالي لعينك ، وأصحُّ الخبر ما حققه الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ من الفعل .

من رسالة لكاتب

كاتب : وحضرتُه في مواطن العفو والعقوبة ، فرأيتُه لا يتوخّى لعفوه إلاّ من يرجُو نزوعَه عن الذنب ، ولا يتجاوزُ بعقوبته إذا عاقب قدرَ مبلغ الجرم ، ولا يؤاخذ بالإساءة من لم يتعمدها ، ولا يحرم العائدة من استحقها ، قد شاورتُه في أُمور ، فجمع لي العلمَ والنصيحةَ ، واستعنتُه على دهري فجمع لي لُطْف المكيدة ، وبَسَالَةَ النَّجدة ، واستودعتُه سري فوليه بالحِفاظ والأمانة ، ووقفتُه على ما أهوى فحطَّ إليه بالاجتهاد والمُسَارعة ، وعرَّفته ما أكرهُ فأدبر عنه بالتَّوقي والهيْبَة ، ورأيتُه مضطلعاً بالنوائب ، صَبوراً على الحق الواجب ، مُحافظاً على الحقائق ، لازماً لعُرى الوثائق ، يقفُ عند الشُّبهة ، ولا يُخشى إقدامه قبل التثبُّت ، وأحزم عند المعرفة فلا يخاف بصنعه للتقدم بالحزم ، يتغابى عن كثيرٍ ممـا يكره من رأي الإخوان والخلطاء ، إمّا إغضاءً من كرم يكره التوقيف على التقصير ، وإمّا محاجزةً من أريبٍ يكره المكاشفة فلا يعجل إلى العتاب حتى ينظر في مواقع العذر ، ولا يلوم اللائمة حتى يبلغ غاية الفحص ، ورأيت أحبَّ الأمور إليه

(١) م - ألوم .

أوسطها ، وأخفَّ الحالات عليه أقصدهـا ، من غير أن يـدع الاستكثـار من الإحسان بجهده ، والتحفظ من الإساءة بمبلغ رأيـه ، لا غـايـة لحرصـه على اعتقاد الفصل ، ولا نهاية لرغبته في مجانبـة التقصير ، لا يستخفُّـه السرور ، ولا يضعضعه المكروه ، ولا تزدهيه الحاجة ، ولا تمهلـه الضرورة ، قـد قـدّر أموره على الصدق ، ونزَّهَ نفسه عن الكذب ، مُعظماً لكل ما يُسدى إليـه من الجميـل ، مُجتهـداً لنفسـه في أداء مـا يجبُ عليـه من الشكر ، لا يقتصر من المكافأة على السواء دون أن يتجـاوزه إلى الإفضـال ، لا يُتبع صنيعتَـهُ منّـاً ، ولا يلتمس منها عِوَضاً ، ولا يُلْزِم أهلها بها مكافأةً ولا شكراً ، إنَّما غايتُـه في الإحسان احترازُ الفضل ، واكتسابُ الحمـد ، واحتسـابُ الأجر ، قـد حطَّـه التدبيرُ عن التبذير ، ورَدَعَه الجورُ عن التقدير ، فهو الذي لا تجـاوزه همَّتُـك في فضل ، ولا يقصر عنـك رأيـك في اختبـار ، بل أعظم الحـاجـة إليـه من إخوانك ، وعندهم به أعظمُ الغنى / عنك في نوائب دهرك ، وتنقُّل الحـالات بك ، قد كفيناكَ خبرتـه ، واعتقـدنـا لـك إخـاءه وثقتـه ، فـالقـه بـألطفِ بِشْرك ، وأحسنِ قبـولـك ، واخفضْ لـه كنَفَـك ، وأخلص بينـه وبينـك مودّتك ، واسترسل إليه بذات نفسك ، واسكُنْ إليه بمكنُون سرِّك ، وأدْخِلْـهُ معـك في مُهمِّ أمرك ، فـإنـك تبلغ بيسير خلطتـه من معرفـة فضلـه ، وكرم إخائه ، وصحة وفائه ، ونُبل رأيه ما يكتفي به دليلاً على كل مـا تحبّ علمـه من أمره .

[٤٠ أ]

لكلثـوم بن عمرو العتّابي

كلثوم بن عمرو العتَّابي كتب إلى ريطة عن حفصةَ ابنته :

إنَّ أول حـاجتي إليـكِ أن تتـدبري كتـابي إليـكِ تـدَبُّرَ إنصـافٍ ، ثم تُجيبنني عنه جوابَ متثبّتٍ ، فإنَّ أخفى الْجَوْر جَوْرُ الاستماع ، وأنفعَ العدل عدلُ الجواب ، وليس فيما بين هاتين موضعُ قدم لواحدٍ من الأمرين ، وأصلُ

اختلاف العباد في جميع الأمور من علّتين : إمّا جهل بما يدّعون ، وإمّا جَحْدٌ لما يعرفون ، والجاهل بما يدّعي أرجى رَجْعَةً من الجاحد لما يعرف ، وإن كان لاعذرَ له في ترك علم ما يجهل ، كما لاعُذْرَ لأحدٍ في جحد معروف ، ولستُ أدري إذا ناضحت حجّته أيّ حاليْه أوْلى بالتعانيف ، أجَهْلُه من جميلٍ كنتُ أفعلُه ؟ أم جحدَه بعد تعريف وتوقيف ؟ وما اقتصرت بك على أدنى حال الإنصاف ألاّ أكون راجيةً أن أجدك في أفضلها ، ولكني نهضتُ إلى الانتصاح من لا يميل بواضح يُغنيني عن شبه المعاذير ، ولم آمن مع ذلك أن تظنّني أني إلى مشكلات الأمور مضطرةٌ ، ولم أكن لأقدم الوهن ، وأخلف القوة ، ومع ذلك فإنّ من الحق ما يُخْبِئُ نارَ اللجاجة ، ومنه ما يُذكيها ، فأتيتك من أقرب مأتاكِ ، فلا يكونَنَّ ما أفدت به رضاك علةً لمنعه فإن هذه التي انتصلت علتها قبل اللجاجة والأراجيف ابتدأت في مقارعة القطيعة والصِّلة ووقفت بينهما موقف المراهنة ، ولكِ ، أصلحكِ الله ، طَوْلٌ على العَتْب وعلى ذلّ الاعتذار ، فلا يطمسُ ذلك نورَ ما يرد عليكِ فإنّي أعتدُّ عليك خصالاً في كلّها ضُربت الأمثال منها قول أكثم بن صيفي : الجودُ بالمجهودُ مُنْتهى الجود ، وأنتِ تعلمينَ أن مجهودي كلّه كان لكِ ، ومنه قول النابغة :

إذا كان مجبولاً على النُّصح صاحبي عَفَا النصح عما زَلّ من حيثُ لا يَدْري

وما استزدتِني نصيحة قط ، ولا اتّهمْتِني على غش ، ومنه قول طَرَفة :

مالي إليك شفيعٌ أستعينُ به إلاّ رجائي وإفراديك بالأمل

وما استبطأتكِ في أمرٍ قط ، ولا أشرتُ بأملي إلى سواكِ ، فأيُّ مدخلٍ للتهمة مع هذه الحال ، وإن أجمع لصفةِ ما بيننا كقول الأعشى :

وما تفيأتُ من سرورٍ فتمّ إلاّ بكم سُروري

هذه أعيانُ وسائلي التي نافرتُ إليها عَتْبَك ، واستعفيتُ من جحدها علمك ، فأما ما يأخذه التخلُّق ويكون مثله على بعض الإخوان من بعض الشبهة من إيثار الهوى ، وتحرّي للموافقة ، والصبر على الجَفْوة ، فذاك الذي إن ضرب لي سهم في إنصافكِ فقد ينال ذلك بأقلّ مما كنت تدّعينَهُ ، وأمّا الغَيْبَةَ فيا بيني وبينكِ ، فقد أمكنكِ من ذلك الاعتدادُ به ، ومحاكمتكِ إلى ما هو أرجى منه .

من رسالة لكاتب

كاتب : واعلم أنَّ الشجر يتفاضل في الثمر ، فربَّ شجرةٍ طيبةِ الْحَمْل قليلتُه ، وأُخرى خبيثةِ الحمل كثيرتُه ، وكذلك العُلماء ، فلا يمنعك من عالم قلةُ علمه إذا كان نافعاً ، ولا يَدعونَّك إلى عالمٍ كثرةُ علمه إذا كان ضارّاً ، وعليكَ بحسن الاقتباس ، والصبر على الناس ، فإنك إن كنتَ لا تصحب إلاَّ المهذَّبين من أهل العقول ، ولم تصبر من الناس على الفضول ، عدمتَ الحِلْم ، ونسيتَ العلم ، واعلمْ أن في الناس حكمة ، ومجالستهم تجلو بعض الظلمة ، فاحتملهم على المخالفة وتمويه المصادقة ، واقتبس منهم المحاسن ، وتجافَ عن المساوئ ، واعلم أن الأخلاَّءَ ثلاثةُ أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل ، فأما الفرعُ البائن من أصله فإخاءٌ بُنِيَ على مودّة ثم انقضت فحافظ على ذِمام الصُّحبة ، وأما الأصل المتصل بفرعه فإخاءٌ / أصله الكرم ، وأغصانه الهوى ، وأما الفرع الذي ليس له أصل فالمموّه الظاهر الذي ليس له باطن ، ولهذه الصنوف علامات تدلُّ عليها هذه الحالات .

أصناف الأخلاء

[٤٠ ب]

أنواع الإخوان

ومن الإخوان كالجوهر ، منه مموّه مَصْنُوع ، وبعضُه خالصٌ مطبوع ، فاعْرِفِ الرجالَ بالْخَبَر ، كما تسبر الجوهر بالبَصَر ، واعلم أن ثِقات الإخوان ، بقدر ما يستوجبون من الائتمان ، فإن ميزان الكرام عادل ، وصَاعَهم كامل ،

يوفّيان الحالات فروضها ، ولا يَبْخَسانها حقوقَها ، فلو بلغت لرجل فوق قسطه في الإخاء خفّت على ذي الفضل ، أو قصّرت بآخر عن الوفاء ، وأزرت بأهل العدل ، واعلم أن لأهل الفضل حظوظاً مقسومة ، ومنازلَ معلومة ، بعضُها أشرفُ من بعض ، ولكل منزلةٍ حِمَاها ، لهم الفعال فليست تصلح إلاّ لهم ، واعلم أن أبناء الكرام بمنزلة سيل الغمام ، يُنسبون إلى الكرم مالم يبلهم الخبر ، كما يُنسب الغَيْثُ إلى المنفعة مالم يُبْدُ له ضرر ، فإذا بلوا حُمد المحمود ، وذُمَّ المنكود .

لأبي الربيع

أبو الربيع[1] : ما إن بلوتُ أحداً إلاّ ردَّني إليك ابتلاؤه ، ولا قفوتُ أثراً إلا عطفني عليك اقتفاؤه ، ولئن امتحنتَ سريرة قلبي بالشكر على إحسانك ، كما امتحنت عزيمة رأيي بالصبر على حرْمانك ، لتهجمن بك شهود من ظاهر فعال على عيونٍ تُبصرُ بها باطنَ وفاءٍ ، وأن تحملني حفاظك ، وتلبسني ذمامك ، ويشتمل عليَّ وفاؤك ، وينفعني اليوم ما سلفت فيك بالأمس أكن وكيلاً لسمعك في قلبي ، وأميناً لعَيْنك عليَّ ، فإني خفيفُ المؤونة ، لطيفُ المعونة ، لا قابل غنماً ، ولا سائل[2] أكلاً ، ولا ساخط منك منزلة فُوَيْق العامة ، ودُوَيْن الخاصة ، مالم ترفعْني فوقَها ، وتوجبُ لي ضعفها .

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع أديب ، كان من رجال المعتصم العباسي ، ولد عام ٢١٨ هـ وتوفي عام ٢٧٢ هـ ، له تصانيف منها : (سلوك المالك في تدبير الممالك) .

(٢) ج ق ـ سأل .

من رسالة لكاتب

كاتب : مـا إن يكلفني على معروفـه من الثمن ، إلاّ الإقرار لـه بـالمِنَن ، وله عليَّ المِنَّةُ والنِّعْمَةُ ، والطَّوْل والحجَّـة ، فيا ترك وصَنَع ، وأعطى ومَنَع ، والله لقد بـذل فكان بـذلـه طويلاً يُرْبي على حقي ، ومَنَع فكان منعُـه أدبـاً يعطفني على حظِّي ، وعاتب فكان عتابُه تجديداً لنعمهِ عنـدي ، وتحضيضـاً على تقوية نيِّته في نَفْعي .

ليوسف بن القاسم

يـوسف بن القـاسم بن صبيـح[1] إلى محمـد بن زيـاد : حفظـك اللهُ وحاطك ، رأيتُك ـ أكرمـك اللهُ ـ في خرجتـك هـذه رغبتَ عن مواصلتنـا بكتبـك ، وإبـلاغنـا طيِّبَ خبرك ، وقطعتنـا قطـع ذي السلـوة ، أو أخي الْمَلّة[2] ، حتى كأنك كنتَ إلى مفارقتنا مُشتـاقـاً ، وإلى البعـد منـا تَوّاقـاً ، فوقع بعدك بحيث توخَيْت من جهتين : إحداهما حلاوة الولايـة ، والأخرى لذة الراحة ، فإن يكن ذلك كما رجمناه قاطعناكَ مُجْملين ، أو لبسنـاك على يقين ، وإن يكن إدلالاً بهدية أعددتها لنـا من نـاحيـة عملـك ، فليس قَـدْرُ الهـدايـا وإن كثُرت ، ولا الفوائـد وإن جلَّت احتمالَ لؤم الإخوان إذا كانت الهدايا إنما تُراد لهم ، والفوائد إنما تُنال بهم ، والمباهـاة بـأعراض الـدنيـا تؤثر بخلطائهم ، وما أدري ما أقولُ في اختيارك ترك المكاتبـة المحدِّثـة عن الغيب بالأسرار المكتومة ، والرسائل المعلومة ، والأمور المفهومة ، حتى كأنها محادثـة والحضور ، على تنائي الدور ، والقلوب بها مُشـاهـدة ، وإن كانت الأبـدان

(١) هو أبو القاسم يوسف بن القـاسم بن صبيح العِجلي بـالولاء كاتب ، من أهل سواد الكوفـة من بيت بـلاغـة وفضـل ، كان من كتّـاب بني أميـة ، ولمـا آلت الـدولـة إلى بني العبـاس استكتبه عبد الله بن علي (عم المنصور) فكان من خاصته . واستمر في خدمة العباسيين ، توفي عام ١٨٠ هـ .

(٢) رجل مَلَّة وذو مَلَّة : إذا كان يملّ إخوانه سريعاً .

مُتباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء ، لقد نمى عن الوفاء ، وقد أصبتك من مرارة العتاب بما لا يقيم بعده على قطيعة ولا جَفاء ، فلا تتوهمن أني أردتُ إعتابَك لعتابي ، ولا إزراءَك بكتابي ، فإن وصلتَ فمشكورٌ ، وإن قطعتَ فمعذورٌ .

للأحوص

الأحوص :

فإنّي للمودّة ذو حفاظٍ ... أواصل مَنْ يَهِشُّ إلى وصالي

للفضل بن عبد الرحمن الهاشمي

وقال الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي[1] :

لستُ أُصفي الودّ منّي فاعلمي ... من إذا راجعه حتى اعترضْ

كم سقيم الودّ قد أبرأته ... وعرفتُ الداء من عِرْقٍ نبضْ

آخر :

صون الودّ

عجبتُ لصون الودّ في مُضْمَرِ الْحَشَا ... لمن هو فيما قد بدا لي وَاتِرُ

ومن طلبي بالودّ تبلى ولم يكن ... لِيُدرك تبلاً بالمودة ثائرُ

لابن الدمينة

ابن الدُّمَيْنَة[2] :

ولقدمنحتك لوجزيت مودّةً[3] ... وخلائقاً ليست بذات غوائلِ

---

(١) هو الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شيخ بني هاشم في وقته وشاعرهم وعالمهم . وشعره حجّة احتج به سيبويه . توفي عام ١٧٣ هـ .

(٢) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد ، والدمينة أمه ، شاعر رقيق له شعر في الغزل والنسيب والحنين والفخر . وهو من شعراء العصر الأموي والعباسي قتل عام ١٣٠ . جمع ديوانه وطبعه محققاً الأُستاذ أحمد راتب نفاخ عام ١٩٥٩ م .

(٣) رواية الديوان ص ٧٠ : ولقد صحبتك .

لعبد الله بن معاوية

عبد الله بن معاوية :

أكافي خليلي مـا استقـامَ بـودّه — وأمنحُـــه ودّي إذا يتجنَّبُ

فـما الحِبُّ إلاّ من لـك ودُّه — ومن هو ذو نصحٍ وأنت مُغَيَّبُ

لكثيّر عزّة

كُثَيِّر :

وقد أصفيتُ سعدى طَريفَ مودَّتي[1] — ودام على العهد الكريم تَليدُها

آخر :

ودّ اللسان

لعمرُك ما ودُّ اللسان بنافعٍ — إذا لم يكن أصلُ المودّة في الصَّدْرِ

للأحوص

الأحْوَص :

وقد ثَبَتَتْ في الصدر منها مودّةٌ — كما ثبتَتْ في الراحتَيْن الأصابعُ

آخر :

ودّ مع الخوف
[٤١ أ]

لا خير في وُدِّ مَنْ تواصلُه — وأنت من ودّه على وَجَلِ /

آخر :

الودّ المضاعف

أيجزُون بالودِّ المضاعفِ مثلَهُ — فإنَّ الكريم من جَزَى الودَّ بالودِّ

لجميل بثينة

جميل :

إن المودة مني غيرُ زائلةٍ — عن حالها فقفي إن شئتِ أو سيري

للفضل بن عبد الرحمن الهاشمي

الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي :

فـإلاّ تجازيني بمثل مودّتي — فما أنا من حبٍّ بأول هالكِ

---

(١) ج ق ـ حفظت .

آخر :

أنّى تـــــودّكم نفسي وأمنحكم	ودّي وَرُبَّ محبٍّ غيرِ محبـــوبِ	محب غير محبوب

وللفضل :

لقـــــد أعطيتُكم ممنـــوعَ ودٍّ	وصفـــواً لم أُكــــــدرْهُ بِمَنِّ	للفضل بن عبد الرحمن

أنشد ثعلب :

ولقـد بلـوتُ النـاس ثم خبرتُهم	وعلمتُ مـا فيهم من الأسبــابِ	لثعلب
فـإذا القرابـةُ لا تقرّب قـاطعـاً	وإذا المـودّةُ أشبـكُ الأنســابِ	

آخر :

كم صـديـقٍ عرفتُـه بصـديـقِ	كان أحظى من الصديق العتيقِ	صديق المصادفة
ورفيــقٍ صحبتُـه في طريــقِ	صـارَ بعـد الطريق خيرَ رفيقِ	

وقال ابن دُرَيْد فيما روى لنا المرزباني عنه قـال حكيم : المودّة تعـاطف القلـوب ، وائتـلاف الأرواح ، وحنين النفـوس إلى مبـــاثّـــة السرائر ، والاسترواح[1] للمستكنّـات في الغرائـز من وحشـة الأشخـاص عنـد تبـاين الالتقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزاور . (لابن دريد)

بكر بن النطّاح[2] : (لبكر بن النَّطّاح)

بعثتُ إليـك نصـائحي ومودّتي	قبـل اللقـاء مشـاهــد الأرواحِ

---

(١) استروح : وجد الراحة .

(٢) هو أبو وائل بكر بن النّطّاح الحنفي شاعر غزل من فرسان بني حنيفـة من أهل اليمامـة ، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقاً سلطـانيـاً عـاش به إلى أن توفي عوم ١٩٢ هـ ، ورثاه أبو العتاهية بقوله :

مـات ابن نطـاح أبـو وائـل	بكر ، فأضحى الشعر قـد مـاتـا

للحارث بن خالد

الحارث بن خالد :

ووجدي بالأحبَّة يومَ بانُوا كوجد الصَّاد بالماء النُّقَاخِ[1]
وَوَجْدي دائمٌ وعَهْدي متينٌ ما يعودُ إلى انفساخِ

عتاب صديق

آخر :

ترى حُرّمت كتْبُ الأخلاَّء بينهم ابنْ لي، أم القِرْطاسُ أصبحَ غاليَا
فما كان لو راعيتنا كيف حالنا وقد دهمتْنَا نَكْبَةٌ هي ما هِيَا
فهَبْك عدوي لا صديقي فربما رأيت الأعادي يرحمونَ الأعاديَا

ترك المواساة

آخر :

وتركي مُواساةَ الأخلاَّء بالذي تنالُ يدي ظلمٌ لهم وعُقوقُ
وإني لأستحيي من الله أن أُرى بحالِ اتساعٍ والصديقُ مضيّقُ

أعرابي يصف

وقال أعرابي في وصف آخر : لسانه سلم موادع ، وقلبه حرب منازع .

لسويد بن منجوف

كتب سويد بن منجوف إلى مُصْعب بن الزبير :

فأبلغ مُصعباً عني رسولاً وهل يُلْقى النصيح بكلِّ وادِ
تعلَّم أن أكثر من تُناجي وإن ضحكوا إليك هُمُ الأعادي

للعنبري

العَنْبري[2] :

ما أبالي إذا حملتُ عن الإخوان ثقلي ودنتُ بالتخفيفِ
ورفضتُ الكثيرَ من كلِّ شيءٍ وتقنَّعت بالقليل الطَّفيفِ

(١) النقاخ : الماء البارد الصافي .

(٢) هو أبو عبد الله العنبري سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، قاض له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث ، سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة ، توفي في بغداد عام ٢٤٥ هـ .

ورآني الأنـــــامُ طرّاً بعيني زاهــدٌ في وضيعهم والشريفِ
كيف كانت حـــالي إذا كان لا يعرف ميلي الرجـــالُ من تثقيفي
أنـا عبـد الصـديـق مـا صَـدَق الـودّ وبعضُ الأقـوام عبْـدُ الرغيفِ

قال أبو العيناء : مودّة الكريم غِراس ، وشكرُ الشريف أحسنُ لباس . مودّة وشكر

شاعر :

تُـدلي بودّي إذا لاقيتني كـذبـاً وإن أغيب فأنت الهامزُ اللُّمَزهْ[1] الهامز اللمزة

آخر :

أعـــاذِلتي كَمْ من أخٍ لي أودُّه كريمٍ عليَّ لم يلـدْني والــدُهْ ربّ أخ لك
إذا مـا التقينَـا لم يريني وكـده ولكنني مُثنٍ عليــه وزائـــدُهْ
وآخرَ أصْلي في التنـاسب أصلُـه يُبـاعـدني في رأيـه وأُبـاعـدُهْ
يودُّ لو أنّي فقـدت أول فـاقـدٍ وأيضـاً أودُّ الـودّ أني فـاقـدُهْ

آخر :

إذا كان في صَدْر ابن عمك إحْنةٌ فلا تَسْتَثِرْها سوفَ يبدُو دفينُهـا استثارة الإحنة

طرَفة : لطرفة بن العبد

وصـاحبٍ قـد كنتُ صـاحبتَـهُ لا تَركَ اللهُ لــــه واضِحَــــهْ
فكلُّهم أروغُ من ثعلبِ مـا أشبـهَ الليلـة بـالبـارحـهْ

شاعر :

خيرُ الصديق من الصدوق مقالُه وكـذا شرّهُمُ الْمَنُـونُ الأكـذبُ مقال الصديق

(١) لمزه لمزاً : عابه ، وأشار إليه بعينه ونحوها بكلام خفي ، واللُّماز واللُّمَزة : العيَّاب للنـاس أو الذي يعيبك في وجهك ، والهُمَزة من يعيبك في الغيب .

فإذا غدوتَ له تريد نِجازَهُ   بالوعد راغَ كما يروغ الثعلبُ

آخر :

مغايظ أقوام

احذر مغايظ أقوامٍ ذوي أنَفٍ   إن المغيظ جهول السيف مجنون

آخر :

صحبة الأخيار

اصحب الأخيارَ وارغب فيهمِ   ربَّ مَنْ صاحبته مثلُ الْجَرَبْ

للحسن بن وهب

وقال الحسن بن وَهْب :

ما أحسنَ العفوَ من القادر   لا سيّما عن غير ذي ناصرِ
إن كان لي ذنبٌ ولا ذنبَ لي   فما له غيرُكَ مِنْ غافرِ
أعوذُ بالودِّ الذي بيننا   أن يُفْسَدَ الأولُ بالآخرِ

لابن عباس

قال ابن عبّاس : إنّ الذُّباب لَيَقعُ على صَديقي فَيَشُقُّ عليّ .

لابن سيرين

وقال ابن سيرين : لا تَلْقَ أخاكَ بما يكره .

لحبيب بن أبي ثابت

وقال حبيب بن أبي ثابت : ليس من الأخوة أن يُسِرَّ الرجلُ عن أخيه الحديث .

لأعرابي

وقال أعرابي : آخِ منيعاً يكنْ عدوُّك صريعاً .

لأعرابي

وقال أعرابي : الصاحبُ كالرُّقعة في الثوب فلينظر الرجلُ بما يرقعُه .

لبعض السلف

وقال بعضُ السَّلَف : شرُّ الإخوان مَنْ تتكلَّف له .

شاعر :

ابن العم جناح

وإنّ ابن عمّ المرء فاعلمْ جناحُه   وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناحِ ؟

لبعض السلف

وقال بعضُ السلف : روحُ العاقل في لقاء الإخوان .

لأعرابي

وقال أعرابي : اعتبرِ الناس بإخوانهم .

لمعن بن أوس

وقال مَعْنُ بن أوس :

ألا من لمـــولى لا يــزالُ كأنّــــه صفا فيه صَدْعٌ لا يُدانيـه شـاعِبُ[1]
يـدبُّ دبـاب الغشّ تحت ضلـوعـه لأهل النـدى من قومـه والعقـاربُ

لابن الأعرابي

أنشد ابن الأعرابي :

[٤١ ب]

يـا رُبَّ مولىً حـاسـدٍ مبـاغضِ عليَّ ذي ضغنٍ وضبٌّ قـارضِ /
له قرؤ كقروء الحائضِ[2]

لأبي دهبل الجمحي

أبو دَهْبَل الْجُمَحي[3] :

وأعلم بأني لمن عاديتُ مضطغنٌ ضبّـاً وأنّي عليـك اليومَ محسودُ

موعد مناسب

كاتب : عرّفني وقتك أُوافقك فيه خـاليـاً ، لا تزاحمني الألسن فيـه على محـادثتـك ، ولا الأعين عن النظر إليـك لأقضيَ حـقَّ المـودّة ، وآخـذَ بثـأر الشوق .

للأخطل

الأخطل[4] :

---

(١) ج ق - شاغب .

(٢) القرء (بـالفتـح والضم) الحيض والطهر (من الأضـداد) وجمعهـا أقراء وقروء وأقرؤ ، أو جمع الطهر قروء وجمع الحيض أقراء ، وأقرأت المرأة حاضت وطهرت .

(٣) هو وهب بن زمعة من أشراف بني جمح أحد الشعراء العشـاق المشهورين من أهل مكـة ، قـال المرتضى في أمـاليـه : « هو من شعراء قريش وممن جمع إلى الطبع التجـويـد » ، لـه مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير ، توفي عام ٦٣ هـ .

(٤) من قصيدة يمدح بها الأُمويين ومطلعها :

خفَّ القطين فراحوا منـك أو بكروا وأزعجتهم نـوى في صرفهـــا غِيَرُ

بني أُميَّـة إني نـاصـحٌ لكُم فـلا يبيتنّ فيكم آمنـاً زُفَرُ[1]
واتخـذوه عـدواً إن ظـاهره ومـا يغيَّبُ من أخلاقـه دَعَرُ

لمسكين الدارمي

مِسْكين الدَّارِمِيّ[2]:

إذا مـا خليلي خـانني وائتمنتُـه فـذاك وداعيـه وذاك وداعُهـا
رددتُ عليـه ودّه وتركتـه مطلقـةً لا يستطـاعُ رجـاعُهـا
وإني امرؤ مني الحياءُ الـذي ترى أعيش بـأخلاقٍ قليلٍ خـداعُهـا

لقيس بن الخطيم

قَيْس بن الْخَطيم[3] :

إذا ضيِّـع الإخـوانُ سرّاً فـإنَّني كتـومٌ لأسرار العَشيرِ أمينُ
يكونُ له عندي إذا مـا ائتمنته مكانٌ بسـوداء الفـؤاد مكينُ

شاعر :

عند الحاجة

أرى قـومـاً وجـوهُهم حسـانٌ إذا كانت حـوائجُهم إلينـا
فـإن كانت حـوائجنـا إليهم تغيَّر حسن أوجههم علينـا
ومنهم مَنْ سيمنـعُ مـا لـديـه ويغضبُ حين نمنـعُ مـا لـدينا
فـإنْ يـكُ فعلهم سمجـاً وفعلي قبيحـاً مثلـه فقـد استـوينـا

لأعرابي بين شرّين

قيل لأعرابي : كيف أصبحتَ ؟ فقال : أصبحتُ بين حاذف وقاذف ، وبين سَتُّوق وزائف .

---

(١) زفر بن الحارث الكلابي زعيم القيسيين .
(٢) هـو ربيعـة بن عـامر بن أُنَيْف بن شريـح الـدارمي التميمي شـاعر عراقي من أشراف تميم ، لقب مسكيناً لأبيات قال فيها : « أنا مسكين لمن أنكرني » . وله بيت متداول :
أخاك أخـاك إن من لا أخـاً لـه كسـاعٍ إلى الهيجـا بغير سـلاح
توفي مسكين سنة ٨٩ هـ .
(٣) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عديّ الأوسي شاعر الأوس وأحد أبطالها في الجـاهليـة ، ولد سنة ٢ ق هـ . راجع أخباره في الأغاني ٣/١ـ٢٦ .

لشاعر قديم

شاعر قديم :

أناجي أخي في كل حقٍّ وباطلِ وأرغمـه حتى يمـلَّ مـلائلي
فإنْ رامهُ بالظلم غيري وجدتني له باذلاً من ذاك نفسَ مقاتلي
فأظلمـه جهدي وأمنعُ ظلمـه بجهدٍ ولا أخليه شحمـة آكلِ[1]
فإنْ سِيمَ خَسْفاً أو هواناً تربَّدت قسامُ وجهي واعترتني أفاكلي[2]
وخضتُ غمار الموت دون مناله حفاظاً ولم أُسلم أخي للمناضلِ

وهذه أبياتٌ تصلح للحفظ لما فيها من شرف اللفظ ، وحسن الرَّوْنق ، وصحة المعنى ، وطرازُ العرب غيرُ طراز المتشبهين بهم ، ولعمري إن حَسبية الطبع أكثرُ ماءً ، وأبهى نضارة من مثقف التكلُّف ، والجواهرُ تَشْرُفُ بمعادنها ، والفروع تزدهي بأُصولها ، والنجوم بأفلاكها ، ومن الغيِّ أن يُقال : الأفلاك بنجومها .

لعبد الله بن طاهر

قال عبد الله بن طاهر :

طلبتُ أخاً مَحْضاً صحيحاً مُسلّماً نقيّاً من الآفات في كلِّ مَوْسِمِ
لأمنَحَهُ ودّي فلم أجدِ الذي طلبتُ، ومَنْ لي بالصحيح المُسَلَّمِ
فلما بدا لي أنني غير مبتلٍ من الناس إلاَّ بالمريض المُسْقمِ
صبرتُ ومَنْ يصبرْ يجدْ غِبَّ ضرّه ألذَّ وأشهى من جنى النحل في الفم
ومن لم يطبْ نفساً ويَسْتَبْقِ صاحباً ويغفرْ لأهل الودِّ يُصْرَمْ ويَصْرمِ

---

(١) يكنى عن المستضعف باللحم والشحم فيقال : « تُرك فلان لحماً على وضم » و « فلانٌ شحمٌ للمبتلع » .

(٢) الأَفْكَل : الرعدة ، يقال : أخذه أفكلٌ : إذا ارتعد من برد أو خوف ، وفي الحديث : « وَجَدتني أفْكَلَ » أي ترتعد فرائصي من الأفكل وهو الرعدة ، والمفكول : المصاب بالأفكل أي بالرعدة ، وفي أساس البلاغة : « يقال : به أفكل وهو مفكول » .

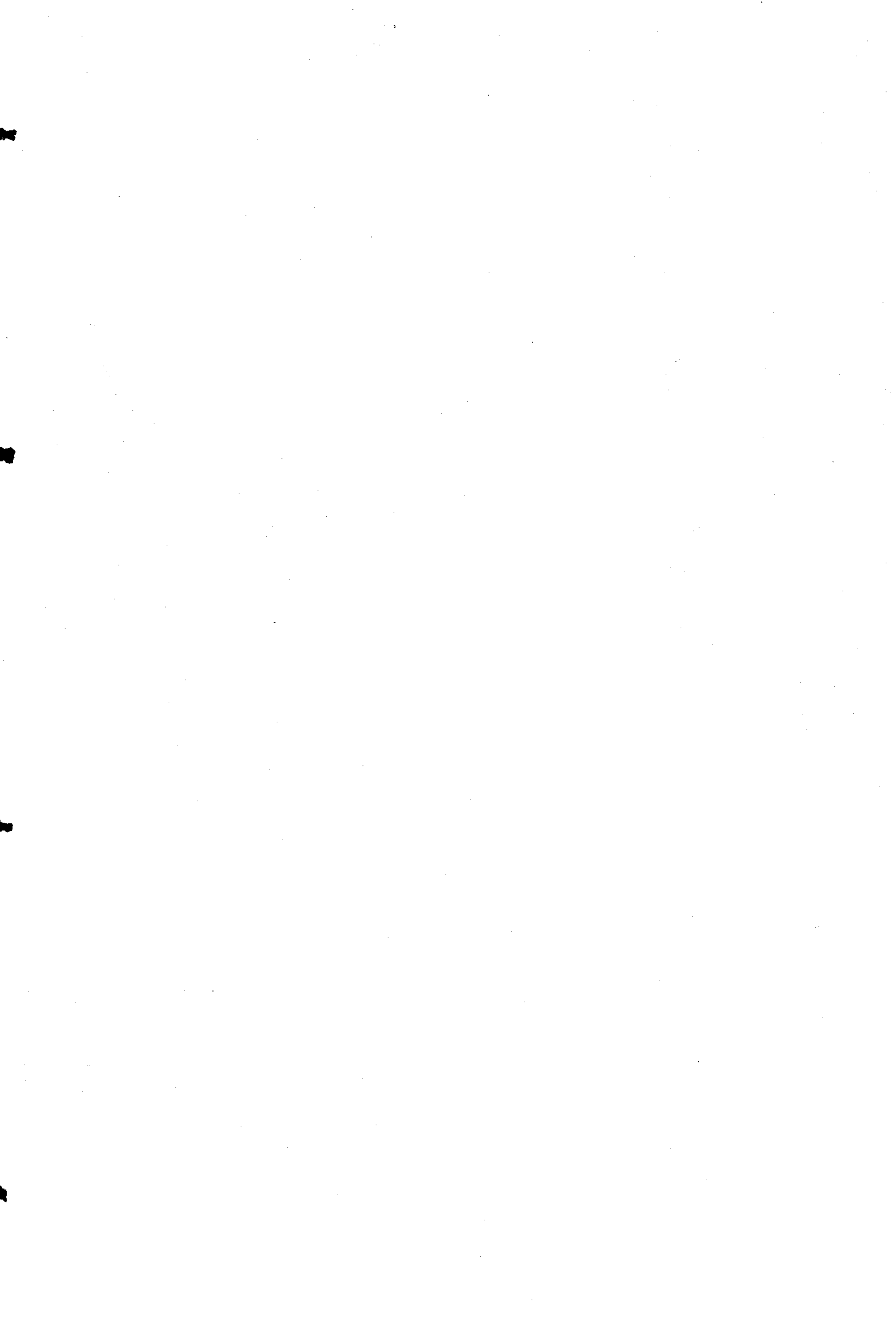
تفقّد هـذا النحت لهـذا المحـدّث من ذلـك النحت لـذلـك الأعرابي[1] ، فإنك تجد بين الديباجتين ، بالحس الصحيح ، فرقاً يشهد لك بتقدم الـدعيّ على الصريح .

اعتذار المؤلف

قـد تكرّر اعتـذاري من طول هـذه الرسـالـة ، [هـذا] وكان ظنّي في أولها أنها تكون لطيفةً خفيفةً ، يسهل انتساخُها وقراءتُهـا ، فـجاءَتْ بشجون الحديث ، وروادفَ من الطيّب والخبيث ، فاقبلْ حـاطـك الله هـذا العـذر الذي قد بدأتُه وأعدتُه ، ونشرتُـه وطويتُـه ، على أنـك لوعلمتَ في أيّ وقت ارتفعتْ هذه الرسالـة ، وعلى أي حـال تَمّت ، لتعجّبتَ ، ومـا كان يقلُّ في عينك منها ، يكثُرُ في نفسـك ، ومـا يصغرُ منهـا بنقـدك ، يكبرُ بعقلـك ، واللهَ أسألُ خاتمةً مقرونةً بغنيمـة ، وعـاقبـةً مُفْضيـةً إلى كرامـة ، فقـد بلغت شمسي رأس الحـائـط ، واللهَ أستعين على كلّ مـا هَمّ النفس ، ووزّعَ الفكر ، وأدنى من الوسواس ، إنه نعمَ المعين ، على أُمور الـدنيـا والـدين ، والحمـد لله ربّ العالمين ، وصلواته على نبيّه المصطفى محمـد وآلـه الطيبين ، الطـاهرين أجمعين ، وحسبُنا الله ونعم الوكيل .

(١) ج ق ـ لهذا المحدث من ذلك لأعرابي المحت .

الفهارس



١ ـ فهرس الأعلام

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- غ -

- ف -

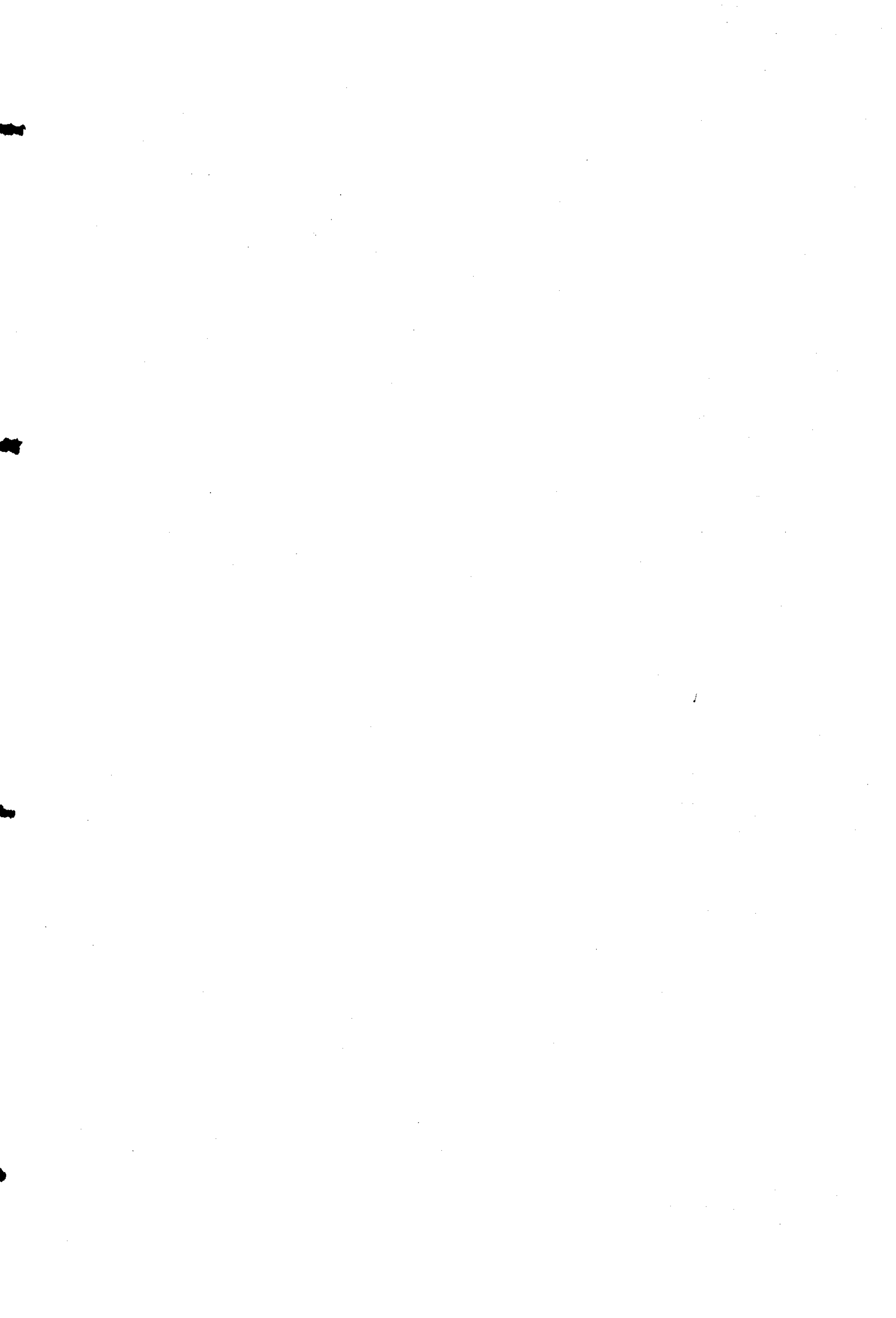
- ق -

- ك -

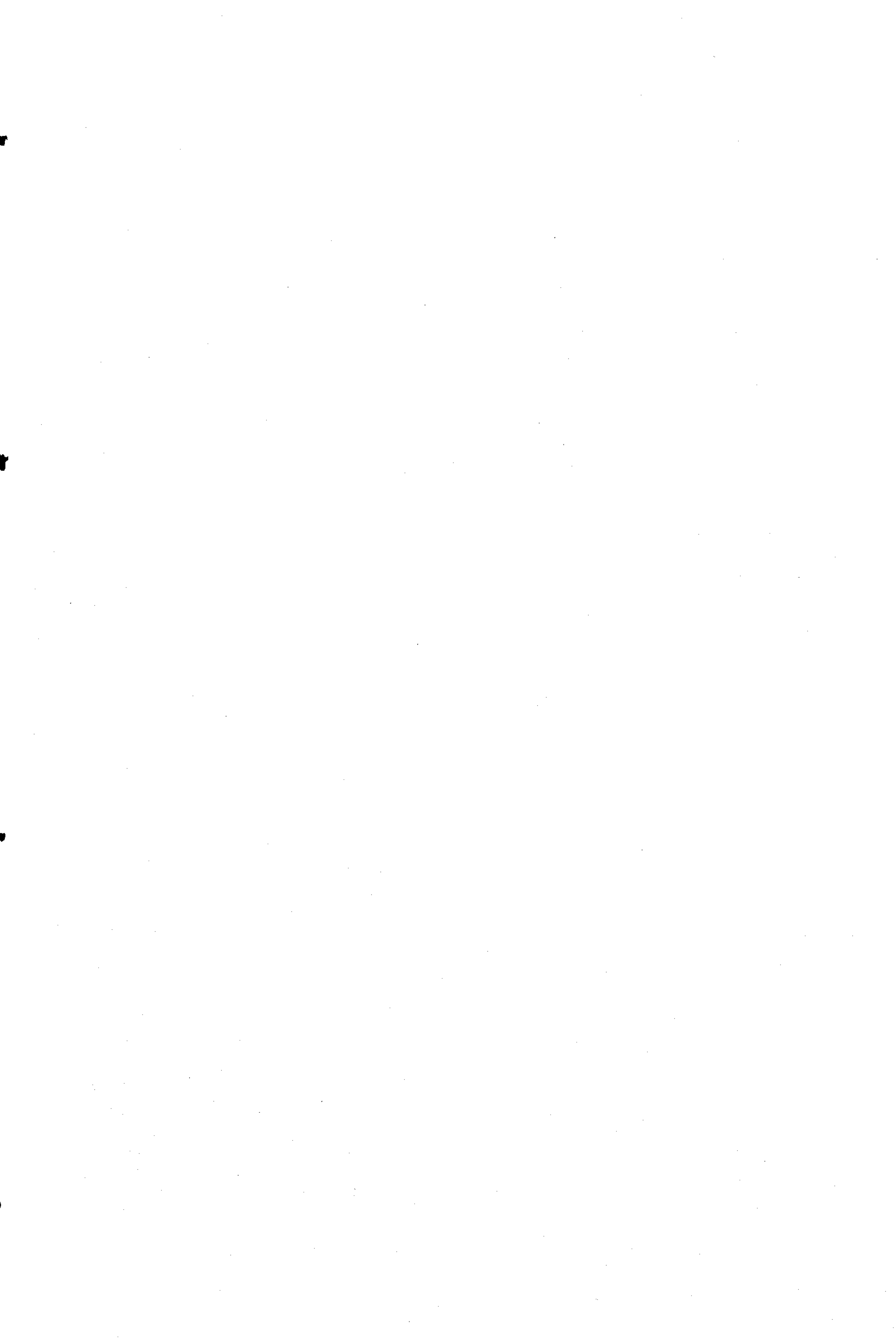
- ل -

- م -

- ن -

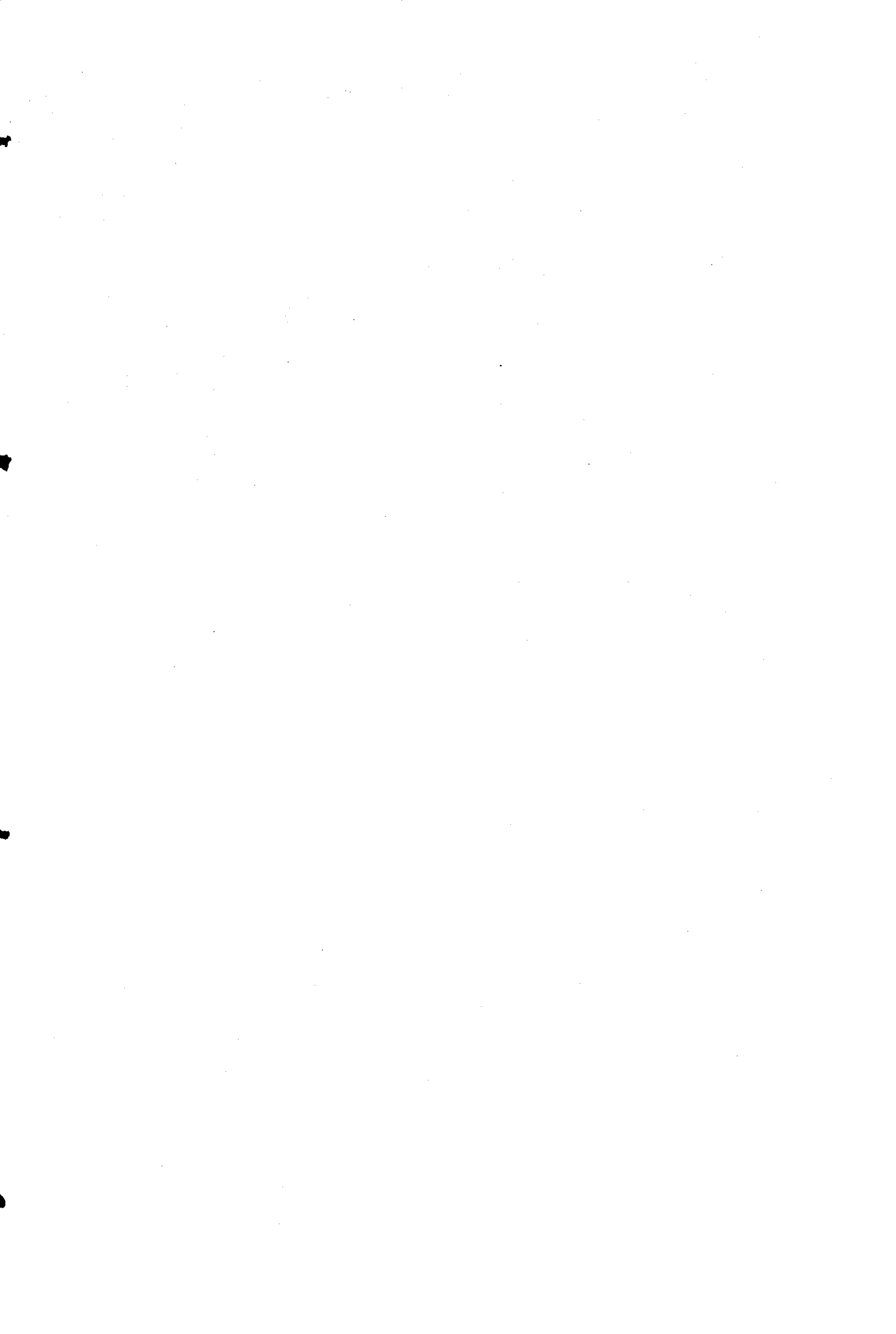


٢ ـ فهرس الأماكن والبلدان



٣ ـ فهرس الأمم والقبائل والطوائف

٤ ـ فهرس أسماء الكتب المذكورة في الكتاب



٥ ـ فهرس القوافي

٦ ـ فهرس موضوعات الكتاب